منبر الإسلام

العـدد السادس - السنة ٢٣ جمادى الآخرة ١٣٨٥ هـ - ٢٦ سبتمبر ١٩٦٥

مع المجلة هدية - كتاب رأى الدين فى إخوان الشيطان

الثمن ٥ قروش

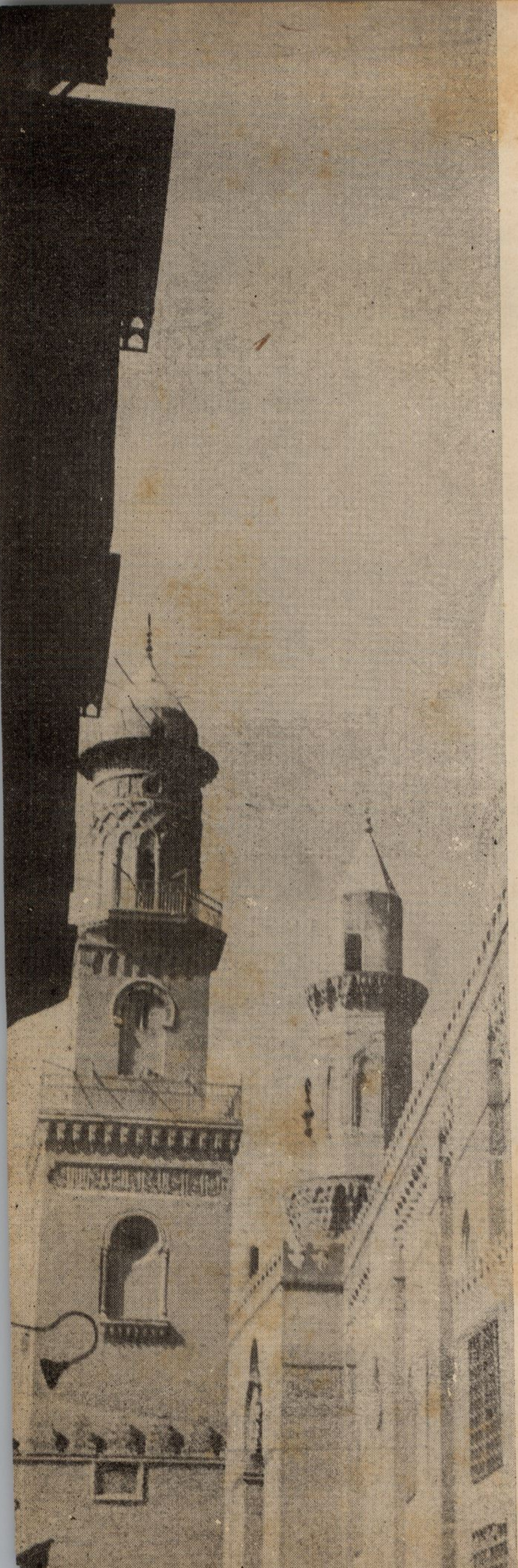

منبر الإسلام

مجلة الثقافة الإسلامية

يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

في غرة كل شهر عربي

رئيس التحرير

محمد توفيق عويضة

العدد السادس - السنة ٢٣

جمادى الآخرة ١٣٨٥ - ٢٦ سبتمبر ١٩٦٥

بسم الله الرحمن الرحيم

من محتويات العدد

* خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى الاحتفال بوضع الحجر الأساسى لكاتدرائية الأقباط
* زعماء العالم الاسلامى فى القاهرة
* منطق الثائر .. **السيد الاستاذ حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية**
* من أمثلة الايمان والاخلاص والثبات ـ فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى
* الأسباب والمسببات فى تقدير الله سبحانه ـ **فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى**
* المياه والحياة ـ **الاستاذ عبد العزيز سيد الأهل**
* الصوفية فى الهامهم ـ **الاستاذ حسن كامل الملطاوى**
* نهر الاردن ـ **الاستاذ محمود كمال**
* القومية العربية فى شعر شوقى ـ **الدكتور احمد الحوفى**
* خواطر مستشار ـ **المستشار على على منصور**
* الحرية الدينية فى الاسلام ـ **الدكتور على عبد الواحد وافى**
* اخلاقيات ثورتنا ـ **المستشار محمد احمد رجب**
* اعتراف الأجانب بالدين الاسلامى ورسوله ـ **سماحة الاستاذ مبشر الطرازى الحسينى**
* مالا يجوز الخلاف فيه بين المسلمين ـ **فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى**
* الحضارة المعاصرة ـ **الدكتور محمد مظهر سعيد**
* منابع الفكر الاسلامى ـ **الاستاذ انور الجندى**
* القادسية ـ قصة العدد **بقلم عبد الحميد جوده السحار**
* ماذا تعرف عن العالم الاسلامى ـ **الدكتورة عنايات الطحاوى**
* بطل السلام ـ **الشاعر عبد الله شمس الدين**
* **باب الرياضة ـ باب العلم ـ ندوة الشهر ـ المرأة المسلمة**
* **باب الفن الاسلامى ـ انت تسأل والمفتى يجيب**

الاشتراكات عن سنة

٥٠ قرشا فى الجمهورية العربية المتحدة

٤٠ قرشا للعمال والطلبة

يضاف الى هذا قيمة البريد

خارج الجمهورية العربية المتحدة

وما يساوى

هذه العملة فى البلاد الاخرى

●

الاشتراكات تدفع مقدما

تقبل كوبونات البريد الدولى

ذات القرشين

العنوان
٢ شارع الأمير قدادار المتفرع
من شارع التحرير بالقاهرة
ت ٣٣٩٥٦

معالم الطريق

نص خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر

في الاحتفال بوضع الحجر الأساسي لكاتدرائية الأقباط

٢٤ يوليو ١٩٦٥

ألقى الرئيس جمال عبد الناصر خطابا وطنيا هاما فى حفل ارساء حجر الأساس للكاتدرائية المرقسية بالقاهرة مساء السبت ٢٤ يونية ١٩٦٥ ٠٠ أوضح الرئيس المفاهيم الثورية للدين ٠٠ أعلن أن الثورة قامت أصلا على المحبة ولم تقم أبدا على الكراهية والتعصب ٠٠ قامت الثورة من أجل مصر ، ومن أجل العرب جميعا ٠٠ قامت وهى تدعو للمساواة وتكافؤ الفرص والمحبة ٠

نص خطاب الرئيس

أيها الاخوة ٠٠ يسرنى أن أشترك معكم اليوم فى ارساء حجر الأساس للكاتدرائية الجديدة ٠٠ وحينما تقابلت أخيرا مع البابا فى منزلى فاتحته فى بناء الكاتدرائية وان الحكومة مستعدة للمساهمة فى هذا الموضوع ٠

ولم يكن القصد من هذا فعلا المساهمة المادية ، فالمساهمة المادية أمرها سهل وأمرها يسير ، ولكنى كنت أقصد الناحية المعنوية ٠٠ هذه الثورة قامت أصلا على المحبة ولم تقم ابدا بأى حال من الاحوال على الكراهية والتعصب ٠٠

هذه الثورة قامت من أجل مصر ، ومن أجل العرب جميعا ٠ هذه الثورة قامت وهى تدعو للمساواة ولتكافؤ الفرص والمحبة والمساواة ٠٠ وتكافؤ الفرص من أول المبادىء التى نادت بها الأديان السماوية لأنها بالمحبة والمساواة وتكافؤ الفرص تستطيع أن تبنى المجتمع الصحيح ٠٠ المجتمع السليم الذى تريده والذى نادت به الأديان ٠٠ نادت به المسيحية ونادى به الدين الاسلامى بالمحبة، ونادى الدين المسيحى ونادى الدين الاسلامى بالمساواة وتكافؤ الفرص ٠٠ نادوا بالعمل من أجل الفقراء ومن أجل المساكين ومن أجل العاملين ٠٠

استنكرت الأديان الاستغلال بكل معانيه والاستعباد بكل معانيه ٠٠ وكلنا نعلم أن المسيح ـ عليه السلام ـ كان ضحية الاستعباد ، ذل استعباد الاحتلال الرومانى ، وتحمل من العذاب ما لم يحتمله بشر ٠٠ كلنا نعلم هذا ولكنه تحمل هذا فى سبيل رسالته السماوية وفى سبيل نشر الدعوة ٠٠ لأن هذا العذاب وهذا الألم جعل منه المثل الأعلى فى كل بقاع العالم ٠٠ وبعد هذا خرج المسيحيون فى كل العالم يدعون للدين الالهى ويتقبلون العذاب بصبر وايمان وكان دائما مثالهم يدعو ـ رغم العذاب ـ الى المحبة والى الاخاء ٠٠

أيها الاخوة ٠٠

على مر العصور ، وعلى مر الأيام ، وفى أيام الاسلام كان المسيحيون والمسلمون اخوة دائما فى عهد الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأشار القرآن الى ذلك ٠

مفهوم الثورة للدين

اذن الاخوة والمحبة بين المسلم والمسيحى قديمة من أيام محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ واذا كنا ندعو الى تمكين هذه الاخوة وهذه المحبة فاننا نعمل بما أملاه علينا الله ٠٠ لم يدع الله أبدا الى التعصب ، ولكنه دعا الى المحبة ٠٠ وحينما دخل الاسلام فى مصر استمرت المحبة بين الأقباط وبين المسلمين لم يتحولوا عن دينهم قسرا ولا عنفا لأن الاسلام لم يعترف بالقسر ولم يعترف بالعنف، بل اعترف بأهل الكتاب واعتراف بالمسيحيين أخوة فى الدين واخوة فى الله

هذا هو مفهوم الثورة للديانة ٠٠ بالمحبة بالاخاء ، بالمساواة بتكافؤ الفرص ، نستطيع أن نخلق الوطن القوى الذى لا يعرف للطائفية معنى ولا يحس بالطائفية أبدا ، بل يحس بالوطنية ٠٠ الوطنية التى يشعر بها الجندى فى ميدان القتال ٠

وكما قلت لكم فى أول الأمر ، حينما كنا فى فلسطين فى سنة ٤٨ كان المسلم يسير جنبا الى جنب مع المسيحى، ولم تكن رصاصة الأعداء تفرق بين المسلم والمسيحى ، وحينما تعرضنا للعدوان فى سنة ٥٦ وضربت

بورسعيد .. هل فرقت قنابل الاعداء بين المسلم والمسيحى ..

اننا جميعا بالنسبة لهم أبناء مصر .. أبناء مصر لم يفرقوا بين مسلم ومسيحى .. على هذا الأساس سارت الثورة .. وكنا نعتقد دائما أن السبيل الوحيد لتأمين الوحدة الوطنية هو المساواة وتكافؤ الفرص.

كان المواطنون لا فرق بين مواطن ومواطن فى المدارس .. الدخول بالمجموع مش ابن فلان ولا ابن علان ، ولا مسلم ولا مسيحى ، أبدا .. فى الجامعة الدخول بالمجموع .. اللى بيجيب المجموع بيدخل .. ان شاء الله يطلعوا تسعين فى الماية منهم أولاد فلاحين أو أولاد عمال .. ده موضوع مش بتاعنا أبدا احنا عندنا مساواة ما فيش فرق بين ابن الخفير ولا ابن الوزير ، ده متساوى مع ده مفيش تمييز بين مسلم ومسيحى اللى يجيب النمر بيدخل .. يدخلوا ٣٠٪ مسيحيين ٥٠٪ مسيحيين من موضوعنا ابدا .. بيدخلوا كلهم مسلمين مش موضوعنا أبدا . بيدخلوا كلهم مسيحيين مش موضوعنا أبدا. المهم اللى يجيبوا أحسن نمرهم اللى يدخلوا .. ودى بنعتقد انها شريعة العدل وشريعة المساواة ..

فيه تعيينات فى الحكومة ، فى القضاء بالأقدمية ، اللى بيجيب نمره أحسن بيروح القضاء منعرفش ده ابن مين ولا ده ابن مين ولا ده دينه ايه ولا ده دينه ايه .. فى كل الوظائف نسير على هذا المنوال.. فى الترقى جميع الترقيات فى الدولة بالأقدمية لغاية الدرجة الأولى .. كل واحد بياخد دوره .. مافيش فرصة حتى للمتعصبين انهم يتلاعبوا.

طبعا ده سبيلنا وده سبيل الثورة . ودى الناحية المعنوية اللى أنا حبيت أبينها لكم بمساهمة الحكومة ، وحضورى معاكم النهارده فى ارساء حجر الأساس ، احنا كحكومة وهيئة حاكمة ، وأنا كرئيس جمهورية مسئول عن كل واحد فى هذا البلد مهماكانت ديانته ومهما كان أصله أو حسبه أو نسبه .

احنا مسئولين عن الجميع ومسئولياتنا دى.. احنا مسئولين عنها قدام ربنا يوم الحساب.

طبعاكلنا عايزين الكمال والكمال لايتحقق الا بالنضال والكفاح ، معروف عندكم مثل فى هذا فى نشأة المسيحية وفى كفاح السيد المسيح وفى الاسلام وفى كفاح سيدنا محمد، الكمال لم يتم حتى الان من آلاف السنين ، الانسان يطالب بالكمال ويطالب بالمثل العليا .. ولكن المجتمع فيه الطيب وفيه الخبيث فيه السليم وفيه غير السليم . طبيعى هذه هى المثل اللى احنا بننادى بها والمبادىء .. ولكن لا بد أن نجد أمامنا مشاكل وعقبات.. هذه المشاكل والعقبات فى فئة المتعصبين ، سواء كانوا مسيحيين أو كانوا مسلمين .. بيخلقوا مشاكل ولكنا بنعرف الخناقات اللى بتحصل فى بعض القرى ، فى بعض الأماكن وبيطلع واحد متعصب مسلم يثير الناس ، أو بيطلع واحد متعصب مسيحى يثير الناس ، وبنبص نلاقى الاخوان يبتدوا يعادوا بعض ويخالفوا بعض .. ولكن الحمد لله هذه الحوادث حوادث قليلة جدا .

ولكن نرجو ألا ينعكس صدى هذه الحوادث القليلة علينا ونأخذها كمثل عام ، أبدا احنا علينا واجب أن احنا ندعو المتعصبين الى الهداية سواء كانوا مسلمين أو كانوا مسيحيين .. علينا واجب ازاى .. اذا وجدنا المتعصبين مسلمين وشدين المسيحيين ميشدوش .. واذا وجدنا المسيحيين متعصبين وشدين المسلمين ميشدوش .

وأنا باعتبر دى قضية وطنية وقضية بناء المجتمع .. العقلاء يستطيعوا أن يحلوا هذه المشاكل الصغيرة اللى بتظهر كل عدة أشهر فى مكان ناء أو قرية صغيرة أو مكان من الأمكنة. طبعا خلق العالم وخلق معاه التعصب والمتعصبون . وسينتهى العالم وحيفضل معاه

(البقية ص ٣٢)

زعماء العالم الاسلامى

جلالة الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية

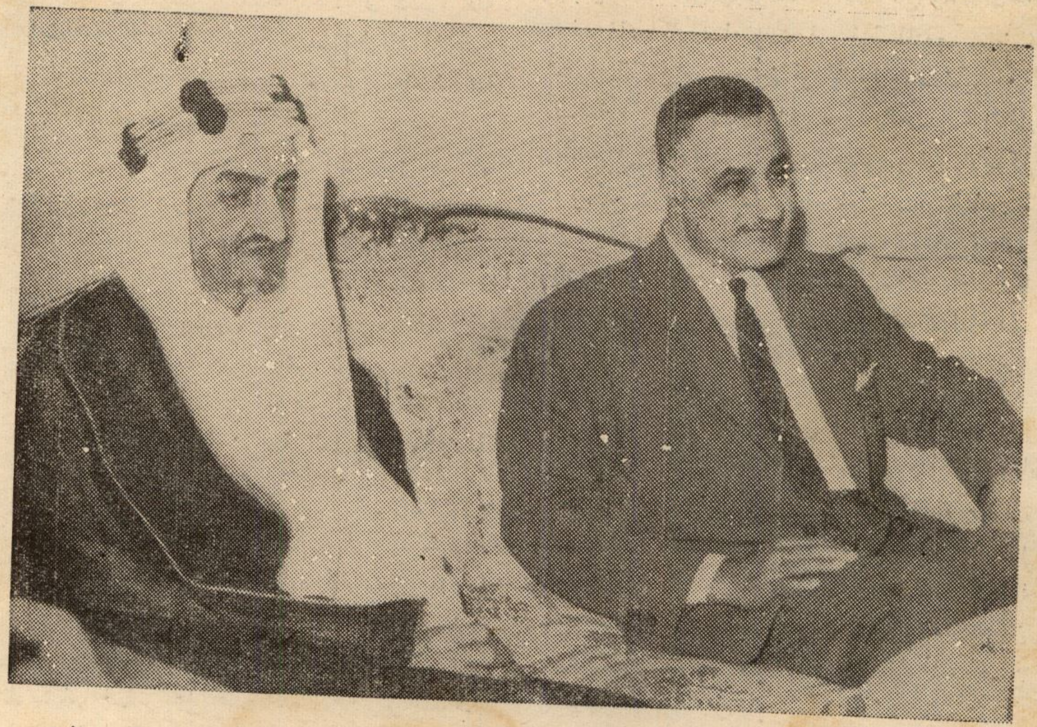

كانت رحلة السلام التاريخية التى قام بها الرئيس جمال عبد الناصر الى جدة ومقابلته للملك فيصل لحل قضية اليمن خطوة كبرى على طريق السلام العربى . وجاء اتفاق جده بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية تعزيزا لوحدة الصف العربى واغلاقا لثغرة كان ينفذ منها اعداء العرب .

وأتاح اتفاق جدة الفرصة لشعب اليمن كى ينطلق نحو بناء بلده فى جو من السلم والهدوء والاستقرار ويلاحق ركب التقدم العربى الزاحف .. كما أتاح اتفاق جده الفرصة للقاهرة والسعودية أن يصبحا أكثر تضامنا وأكثر استعدادا وتجاوبا للعمل العربى الموحد .

ثم كانت زيارة جلالة الملك فيصل للقاهرة فى ٩ سبتمبر تأييدا للروح التى أسفرت عنها مباحثات جده . وتأكيدا لعودة العلاقات التقليدية الودية بين البلدين الى سابق ما كانت عليه من التفاهم والتعاون .

فى القاهرة

وجاءت محادثات القاهرة مكملة لمحادثات جدة لاقرار السلام فى اليمن ، هذا الى جانب تناول الموقف العربى من جميع نواحيه .

وقد غادر القاهرة جلالة الملك فيصل فى يوم الاحد ١٣ سبتمبر الى الدار البيضاء لحضور مؤتمر القمة العربى ، وقد كان فى وداعه بالمطار السيد الرئيس جمال عبدالناصر ونواب الرئيس ورئيس مجلس الامة ورئيس الوزراء ونواب رئيس الوزراء والوزراء

البيان المشترك

نص البيان المشترك

توثيقا لعرى الود والاخاء وتدعيما للتعاون البناء بين البلدين الشقيقين لما فيه خير العروبة والاسلام . وتلبية للدعوة التى وجهها الرئيس جمال عبد الناصر الى جلالة الملك فيصل ال سعود لزيارة الجمهورية العربية المتحدة استمرارا لروح اتفاق جدة الموقع فى ٢٧ ربيع الثانى سنة ١٣٨٥ الموافق ٢٤ أغسطس ١٩٦٥ وتعزيزا لاسلوب اللقاء الأخوى كما تمثل فى زيارة الرئيس جمال عبد الناصر للملكة العربية السعودية فى أغسطس الماضى ، قام جلالة الملك فيصل بزيارة الجمهورية العربية المتحدة يوم ١٣ جمادى الاولى سنة ١٣٨٥ الموافق ٩ سبتمبر سنة ١٩٦٥ ، واستمرت حتى ١٦ جمادى الاولى سنة ١٣٨٥ الموافق ١٢ سبتمبر سنة ١٩٦٥ .

ولقد استقبل الرئيس جمال عبد الناصر وشعب الجمهورية العربية المتحدة الضيف الكبير بالحفاوة البالغة والترحيب الحار ..

كما ساد الزيارة شعور عميق من الجانبين بأهمية هذا اللقاء الأخوى فى دعم النضال الشامل للامة العربية لتحقيق أهدافها النبيلة .

مسئوليات وتحديات

كما دارت بين جلالة الملك فيصل ، وبين الرئيس جمال عبد الناصر محادثات سادها الاحساس بجدية المرحلة الراهنة فى تاريخ العرب وما تفرضه من مسئوليات وتحديات ضخمة فى سبيل مواصلة الانطلاق نحو آمال الامة العربية . وقد أكد الجانبان فى هذه المحادثات التزامهما بالنتائج التى توصلا اليها فى تنفيذ اتفاق جدة وعبرا عن ارتياحهما للخطوات التى اتخذها الجانبان لتنفيذ الاتفاق وهما يؤمنان بأهميته البالغة من اجل التمكين للارادة الحرة للشعب اليمنى وتوفير الاستقرار على أراضيه حتى يتاح له أن يبنى حياته شرفا وتقدما لنفسه وللامة العربية كلها .

دعم العلاقات بين البلدين

كما استعرض الجانبان الخطوات التى اتخذت لدعم العلاقات بين المملكة العربية

السعودية والجمهورية العربية المتحـــدة ، والوصول بها الى المستوى الأمثـــل الذى يقتضيه الصالح العربى والتعاون بين البلدين فى المجالات الاقتصادية والثقافية وغيرها . واتفقا على مضاعفة الجهود فى هذا السبيل .

الموقف فى الوطن العربى

وامتد البحث الى الموقف فى الوطن العربى بصفة عامة والمخـــاطر التى تهدد كيـــانه ، واستهدف مصلحة النضال العربى الشامل .

كما اتفقت وجهة نظرهما على ان القضية المقدسة للشعب العربى الفلسطينى ما زالت تكون قضية المصير بالنسبة للامة العربية كلها وفى هذا الصدد جددا العهد على مواصلة دعم كفاح الشعب الفلسطينى ضد الاستعمار الصهيونى ومن أجل الحصول على جميع حقوقه فى أرضه ووطنه وهما فى هذا الصدد ينددان بالمؤامرات التى تستهدف بضرورة تصـفية الأوضاع التى تسمى الواقع .

استنكار السياسة الاستعمارية

وبحث الجانبان الأوضاع الاستعمارية فى بعض أجزاء الوطن العربى وهمـــا يستنكران السياسة التى يتخذها الاستعمار بجميـــع أشكاله ويطالبان بضرورة تصفية الأوضـــاع التى يسعى الاستعمار لابقائها بحيث يمكن للشعب العربى من التقدم وبناء مستقبله ، ويؤيدان كفاح الشعب العربى للحصول على حقه فى كل من عدن وجنوب الجزيرة العربية والخليج العربى وعمان .

أسلوب العمل الجماعى

ولقد كان اجتماع جلالة الملك فيصـــل والرئيس جمال عبد الناصر قبيل انعقاد مؤتمر ملوك ورؤســـاء الدول والحكومات العربية فرصة تبادلا فيها الرأى حول أسلوب العمل الجماعى فى نطاق مؤتمرات القمـــة العربية وجامعة الدول العربيـــة ، وقد اتفقت وجهة نظرهما على أن أهميـــة المرحلة الحاضرة من تاريخ العرب تقتضى دعم أسلوب العمـــل الجماعى بمزيد من الفاعلية القـــائمة على الصراحة والايجابية والثقة المتبادلة وهمـــا يثقان أن الاجتماع المقبل للملوك والرؤســـاء العرب فى الدار البيضاء سيكون على مستوى المسئولية الكاملة التى يطرحها واقع ومستقبل الأمة العربية فى جميع أرجاء الوطن العربى .

بين الباكستان والهند

وقد اهتم الجانبان بدراسة الموقف الخطير بين الباكستان والهند وهما ينظران ببـــالغ الاسف لوقوع الصدام المسلح بين البلدين الصديقين ويناشدان كلا الدولتين أن يضعا حدا عاجلا لهذا الصدام الذى ينذر بأخطر الاحتمالات بالنسبة لسلامة البلدين وللسلام العالمى على حد سواء . وهما يحثان كلا البلدين أن يوقفا العمليات العسكرية واطلاق النـــار فورا . كما يناشدانهما قبـــول قرار مجلس الأمن الصادر فى ٥ سبتمبر فى هذا الخصوص والعمل على تسوية مشاكلهما سلميا والاستفادة فى هذا الصدد من الجهود التى تبذلها الدول الصديقة للجـــانبين وسكرتير عـــام الأمم المتحدة .

ولقد كانت زيارة جلالة الملك فيصـــل للجمهورية العربية المتحدة فرصة جدد فيهـــا جلالته لقاءه بقادة وشعب الجمهورية العربية المتحدة وقد حمله أطيب تحيات وتمنيـــات الشعب العربى السعودى الشـــقيق باطراد النجاح والتقدم ..

وقد اتفق الرئيس جمال عبد النـــاصر وجلالة الملك فيصـــل على مواصلة اللقـــاء والزيارات بين الجمهورية العربية المتحـــدة والمملكة العربية السعودية لما تقدمه من فرص لدعم العلاقات بين البلدين ودعم النضـــال العربى الشامل .

منطق الثائر

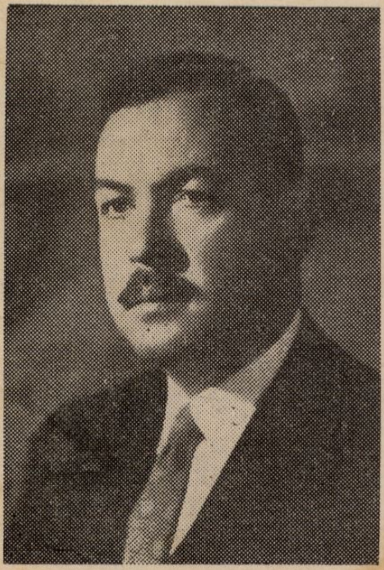

السيد حسين الشافعى
نائب رئيس الجمهورية

نص الخطاب الذى القاه السيد/حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية وعضواللجنة التنفيذية العليا . فى الحفل الذى أقيم بميدان الجمهورية احتفالا بالعيد الثالث عشر للثورة المباركة .

فى هذا اليوم الذى نتم فيه ثلاثة عشر عاما مجيدة من عمر ثورة الشعب .. نستقبل بالبشر وبالتفاؤل مولد عام جديد فى عمر الثورة المجيدة ، ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ : ونستعيد معا تاريخا من النضال المتواصل ، عشناه معك ياجمال قائدا وزعيما ثائرا .. تؤمن بالطريق الثورى طريقا للحرية والاشتراكية والوحدة .. تؤمن بان طريق الثورة هو طريق الحرية .. طريق الثورة طريق الاشتراكية طريق الثورة طريق الوحدة

وهو طريق واضح سوى ، يراه كل ثائر حقيقى : ففيه ثورة الفكر ، وفيه ثورة الارادة وقوة التصميم . وفيه العزيمة ، التى ترى أهدافها ، وتندفع من أجل بلوغها بكل طاقاتها مهما كانت التضحيات ومهما غلا الثمن .

ان الايمان المطلق بالهدف ، والأخلاص فى سبيل تحقيقه ٠٠ حليفان للنصر مهما بداغير ذلك فى أعين الضعفاء ، والمترددين ،والمنافقين ٠٠ فانهم يرونه بعيدا ، ويراه المؤمنون قريبا ٠٠ وبشر المؤمنين

السيد الرئيس ٠

اذا كانت القيادة الحقيقية هى الاحساس بمطالب الشعب ، والتعبير عنها ، وايجـــاد الوسائل لتحقيقها ، وتجميع قوى الشعب ، وراء الجهود المحققة لها :

*** فلقد كان منطق الثائر فى نفســك ووجدانك يوم ٢٣ يوليو : كنت تدبر ، وتقدر وتأخذ طريق المخاطرة المحسوبة ٠٠ ايمانامنك بوطنك ، وايمانا بشعبك وايمانا بهدفك ٠٠**

*** وكان منطق الثائر فى مضائك يوم ٢٦ يوليو ٥٦ عند تأميم قناة السويس انك دائما تدبر ، وتقدر ، وتأخذ طريق الثوار ، طريق المخاطرة المحسوبة ٠٠ ايمانا بوطنك وايمانا بشعبك وايمانا بهدفك ٠**

*** وان منطق الثائر فى بناء السد العالى كان وما زال أملك فى أن لاتترك شبرا فراغا فى الصحراء ، وأن تبعث فى البلاد قــوة وحركة ٠**

* ومنطق الثائر فى مواجهتك للعدوان٠٠ هو انك تحب السلام ولا ترضى الاستسلام ، واندفعت بمنطق الثائر الأبى نحو المخـاطرة المحسوبة ٠٠ ايمانا بشرف الوطن ، وقـــوة الشعب ، ونبل الهدف ، مرددا قول الله عز وجل :

فاذا عزمت فتوكل على الله
ان الله يحـب المتـــوكلين
ان ينصركم الله فلا غالب لكم

وهكذا ، كان منطق الثائر لديك وفى اعماق نفسك ٠٠٠ فى مواجهتك لاحتكار السلاح ، وفى تحقيق الاشتراكية ، والوحـدة ، وفى مواجهة كل المعارك والتحديات ٠٠ عملا ثوريا متواصلا يشارك فيه الشعب معك جنبا الى جنب من أجل اقامة مجتمع الكفاية والعـدل مجتمع الرفاهية من اجل الشعب ٠

ايها الاخوة المواطنون :

لقد كتب الله النصر للشعب والقائد ٠٠٠ وكما يقرر الميثاق تمكن هذا الشعب بصدقه الثورى ، وبارادة الثورة العنيدة فيه ، أن يغير حياته تغييرا اساسيا وعميقا فى اتجاه آماله الانسانية الواسعة ٠

وكلما تجاوزت الثورة مرحلة من مراحلها واجتازت عقبة على طريقها ، اشتد عودها ، وزادت صلابتها لتقوى على مواجهة الحاقدين من قوى الاستعمار وأعوانه الذين يتربصون بالثورة النموذج : التى أصبحت اسطورة بما حققت على مر السنين ٠ ان الاستعمار لايسعده أن يرى النموذج يتكرر ، والتجربة تنتشر ، والمثل يتأكد ٠ لقد اعتدى بالسلاح فى عـام ٥٦ ، وكان هذا العدوان ، يمثل قمة الحقد ، وقمة الرغبة فى تحدى التجربة والنموذج التى تجرأت على منازلة الاستعمار حتى لا يكـون هناك أمل لانتصار الحرية ٠ ٠ وكان قرارك الملهم قرار الثـائر بالانسحاب من سيناء على أساس من الادراك لابعاد المعركة مع الاستعمار قرارا يعبر عن المخاطرة المحسوبة ، ايمانـا بالوطن ، ايمانا بالنفس ، لم يستدرجـك كبرياء ولم تؤثر فيك انتصاراتنا الاولى فى سيناء من أن تتخذ أخطر قرار بالانسحـاب من سيناء مفوتا الفرصة على الاستعمار واتقاء لما دبره من مكيدة وغدر وخيانة متواطئا مــع اسرائيل ٠

لقد أراد الاستعمار بكل ذلك أن يئـــد الحرية ويطفىء نور الثورة ، بالعنف ،والحصار والشائعات ٠٠٠ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون

ولما فشل الاستعمار فى عدوانه بالسلاح ، وعلم أن الثورة قائمة رغم أرادته ، أخذ يعمل على أن ينقذ ما يمكن انقاذه ، فى الا تنتشر الثورة خارج الحدود ٠ ولكن الأفكار والمبادىء لايمكن الحجر عليها ، والسيطرة على انتشارها، الا بما هو أفضل ٠ ولم يكن لدى الاستعمـار من وسائل الا فى مجال الخيانة والعمالة أو مجال الرشوة أو الدس أو الوقيعة ٠٠ولكن اذا جاز ذلك فى أى بلد ، فلا يجوز هنا ، فى الجمهورية العربية المتحدة ، التى تأكـدت

فيها الوحدة الوطنية من خلال الاتحاد الاشتراكى العربى الذى يمثل تحالف قوى الشعب العامل : هذا التحالف الذى تمثلت فيه بل وتجسدت الوحدة الوطنية بعد ان زالت الفوارق الطبقية ، وزالت الحزبية ، وسيطرة رأس المال ، وكانت كلها مجالات الاستعمار التى ينفذ من خلالها ويسيطر ٠

لقد ضيقت الثورة على الاستعمار واعوانه الخناق فلا سبيل له الا أن يلطم خديه ، أو يسعى لدى من يجد بين صفوفهم ثغره ، أو بين نفوسهم مجالا أو بين ذمتهم متسعا ٠

وهكذا ، تبينت الثورة الطريق الى الحرية ، الى الاشتراكية ، الى الوحدة ٠ وأخذت تبنى ركائز الديموقراطية السليمة — فكانت قوانين يوليو الاشتراكية ٠ وكان التأميم وكان الميثاق العظيم وكان الدستور وكان تمثيل العمال والفلاحين فى مجلس الامة ٠

ان الاتحاد الاشتراكى العربى وهو يسعى دائما لتأكيد الوحدة الوطنية دافعا لامكانيات الثورة حارسا على قيم الديموقراطية السليمة يعمل على أن تتركز فى يده السلطة السياسية لاتخرج الى يد غيره وذلك بالعمل الدائب المستمر ٠

ولقد استطاعت الوحدات الأساسية للاتحاد الاشتراكى العربى خلال العام الماضى وهى بعد فى مرحلة استكمال تنظيماتها الاولية ، أن تحس بالاحداث السياسية كلها وأن تعيها وأن تكون عاملا فعالا فى ربط الجماهير نحو فكر وعقيدة ٠٠٠ كما استطاعت أن تجمع المشكلات كلها التى ارتأتها فى الانتاج والتوزيع والخدمات وأن تسهم فى ابتكار حلول لها ٠٠ وكشفت مع المسئولين عن اخطاء فى التطبيقات ٠٠ فدلت بذلك على حيوتها ومسئولياتها وعن قوتها المناضلة

ولقد خطت قيادة التنظيم خطوات نحو توفير عدة العمل من أجل مواصلة الكفاح الشعبى ٠٠٠ فلقد تكونت الامانة العامة على اساس جديد ٠ وعقدت مؤتمرات شعبية ، ولقاءات مع الفلاحين والعمال والمهنيين والرأسمالية الوطنية ٠

وعقدت الامانة العامة اجتماعات مشتركة مع لجان المحافظات لدراسة مشكلات القاعدة ومطالبها وايجاد حلول لها ٠

وفى خلال العام افتتح معهد الدراسات الاشتراكية ، ونشطت الثقافة العمالية ٠ واتسعت محاضرات الشباب

واستطاعت الامانة العامة أن تعقد لقاءات مع الوافدين من رجال الفكر والسياسة ، وأن توفد ممثلين شعبيين الى مختلف الدول ٠٠ رغبة فى الدراسة المشتركة ، وربط الجهود الشعبية ، وتعريف العالم بثورة شعبنا ومضائه وتطلعاته ٠

ايها الاخوة المواطنون :

لقد كان العام الماضى فى حساب قوى الشعب ، عاما اتسم بالحركة واستجماع القوى من اجل ممارسة مسئوليات الاتحاد بكاملها ٠

ولقد اكتملت عدة العمل ، ووضحت للجماهير التحديات وابعادها ، وعرفت قوى الشعب العامل مسؤلياتها ٠

واليوم فى عيد الثورة الثالث عشر نتعاهد نحن قوى الشعب بأن يظل كل مواطن منا ٠٠ مدركا لمسئولياته بعمل مضحيا ، بعيدا عن مواطن الاستغلال والانتهازية ، مؤمنا بربه وبزعيمه ، مخلصا للميثاق ، ملتزما بمبادئه ، يحترم الرأى ، وينفذ العمل انتصارا للحق والعدل ، ديموقراطى السلوك والنزعة ، اشتراكيا ، صادقا ، يقدس العمل ويحترمه من اجل زيادة الانتاج

السيد الرئيس :

باسم الاتحاد الاشتراكى العربى ٠٠ وباسم العزة والكرامة ، وباسم النضال ٠٠ والاصرار على الكفاح الدائب المتصل ٠

باسم هذه القيم جميعا ٠٠ نحتفل اليوم بعيد هو أعز أعياد بلادنا ٠٠ متعاهدين معك على العمل ، والنضال ، ووراءك صفا واحدا ٠ والله نسأل أن يرعاك وأن يوفقك ٠٠ وان يسدد خطاك ٠

من أمثلة الإيمان والإخلاص والثبات

هو عمر حتى الموت

فضيلة الشيخ
محمد محمد المدني

حديث طويل رواه البخارى عن عمرو بن ميمون الأودى ، ماقرأته الا امتلأت نفسى اعجابا بشخصية أميرالمؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، واغرورقت عيناى بالدموع حزنا على مصاب الاسلام فيه يوم طعنه ذلك الغلام الفارسى أبو لؤلؤة طعنة أودت بحياته الغالية ، التى كانت كلها خيرا وبركة على الدين والفقه والامة ، ومصدرا لاعظم التقاليد فى الحكم والسياسة والعدل · والتنظيم والرعاية لحقوق الله وحقوق الرعية كأكمل ماتكون الرعاية ·

ان هذا الحديث الذى يرويه البخارى عن عمرو بن ميمون ، ليكفى وحده فى الافصاح عن هذه الشخصية الفذة فى تاريخ الاسلام ،

بل فى تاريخ السياسة والحكم فى العالم كله شخصية عمر بن الخطاب الذى لم ينشأ فى قصر من قصور الاباطرة أو الاكاسرة ، ولم يتمرس بأساليب السياسة والحكم وهوفتى غض الاهاب ، وانما كان راعى غنم يعمل فى صحراء العرب القاحلة المجدبة بلقيمات يقمن صلبه ، حتى اذا اتصلت أسبابه بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ودخل فى دين الله بعد لأى من التفكير والتدبر ، وأعز الله به الاسلام استجابة لدعاء الرسول ، جعل يرتشف من منهل النبوة الصافى ، ويتغذى بغذاء القرآن فى ظل الايمان الحق ، والاخلاص العميق ، فصقل بذلك معدنه الطيب ، وانجلى عن نابغة من نوابغ الدنيا لا يزال التاريخ العالمى يطأطىء رأسه اعجابا به ، وتقديرا له ، ولا يزال منهجه الحكمى ، وفقهه السياسى وعدله الفطرى ، وأسلوبه الاسلامى ، مضرب الأمثال ، وموضع القدوة .

ان هذا الحديث يرسم للناس صورة حية معبرة عن عمر بن الخطاب فى سهره على الرعية وفى عدله المطلق ، وفى حرصه على اداء الحقوق وفى ثباته ساعة الهول والشدة ، وفى تدينه القوى الصادق ، وفى تواضعه وانكاره لنفسه وبعده عن الغرور ، وفى ترفعه عن مطامع الدنيا ، وفى أدبه العالى مع اهل الفضل وأصحاب المكانة ، وفى بعد نظره ، وقوة تفكيره حتى فى أواخر لحظات حياته .

وقد رأينا أن نعرض هذا الحديث الرائع بنصه كما ورد ، مكتوبا بخط يميزه عما سواه ، لايتخلله الا بعض العبارات الشارحة ، أو الروايات المكملة ، مكتوبة بخط غير خطه على ان نعود اليه فيما بعد ، دارسين لما تضمنه درسا علميا ، يستهدف بيان الأصول التى يستند اليها ، والمبادىء التى يفصح عنها ، والأحكام الفقهية التى تؤخذ منه ، والدلالات التى يدل عليها فى تحليل شخصية عمر .

وهاهو ذا نص الحديث مميزا عما سواه :
عن عمرو بن ميمون قال .

١ - « رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه قبل أن يصاب بأيام بالمدينة ، وقف على حذيفة بن اليمان ، وعثمان بن حنيف ، قال : كيف فعلتما ؟ اتخافا ان تكونا حملتما الأرض مالاتطيق ؟ قالا : حملناها أمرا هى له مطيقة ، وما فيها كثير فضل ، قال : انظرا ان تكونا حملتما الأرض مالا تطيق ! قالا : لا ، فقال عمر : لئن سلمنى الله لأدعن ارامل أهل العراق لايحتجن الى رجل بعدى ابدا ، قال : فما أتت عليه رابعة حتى اصيب »

هذا جزء من الحديث نقف عنده قليلا لنشرحه فى ايجاز :

* فراوى الحديث يذكر أنه رأى عمر قبل أن يصاب بأيام ، وقد كانت اصابته بطعنات طعنه بها غلام فارسى مجوسى اسمه « فيروز » وكنيته (أبو لؤلؤة) يملكه المغيرة بن شعبة الصحابى المعروف ، وكان عمر قد رجع الى المدينة بعد أن أدى فريضة الحج فترصد له ذلك الغلام بالمسجد الملعون حين بدأ يصلى صلاة الفجر بالمسلمين فى يوم من أيام الأسبوع الأخير من شهرذى الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة

* وراوى الحديث يذكر أن عمر رضى الله وقف على كل من حذيفة وعثمان يسألهما كيف فعلا فى شأن الأرض ، وهو يقصد أرض السواد بالعراق ، وهو مابين البصرة والكوفة وما حولهما من القرى ، ومن المعروف أن عمر جعل السواد من أرض العراق ملكا عاما فلم يقسمه بين الغانمين ، فأقر الأرض بأيدى أهلها على خراج يدفعونه فى كل عام . ثم أرسل حذيقة وعثمان ليقررا الخراج على الأرض . والجزية على الرءوس ، فلما عادا وعرف تقديرهما أراد أن يستوثق عليهما ليعلم هل هذا التقدير الذى قدراه ثقيل على الأرض وعلى الناس أو هو تقدير ملائم فيه تيسير ورفق ، فلما استوثق عليهما واطمأن الى أنهما لم يسرفا على الأرض ولا على الناس فى تقدير هاتين الضريبتين : الخراج والجزية ، لمعت فى ذهنه فكرة عن مشروع عمرانى ، أو نظام اقتصادى يكون من شانه ألا تحتاج أرامل العراق الى أحد من بعده ، ونذر لئن سلمه الله ليحققنه ، ولكنه اصيب

بطعان الغادر أبى لؤلؤة قبل مضى أربع ليال من هذا الحديث

ونعود بعد ذلك الى نص الحديث :

يستمر عمرو بن ميمون فى حديثه فيقول :

٢ ـ ((انى لقائم مابينى وبينه الا عبدالله ابن عباس غداة أصيب ، وكان اذا مر بين الصفين قال استووا ، حتى اذا لم ير فيهن خللا تقدم وكبر ، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك فى الركعة الأولى حتى يجتمع الناس ، فما هو الا ان كبر فسمعته يقول : قتلنى أو أكلنى الكلب حين طعنه ، فطار العلج بسكين ذات طرفين لايمر على احد يمينا ولا شمالا الا طعنه ، حتى طعن ثلاثة عشر رجلا مات منهم تسعة ، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا ، فلماظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه ، وتناول عمريد عبد الرحمن بن عوف فقدمه ، فمن يلى عمر فقد رأى الذى أرى ، وأما نواحى المسجد فانهم لايدرون ، غير أنهم قد فقدوا صوت عمر ، وهم يقولون : سبحان الله سبحان الله))

ـ وهذا الجزء من الحديث واضح ليس فيه ما قد يحتاج الىشرح سوىكلمة « العلج » وهى كلمة يطلقها العرب على الواحد منكفار العجم ، وجمعها : علوج ، وكلمة « البرنس » فى قوله : طرح عليه برنسا ، وهى تطلق على نوع من الثياب يكون غطاء الرأس جزءا منه متصلا به كلباس أهل المغرب

ويستمر راوى الحديث فيقول :

٣ ـ ((فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة ، فلما انصرفوا قال ـ أى قال عمر : يابن عباس ، انظر من قتلنى ، فجال ابن عباس ساعة ثم جاء فقال : غلام المغيرة ،فقال الصنع ؟ قال : نعم))

ـ الصنع ـ بفتح الصاد والنون هوالحاذق فى الصنعة ، ومثله الصناع ـ بفتح الصاد المشددة والنون المخففة ، يقال : رجل صنع وصناع ، أى بارع فى صنعته .

« قال ـ عمر ـ : قاتله الله لقد أمرت به معروفا ، الحمد لله الذى لم يجعل منبتى بيد رجل يدعى الاسلام ـ ثم قال لابن عباس : ـ قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثرالعلوج بالمدينة ، وكان العباس أكثرهم رقيقا ،فقال ـ ابن عباس : ان شئت فعلت أى ان شئت قتلنا ، قال : كذبت ، بعد ما تكلموابلسانكم وصلوا قبلتكم وحجوا حجكم ؟ »

وبيانا لهذا الجزء من الحديث نورد ما رواه ابن سعد باسناد صحيح الى الزهرى قال « كان عمر لايأذن لسبى قد احتلم فى دخول المدينة ، حتى كتب المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يذكر له غلاما عنده صنعا ، ويستأذنه أن يدخله المدينة ، ويقال ان عنده أعمالا تنفع الناس : انه حداد ، نقاش ،نجار فأذن له ، فضرب عليه المغيرة كل شهر مائة فشكا الى عمر شدة الخراج ، فقال له عمر : ماخراجك بكثير فى جنب ما تعمل ، فانصرف العبد ساخطا ، فلبث عمر ليالى ، فمر به العبد ، فقال له : ألم احدث انك تقول : لو أشاء لصنعت رحا تطحن بالريح ؟ فالتفت اليه عابسا فقال له : لأصنعن لك رحايتحدث الناس بها ، فأقبل عمر على من معه فقال : توعدنى العبد ، فلبث ليالى ثم اشتمل على خنجر ذى رأسين نصابه وسطه ، فكمن فى زاوية من زوايا المسجد فى الغلس حتى خرج عمر يوقظ الناس : الصلاة ، الصلاة ـ وكان عمر يفعل ذلك ـ فلما دنا منه عمر ، وثبعليه فطعنه ثلاث طعنات احداهن تحت السرة قد خرقت الصفاق ـ وهو الجلد الأسفل الذى يمسك البطن ـ وهى التى قتلته » ـ انتهى ماورواه ابن سعد

وتبين من هذا معنى قول عمر لما علم ان قاتله هو هذا الغلام : قاتله الله ، لقد أمرت به معروفا ، أى أننى لم أظلمه ولم أقس عليه فى تقدير خراجه لسيده ، فاننى لاحظت أنه بارع فى صناعاته ، وأنه ذو قدرة على الابتكار فليست مائة درهم فى الشهر بالخراج الكثير على مثله ، وانما هى بالنسبة اليه خراج عادل ملائم لما هو معروف .

وتبين مما أورده ابن سعد أيضا سر تلك المناقشة التى دارت بين عمر وابن عباس فى شأن حب العباس لكثرة العلوج بالمدينة

ومعارضة عمر لذلك فى أول الامر ثم تقبله اياه نزولا على مارآه العباس وابنه ، فعمر يذكر ابن العباس بأن رأيه كان هو الصواب وابن عباس يقر بذلك ويبالغ فى الاعتذار لعمر بأنه لو شاء لتقتلوا هؤلاء الذين تحت ايديهم من السبى ، ولكن عمر لا يقبل منه ذلك ، ويقول له : كذبت ، - وأهل الحجاز يقولون كذبت فى موضع اخطأت - ثم تبين له عمر أنهم قد حفظوا دماءهم بعد ان أسلموا وصلوا وحجوا وتكلموا العربية . وانما قال ابن عباس ما قال ترضية لعمر ، وهو يعلم أنه لا يرضى أن يقتل أحدا منهم بعد أن أسلموا .

ويستمر الراوى فيقول :

٤ - (فاحتمل - عمر - الى بيته ، فانطلقنا معه ، وكأن الناس لم يصبهم مصيبة قبل يومئذ ، فقائل يقول : أخاف عليه ، فأتى بنبيذ فشربه فخرج من جوفه ، ثم أتى بلبن فشربه فخرج من جرحه فعلموا أنه ميت))

وبيانا لهذا الجزء من الحديث نورد ماروواه ابن الجوزى وغيره : قال ابن عمر ، فسمعت عمر يقول : ارسلوا الى طبيب ينظر الىجرحى هذا ، فأرسلوا الى طبيب من العرب ، فسقاه نبيذا - أى ماء نبذت فيه تمرات ونقعت ، وكانوا يفعلون ذلك لاستعذاب الماء - فشبه النبيذ - أى اشتبه - بالدم حين خرج من موضع الطعنة ، فدعوت طبيبا من الانصار من بنى معاوية فسقاه لبنا فخرج اللبن من الطعنة بصديد أبيض ، فقال له الطَّبيب : يا أمير المؤمنين ، أعهد - أى أوص بعهدك ووصيتك - وأشار له بذلك الى انه ميت لا محالة - قال عمر : صدقنى أخو بنى معاوية ، ولو قلت غير ذلك كذبتك ، وبذلك لم يخف على عمر انه بين يدى الموت ،فبكى القوم حين سمعوا ماقال الطبيب فقال عمر :لاتبكوا علينا من كان باكيا فليخرج .

ويستمر راوى الحديث فيقول :

٥ - ((فدخلنا عليه ، وجاء الناس يثنون عليه ، وجاء رجل شاب فقال : أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك ، من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقدم فى الاسلام ماقد علمت - أى فضل أو سبق - ثم وليت فعدلت ، ثم شهادة ، فقال : وددت ذلك كفافا لا على ولا لى ، فلما أدبر - الشاب - اذا ازاره يمس الأرض فقال - عمر - ردوا على الغلام ، قال : يابن أخى ارفع ثوبك فانه أنقى لثوبك ، وأتقى لربك - ينهاه عن مظهر الخيلاء وجر الثوب كبرا ((

ثم اتجه الى ابنه عبد الله فقال :

٦ - ((ياعبد الله بن عمر ، انظر ماعلى من الدين ، فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين الفا ونحوه))

وكان عمر لايأخذ من بيت مال المسلمين الا حاجته وحاجة أهله بالمعروف ، ومايستحقه بعد ذلك من عطاء كسائر الناس ، وكان يقول: انما يحل لى من هذا المال حلتان حلة فى الشتاء وحلة فى القيظ وما أحج عليه واعتمر من الظهر ، وقوتى وقوت أهلى كقوت رجل من قريش ليس بأغناهم ولا بأفقرهم ، ثم أنا بعد رجل من المسلمين يصيبنى ماأصابهم وكان اذا احتاج اتى صاحب بيت المال ، فاستقرضه ، فربما عسر فيأتيه صاحب بيت المال فيتقاضاه فيلزمه فيحتال له عمر ،وربما خرج عطاؤه فقضاه ، وطلب مرة من احد أصحابه أن يقرضه مالا فقال له ما يمنعك أن تقترض من بيت المال ، فأجابه انه اذامات وهو مدين له ربما غفلوا عن تقاضى مااقترض أما صاحبه فانه لحرصه على ماله يطالب الورثة بماله فيستوفيه وتبرأ ذمة عمر .

ومن هذا يتبين أن عمر رضى الله عنه ، كان يحتاج أحيانا لمال يصلح به أمرا لنفسه أو لأهله أو لبعض ماينزل به ، فيقترضه فى بعض الحالات من بيت المال ، ويرده حين يوسر ، أو يقترض من بعض اصحابه وهذا هو الاكثر ، فاذا كان عليه حين مات ستة وثمانون ألفا من الدراهم ، فذلك سببها ،ولعل بعضها كان لبيت مال المسلمين ، وبعضهاكان لبعض أصحابه ، فقد جاء فى حديث جابر : أن عمر أمر ابنه عبد الله بأن يبيع من رباع آل عمر بثلاثين الفا . فيضعها فى بيت

مال المسمين ، فسأله عبد الرحمن بن عوف فقال : أنفقتها فى حجج حججتها ، وفى نوائب كانت تنوبنى

ويستمر راوى الحديث فى سرد بقيـة كلام عمر لابنه فى شأن الدين فيقول :

« قال : ان وفى له مال آل عمر فأده من أموالهم ، والا فسل فى بنى عدى بن كعب ، فان لم تف أموالهم فسل فى قريش ولاتعدهم الى غيرهم فاد عنى هذا المال »

ثم قال :

٧ ــ « انطلق الى عائشة أم المؤمنين ،فقل: يقرأ عليكم عمر السلام ، ولا تقل أميرالمؤمنين، فانى لست اليوم للمؤمنين أميرا ، وقل : يستأذن عمر بن الخطابأن يدفن مع صاحبه»

وقد أراد عمر أن يدفن مع رسول اللهصلى الله عليه وسلم ، وأبى بكر الصديق رضى الله عنـه ، فاستأذن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وبنت أبى بكر ، وحرص على أن تفهم عنه أنه طالب « مستأذن » لا آمـر ملزم ، حتى لايورطها فى الاذن له بوصفـه أمير المؤمنين ·

قال الراوى :

« فسلم واستأذن ــ اى عبـد الله بن عمر ــ ثم دخل عليها ــ أى على عائشة ــ فوجدها قاعدة تبكى ، فقال يقرأ عمر بن الخطاب عليكم السلام ، ويستأذن أن يدفـن مع صاحبيه ، فقالت ، كنت أريده لنفسى ، ولأوثرنه به اليوم على نفسى فلما أقبل قيل ــ أى لعمر ــ هذا عبد الله بن عمر قد جاء ، قال : ارفعونى ، فأسنده رجل اليه ، فقال : مالديك ؟ قال : الذى تحب ياأمير المؤمنين ، أذنت ، قال : الحمد لله ، ماكان شىء اهم الى من ذلك ، فاذا قبضت فاحملونى ثم سلم فقل يستأذن عمـر بن الخطاب ، فان أذنت لى فادخلونى ، وان ردتنى فردونى الى مقـابر المسلمين »

ومن المعروف ان عائشة رضى اللـه عنهـا كانت تسكن البيت الذى فيه قبر زوجهاوقبر أبيها ، وهى صاحبة حق الانتفاع به بالسكنى اذ كان هو الذى خصصه لها الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلذلك استأذنها عمر ، وانمـا أوصى بتكرير الاستئذان فيما بعد موته ،وقد أذنت له فى حياته خوفا من أن تكون قد أذنت فى حياته حياء منه ، وأن ترجع عن ذلـك بعد موته ، فأراد ألا يكرهها على أمر عسى أن تكون قد تورطت فيه ·

قال الراوى :

٨ ــ « وجاءت أم المؤمنين حفصة ،والنساء تسير تتبعها ، فلما رأيناها قمنا ، فولجت ــ أى دخلت ــ عليه ، فبكت عنده ساعة ــ وفى رواية غير هذه الرواية : فمكثت عنده ساعة ــ واستأذن الرجال ، فولجت داخلا لهـم ، فسمعنا بكاءها من الداخل ، فقالوا : أوص ياأمير المؤمنين ، استخلف ، فقال ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر ، أو الرهط الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم ، وهو عنهم راض ، فسمى عليا ، وعثمان ، والزبير ، وطلحة ، وسعدا ، وعبد الرحمن ، وقال : يشهدكم عبد الله بن عمر ، وليس له من الأمر شىء ، فهيئة التغرية له ،فاناصابت الامرة سعدا فهو ذاك ، والا فليستعن به ايكم ماأمر ، فانى لم أعزله من عجز ولاخيانة »

وبيانا لهذا الجزء من الحديث :

❋ نذكر ما ذكره ابن سعد باسناد صحيح عن المقدام بن معد يكرب من أن أم المؤمنين حفصة حين دخلت على أبيها جعلتتبكى وتقول ــ كما لو كانت تندبه ــ ياصاحب رسول الله ، ياصهير رسول الله ، ياأمير المؤمنين ، فقال عمر : لا صبر لى على ما أسمع ، أحرج عليك بمالى من الحق عليك ان تند بينى بعد مجلسك هذا ، فأما عيناك فلن أملكهمـا

❋ ونذكر أن الستة الذين سماهم عمـر للشورى هم من العشرة المبشرين بالجنة ، أما الأربعة الباقون من العشرة ، فعمر أحدهم ، وأبو بكر أحدهم ، ومنهم أبو عبيدة وقد مات قبله ، ومنهم سعيد بن زيد ، ولم يجعـله عمر من أهل الشورى لأنه كان ابن ابن عمه فبالغ فى التبرى من الأمر ، وصرح المدائنى بأسانيده أن عمر عد سعيد بن زيد فيمنتوفى

النبى صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض الا أنه استثناه من أهل الشورى لقرابته منه ، وقال : لا أرب لى فى أموركم فارغب فيها لأحد من أهلى .

* ونذكر مارواه الطبرى من أن رجلا قال لعمر يومئذ : استخلف عبد الله بن عمر، فقال عمر : والله ما أردت الله بهذه !

ويستمر راوى الحديث ، فيذكر وصيةعمر للخليفة من بعده ، فيقول :

٩ - « وقال : اوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين : أن يعرف لهم حقهم ، ويحفظ لهم حرمتهم ، وأوصية بالأنصارخيرا « الذين تبوءا الدار والايمان من قبلهم » : أن يقبل من محسنهم ، وأن يعفو عن مسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيرا ، فهم رد، الاسلام ، وجباة المال ، وغيظ العدد ، وألا يؤخذ منهم الا فضلهم عن رضاهم ، وأوصيه بالأعراب خيرا ، فانهم أصل العرب ومادة الاسلام : ان يؤخذ من حواشى أموالهم ،ويرد فى فقرائهم ، وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله أى بأهل الذمة - أن يوفى لهم بعهدهم ،وان يقاتل من ورائهم ، ولا يكلفوا الا طاقتهم »

« فلما قبض - أى توفى - خرجنا به فانطلقنا نمشى ، فسلم عبد الله بن عمر فقال: يستأذن عمر بن الخطاب ، قالت : أدخلوه فأدخل ، فوضع هنالك مع صاحبيه »

قال الشوكانى : وقد اختلف فى صفة القبور الثلاثة المكرمة ، فالأكثر على أن قبرابى بكر وراء قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، وقبر عمر وراء قبر أبى بكر . وقيل ان قبره صلى الله عليه وسلم متقدم الى القبلة ، وقبر أبى بكر حذاء منكبيه ، وقبر عمر حذاء منكبى أبى بكر .

ويستمر راوى الحديث فيقول :

١٠ - فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط ، فقال عبد الرحمن : اجعلوا أمركم الى ثلاثة منكم ، فقال الزبير : قد جعلت أمرى الى على ، وقال طلحة : قد جعلت أمرى الى عثمان ، وقال سعد : قد جعلت أمرى الى عبد الرحمن بن عوف ، فقال عبد الرحمن ابن عوف - موجها الحديث الى على وعثمان - : أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله اليه ، والله عليه والاسلام لينظرن أفضلهم فى نفسه ، فأسكت الشيخان - أى علىوعثمان ، كأن شيئا اسكتهما - فقال عبد الرحمن افتجعلونه الى ، والله على الا ألو عن أفضلكم ؟ قالا : نعم ، فأخذ بيد أحدهم - وهو على - فقال : لك من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقدم فى الاسلام ما قد علمت ، فالله عليك : لئن أمرتك لتعدلن ،ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن ، ثم خلا بالآخر - وهو عثمان - فقال له مثل ذلك ، فلما أخذ الميثاق قال : ارفع يدك ياعثمان ، فبايعه ، وبايعه على ، وولج أهل الدار فبايعوه »

وزاد المدائنى : أن عبد الرحمن قال لعلى: أرأيت لو صرف هذا الأمر عنك فلم تحضر ، من كنت ترى أحق بها من بين هؤلاء الرهط ؟ قال : عثمان ، ثم قال لعثمان كذلك ، فقال على

وزاد أيضا : أن سعداأشار على عبدالرحمن بعثمان ، وانه دار تلك الليالى كلها على الصحابة ومن وافى المدينة من أشراف الناس لايخلو برجل منهم الا أمره بعثمان

الأسباب والمسببات في تقدير الله سبحانه

فضيلة الشيخ
عبد اللطيف السبكي

١ ــ نظرات فى القرآن تفيدنا فى غير ريبة أن الله ــ تعالى ــ لم يجعل حكمه فى شئون عباده اعتباطا ، وصدفة .

وانما رسم له مواقعه على أسباب تنجم عنها مسببات ، كما تسبق المقدمات نتائجها فى حساب الذهن ، فتكون النتائج وليدة طبيعية للمقدمات .

فلا يتعثر التفكير فى تعليل النتائج ولاتكون المعرفة مجهولة الطريق فى الميزان العقلى .

وعلى هذا القياس فى ربط المسببات بأسبابها يكون الانسان على بصيرة ودراية بما يتصل به من تكاليف ، وما يترتب على هذه التكاليف من مسئوليات ، وجزاء، فيزداد يقين العبد بحكمة الله فيما شرع .. ويزداد يقينه بعدالة ربه فيما يجزى به أخيرا من ثواب ، أو عقاب ..

وهذا هو توجيه القرآن فى قوله ــ عز شأنه ــ « **يريد الله ليبين لكم** » أى تعلقت ارادته ، وحكمته ، أن يبين لكم الدين كله ، ويبين لكم مناهج السير فى ضوئه ، ويبين لكم ما وراء ذلك من عواقب الدنيا ، والآخرة .. ومع أن القرآن فى كثير من مقاماته يعرج على ذكر السببية والمسببية ، نحو قول الله « **ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون** » وقوله « **فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون** » .

فالكثير من الناس يفوتهم هذا الارتباط ، وينسون أن أعمالهم أسباب لما يلاقونه ، أو مقدمات لما أعد لهم .

فيتورطون فى الجدل، ويذهبون فى التجاهل مذاهب شتى ، ثم تكون لهم مقولات تحدث ضبابا على عقول البسطاء، فتحجبهم عن رؤية الحق الأبلج .

(أ)

٢ — ومن مقولاتهم : أن المرء مطالب بحسن العمل ، ولكنه لايضمن عند الله الجزاء ، فكيف يكون العمل حتميا والجزاء ليس حتميا ؟؟

وكذلك نهينا عن السوء : قولا ، وعملا ، ولكن العذاب عليه ليس حتما فربما شملته مغفرة واسعة ، فيستوى المحسن والمسىء .

وهذا ما يستشعرونه فى قول الله تعالى : « فيغفر لمن يشاء ، ويعذب من يشاء ، والله على كل شىء قدير » .

فعندهم أن الغفران ، والعذاب متروكان لمنطق المشيئة من جانب الله ، وقد يغفر الله لعبد له يعمل طيبا ، وقد يعذب عبدا عمل صالحا .

ويذكرون أنهم لا يعترضون على مشيئة الله ولكنهم يرون أن الانسان جدلى ، وطموح بطبعه .. فاذا لم يكن الجزاء شاخصا فى مواجهته ، ومنوطا بعمله حتما ، فلن يكون له نشاط فى الخير .. ولا تحرج من عمل السوء ..

٣ — وجواب ذلك : أن الله ذو السلطان المطلق — حقا — فان عفا عن خلقه جميعا فلن يعجزه شىء ، وان عذبهم جميعا فهم عباده ، وليس له من ينازعه فى ملك توحد له « ان تعذبهم فانهم عبادك .. وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم » .

ومع التسليم بهذا — فقد انتظمت حكمته أن يقوم الأمر على قاعدة الأسباب والمسببات ، فجعل دائرة عفوه الواسعة مغلقة فى وجه الكافرين والمنافقين ، لأنهم ، أصروا على الجحود ، وعلى معصية الله ، ورسله « ومن يعصى الله وسوله ، ويتعد حدوده ، يدخله نارا خالدا فيها ، وله عذاب مهين » .

وهؤلاء هم الذين تقع عليهم آيات التهديد الشديد فى سياق القرآن ، بل وفى الكتب السماوية من قبله .. بسبب ما فرط منهم فيما صنعوا على علم بذلك .

وهكذا حفظ التوازن بين عباده فيما يستحقونه من أجزية على الخير ، أو الشر « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .

« ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه ، وانا له كاتبون » « ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ، ولا هضما » .

فهذا قسطاس العدل فى الجزاء .

وبجانب هذا القسطاس فتح الله باب عفوه للتائبين ، واعتبرهم بسبب توبتهم محسنين ، وهذا من مظاهر فضله على خلقه .

« ومن يعمل سوءا ، أو يظلم نفسه ، ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما » .

وليس الشأن كذلك فيمن ثابروا على الاساءة ، دون توبة منهم ، ولا فيمن تابوا ساعة الموت ، وقد ضيعوا الفرصة على انفسهم .

« وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت ، قال : انى تبت الآن .. ولا الذين يموتون وهم كفار ، أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما » .

وأما حديثه — تعالى — عن عموم غفرانه لمن يشاء ، فليس مقصودا منه اهدار الاسباب ..

بل الغرض منه تشجيع المتخلفين على انتهاز التوبة قبل فواتها واقتلاع اليأس من نفوسهم ، وغرس الأمل عندهم ، حتى لا يستكثروا ذنوبهم على عفو الله ، فانه يملك أن يغفر لمن يشاء .

وأولاهم : التائبون عما فرط منهم « قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم »

لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم ، وانيبوا الى ربكم ، واسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون » .

وخلاصة هذه المقولة أن كل أمرىء مجزى بعمله ، فليس هناك اهمال لعدالة الله فى خلقه ، ولا اهمال للمفاضلة بسبب تفاضل الأعمال ، وليس الأمر للحظوظ كما زعموا ، « ولكل درجات مما عملوا » .

(ب)

ولهم مقولة ثانية : سبق أن كتبنا عنها ضمن موضوع آخر ، ولكنهم يسألون وهى : اذا كان المرء فى تصرفه خاضعا للقضاء السابق أزلا فكيف يحاسب ويعاقب على فعلته ، وهو فى مسلكه مسير لا مخير ؟؟

وجواب هذه : انها أكذوبة تنحدر بين الناس من تشكيكات نزع اليها ادعياء الفلسفة قديما .

والبيان الحق فى ذلك : أن الله خلق فى الانسان ارادة ، وجعل له الخبرة فى تصرفاته الشخصية .

فهو يختار من طعامه ، وشرابه ، ومن ملبسه ، وحركاته ، ومن اقاويله ، ونظراته ما يميل اليه ، دون احساسه بتأثير قهرى. وهو يفعل الشىء ويعرض عنه الى غيره وهكذا من شئونه .

وبسبب هذا الاختيار كان مسئولا عن خطاياه الارادية ، وكان معاقبا على مخالفته.

وذلك هو الكسب المنوط بالارادة الشخصية ، والله يقول : « كل امرىء بما كسب رهين .. كل نفس كسبت رهينة » .

المرء مجزى بعمله ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر ، (حديث نبوى) .

وأما قضاء الله - تعالى - فليس سببا فى عمل المرء الاختيارى ، كما فهموا .

بل يعلم الله - أزلا - أن عبده فلانا سيختار أكل الحرام - مثلا - فيقدر الله بمقتضى هذا العلم السابق : أن عبده فلانا - يأكل الحرام باختياره .

فيكون العمل ناشئا عن اختيار العبد ، ويكون قضاء الله مبنيا على العلم السابق بالاختيار ، والعلم لا يتخلف ، فالمسئولية مرتبة على الاختيار ، والاختيار يحصل طبقا لعلمه - تعالى - بشأن عبده مستقبلا ، فلو أكل العبد هذا الطعام فى مجاعة شديدة ، أو أكله باكراه من غيره : لما كان معاقبا عليه ، لعدم الاختيار .

ولو سقط انسان من علو فقتل انسانا غيره ، او اتلف مالا لسواه : لما كان معاقبا على عمله هذا ، لانه غير مختار .. فى حين انه لو فعل ذلك الفعل عامدا لكانت عليه مسئولية عمله ، دينا ، ودنيا .

فالكسب الاختيارى هو السبب ، والجزاء مسبب عنه .. والارتباط بينهما قائم عقلا ، وشرعا ..

ومن هذا يتبين أن المرء يتصرف كثيرا باختياره ، ويصدر أعمالا يرتضيها وكان يستطيع تجنبها ، ومن شواهدنا على ذلك ، قوله تعالى : « واما ينزغنك من الشيطان نزغ ، فاستعذ بالله ، انه هو السميع العليم »

فالاستعاذة تحصن بالله من تحريض الشيطان ، ومن غلبة النفس على العقل بفعل المحظور ، والله يسمع ويعلم ما يذكره المرء ، أو يحيك فى صدره ، فيحفظه من نزغات الشيطان ، ويصرفه عن السوء ، فلا يختار عمل هذا السوء ان كان صادق العزم .. واذا كان صحيحا ان العبد مسير لا مخير دائما كما زعموا : فلماذا يثاب على عمل الخير وقد فعله مجبورا ؟؟

ولماذا لم يعترضوا على مثوبته كما اعترضوا على عقوبته .

الحق أنها محاولة غير جدية ، والتغاضى عن سببية الاختيار وسيلة الى التشكيك فى تبعات الذنوب ، وفتنة للناس فى دينهم ، وصرف لهم عن حسن الاختيار أنفسهم .

ثم انظر الى نسق الكتاب فى كثير من الآيات :

فالله يقول عن اليهود : « فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم ، وجعلنا قلوبهم قاسية .. » ويقول : « فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ، وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه ، وأكلهم أموال الناس بالباطل، واعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما » . ويقول : « فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون » .. الخ .

وهكذا تجد الأمور على نمط حكيم فى تشريع الله ، وفى مجالات الحياة الدنيا ، وهى ما بين أسباب ومسببات .

حتى فى سنن الكون كتبخر الماء من البحر بسبب الحرارة ، ثم تجمد البخار سحابا فى رطوبة الجو ، ثم تأثير الرياح فى السحاب بسوقه الى جهة ما - طبقا لارادة الله ، ثم تحلل السحاب الى أمطار بتأثير الجو ، أو باحتكاكه برؤوس الجبال ، وهكذا من تدبير الله فيما خلق ، وفيما نظم من معالم قدرته التى تبدو للحواس ، والتى يكشف عنها العلم يوما بعد يوم .

وانك لتجد فى واقع المجتمع ما يقرر فى نفسك ربط المسببات بأسبابها كما هو الشأن بين التشريعات الدينية فان الافراد والجماعات لا تكون الا على أسبابها : من العلم ، والنشاط ، وحسن المسلك الذى نسميه فى جانب الدولة بالعدالة الاجتماعية .

فهل ترى عرشا يقوم ، أو سيادة تستمر ، أو أمة باقية على ما بلغت من الشأو الا اذا اهتدت بهدى الله ، وكفلها بالعلم ، والنشاط الموفق والعدل المستقيم ..؟؟

كذلك يمرض الانسان بأسباب ، ويبرأ من مرضه بأسباب ، وما فى ذلك شك عندنا .. **فتلك الأسباب كلها تعلق بها علم الله فى قيام مسبباتها .**

وفى التاريخ القديم والحديث ما يغنى قليله عن الاسهاب .

فماذا تخيلت غير هذا : فليكن الأمر خافيا عليك ، حتى تعرف ما غاب عنك ، من طريق خير يأتيك ، أو علم يهديك .

فانها سنة الله ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

من حضارة الإسلام

- ٣ -

الماء والحياة

الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

مقالة القرآن ـ جوهر الماء ـ قيام الحياة ـ التكيف للبقاء ـ الحياة والطهارة ـ المياه الأبدية

مقالة القرآن :

اشار الكتاب المفصل فى عدد من آياته الى النسب الأكيد بين الماء والحياة فى شتى المظاهر الواقعة أو المتخيلة والشاهدة أو الغائبة . ومهما كان الكتاب الحكيم قد أراد بما أورده الاستذكار والاستعبار فانه أشار الى حقيقة أزلية فى سوقه لقضية هذا النسب ، ولو أنه لم يفصل ماهية الماء وسره مثل كثير من الماهيات والأسرار الأخرى التى لم تزل مغلقة الأبواب أمام عين الانسان وعلمه أوظنه وحدسه .

وقول الله سبحانه « **وجعلنا من الماء كل شىء حى** » انما كان تفصيلا لمنطق الحياة الذى قذف بالخلائق كلها الى أصل وجودها ، وقذف بالمجموعات البشرية لتسكن فى الواحات وعلى الدارات والبحيرات وفى احواض الأنهار وعلى شواطىء البحار . وهو المنطق الذى أعان الحضارة الى مابلغته اليوم والى ما تبلغه غدا . بل هو المنطق ذاته الذى يتطلبه الانسان ويريد أن يطمئن الى وجوده أوايجاده فى الكواكب التى يشد اليوم رحاله اليها ، فاذا لم يستطع أن يجد مروجا خضراء أويعصر من صخورها الماء ارتد ناكصا ورجع حسيرا .

والانسان على أرضه ذاتها أو على غيرها ـ كما يتصور غده ـ يخطىء ظنه ويرتطم فى غير آماله اذا حسب أن رقيه ليس رهنا الا بضوضاء الصناعة وغبارها المركوم فى جواء المدن والقرى دون أن يحسب للماء الذى هو أصل حياته حسابه من الاستنباط والتنقية وتنظيم الانسكاب واحياء الميت من التراب

ولم تكن مقالة القرآن فى الماء أيضا الاضمانا من الخلاق القدير بأن يصل الماء فى شتى صوره الى كل حى سواء أكان فى الماء نفسه أو على البر وفى أقصى صحرائه أو بطون صخوره أو فى الهواء ، على قممه وأغواره ، فمن حيث وجد حى وسمع نبض ورؤى نمو أو تغيروجب ان يعرف ـ حتى من غير بحث ولا استقصاء ـ ان الله حمل اليه الماء ـ سواء أكان الماء لم يزل سائلا ، أو صارأثقل أو أخف من سيولته وميزانه الا انه ماء من شأنه ان توجد معه الحياة •

ولم يعد القول فى حاجة لأن يستفيض فى ملازمة هذه النسبة فى غير الارض اذيبحث علماء الفضاء عن الماء واستنباطه قبل وصولهم واستقرارهم مدة طويلة أو قصيرة اذ بغيره يكون الموت الأكيد ، ولذا فان العلم يجعل من قضية الماء والحياة قصده الامثل وصديقه الأول والصديق قبل الطريق والجار قبل الدار •

واذا كانت كشوف العلم المفصلة فى جوهر الماء قد تأخرت عما جاء به القرآن فى مجملاته فانه لا ينبغى أن يباعد أحد بين القرآن والعلم بحجة ان القرآن لم يرسم الخطوط الموصلة للكشوف ولم يحسب النسب الدقيقة للبحوث فان القرآن ترك للعلم مجاله فى التخطيط والتنسيب بعد أن أشار الى الحقائق العلمية اشارات محملة ، من شأن الهمم أن تثوروراءها ومن طبع العقول ان تنبعث باحثة عنها ، لان شأن القرآن أن يتخطى هذا الاحصاء الى آثار النفع والضر ليرتب عليها تشريعاته من الأمر أو المنع حتى تبلغ رسالته جميع الناس •

على أن القرآن ـ حين لم يفصل النسب بين جوهر الماء والحياة تفصيلا ظاهرا ـ مس بقوله كل ماء تصور الانسان وجوده أو غاب عن شهوده ، فى جوهره واعراضه وأنواعه للحكمة المرجوة منه والسر الذى وجد له ليحققه فى هذا الكون الماثل ثم فى الكون الذى يخلفه ويليه • فتحدث عنه جوهرا ، وتحدث عنه أعراضا ظاهرة معتدلة أو جائرة فى كل لجة أو مخاضة وتيار أو غور وحبات سابحة أو هابطة ، ثم أشار اليه حين غاب عن البصر والظن فيما لايمكن أن تراه الأبصار أوتتطاول اليه الظنون كما فى صلب الاحجار بل وفى عناصر النار •

استوعب القرآن مظاهر المياه كلها على سطح الأرض وفى باطنها وحول غلافها ، وحين فعلت الحياة فى النبات والشجر والأزهار والثمرات والأبدان ، ثم لم يدع القول عنها اذا اعتدلت فى ماء أمطار ومسايل عيون وأنهار أو جارت فى غور أوطوفان واذا ارتدت خيالا ظالما فى سراب أو صديدا ومهلا فى عذاب

كل ذلك لم يدع القرآن التنبيه اليه ولم يترك الحديث فى تفصيله ، ثم لم يدع المياه الدافقة من الأصلاب اذ كانت أصل الكثرة والولاد وأعلق المياه نسبة بالانسان فاكثر من الاشارة اليها ، وكأنما ينبه القرآن العقول الى أن هذا النوع الدافق أحوج الى البحث عنه لمعرفة النسب المتغيرة فيه عن كل اعراض الماء لتخليق الدواب وتحقيق الأنساب •

جوهر الماء :

ولم يدع القرآن جوهر الماء دون أن ينبه الى وحدة جنسه وتحديد ذاته وانما يتنوع بامور تعرض له زائدة على جوهره كالحرارة والبرودة والعذوبة والملوحة والغلظ والرقة وهى التى تغير آثاره ومذاقاته • أما جوهره فقد التقى عنده كشف العلم عن سره بقوله سبحانه « **تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل** » •

وقد مس الصوفية من بعد جوهر الماء من قبل التماسا من هذه الآية فرأوا اختلاف الطعوم والروائح والألوان ولاسيما فى الجنس الواحد من النبات اذا نبت فى مغرس واحد ـ رأوه غير راجع الى جنس التربة أو النواة وانما هو دلالة على الله ولطفه فى اخراج المختلف بجوهر الماء الواحد من غير خضوع الى قياس •

وكذلك لم يفت علماء المسلمين أن يقاربوا الكلام فى أكثر من أعراض الماء ، ومن ذلك ماقاله صاحب البرهان : ان الله سبحانه قارب بين الماء والحياة ، فجعلهما أمرين متشابهين فى قوله سبحانه « **واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء** ••

ووجه الشبه أمران :

أحدهما أن الماء اذا اخذت منه فوق حاجتك تضررت ، وان أخذت منه قدر الحاجة انتفعت

به ، فكذلك الدنيا - وقد نسي الزركشي نسبة التضرر ايضا الى الأخذ منه بأقل من الحاجة فلم يذكرها في كتابه وربما تركها للقياس على ماذكر أو يستكمل فهم القارىء التقسيم .

وثانيهما : أن الماء اذا أطبقت كفك عليه لتحفظه لم يحصل فيه شىء ، فكذلك الدنيا .

ولكن ذلك كله - وغيره معه - لم يكن الا مقاربة بعيدة من جوهر الماء والنسب اللازم بينه وبين الحياة التى قضت به الخلقة ونص على قضيته القرآن ، فكان على العلم أن ينطلق ليصل الى معرفة ماهو خليق أن يسمى شيئا حيا ثم ينظر الى ما يجرى فيه من نسب الماء وفعله ، فاذا بلغها فقد ادرك أمرا خطيرا فى المخلوق الحى ، ولا يعيب العلم بعد ذلك أن لايقدر على معرفة السر كله فان الأسرار لم تزل من المغاليق مهما سطعت للعلم أشعة وامتدت له أضواء .

ولم يكن قوله سبحانه « **وجعلنا من الماء كل شىء حى** » مجرد خبر يلقى فانه من البدائه . والبديهة - حتى فى غير الانسان - تدرك ذلك أو تسعى اليه لتدركه . وكذلك لم يكن قوله سبحانه « **افرأيتم الماء الذى تشربون ..** » مجرد توجيه النظر الى ماء السحب القراح فاننا نراه ونعرفه بديهة ، ولكنه كان توجيه نظر ودعوة تأمل حتى يدرك العقل والعلم سر المعجزة وكنه الخليقة .

وكأنما ألقى القرآن بهذه الدعوة الى الناس جميعا ومنهم خصومه - والدعوة انما هى للخصوم أكثر منها للاصدقاء - ليتحققوا فى مصانعهم سر القول وكنه السر ثم ليكون الكشف العلمى لجوهر الماء بابا جديدا لاعجاز فى القرآن جديد .

ولم يعد خافيا أن سر تكوين الماء ، قد كشف ، فعرف أن جزىء الماء - كما قالوا - من ثلاث ذرات ، وبعض هذه الذرات حارق وبعضها محترق ، فاذا تقابلت واتحدت - فى حاجة وتضور الى الاتحاد - تحولت الى جزىء ماء لاهو حارق ولا هو محترق ولكنه يفعل الحياة . أما كيف تتحد هذه الذرات فى الجزىء فانه لم يزل سرا فى ضمير السر ، وكأنه موكول لأمر الله سبحانه الذى يشير اليه فى قوله (كن فيكون) الأمر الذى يعجز العلم ويحير الألباب .

قيام الحياة :

وحين ينصرف شطر الى الأرض من قول الله سبحانه (**وجعلنا من الماء كل شىء حى**) تكون الاشارة الى الكوكب كله مع غلافه ثم الى اجزائه الكبرى ثم الى كل كائن حى عليه وفيه مهما تناهى فى الصغر واختفى عن العين ، ومهما صدقت مقالة علماء التكوين بان الحياة بدأت فى المحيط أو بدأت على الطين فان القرآن والعلم يدلان معا على أن الأرض كلها وكل الأحياء التى تعمر بحرها وبرها وجوها تسبح فى الماء .

ولجة الماء التى تغطى ثلاثة أرباع الكوكب لم تكن الدهشة لكونها من ملح اجاج تقتدر على أن تحتفظ بعناصر الحياة فلا تذيبها كما يذيبها الماء العذب ، ولكن لكونها - مع ذلك - بالغة المدى فى الاتساع حيث تكون فيها القدرة على بعث التجديد فى انحاء الكوكب كله دون أن تركد أو تأسن فينفث الماء الراكد الآسن فضلات العطن والعفونة التى تسمم الخلايا وتبيد الأحياء .

وصفة الدوام التى اكتسبتها اللجنة الواسعة للماء الملح فى مداها العريض كان من شأنها أن تكون دارا للحلية المخلقة فيها والتى أشار اليها القرآن (**وتستخرجون منه حلية تلبسونها**) وقد قدر لهذه الحلية ان لاتولد فى ماء عذب ، فانه لايمر الا تيارا أو يتفجر عيونا أو ينزل غيوثا آونة ثم ينقطع أويغيض فانعدمت منه الحلية اذ انعدمت فيه صفة الدوام .

كما أن لجة الماء الملح أقامت حياة من عمل مزدهر لاتطيقها اليابسة . وليس الشأن فى مجرى السفن ومرساها ولا لأن الماء اكثر من البر والهواء والفضاء أمنا وراحة ، ولكن أيضا لما تحويه خصلة الماء من الليونة ومقدرة الكثافة على حمل مئونات اثقل من الجبال . ولم يكن للناس انفع ولا أيسر من هذا المرفق الذى جنبهم بوائق البوار . والله سبحانه يقول « **وترى الفلك مواخر فيه** »

اما ماكبر أو دق من الأحياء على هذا الكوكب فانه وكل ما بداخله من خلايا يسبح فى ماء ، والجهاز العصبى الذى يقدر كمية الماء التى يحتاجها الكائن الحى عندما يهيجه العطش انما هو دعوة لاختزان الماء فى الاجسام اختزانا يجرى فى دقة تحير العقول •

وأروع ما يثير الدهشة فى كشوف العلماء ماقالوه من أن السائل الذى يجرى فى خلايا التركيب الدموى للانسان من حيث الاملاح الذائبة فيه يشبه الى أبعد الحدود تركيب ماء المحيط • وكأنما احتفظ الانسان فى دمه لا بذكريات نشأته فى المحيط ـ فى قول علماء التطوير ـ وحسب ، بل احتفظ بكيانه الأول كله والنسب التى كان عليها وان كانت قد خفت قليلا وتغيرت ببعدها من هذا النقيع الأجاج •

وكأنما تقوم فى الارض وأجزائها حياة متشابهة الأشكال متقاربة النسب مترابطة الأطراف ، ولا تقوم هذه الحياة ـ فى شكلها العام أو فى اجزائها ـ معتدلة فيها الا باعتدال الماء الذى تختلف مقادير الحاجة اليه فى الأشياء ، فاذا زاد قدره فى شىء لا يحتاجه طرحه عن نفسه ، واذا قل عما يطلبه سعى وراءه والتهب عطشا اليه ،وهكذا حتى يستقر الجوهر او يفسد الكيان •

ومن غرائب الخلقه الحكيمة ظهور لون الماء عند انعدامه ، فيبدو ماء متيقنا فى النظر والظن ولكنه سراب يخدع العين . وكأنه نذير من السماء بالبعد عن الظنة واجتناب الخدعة وقد حذر القرآن من الأعمال التى تشبهه كمادة من تعودوا رؤية السراب أن لاينخدعوا اذا رأوه ، الا ان يعتمدوا على الله مهما خاب بهم الظن وضل الطريق ، فان قدرته لا تنعدم ووجوده لا يغيب حتى فى مواضع الخيبة ومواقع السراب . وجل شأنه اذ يقول ٠٠ **والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه ،**

التكيف للبقاء :

وليست على الارض حياة أعظم من حياة الانسان المستخلف عليها ، فهى الذروة فى هذه الحياة • وحياته هذه لها شأن كل يوم فهى فى تجدد دائم وتغير مستمر متكيف مع البيئة كلها فى كل لحظة دون أن يشعر أو يدرى ، ومع هذا التجدد والاستمرار فى التغير لاتعجز أن تدفع عنها التفكك والهلاك

وذلك التغير يحدث فى كل خلية من جسم الانسان ظاهرة أو باطنة ، وفى جلده وعظامه وعضلاته وعروقه ، فهى كلها دائبة التحول ، وكل خلية تحدد نسبة تحولها مع النسب الأخرى لتظل النسبة العامة فى التحول محافظة على شكل الحى ومناسيبه التى تنمو مع الزمن وتكبر أو ترجع فيه عن النمو والكبر والاتساع •

غير أن علماء الطبيعة فرقوا بين ما يتبدل فى بطء من الانسان وما يتبدل منه فى سرعة ورأوا أن نسبة ما يتبدل بطيئا لاتكاد تجاوز جزءين من مائة جزء من أجزائه كلها ، وهما يتغيران فى بطء ثقيل لأنهما من عنصر الحديد الذى ينبنى عليه هيكل الانسان • أما بقية النسبة الضخمة من الأجزاء المائة فانها تتجدد أو تستبدل على مراحل الزمن اليومى دون ادراك ، وهى كلها عناصر وأمشاج تسبح فى تيارات نهرية دون وقوف أو انقطاع

ومن غير أن نوغل فى دقائق العلم وأجزاء التكوين وعناصره فنبتعد عما نحن بسبيله من عموم القول فى الماء والحياة فانهم يقولون : ان الحياة قد اختارت الماء ركوبة لها لأن العناصر ومركبات الغذاء والعقاقير تذوب فيه أكثر مما تذوب فى غيره دون ان تتأثر جزئياتها تأثرا ملحوظا فى أثناء عملية الذوبان

ثم ان الماء يهب للأنسجة الحية حرية التفاعل معه ومع العناصر السابحة على سطوحه وأغواره فى ظروف حرارة نوعيه له لاتتوفر نوعيتها فى سائل آخر غيره ، وهو اذا مر فى الأعضاء خفض الحار ونفخ الحرارة فى البارد فعدل حرارة الجسم كلها حتى يستطيع استقبال حياة موفورة الصحة مستمرأة النعيم •

ولعلنا – من غير روية • نكره العرق • ولاسيما اذا دفقته الحمى أو القيظ الشديد، ولكننا لو علمنا أن جهاز الجسم المشترك يتخلص من الماء الزائد وحرارته الكامنة فيه بتبخيره عرقا وقذفه زفيرا أو خوارج أخرى بفعل الكليتين – اننا لو علمنا ذلك لأدركنا الحكمة فى تخليص الجسم من كروبه ، ثم لعلنا نحس بعظمة الابداع فى تحوير اوراق النبات ابرا فى الصحراء واطباقا عريضة فى الماء لاختلاف ماركب فيهما من قدرة على تمثيل الماء •

ويقولون : ان العرق بفائض الماء لو كان من سائل آخر لما أدى ذلك السائل وظيفة التكييف بالتبريد الذى يحدث فى بطء مناسب لايفجا الجسم بالنكبة اذا اسرع لخفته ، ولايعيبه اذا أبطأ لثقله •

والتكيف للحياة والبقاء لايكون الا بأن تسيل الاودية بقدرها ، بغير زيادة تهدد بالاغراق وبغير نقص يهلك بالاعطاش ، فاذا زاد السيل احتمل ما يربو اذ لايحمل الرابى الا السيل • وهذا كله يشير اليه الكتاب الحكيم قائلا (**انزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا**) •

الحياة والطهارة :

كل ذلك الذى بسطنا القول فيه بعض البسط – مستعينين بما يعرضه بعض رجالنا الأعلام فى مؤلفاتهم الواسعة والموجزة – انما هو واقع الحياة فى ظاهرها وخافيها •ولكن لما كانت الأديان تنقل معانى الحياة الى ماهو أرفع من واقعها فقد تصور الدين الاسلامى النجاسة موتا والطهارة منها بالماء حياة •

وكذلك أوجب الدين التطهر بالماء من كل حدث ، وخص بالتطهير اعضاء من الانسان بعضها يتعرض للنجاسة وبعضها يتعرض للعمل الدائم فتتعلق به بعض الشبهات من ظنة التماسه للذنوب والشهوات ، وذلك كالوجوه والأيدى والأقدام •

وحفاظا على القاعدة نفسها أمر الاسلام بغسل الميت دون الشهيد لان الشهيد حى لم يمت ، فلما لم يلحقه الموت لم يغسل جسده ، لئلا تضطرب القاعدة التى حسب فيها التقاء الماء بالحياة ، وهذه فريدة من فرائد الاسلام •

كما كان من الحفاظ على القاعدة مكافأة المتوضىء بأن تبلغ حلية جزائه فى الآخرة حيث يبلغ من أعضائه ماء الوضوء ويسبغ عليه •

وقد خرج الاسلام بالمضطر عن الماء الى التراب والصعيد الطيب – حيث تحرى الفقهاء أماكنه وصفاته – وقد تحيرت العقول فى حكمته ، ثم قال بعضهم أنه العنصر الثانى فى خلق الانسان وتكوينه ، ثم جاء العلم اليوم محاولا ان يلفت النظر الى استنباط الماء من الصخور والأتربة الموجودة على سطوح بعض الكواكب كالقمر والزهرة والمريخ للمعيشة به دون نقله من الأرض حيث يكلف نقله غاليا •وقد قيل أنهم استنبطوه من صخور كالرخام ظنوها ساقطة من القمر باصطدام الشهب به • وكذلك يظهر العلم الحكمة أو بعضهما فى التيمم بالتراب لتصور وجود الماء أو مركباته به ، عند انعدام الماء ،أولأن الحياة بدأت من الطين الذى هو تراب وماء ، فكان التطهر بأحدهما التماسا للحياة من أحد طرفيها •

وماحدث من الاسلام من قبل كان حكما اما حدث اليوم من العلم فكان كشفا والحقيقة واحدة من قبل ومن بعد • وقد استكنت الحقيقة فى الحكم واستعلنت فى الكشف ، ولكنها حين كانت حكما كانت لكل الناس ، وحين صارت كشفا صارت للعلماء ، والقرآن قال الحقيقة مجملة لعموم الناس لأنهم لايفهمون الا مجملا ، والعلم أثبتها مفصلة لأفهام الخاصة لأنها لاتقبل الا ماجاء مفصلا •

ولقد ارتقت فكرة الطهارة الشبيهة بالحياة فى الاسلام رقيا لامثيل له حين ارتقت الى الماء ذاته اذا صار نجسا أو ملوثا فلحقه حكم الميت – أو ليس الماء شيئا ؟ – فالماء المقيد الذى أفسده اللون أوغيرته الرائحة أو لامسته النجاسة يتطهر ويحيا بالماء المطلق مالم يكن قد صار كله محرما ، ولاعبرة بعذوبته او

ملوحته فالبحر لاينجس ماؤه اذ لايفسد لصفتى الكثرة والدوام • وكأن الماء فى هذا شىء اذا مات يحيا بالماء فيتحقق فيه قوله تعالى •• **وجعلنا من الماء كل شىء حى** •

والماء كذلك فى حكم الميت اذا طردت مادة الحياة النقية عنه ــ الأوكسوجين ــ وقد تنبه الاسلام لذلك وحث على تعلمه والتادب به فمنع رسول الله صلى الله عليه وسلم التنفس فى الأناء يكون به ماء للشرب أو طعام للاكل • وقد ظنوا ذلك من باب التأدب لاغيره ولكنه كان أدبا من ورائه علم اكيد •

وكان التنفس فى الآنية الساخنة لتبرد عادة الأقوام ، وقد اتخذ سقراط من قبل فى حواره لتلاميذه نفث الزفير فى اليد مثلا لاستقرار الزفير على درجة ثابتة من الحرارة ولم يتخذه مثلا الا والناس جميعا يتخذونها عادة لتبريد الساخن وتسخين البارد ، فمنع هذه العادة الاسلام اذا كانت على الشراب أو الطعام ولو أن بعض الفلاسفة كان قد ضربها مثلا لتقرير حكم من الأحكام •

واللهفة على الماء للحياة ، والالحاح فى استداره اذا امتنع بأداة الدعاء والصلاة طلبا فى استمرار الحياة أمر أوجبه الاسلام وانه لقريب أن تمطر السماء ، أو ليس الماء فى غلافها كما هو فى احواضها وآبارها ؟ وضمان الحياة للماء أمر قد تؤمر به الرياح والسحب كما تؤمر به الغيوث والأمطار وانما أمرنا لشىء اذا اردناه أن نقول له كن فيكون •

المياه الأبدية :

يقول بعض الفقهاء : ان مياه الدنيا لاتبلغ فى القياس الى امواه الآخرة الا كما يدخل الانسان اصبعه فى اليم ، فما يعلق باصبعه هو مثال الدنيا •

وقد أخبر الدين بمياه الغيب فى الآخرة بما لابد أن يتحقق ، وانما كان من المحال أن ينكشف لنا فى حياتنا ما أخبر به لاننا عمى فى دنيانا لانستطيع ان نعلم حقائق الغيوب الا من طرائق أسماعنا ، حتى اذا رفع الحجاب تبين لنا الحق ، كما يتبين الوصف على حقيقته للأعمى الذى سمعه ، فاذا أبصر رآه كما سمعه على سواء

ولعل أسرار الحقائق التى كنا نسمع بها دون أن نراها ثم كشفها العلم لأبصارنا بعد بصائرنا يكون دليلا على غيب الآخرة الذى نسمعه دون أن نراه ،وأن ما يكون حكما سيصير علما ، بل انه من أصدق الأدلة على صدق ما أنبأ به الغيب المستور •

والماء غدا من حاجات الحياة الأبدية لتصدق القضية العامة الجامعة فى قوله سبحانه « **وجعلنا من الماء كل شىء حى** »

ومن الحوض الى انهار الجنة الجارية أبدا على الدوام ، وعيونها ورحائقها وأمزجتها المصفاة ستكون الحياة للجنات والأحياء فوقها، وقد ورد كله فى القرآن مفصلا •

وليست الروعة فى التفصيل وحده ولكنها فى القاعدة التى جاء بها القرآن ولم يجعل منها استثناء ، لافى الدنيا ولا فى الآخرة ، فكان ذلك منصرفا الى الحياة التى تنفد والحياة التى تبقى •

وبقدر ما بين الحياتين من فروق تكون الحاجة الى الماء والجوهر الذى يكون منه ، والأعراض التى تصفه وتبين عنه فى مثل قول القرآن (وانهار من ماء غير آسن) وقوله (كان مزاجها كافورا) وقوله (عينا فيها تسمى سلسبيلا) وقوله • (يسقون من رحيق مختوم)

وقد بان الفرق البعيد بين الاعتدال والانحراف فى الماء من لهفة أهل النار على ما أفيض على أهل الجنة منه ، وعلى سعة الهوة بين المياه التى عندهم من صديد متجرع لاتسيغه الأفواه أو مهل يشوى الوجوه والشفاه أو حميم يمزق الأحشاء ويقطع الأمعاء •

وهكذا أرتد ماء الجحيم عن اعتداله فظلت قاعدة انحراف الحياة من انحراف الماء قائمة حتى فى الآخرة ، باقية بعد الفانية فى الباقية • وصدق الله العظيم •

الصوفية في إلهامهم

- ٤ -

الأستاذ حسن كامل الملطاوي

« وكن مع أهل الحقيقةوابحث عنهم بحث الباحث عن حق يرجع اليه لنفسه فقط » .

وتلك حكمة من الحكم الغالية التى كتب لى بها أستاذى العارف بالله سيدى الشيخ عبد السلام الحلوانى رضى الله عنه ، وقد رجوته حينئذ أن يفسرها لى فقال دعها حتى يفسرها الزمن ، فالتزمت أمره ، ودار الزمن دورته ، وتقدمت بى السن ، وتقلبت فى التجارب حلو الحياة ومرها ، ورأيت تفاوت الناس فى معادنهم ومشاربهم ، فما أبكى عينى ولا أحزن قلبى ، مثل فراق والدى وشيخى وبعض اخوان لى فى الله ، رحم الله من مضى ، وبارك من بقى ، فقد قدرت لهم واكبرت فيهم صلاحهم ومعاونتنى فى طاعة الله والشغف به تعالى وايثاره على ماسواه .

ولم أخرج من تجاربى بخير مما أوصانى به سيدى الشيخ عبد السلام الحلوانى ، وقد كان ينظر بنور الله فيما أوصانى به ، فقد وجدت أن أهل الحقيقة هم أصفى المجتمع ، لانهم يطلبون ربا لا يفنى ، ويتلهى غيرهم بقمرات الدنيا التى تزول ولا تبقى ، والاولون يظنهم الناس حمقى وهم العقلاء ، والآخرون يراهم الناس عقلاء ، وهم حمقى غافلون .

ولا أود أن يفهم اخوانى القراء الاعزاء ، أنى أرمى أهل الحقيقة بالسلبية فى الحياة وترك السعى فيها ، لا ، لا انما أقول انهم يسعون فى الدنيا كما يسعى الناس ، ولكنهم مع سعيهم فى دنياهم يجعلون سعيهم هذا فى خدمة أخراهم ، ايثارا للاخرة على الدنيا ، لانهم خلقوا للاخرة ، وهى مقرهم وهم يمرون بالدنيا فى طريقهم اليها ، فلا يشغلهم ممرهم عن مقرهم .

وخصوصية أهل الحقيقة ، محلها البواطن ، وقد كان شيخنا الأكبر سيدى محمد أبو

خليل ، رضى الله عنه يقول : « خلوتنا بالقلب » لذلك عرف الصوفى بأنه المؤمن الذى صفا قلبه من الكدر ، وامتلا من الفكر ، وانقطع الى الله من البشر واستوى عنده الذهب والمدر .

وانقطاع الصوفى من البشر انما هو انقطاع بالقلب لا بالحس ، فتراه بين الخلق يسعى وقلبه فى الملكوت يرعى ، وقد تقلب سادتنا الأنبياء والمرسلون عليهم صلوات الله بين الناس باجسادهم ، وباينوهم بمواجيدهم ، والذين لم يعرفوهم بخصوصيتهم الباطنة ظلوا على كفرهم ، فقد قالوا مثلا فى مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم « **ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق** » واضلت الظواهر ابا لهب حين نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على انه يتيم أبى طالب فلم يره السراج المنير الهادى الى سواء السبيل ، وهذا من عمى القلب والعياذ بالله .

وقد قال سيدى أبو سعيد الخراز رضى الله عنه : ليس الكامل من صدرت منه أنواع الكرامات ، وانما الكامل الذى يقعد بين الخلق يبيع ويشترى معهم ويتزوج ويختلط بالناس ولا يغفل عن الله لحظة واحدة ، ويؤيده فى كلامه هذا قوله تعالى « رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة .. الآية »

وتفصح السيدة رابعة العدوية عن خلوة القلب بالله ، مع تقلب الاجساد فى الناس ، فتقول رضى الله عنها مناجية ربها :

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى
وابحت جسمى من أراد جلوس
فالجسم منى للجليس مؤانس
وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى

ويقول أستاذى العارف بالله سيدى الشيخ على عقل رضى الله عنه :

ليس التصوف بالظواهر انما
هو للبواطن حلة وشعار
كم ضاحك لكنه فى محنة
كم خائف لكنه مختار
والقلب روض واليقين ثماره
فاذا اعتززت به تطيب ثمار

وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم هم ائمة الامة عامة وأهل الصدق خاصة ، وأهل الحقيقة يحاكونهم فى أخذ الدين بقوة العزائم ، وقد أدى الصحابة رضوان الله عليهم دورهم فى المجتمع احسن تأدية ، فقد تاجروا وكسبوا عيشهم ، وجاهدوا بأموالهم وانفسهم فى سبيل الله ، وفتحوا الامصار لاعلاء كلمة الله وقاتلوا أهل الزيغ كمسيلمة وأهل الردة والخوارج ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وبلغوا الخلف أحكام الشريعة وآداب القلوب وقد التبس على الناس بما فيهم بعض علماء الشريعة معنى الحقيقة ، وعجبوا ان يعرف الصوفية واهل العناية بالدين بأنهم أهل الحقيقة واعترضوا على ذلك بأن الناس مكلفون بالشريعة ، فلا معنى لأن تذكر الى جنبها الحقيقة ، وقد أجاب الصوفية على هذه الشبهة فقالوا ان الشريعة عبادة ، والحقيقة عبودية كما قالوا الشريعة تعلق ، والطريقة تخلق والحقيقة تحقق أو الشريعة باب والطريقة آداب والحقيقة لباب ، فاذا أدى المسلم العبادة على وجهها الصحيح وذكر الله كثيرا واجبه من كل قلبه ، ذاق طعم الايمان ، فاستشعر بهذا المذاق عبوديته ، فتفانى فى حب سيده فغمرته الانوار وزكته الاسرار ، وآثره تعالى عما سواه وصارت أقواله وأفعاله وأحواله لله وبالله وفى الله ، اما العبادة الشكلية فهى عبادة آلية ، لا تتزكى فيها الروح بدرجة الخواص ، المراعين انفاسهم مع الله .

وزاد السادة الصوفية الأمر وضوحا فقالوا ان الشريعة هى القيام بالاوامر والحقيقة هى محبة الآمر ، فالدين واحد يجمع حدود الأوامر ومحبة الآمر جل جلاله ، كما قالوا ان فاتحة الكتاب جاء فيها ، اياك نعبد ، وهى شريعة ، واياك نستعين ، وهى حقيقة ، فالعون منه سبحانه ، ولا يعرف ذلك الا من استشعر العبودية لله وحده ، وقالوا فى معنى لا اله الا الله ، انه لا نافع ولا دافع الا الله ، فيجب ان تكون السيادة له وحده سبحانه .

والنتيجة أن العبادة هى شكل العبادات ، والعبودية هى روح تلك العبادات ، ولهذا تختلف مثلا درجة المصلين وان تساووا فى

شكل الصلاة وعدد الركعات ، فمنهم من ينصرف من صلاته وما كتب له الا نصفها ثلثها ربعها خمسها سدسها سبعها ثمنها كما جاء فى الحديث الشريف .

ويكسب المؤمن روح الدين وقوة اليقين ، بالأخذ عن العارفين من العلماء الربانيين ،وهم أهل الحقيقة ، وهم من فضل الله موجودون فى كل جيل ، وهم عباد الرحمن ، الذين جاءت أوصافهم فى آيات القرآن الكريم ،ومن دعائهم المستجاب « واجعلنا للمتقين اماما »

والاحكام الشرعية ربما يحصلها المجتهد من الاطلاع على تآليفها ويستغنى فى تحصيلها عن الاستاذ المعلم ، أما آداب القلوب فى سلوكها الى الله تعالى ، فلابد فيها من الشيخ العارف الذى يربى تلميذه بالحال والمقال ويرشده الى ذكر الله ذكرا كثيرا حتى يستغرق الذاكر بالذكر القلبى فيحيا به حياة الخواص المراعين أنفاسهم مع الله ، وقد قال العارفون : حياة الروح بالذكر وحياة الذكر بالذكر وحياة الذاكر بالمذكور .

وهذه سنة السلف منذ صدر الاسلام ، فقد قيل للامام الحسن البصرى رضى الله عنه وهو أفضل التابعين ، يا أبا سعيد نراك تتكلم بكلام لم نسمعه من غيرك ، فممن تعلمت هذا العلم ، قال : أخذته عن حذيفه بن اليمان « الصحابى الجليل » .

ويحدث حذيفه بن اليمان ، رضى الله عنه، عن نفسه فيقول : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر ، مخافة أن أقع فيه وعلمت أن الخير لا يسبقنى ، فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون يارسول ما لمن عمل كذا وكذا وكنت أقول يارسول الله ما يفسد كذا كذا، فلما رآنى مقبلا على هذا العلم خصنى به .

وبفضل هذا العلم الذى حرص حذيفه رضى الله عنه على أخذه من منهل النور الاصفى صلى الله عليه وسلم ، خص حذيفه بعلم المنافقين ، حتى أن مولانا عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان لايصلى على أحد مات الا اذا رأى حذيفه يصلى عليه . وقد وصف الله المنافقين فى القرآن الكريم فقال تعالى **« ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذاقاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا »** .

ولأن أهل الحقيقة يعنون بأحوال القلوب وآدابها ، فانه لابد للسالك مسلكهم أن يدقق فى اختيار شيخه الذى يأخذ عنه تلك الآداب الروحية .

وقد قالوا ينبغى أن يكون الشيخ صوفيا منتهيا ، وعرفه ابن الجوزى فقال « هو ذلك الذى يربيه الحق من صغره ، فتراه فى الطفولة معتزلا عن الصبيان ، كأنه فى الصبا شيخ ، ينبو عن الرذائل ، ، ويفزع من النقائص ثم لا تزال شجرة همته تعلو ، حتى يرى ثمرها متهدلا على أغصان الشباب فهو حريص على العلم ، منكمش على العمل ، ساع فى طلب الفضائل خائف من النقائص ، فلو تصورت التوفيق والالهام الربانى ، كيف يأخذ بيده ان عثر ، ويمنعه من الخطأ ان هم ، ويستخدمه فى الفضائل ، ويستر عمله حتى لا يراه منه ، فلو تصورت النبوة تكتسب لدخلت فى كسبه .

وانت ترى أيها الأخ الكريم من ذلك ان الشيخ يجب أن يتوافر له فى الارشاد علم صحيح وذوق صريح ، وهمة عالية ، وحالة مرضية ، وبصيرة نافذة .

وقد قالوا أن من العلامات الدالة عليه ، السخاء ، وحسن الخلق ، والشفقة على خلق الله ، وعدم الانكباب على جمع الدنيا ، وعدم المبالاة باقبال الناس عليه او ادبارهم عنه ، وعدم الشكوى من ضيق العيش ، ومجانبة الدعوى ، وليس من لازمه الكرامات أو الاخبار بالغيب .

وقد لمست فى شيخى العارف بالله الشيخ عبد السلام الحلوانى رضى الله عنه تلك الصفات التى ذكروها ، وذلك من فضل الله علينا وعلى اخواننا فى الله ، وقد تعرض لفضله فى مناسبة ذكرى مولده المبارك تلميذه العارف الموهوب سيدى الشيخ على عقل رضى الله عنه فقال الهاما :

هذا اجتماع فى المباح
قد جنينا ثمره

نحيى به ذكرى لعا
رف قوى التبصره

من فضله روى القلوب
حيث أجرى انهره

علمنا تصوف الرجا
ل أهل الآخرة

الحلوانى ذى الوقا
ر والايادى الخيره

حتى غدت قلوبنا
بالحق تسرى نيره

ومن معانى الذكر كم
تلقى الوجوه مسفره

وجوهنا من ذكره
ضاحكة مستبشرة

وما علينا فى هوى
رب العباد من تره

من عاش يدعو ربه
ونفسه مطهره

فانه فى حشره
يحمد حسن المغفره

ان كنت ترجو عفوه
فاعمل وخذ ما امره

نجواه رب القلب لا
يورق قلب هجره

كالنبت أن رويته
افنانه مزدهره

من قال يارب السما
فى علمنا ما اظهره

ويشير رضى الله عنه الى أن الصادقين من اهل الحقيقة قلة ، والمدعون كثير ، فيقول رضى الله عنه :

كثرت فى الورى الاطباء لكن
قل للروح فى الورى الحكماء

لم ابالغ اذا حلفت يمينا
ان فى عصرنا يعم البلاء

زمن فيه للتدين ناس
زعموه وهم له أعداء

ان رأوا فى الطريق أى فقير
نهروه والسادة الاغنياء

وتراهم ان قيل بيك وباشا
احنوا الراس فى النفوس رياء

يحسنون المديح فى لؤم طبع
تتاذى بسمعه الاذكياء

عامل الناس بالوداعة والحكمة
تمحى من صدرها البغضاء

وترفق اذا نصحت ولا تغل
ففى الرفق للنفوس دواء

كن مع الناس فى صفاء ودين
واعف عنهم من الذى لا يساء

ان عفوا عن الضعيف مقام
والتغاضى عن اللئيم غباء

احفظوا عهدكم مع الله صدقا
واتبعوا ما دعت به الانبياء

كيف يرضى الجحود من جاءه الحق
وبالخير قد حبته السماء

ويقول ايضا طيب الله ثراه :

شراب الحب يعرف بالمذاق
وما كل السقاة له بساق

دعاة الحب أكثر ما تلاقى
وقل الصادقون فما تلاقى

وليس بعاشق من لاتراه
عن الشهوات طهر والنفاق

اذا ما عشت لا انسى الهى
به اسمو من الأخرى المراقى

أحب الله عن أدب وصدق
ولا أرضى سوى التقوى خلاق

تركت جميع خلق الله دونى
شغلت عن الخلائق باشتياقى

يعز على ترك الحب عندى
ولو بلغت بى الروح التراقى

أطوف على الرحاب بكل ذل
مريدا واليقين به انسياقى

ومن عرف المحبة عن يقين
حرام أن يميل الى فراق

وها هو ذا يصف احوال اهل الحقيقة ومواجيدهم ، فيقول رضى الله عنه :

أرواحنا فوق السماء
مع الكواكب سارية
وقلوبنا مثل البدور
بكل ليل زاهية
ونفوسنا انفاسها
كالطيب امست زاكية
ولساننا بيت المعارف
والعلوم الراقية
وكنوزنا فى قلبنا
فيها المعانى غالية
أعضاؤنا طربت بحبك
وهى تذكر صافية

والروح من وجد عن ال
اغيار عاشت نائية
فنيت به عن غيره
فاستمسكت بالباقية
شرفت به وتلذذت
بشهوده فى عافية
أن كان جسمى بالفناء
سقوفه متداعية
فالروح بعد فنائه
فى الخلد شمس سامية

اللهم ارزقنا حبك ، وحب من يحبك ، لنكون من القوم الذين قلت فيهم « يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم، آمين » .

(بقية معالم الطريق)

حتى ينتهى التعصب والمتعصبين ده موضوع لن ينتهى أبدا ولكن علينا احنا ان العقلاء مننا يخففوا من غلواء التعصب والمتعصبين .

وباقول لكم متعصبين مسلمين ، وفيه متعصبين مسيحيين ولكن المتعصب المسلم لا يمثل اتجاه المسلمين أبدا ، والمتعصب المسيحى لا يمثل اتجاه المسيحيين أبدا .. كل دول شواذ .

ونحن نفخر – والحمد لله – أن بلدنا ليست فيها طائفية أو تعصب وانقسام اللى باتكلم عليه حوادث فردية صغيرة .. ولكن زى مابقول احنا عايزين الكمال وعلشان كده أنا باتكلم عليه بوضوح وبصراحة . عايزين الكمال وعاوزين الوحدة الوطنية اللى بنيت بالدم سنة ١٩١٩ وقبل سنة ١٩١٩ تتدعم وتقوى عايزين كل واحد فى بلدنا يثق بنفسه ويثق ان البلد بلده، بلد المسلم وبلد المسيحى ١٠٠ ٪ ، كل واحد فينا وكل واحد منا له الفرصة المتساوية المتكافئة .

الدولة لا تنظر والمجتمع لا ينظر الى الدين ولا ينظر الى الأب ولا ينظر الى الأصل ، ولكن ينظر الى العمل والى الجهد والى الانتاج والى الأخلاق وبهذا نبنى فعلا المجتمع الذى نادت به الأديان السماوية التى نص الميثاق على احترامها .

أرجو لله أن يدعم المحبة بين ربوع هذا الوطن ، وأن يدعم الاخاء وأن يوفقكم جميعا والسلام عليكم ورحمة الله .

نهر الأردن

الأستاذ محمود كمال

مقدمة :

قال زعيم العروبة فى خطاب مسهب موجه منه الى جون كنيدى ، الرئيس السابق للولايات المتحدة الامريكية ، أن اسرائيل تمثل خطرا داهما على الكيان العربى فى البلاد العربية باسرها ، كما تشكل اخطارا محتملة فى المستقبل ، على المدى القريب أو البعيد ، أساسها مايجيش فى صدورها من آمال توسعية مؤداها محو الدول العربية من خريطة الشرق الاوسط والحلول محلها فيه، وأنها لترنو بانظارها الى بعيد .. الى الفرات والى النيل ، عساها ، لا سمح الله أن تسيطر عليهما ، وعلى مابينهما ، يومامن الأيام ، غازية وفاتحة .

ولست تجد خطبة من خطب الزعيم ، فى مناسبة من المناسبات ، الا وقد تعرضت **لاسرائيل ، على وجه من الوجوه ، وكشفت** الغطاء عن تلك الاخطار الناجمة عن وجودها فى فلسطين ، مستندة الى القوى الاستعمارية والى المعونات المادية والادبية التى تأتيها من جانبها ومن جانب المنظمات اليهودية والصهيونية المنبثة فى ارجاء العالم .

والزعيم لا يقصد من ترداد العبارات التى تفصح عن هذه الاخطار ، واضحة وظاهرة ، فى خطبه واحاديثه ، وبياناته ، المتوالية ، الا الى تنبيه اذهان الشعوب والحكومات العربية الى تلك الاخطار ، أولا ، وقبل كل شىء ، وتحذيرها من عواقب الغفلة أو الاستسلام ، وايقاظ الشعور عندها بالواجب والاحساس به ، وبضرورة العمل المتصل الدائب على اعداد العدة لكل الاحتمالات المتوقعة ، قريبا أو بعيدا ، حسبما تمليه الظروف العالمية .

ولعله يقصد ، كذلك، أن يهيب بالحكومات العربية ، أن تنظر الى تلك الاخطار المحدقة بالعالم العربى كله ، نظرة واقعية ، من شأنها الأغضاء عن المؤثرات الاخرى ، الآتية من

خريطة فلسطين

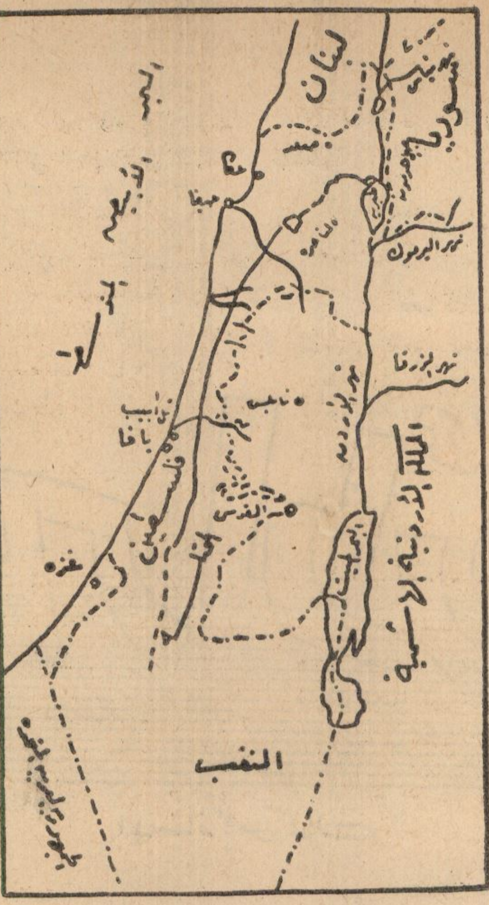

الجهات المختلفة ، التى تهدف الى ابعادها عنها ، والانصراف ، كلية ، الى ما عداها من أمور ومشاكل داخلية أو خارجية

وانه ليقصد ، ايضـــا ، افهام اسرائيل ومعاونيها من الاستعماريين أن البلاد العربية يقظة لكل حـــركة وسكـنة ، من حركاتهم وسكانتهم ، وعلى بينة من كل تدبير فى العلن أو فى الخفاء ، وأنها قد أعدت لكل احتمـــال عدته وآخذة دائمـــا فى اعداد المزيد منـــه انتظارا للساعة التى يأتى فيها نذير الخطر أو تدق فيها طبول الحرب .

هذا هو مجمل الاسباب التى من اجلهـــا قادى الزعيم ، وما يزال ينادى ، بالوحدة أو الاتحاد ، على أى شكل من الاشكال ، لا يكل من هذا النـــداء ولا يمله ، خالصا لوجه الله والاوطان العربية ، خاليا من كل الاغراض أو الاهداف الشخصية ، فالجمهورية العربية المتحدة ،بمفردها ، لها من قوتهـــا الذاتية ، ومقوماتها الخاصة ، ما يغنيها عما عداها من اشياء ، ان هى ارادت ان تحصر جهـدها فى شئونها دون شئون غيرهـــا ، ولكنها ، وهى جزء من العالم العربى ، بالطبيعة ، وكما ينص دستورها ، تأبى الا أن تسهم ، بكل قوتهـــا ، فى صـــد عدوان الصهيونية واسرائيل ، وفى محو سرطانهما من الوجـــــود ، وتكره ان لا يتطاول العرب الى مستقبل بهيج زاخـــر بالآمال الجسام فى الاستمتاع باكبر نصيب من الحرية والاستقلال ، وانه ليحزنها أن ترى أى بلـــد عربى يعيش زمانه مستكينا ، وفى جحيم من الاعداء الثلاثة ، الفقر والجهـــل والمرض .

ولقد كان من آثار حملات الزعيم المشبوبة التى يشنها على اسرائيـــــل والصهيونية والاستعمار ، فى كل آونة وآن ، ان حـــذا الشعب المصرى حذوه وترسم خطاه ، ايمانا منـــه بدعوته ، وبأن مناصرته فى خطته هى السبيل الاوحد الى الخلاص من ذلك الكابوس الجاثم على صدور العـــرب والذى يهددهم بافدح الاخطار . كما اخذت الصحافة ، وهى لسان الشعب المعبرة عن مشـــاعره وآماله

فى المناداة معه بالمبادىء التى ارسى اسسها على دعائم من الواقع الماثل أمام أعين الناس

ولم يتوخ الزعيم فىدعوته الاجمال فى بيان الاخطار التى تحيك اسرائيل شباكها ، حول العرب ، ليل نهار ، ولكنه فصلها تفصيلا ، واحدة واحدة ، وعنى بالادلاء بها فى كلياتها وجزئياتها لتصبح مرئيـــة رؤيا العين ، لا يشوبها لبس أو غموض .

ولقد كانت دعوته الى مؤتمرى القمـــة العـربيين ، سنة ١٩٦٣ بغرض الافضاء الى الملوك والرؤساء بما لديه من آراء ، وبما يقترحه من وسائل لمقاومة اسرائيل واحباط مشروعاتها ، العاجلة والآجلة ، الهادفة الى انزال كل مكروه بالأمة العربية .

ولسنا فى صـــدد الكلام على مشروعات اسرائيل هذه كلها ، وانما نكتفى ، فى هـذا المقال ، بالتعرض لمشروع واحد منها ، هـو من الاهميـــة بمكان ، ونعنى به مشروع « تحويل مياه نهر الاردن » ، واليك البيان .

نهر الاردن وروافده :

يبدأ نهر الاردن عند تلاقى روافده العليا فى لبنان ، واهمها :

نهر الحصبانى : وهو اطولها ، وينبع من سفوح جبل الشيخ (جبل هرمون) فى لبنان ، ويجرى فى اراضيها مسـافة ٤٠ كيلو مترا تقريبا قبل دخوله اراضى فلسطين المحتلة .

ويبلغ تصرف مياهه نحو ١٥٠ مليونا من الامتار المكعبة سنويا . وتوجـد فى حوضه مساحة تبلغ نحو ٣٥٠٠٠ دونم (عبارة عن ٨٧٥٠ فدانا تقريبا) صـالحة للزراعة ولا ينقصها الا اعداد مياه الرى اللازمة لها من هذا النهر .

نهر البانياس : وينبع فى سوريا على بعـد نحو كيلو مترين من حدودها المشتركة مـع فلسطين . ويبلغ تصرف مياهه نحــو ١٥٠ مليــونا من الامتار المكعبة سنويا . وتوجد فى حوضه مســاحة تبلغ ٢٠٫٠٠٠ دونم (٥٫٠٠٠ فدان) صالحة للزراعة ولا ينقصها الا اعداد مياه الرى اللازمة لها من هـذا النهر .

نهر الدان : ويجرى كله تقريبا داخـل فلسطين المحتلة .

ويبلغ تصرف مياهه نحو ٢٥٠ مليونا من الامتار المكعبة سنوياوبعد تجمع هذه الروافد يدخل نهر الاردن مستنقعات بحيرة الحولة ثم يدخل البحيرة نفسها (قبـل تجفيفها) البالغ طولها نحـو خمسة ونصف من الكيلو مترات .

ولنهر الاردن روافد اخرى أهمها :

نهر اليرموك : وهو رافده الرئيسى ، وينبع فى سوريا ، ويتصل بنهر الاردن على مسافة سبعة كيلو مترات من مخرج بحيرة طبرية بالقرب من بلدة العديسة الاردنية .

ويبلغ تصرف مياهه نحو ٤٧٠ مليـونا من الامتار المكعبة سنويا . وتبلغ مساحة حوضه داخل سوريا نحو ٦٨٠٠٠ دونم (نحو ١٧٠٠٠ فدان) تحتاج لريها الى ٨٠ مليونا من الامتار المكعبة سنويا ، ولكن سـوريا لا تستفيد من هذه المياه الا بمقدار ٤٥ مليونا فقط ، وهى تكفى لرى ٣٠٫٠٠٠ دونم (٧٥٠٠ فدان) .

وقد استولت اسرائيل على مسـاحة من حوضـــه قدرها ٢٦٠٠٠ دونم تروى من مياهه .

نهر الزرقا : ويقع فى شرق الاردن . ويبلغ تصرف مياهه نحو ٩٢ مليونا من الامتـار المكعبة سنويا .

ومن هذه البيانات يتضح ان مجمـوع تصرف هذه الروافد يبلغ نحو ١١١٢ مليونا من الامتار المكعبة فى السنة .

ولمعرفة جملة تصرف مياه نهـر الاردن وروافده معا يجب أن تضيف الى الكميـة المتقدم ذكرها كمية اخرى تبلغ نحـو ٢٦٨ مليونا من الامتار المكعبة سنويا . وهى جملة تصرف مياه الضفتين الشرقية والغربية للنهر ، ويعطينا ذلك كله مجموعا قدره نحو ١٣٨٠ مليونا ، أو ١٤٠٠ مليونا من الامتار المكعبة

سنويا ». وقد تصل هذه الكمية الى نحو ١٨٠٠ مليونا ، عبارة عن ١٫٨ مليارا من الامتار المكعبة سنويا .

ولما كانت كمية المياه المتدفقة من البلاد العربية وحدها تصل الى نحو ١٠٥٧ مليونا من الامتار المكعبة سنويا ، فان الكمية الباقية بعد ذلك هى التى تتدفق من اسرائيل وحدها وتبلغ نحو ٧٥٠ مليونا او اقل من ذلك قليلا.

ولكن يجب أن نلاحظ ، هنا ، أن نهر الاردن ليس هو المصدر الوحيد للمياه العذبة فى فلسطين المحتلة ، ولا هو المصدر الاهم ، وانما يوجد مصدر آخر ، له اهمية عظمى ، هو المياه الجوفية ».

وقد أمكن لاسرائيل استغلال هذا المصدر الى الحد الاقصى ، أو ما يكاد يكون كذلك ، حيث بلغ تصرف المياه الجوفية نحوا من ٧٠٠ مليونا من الامتار المكعبة سنويا .

وبذلك يصل مجموع تصرف المياه العذبة فى فلسطين المحتلة نحو ١٤٠٠ أو ١٤٥٠ مليونا من الأمتار المكعبة سنويا .

وهذا بخلاف كميات الامطار التى تتساقط داخلها وينتفع بها فى رى الاراضى الزراعية هناك ».

ويجب أن يلاحظ ايضا ، وقبل أن نترك هذه التفصيلات ، أن الـ ١٤٥٠ مليونا هذه لا تستغل كلها فى الرى ، وانما يستغل جزء كبير منها فى الشرب والإستعمالات العادية للناس ، كما يستغل جزء آخر منها فى مستلزمات الصناعة . وتبلغ كميات المياه المستعملة فى هذه الاغراض نحو ٣٠٠ مليون من الامتار المكعبة سنويا حسب الاوضاع الحالية فى فلسطين المحتلة ، ومعنى ذلك أن ما يتبقى للرى من جملة تصرف هذه المياه يبلغ نحو ١١٠٠ ، أو ١١٥٠ مليونا من الامتار المكعبة سنويا تكفى لري نحو ٢٩٠٫٠٠٠ فدان .

هذا ويبلغ طول نهر الاردن من منبعه فى لبنان الى مصبه فى البحر الميت نحو ٢٠٠ كيلو متر ».

ويمكن تقسيم مجراه الى ثلاثة اقسام هى:

- القسم الأول ، من منبعه الى بحيرة الحوله .

- والقسم الثانى ، من بحيرة الحولة الى بحيرة طبرية .

- والقسم الثالث ، من بحيرة طبرية الى البحر الميت .

واستكمالا للبيانات عن فلسطين نذكر ان مساحتها تبلغ نحو ٢٦٠٠٠ كيلو مترا عبارة عن نحو ٢٧ مليون دونم (٦٫٧٥٠٫٠٠٠ فدان) ». والقسم الأكبر منها اراضى صحراوية مجدبة ، تبلغ نحو ثلاثة ارباع هذه المساحة . أما الربع الباقى الصالح للزراعة - نحو ١٫٦٨٧٫٥٠٠ فدان - فيعتمد فى ريه على المياه الجوفية ، ومياه نهر الاردن وروافده ، ومياه الامطار ايضا ».

وكانت نتيجة التقسيم الذى فرضته هيئة الامم المتحدة ، فضلا عن اغتصاب بعض الأراضى التى ليست داخله فى هذا التقسيم ، أن أصبحت فلسطين المحتلة تضم أجود الاراضى المنزرعة ، واكثر الاجزاء مطرا » ».

اطماع اسرائيل :

اولا - بالنسبة لمياه لنهر الاردن وروافده:

من البيانات المتقدمة راينا أن كمية المياه التى تتدفق فى اسرائيل وحدها لا تكاد تكفى حاجاتها من رى الاراضى الزراعية ومستلزمات المصانع والاستهلاكات الاخرى الضرورية ، فى حين أن عدد سكانها ، لا يزيد الآن ، بعد تهجير اعداد كبيرة من اليهود اليها ، على مليونين وربع مليون .

وكان من مقتضى ذلك أن لا تحاول أى زيادة اخرى فى عدد السكان عندها ، مهما تكن ضئيلة ، ولكننا نراها ، على العكس من ذلك ، جاهدة فى سبيل زيادة عدد سكانها الى خمسة ملايين فى المدى القريب والى عشرة ملايين أو يزيد ، فى المدى البعيد وهى يصدر فى خطتها فى هذا الشأن عن أغراض معينة لم تعد خافية على أحد ، لا فى العالم العربى ، ولا فى انحاء العالم الأخرى .

فالعالم كله أصبح واثقا من أن اسرائيل دولة توسعية تهدف ، فى المقام الأول ، الى محو الدول العربية وتكوين دولة فيما بين الفرات والنيل .. الاساء ما يحكمون .. ، وأهم ما يهمها ، تحقيقا لهذا الغرض هو جلب اليهود والصهيونيين الى بلادها وتوطينهم فيها ، فهى تسعى دائما الى تهجيرهم من بلادهم اليها ، والى تمهيد وسائل الاقامة لهم عندها تحقيقا لاهدافها المستقبلة .

وقد قلنا ، قبلا ، أن القسم الأكبر من مساحة فلسطين اراضى صحراوية مجدبة ، وهو بهذا الوصف لا يمكن أن يكون صالحا لاقامة احد ، والامر ، حينئذ ، يستدعى تعمير هذه المساحة الصحراوية بتخصيبها وجعلها ارضا زراعية وادخال وسائل العمران فيها ، طالما ان اسرائيل جادة فى تهجير اعداد اخرى من اليهود اليها .

فكيف الا اذا توافرت لتلك المساحات المياه الكافية لريها وللمستلزمات الاخرى الضرورية للسكان المطلوب توطينهم فيها .

ولن يمكن ذلك الا بجلب مزيد من مياه نهر الاردن الى تلك المساحات وتزويدها بما يكفيها منها .

ولن يمكن أن يحصل ذلك الا باعداد مشروعات هندسية من شانها تحويل تلك المياه من البلاد العربية الى هذه المساحات من الصحراء المجدبة .

وبمعنى أصح فان هذه المشروعات يجب أن تكون كفيلة بسرقة أو اغتصاب مياه نهر الاردن وروافده التى تجرى داخل البلاد العربية ، وحرمانها منها ، مهما ترتب على ذلك من نتائج تعود بافدح الاضرار على اقتصادياتها وعمرانها ومقوماتها الحيوية الأخرى الحاضرة والمستقبلة .

بل أن اسرائيل يهمها ، فى الدرجة الاولى ، اضعاف تلك الدول اقتصاديا مما يؤدى الى اضعافها سياسيا ثم الى التغلب عليها فى آخر المطاف .

ومن اجل هذه الاسباب فانها قد اخذت فى اعداد مشروعات هذه السرقة المائية منذ زمن بعيد ، منذ ان بدات الظروف تهيىء لها أسباب الاستقرار فى فلسطين ، غاصبة ، بمعاونة الاستعمار ومساعدته .

وفيما يلى بيان عن أهم هذه المشروعات :

المشروع الأول :

لما كانت صحراء النقب ، جنوب فلسطين المحتلة ، هى الرقعة الواسعة التى تحتاج الى تخصيبها بواسطة جلب المياه لريها ، ثم لتوطنيها وتعميرها بتزويدها بما تحتاجه من وسائل العمران فقد وجب أن تتجه الانظار اليها .

وقد استدعت الوكالة اليهودية ، بمساعدة الحكومة الامريكية ، لودر ملك ، الخبير الزراعى الامريكى المشهور ، سنة ١٩٣٨ « ليقوم باجراء الدراسات الشاملة للموارد المائية فى فلسطين » وفى سنة ١٩٣٩ « قدم تقريرا الى الوكالة اليهودية فى ذلك الوقت تضمن انشاء مشروع ضخم لرى اراضى فلسطين والنقب ، وسماه مشروع نهر الاردن » .

ويتخلص هذا المشروع فيما يلى :

١ - الاستيلاء على مياه نهر الاردن ومصادرها فى تل القاضى ونهر الحصبانى وبانياس .

٢ - تجفيف بحيرة الحولة وفتح قنوات واسعة تجرى فيها مياه نهر الاردن لرى الاراضى المحتاجة للرى حتى منطقة بيسان ثم نقلها الى الجنوب لرى اراضى النقب .

٣ - الاستيلاء على نهر الليطانى فى لبنان وتحويل مياهه عبر اراضى فلسطين الشمالية الى بحيرة صناعية تنشأ فى شمال مدينة الناصرة ثم تجرى من هناك الى اراضى النقب » .

ولقد رحب اليهود بمشروع لودر ملك وجعلوا تحقيقه هدفهم الأول .

هذا الى جانب الافادة من تحويل مياه البحر الابيض المتوسط الى البحر الميت للمحافظة على مناسيبه فى توليد طاقة

كهربائية ضخمة تستخدم فى المشروعات الصناعية ».

الثانى :

وعهدت الوكالة اليهودية بمشروع لودن ملك الى المهندس الامريكى اليهودى « هينز » لتحويله الى واقع هندسى ، فكان مشروعه عبارة عن خطة لاخراج مياه نهر الاردن العلوى الى خارج الحوض ».

الثالث :

وهو المشروع المعروف باسم مشروع بنجر - عام ١٩٥٢ - وكان صاحبه ممثلا لادارة المعونة الفنية الامريكية ، اى النقطة الرابعة ، التى عقدت اتفاقات مع شرق الاردن نص فيها على تعهدها بالمساهمة المادية لامكان تنفيذه ».

وكان هذا المشروع يقضى باقامة سدود فى سوريا لتخزين مياه نهر اليرموك ، ثم انشئت محطات لتوليد الكهرباء ، ومحول بعد محطة كهرباء العدسية فى شرق الاردن لتحويل المياه الى قناة الغور الشرقية ، وغير ذلك من الانشاءات التى تعود على سوريا وشرق الاردن بالفائدة ، بارواء نحو ٥٢٠ الف دونم صالحة للزراعة ، وغير ذلك من الفوائد ».

وما ان تبينت فوائده لسوريا والاردن على الوجه المتقدم ، وعلى الاخص فيما يتعلق بتخزين مياه اليرموك فى الاراضى العربية حتى حاربته اسرائيل ، ثم تخلت عنه النقطة الرابعة بحجة أنه باهظ التكاليف وانه يخشى أن يصير مشروعا لا قيمة له ».

وكان « بنجر » مهندسا بالنقطة الرابعة فى الاردن فنقل منها ، ومفهوم ذلك ، بطبيعة الحال ، انه ، لما أن ظهر ان مشروعه مفيد للبلاد العربية ، ولم يصادف قبولا لدى اسرائيل واسيادها ، فقد وجب نقله من الاردن الى مكان آخر ».

الرابع :

وهو المشروع المعروف باسم « مشروع جونسون » ، وقد وضع سنة ١٩٥٣ وجاء به مستر جونسون نفسه ، بصفته مبعوثا من قبل الرئيس ايزنهاور ، الرئيس الامريكى الاسبق ، لعرضه على البلاد العربية .

وهو ينطوى على استغلال مياه نهر الاردن ورافده الرئيسى ، نهر اليرموك ، لرى نحو ١٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ فدان فى فلسطين المحتلة ، ومساحة تساويها تقريبا فى الاردن ، وبضعة آلاف من الافدنة فى سوريا . على أن تتكفل الولايات المتحدة بمعظم نفقاته ».

وهذا المشروع هو الاخير ، الذى قصد به محاولة سرقة المياه العربية للانتفاع بها داخل فلسطين المحتلة ».

راى اللجنة الفنية العربية :

وقد اعترضت اللجنة الفنية التى الفتها الجامعة العربية لدراسة هذا المشروع على نقط جوهرية فيه ، فنية وسياسية ».

فاما النقط الفنية فتتلخص ١ - فى أن معظم الفوائد الناجمة عنه موجهة لخدمة اسرائيل فى مجالات الرى واستصلاح الاراضى وتوليد الكهرباء ٢ - وفى ان الدول العربية لن تنال بموجبه الا ٨١٩ مليونا من الامتار المكعبة سنويا من مياه الاردن وروافده بينما أن الكمية التى تتدفق من المياه من داخل اراضيها تبلغ نحو ١٠٥٧ مليونا كما اسلفنا القول ».

ويقول المدير العام للجهاز المركزى لهيئة استغلال مياه نهر الاردن فى الجامعة العربية أن الصهيونيين « يزعمون سرقة ٣٢٠٠ مليونا من الامتار المكعبة من مياه حوض الاردن الأعلى لنقلها بالفتح بواسطة سلسلة من الانفاق والاقنية الى منطقة فى النقب تبعد نحو ٢٠٠ كيلو متر من الحوض بل هم لا يتهيبون الاعلان عن خططهم بزيادة هذه الكمية المسروقة ، فى المستقبل ، الى ٥٠٠ مليون متر مكعب من المياه ، وهم يخططون ايضا « لسرقة القسم الأكبر من الفائض الشتوى لمياه نهر اليرموك العربى بتحويله الى طبرية ».

واما من الناحية السياسية فان المشروع اغفل النظر الى الحدود السياسية بين

اسرائيل والدول العربية المجاورة لها ، ولم يدخلها فى حسابه ، مع أن التزام الحدود بين الدول أمر مقرر لا مفر منه ، فى هذه الحالات لكى يكفل لكل دولة ، ضمن حدودها ، الانتفاع برى الاراضى الصالحة للزراعة الموجودة فى مناطق منابع واحواض هذه الانهار .

ويرى المؤتمر الثانى للمحامين العرب - سنة ١٩٦٥ - أن هذا المشروع « استعمارى يتيح للدول الاستعمارية النيل من سيادتنا الوطنية ويتعارض مع حقنا فى استغلال مواردنا الطبيعية ويهدف الى جرنا للاعتراف باسرائيل والتعاون معها ويتنافى مع سياسة الحصار الاقتصادى المضروب حولها ويفتح ابواب البلاد العربية امام سيطرة الاحتكار الصهيونى ويجرنا فى النهاية الى الدخول معها فى الاحلاف الاستعمارية .

« لذلك فالمؤتمر يرفض مشروع جونسون ويرفض كل محاولة استعمارية ليجر العرب الى الاعتراف باسرائيل » (*)

مشروع اسرائيل :

على ان اسرائيل قد رات ، اخيرا أن تقوم هى بنفسها بوضع مشروع لسرقة مياه نهر الاردن ، وقد صممته مؤسسة المياه الحكومية عندها ، على أن يتم تنفيذه فى مرحلتين ، ويقوم تصميم هذا المشروع على قناة تخرج من نهر الاردن عند الزاوية الشمالية الغربية لبحيرة طبرية برفع الماء اليها من تلك البحيرة بواسطة مضخات تدار بقوة سقوط مياه الاردن فى هذه البحيرة المنخفضة ، ثم تسير القناة جنوبا بغرب الى منخفض الطوف ، شمال بلدة الناصرة ، الذى يصبح خزانا لمياه القناة ومياه السيول التى تنحدر نحوه فى موسم الامطار ، ثم تمتد القناة من هذا الخزان الى اعالى نهر اليادكون (العوجه) الذى تخرج منه انابيب الى شمال غرب منطقة النقب .

والمرحلتان اللتان يتم فيهما هذا المشروع هما كالآتى :

المرحلة الاولى : ومدتها اربع سنوات ، انتهت سنة ١٩٦٣ أو سنة ١٩٦٤ ، حيث أمكن دفع مياه الاردن الى ضواحى تل ابيب - ويقول المدير العام للجهاز المركزى لهيئة استغلال مياه نهر الاردن أن الصهيونيين يستثمرون « فى منطقة هذا الحوض (حوض الاردن الاعلى) » كل ما يحتاجون اليه من المياه لأرواء ما يقرب مجموعه من ٣٠٫٠٠٠ هكتار اى نحو ٧٥ الف فدان مما يقع تحت تصرفهم من الاراضى الزراعية فى سهول الحولة ونجمة الصبح - هاشار - وغوريبسان ووادى اليما - يا قتيل - ومثلث اليرموك . وفى تأمين استهلاك جميع المدن والمستعمرات فى منطقة طبريه والاراضى الزراعية المحيطة بها . ويستنفد رى هذه الاراضى اكثر من ٣٤٠ مليون متر مكعب من مياه الحوض ، وهى كمية تزيد عن مجموع الموارد المائية الصالحة للاستثمار التى يساهم بها الجزء المحتل من الحوض بما فيه من الينابيع والآبار والسيول ... وبذلك فان استهلاكهم الحالى من الحوض يتجاوز كل حد معقول للحصة التى يمكن أن تخصص للاراضى الزراعية فى المنطقة المحتلة من مياه الحوض » .

وكمية المياه التى يمكن توفيرها فى نهاية هذه المرحلة الاولى تصل الى نحو ١٥٠ مليونا من الامتار المكعبة سنويا أو يزيد قليلا .

المرحلة الثانية - وتنتهى سنة ١٩٧٠ ، وتبلغ كمية المياه التى يمكن توفيرها عند نهايتها نحو ١٥٧ مليونا من الامتار المكعبة سنويا ، وقد يصل الى نحو ٣٤٠ مليونا ، كما يقول المدير العام للجهاز المركزى ، وهى كمية كافية لزراعة نحو ٧٥٠٠٠ فدان .

المشروعات العربية :

وكان لابد للدول العربية من أن تضع مشروعات هندسية مقابلة لمشروعات اسرائيل وقد انتهت الدراسات الفنية ، فعلا ، بوضع مشروعات معينة ، ولكنه ليس من غرضى هنا أن اقدم هذه المشروعات فى صورة هندسية فنية ، من جهة . لأنى لست مهندسا ، ومن جهة اخرى ، فان المطلوب هو مجرد تقديمها

بطريقة عادية يسهل، على الانسان العادى ادراكها .

والواقع أن هذه المشروعات كانت مصممة اول الامر ، على الاسس الآتية :

(١) فى لبنان - القيام بانشاء سد تحويلى على مجرى نهر الحصبانى وفتح نفق تحويلى ما بين هذا السد ووادى نهر الليطانى لتحويل مياه الحصبانى الى ذلك الوادى ، ثم انشاء محطة ضخ على مجرى نهر الحصبانى عندنبع الوزانى لرفع مياهه الى السهول المرتفعة لرى الاراضى اللبنانية والسورية المتاخمة .

(٢) فى سوريا - تحويل مياه البانياس لرى الاراضى الصالحة للزراعة فيها .

(٣) فى الاردن - انجاز قناة الغور الشرقية لتحويل مياه اليرموك لقطع مياه هذا النهر عن محطات الضخ فى اسرائيل وتخزين مياهه فى الادن وليس فى بحيرة طبرية كما تريده المشروعات الاسرائيلية .

على أنه قد تبين ، بعد ذلك ، أن المياه التى يمكن تحويلها من الحصبانى والبانياس الى شرق الاردن تجىء كلها فى الشتاء ، ولا يصل شىء منها صيفا ، وبذلك فان الاراضى هناك تكون عرضة للهلاك .

كذلك تبين أن المياه المحولة من هذين الرافدين ، عندما تحول الى اليرموك ، تمر تحت موقع العدسية فى مجرى يحاذى حدود اسرائيل ، وعندئذ ، يكون فى مكنتها (اسرائيل) ان تسحب جميع هذه المياه الى بحيرة طبرية بالراحة ، وبدون ضخ ، فى قناة لا يتجاوز طولها بضعة كيلو مترات . وقد عرف أن اسرائيل اعدت ، فعلا ، تصميمات هذه القناة .

مشروع سد المخيبة :

ومن اجل هذه الاسباب فقد وجد أن الحل الوحيد لامكان منع المياه عن اسرائيل ، واحياء الاراضى العربية بتوفير المياه اللازمة لها صيفا هو اقامة سد لحجز هذه المياه وخزنها وتحويلها الى مجرى آخر جديد يشق فى اراضى الاردن ، فى موقع المخيبة ، على أن يتسع الى ٢٠٠ مليون من الامتار المكعبة من المياه - وباحكام تنظيم الحجز والتصريف خلف هذا السد ، وفى النفق ، تمنع المياه منعا باتا من الوصول الى الأراضى المحتلة ، وفى الوقت نفسه تتوفر المياه اللازمة للاراضى العربية صيفا .

وباقامة هذا السد يمكن احباط مشروعات اسرائيل ومنعها من تحويل مياه الاردن . وتقدر تكاليف المشروع بعشرة ملايين وربع مليون من الجنيهات الاسترلينية .

والمفهوم انه قد بدىء فى تنفيذ هذا المشروع ، فقد اطلعت فى اهرام اول اغسطس سنة ١٩٦٥ على تصريح للسيد رشيد كرامى رئيس الحكومة اللبنانية يقول فيه ان لبنان بدأ فعلا فى اعمال تحويل روافد نهر الاردن وانه سينفذ المراحل القادمة بالاتفاق مع الاجهزة العربية فى ضوء المسئوليات المشتركة .

تكرير مياه البحر الابيض المتوسط :

واستكمالا لهذا البحث ، لا يفوتنا أن نشير الى أن الولايات المتحدة الامريكية قد وعدت اسرائيل بمساعدة جديدة ، تضاف الى مساعداتها المتواترة ، هى القيام بتحويل مياه البحر الابيض المتوسط ، بواسطة المفاعلات الذرية ، الى مياه عذبة صالحة للرى وللاستهلاكات الاخرى .

ويبدو أن مسألة تحويل المياه المالحة الى مياه عذبة تلقى اهتماما بالغا لدى امريكا وبعض الدول الاخرى ، فقد اطلعت فى اهرام ١٤ اغسطس سنة ١٩٦٥ على تحقيق اجراه مندوب الاهرام الخاص فى الولايات المتحدة ، وهو يقرر فيه أنها تعانى من « ازمة خطيرة فى مياه الشرب والرى والصناعة ، ستشتد بعد ٥ سنوات » وأن ولاية كاليفورنيا تصرخ من اختناق محصولاتها الزراعية بسبب الجفاف وقلةالمياه ، وانه قد اتخذت اجراءات قاسية فى ولاية نيويورك للاحتفاظ بمخزون مياه الامطار للضرورة .. وأنهم هناك يعملون على انشاء مفاعلات ذرية لتحويل مياه البحر

حتى لا تصبح نيويورك تحت رحمة مياه الامطار وحدها .

وتقول الاهرام ايضا أن دولا اخرى تعانى من مشكلة نقص المياه مما جعل روسيا ، مثلا تعقد اتفاقية مع امريكا تنص على تبادل الخبرات فى مجال تحويل مياه البحر الى مياه عذبة .

ثانيا ـ بالنسبة لما يترتب على تعمير النقب عسكريا واقتصاديا :

كما انه لم يكن من اغراض هذا المقال التوسع فى تفصيل المشروعات الهندسية لسرقة مياه نهر الاردن ، ولا فى تفصيل المشروعات العربية المقابلة ، للاسباب التى ابديت قبلا ، كذلك فانه ليس من اهدافه التوسع فى تفصيل الآثار المترتبة على آمال اسرائيل بعد تعمير صحراء النقب وامدادها بمقومات الحياة التى تجعلها صالحة للاقامة فيها اقامة دائمة مستقرة .

ومع ذلك فضرورة الالمام بالعناصر المرتبطة بموضوع نهر الادن تستلزم التعرض ، ولو فى قليل ، الى النتائج التى ترقبها اسرائيل وتعد لها ، منذ أول الأمر ، فى جد واصرار ، تحقيقا لآمالها المستقبلة ، كما قدمنا القول .

وأول نتيجة من النتائج المرتقبة ، بل قد تكون اهمها من وجهة نظر اسرائيل ، هى تقوية الجبهة العسكرية ، وبصفة خاصة ، ما كان منها على الحدود المصرية ، اذ أن تعمير النقب وما يترتب عليه من أسكان تلك الاعداد الهائلة من المهاجرين اليهود والصهيونيين ، على الكيفية التى قدمنا الكلام عليها ، لابد يؤدى الى شيئين :

(١) تقوية جيشها بزيادة عدده وعدته زيادة تمكن لها فى فلسطين المغتصبة . وتضمن لها البقاء فى اطمئنان ، وعدم خشية من الاعتداء عليها من اعدائها المتحفزين لها عند أول فرصة تسنح لهم ، كما تمد لها فى حبل الرجاء بأن تقفز يوما الى الفرات والى النيل ، وهو ما تتطلع اليه فى انتظار وترقب .

وهى سوف تقيم على حدود سيناء مستعمرات زراعية ، عسكرية ، فى الوقت نفسه ، بمعنى انها تنوى أن تجعل من هذه المعسكرات طليعة لقواتها الهجومية ، ووجود هذه المستعمرات يترتب عليه تقصير خطوط مواصلاتها وتموينها عندما تجد ساعة الجد ، ولهذا أثره ، كما هو معلوم ، فى التكنيات الحربية المتعارف عليها لغاية الآن ، ويقول د. جمال حمدان : « فاذا عرفنا ان امل اسرائيل أن توطن على تخوم سيناء وحدها مليونا من الصهيونية الجدد فى نحو مائتى مزرعة زراعية ـ حربية لادركنا مدى خطورة قيام مثل هذا البرزخ السكانى الكثيف .. على ضلوع صحراء سيناء التى تتحرق اسرائيل الى اغتصابها .. وهذا ايضا يعطى اسرائيل قاعدة عمرانية ضخمة تتخذ منها نقطة للوثوب فى جميع الاتجاهات .. كما تقصر .. خطوط تموينها .. مما يسلب أشياء كثيرا من قيمتها كعازل عسكرى » .

(٢) توسيع الرقعة الزراعية توسيعا كافيا لاستيعاب ملايين المهاجرين ، من اربعة ملايين الى خمسة ، فى المدى القريب ، مما يساعد بدوره ، على تقوية اسرائيل معنويا واجتماعيا واقتصاديا ، **أولا** ، يجعلها اكثر عددا ومنعة من الدول العربية المتاخمة لها مجتمعة (باستثناء الجمهورية العربية المتحدة) **وثانيا** : بجعل موادها كفيلة برفع مستوى المعيشة فيها بما يضمن لها احراز السبق والتقدم على تلك الدول ، **وثالثا** : بجعلها دولة ذات بحرين لأن النقب يصلها بالبحر الأحمر عند ميناء ايلات ، وبذلك فانها تصبح « فاصلا حقيقيا بريا وبحريا ، وسياسيا وعمرانيا ، بين آسيا العربية وافريقيا العربية ، كما يمكن لها ان تتحول الى دولة ممر وعبور بين البحر الابيض المتوسط والبحر الأحمر على الطريق بين الشرق والغرب ..

وتتطلع اسرائيل الى ميناء ايلات على خليج العقبة لتجعل منها مبدأ لقناة مائية تنتهى فى مكان ما بين غزة وحيفا على البحر الابيض المتوسط ، ويبلغ طولها نحو ٢٨٠ كيلو مترا بزيادة ١٢٠ كيلو مترا عن قناة السويس ، ولتكون صلة بين الشرق والغرب يستطاع

استعمالها كبديل لقناة السويس ، أو على الأقل لامكان الالتجاء اليها فى أية ظروف طارئة . وقد قدر الحد الادنى لتكاليف هذه القناة بنحو ١٤٤٠ مليونان من الجنيهات الاسترلينية .

هذا ومن مقاصد اسرائيل ايضا العمل على مد خط لانابيب البترول من ايلات الى سواحل البحر الابيض المتوسط لاستعماله فى حالة توقف المرور من قناة السويس وفى حالات الطوارىء كذلك .

موقف القانون الدولى العام

اولا — من سرقات مياه الاردن .

ان اول شىء نبديه ، فى هذا الصدد ، هو أن نهر الاردن نهر دولى (ويقصد بذلك التعبير « نظام المياه الدولية » وهو الاصطلاح الذى اقره اخيرا ، مؤتمر جماعة القانون الدولى المنعقد بنيويورك فى سبتمبر سنة ١٩٥٨) ذلك لأنه يجرى بين اقاليم دول متعددة ، هى لبنان وسوريا وشرق الاردن واسرائيل ، بل هو فى الواقع يشكل الحدود الفاصلة بين هذه الدول على طول المسافة من منبعه الى مصبه .

وحكم القانون فى شأن ملكيته ، والحالة هذه ، هو أن كل دولة من هذه الدول تختص بملكية الجزء المجاور لها منه حتى الخط الاوسط للتيار الرئيسى ، ويكون لها الحق فى مباشرة اعمال السلطة العامة فى هذا الجزء كما يكون لها حق استغلاله واستغلال القوى الطبيعية فيه فى مختلف النواحى الزراعية والصناعية ، كل ذلك بشرط مراعاة الحقوق المماثلة للدول الاخرى التى تشاركها فيه ، ومراعاة عدم القيام بأى اعمال او اتخاذ أية اجراءات من شأنها الاضرار بهذه الحقوق أو الافتئات على الحقوق المكتسبه من قبل . الا أن يكون ذلك بناء على اتفاق بين الاطراف المعنية . فهذا الحق ليس حقا مطلقا بل هو مقيد بوجوب احترام حقوق الدول الأخرى التى يجرى حوض النهر فى اقاليمها .

وبمعنى اكثر وضوحا فان لهذه الدولة أن تاخذ من مياه النهر ما يلزمها ، وتقيم من الأعمال الهندسية ما يحقق بها وسائل استغلاله والاستفادة منه ، بالقيود والشروط المتقدمة ، فلا يحق لها ، مثلا ، ان تغير من طبيعة المياه ، ولا أن تقوم بأعمال من شأنها أن تؤدى الى فيضان النهر فى اقليم مجاور ، ولا أن تحجز أو تصرف من مائه قدرا يتسبب فى هبوط المستوى الطبيعى لمجرى الماء عند هذا الاقليم ، ولأن تقوم بأعمال تؤدى الى تعطيل الملاحة فيه أن كان هو نهرا ملاحيا ، ما لم يكن هناك اتفاق يقضى بغير ذلك ، وفى التاريخ معاهدات **واتفاقات متعددة عقدت بين بعض الدول بقصد تحديد حقوق كل منها وواجباته بالنسبة للانهار التى تشترك فيها .**

والقواعد المتقدم بيانها التى تقضى بضرورة احترام الحقوق والواجبات المتبادلة هى تلك التى اقرها كل من المؤتمر الثانى للمواصلات والنقل المنعقد فى جنيف سنة ١٩٢٣ والمؤتمر الامريكى السابع المنعقد فى مونتفيديو سنة ١٩٣٣ .

ولما كانت اسرائيل قدعمدت الى الاستقلال فى تصرفاتها فى مياه نهر الاردن كأنما هو نهر داخلى يجرى فى ارضها وحدها دون اراضى أية دولة أخرى وأخذت فى تنفيذ مخططاتها دون أن تقيم أية دولة منشآت ، تريدها ، لمصلحتها الخاصة صارفة النظر كلية عن مصالح جيرانها المشتركين معها فيه من بدايته الى نهايته ، ضاربة بقرارات المؤتمرين سالفى الذكر عرض الحائط ، ومستندة فى اقتراف هذه الجرائم والآثام الى محض القوة المستمدة من أربابها الاستعماريين ، فان القانون الدولى لا يؤيدها بل يقف منها على خط مضاد ، ولا يقرها على أى عمل من هذه الاعمال الباطلة من وجهة نظره ، ومن وجهات النظر الانسانية ايضا ، لانها انما تعتدى على مقومات الحياة فى البلاد المجاورة لها بحرمانها من الحصول على نصيبها العادل من مياه النهر لرى اراضيها فلقد مر بنا ، فى هذا المقال ، أن فى حوض الحصبانى بلبنان نحو ٣٠٫٠٠٠ دونم ، وفى حوض البانياس فى سوريا نحو ٢٠٫٠٠٠ دونم ، وفى حوض اليرموك نحو ٣٨٠٠٠ دونم ، كلها اراضى محرومة من مياه هذا النهر

ولا تنال منها شيئا ، مع أن مجموع تصرف المياه المتدفقة من البلاد العربية وحدها يبلغ نحو ١.٥٧ ، مليونا من الامتار المكعبة سنويا كما تقدم البيان .

ثانيا ـ قيام حالة الحرب بين العرب واسرائيل وأثره :

ومن المعلوم أنه قد عقدت هدنة بين الجمهورية العربية الاخرى التى اشتركت فى تلك ٢٤ فبراير سنة ١٩٤٩ لوقف القتال والاعمال الحربية التى كانت قائمة بين الطرفين بفلسطين منذ سنة ١٩٤٨ .

كما عقدت هدنة بينها وبين كل من الدول العربية الاخرى التى اشتركت فى تلك الحرب ، وذلك فى تواريخ متتابعة .

والهدنة ذات طابع سياسى الى جانب صفتها الحربية ، بمعنى انها تعتبر بمثابة تمهيد لعقد الصلح بين الطرفين المتحاربين ، ثم هى تؤدى ، فى الوقت نفسه ، الى وقف أجل لعقد الصلح المرغوب فيه ، أو انتهائها هى ، أولا يحدث شىء من ذلك ، وفى هذه الحالة الاخيرة تبقى الهدنة قائمة ، كما تبقى حالة الحرب قائمة .

وبما انه لم يعقد صلح ، لغاية الآن ، بين العرب واسرائيل ، ولعله لن يعقد ابدا ، فحالة الحرب تعتبر قائمة ، قانونا ، وبالتالى فلن يقبل من اسرائيل اى مسعى ، مباشر أو غير مباشر للمفاوضة أو الاتفاق على توزيع مياه الاردن بطريقة مخالفة لاوضاع القانون الدولى العام .

والمعتقد ان العرب لن يسكتوا على السرقات ، القائمة على قدم وساق ، التى تقترفها اسرائيل اضرارا بهم وعلى حساب مصالحهم الحيوية .

خواطر مستشار

نظم الحكم والإدارة في الإسلام • مقارنات بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية حول السياسة الشرعية والقانونين الدستوري والإداري

المستشار
علي علي منصور

بعد أن انتهينا من الكلام على القواعد الأساسية التى تستخلص من كيفية تولية أبى بكر الخلافة ، ومقارنتها بقواعد الدساتير العصرية، لم يبق من الحديث عن نظم الحكم فى عهد الخليفة الأول سوى كلمة عن نفى مايزعم المستشرقون من تشابه بين نظام الحكم فى الاسلام ونظام الحكومة التيوقراطية ، وكلمة ثانية عن نظم الادارة فى عهد أبى بكر ، وكلمة ثالثة عن حروب الردة •

مقارنة بين نظام الحكم الاسلامى وبين التيوقراطية :

أبنا فيما سلف ان النظام الاسلامى للحكم له طابعه الخاص الشامل المتكامل والذى يجب اذا ما أريد للامة الخير أن يطبق بحذافيره •

كما أبنا عند الكلام على نظام الحكم الديكتاتورى بنوعيه الفاشى والشيوعى ان الاسلام أبعد مايكون عنه بل انهما يكادان يكونان على طرفى نقيض ، فبينما تقوم الحكومة الاسلامية على حق الأمة فى اختيار حكامها • وحقها فى نقدهم ومراقبتهم وعلى واجب الشورى والنصح بين الحاكمين والمحكومين ، وعلى حق الأمة فى عزل الحاكمين ، وعلى احترام حريات الأفراد كأناس لهم حقوقهم الذاتية والانسانية ، وعليهم واجباتهم نحو الجماعة التى تحتويهم - بينما يكون نظام الحكم فى الاسلام على ذلك كله وعلى اكثر منه اذ بالديكتاتوريات الفاشية والنازية تمحو تلك الحقوق كلها وتتمحص ارادة الدولة فى ارادة الزعيم ، فهو القائد والموجه والمعلم والحاكم ولا معقب لرأيه ، ومن حدثته نفسه ولو بالنصح كان جزاؤه العنف والقسوة • وتزيد الديكتاتوريات الشيوعية الطين بلة بأن تجرد الانسان من عقيدته فلا دين ولا ديان ، وتجرده من آدميته فهو جزء من آلة ان تعطل ألقى به دون أية رعاية ، فمن لايعمل لاياكل ، كما

انها أهدرت الأسرة ونظامها وعمدت الى محوه ليكون الولاء للدولة ممثلة فى الحزب الشيوعى دون الوالدين والأقربين .

أما الديمقراطية فهى قريبة الشبه بنظام الحكم فى الاسلام من الناحية السياسية أما من الناحية الاجتماعية فهى مختلفة عنه حتى بعد ان عنيت بالأخذ بنظم الاقتصاد الجماعية والاجتماعية .

اما الحكومة التيوقراطية فترجع الى ما ادعاه قديما الملوك ورجال الدين من أن سيادتهم مستمدة من الله وحقهم فى الحكم والتشريع حق مقدس يشرعون ويغيرون حسب أهوائهم ويحلو لبعض المستشرقين وكتاب الغرب أن يتهم نظام الحكم فى الاسلام بأنه نظام تيوقراطى .

ومرجع هذه الشبهة أن لكل منهما صلة بالدين ولكن شتان بين هذا وذاك فأصول الحكم والقواعد العامة فى أمور الدين والدنيا وان كان مصدرها القرآن من قبل الله وبينتها سنة رسول الله الا أنه مطالب بها جميع المسلمين ، والاجتهاد فى الفروع والتفاصيل حق لكل مسلم ولاهل الحل والعقد فى الاسلام عزل الخليفة ، ولا تملك الأمة فى المسيحية عزل البابا ، اذ بيده الحل والعقد والابرام والغفران والحرمان . فاذا كانت الحكومة الاسلامية تتبع ماشرع الله من القوانين والأحكام فليس ذلك لصلة الحكومة بالله ،وليس ذلك نوعا من الكهانة . ولست فى هذا الصدد استشهد بما قاله أئمة المسلمين السابقون والمتأخرون ؛ ومنهم محمد عبده فى كتابه : « الاسلام والنصرانية »ورشيد رضا والعقاد والشيخ شلتوت والشيخ المراغى ، وانما استشهد فى هذا الصدد بمقارنة عقدها مستشرق وكان منصفا فى هذا الصدد وهو السير توماس أرنولد حيث قال ما نقتطف منه « أن البابا مميز بسلطاته الروحية يستطيع بها ان يشرع وان يغفر السيئات ، وهو ينفرد بتلقى الشريعة عن الله ، وله حق الاثرة بالتشريع ، وله فى رقاب الناس حق الطاعة لا بالبيعة ولا بما تقضيه من العدل وحماية الحوزة ، بل بمقتضى الايمان فليس للمسيحى مادام مسيحيا أن يخالفه والا حكم عليه بالحرمان والطرد ، أما خليفة المسلمين فلا يوحى اليه ولا يشرع وليس الا منفذا لأحكام الدين ، وسلطة تفسير القرآن والأحاديث وان كان متروكا للعلماء أصلا وللناس جميعا ، فان سلطة الخليفة فى ذلك وفى امامة الصلاة من حق أى فرد من المسلمين أيضا ، ويضيف السير توماس فى هذا الشأن قوله أما تلقى الشريعة فعن القرآن والحديث دون وساطة أحد ، من سلف أو خلف ، مادام المسلم قد حصل على الوسائل الثقافية التى تؤهله للفهم فان لم يكن قد حصل على هذه الوسائل فما عليه الا أن يسأل العارفين بها من المسلمين وله أن يطالب المسئول عن الدليل .

الادارة فى عهد ابى بكر :

سار أبو بكر بسيرة الرسول فى الادارة واحتفظ بالعمال الذين استعملهم رسول الله . والأمراء الذين أمرهم واختار أبا عبيدة بن الجراح للشئون المالية « وزارة المالية والاقتصاد » واختار عمر للقضاء « وزارة العدل » وأبقى على أهل الشورى الذين اختارهم الرسول مع تغيير فى الأشخاص بسبب تعيين بعضهم ولاة على الأمصار ، وأما قضاة الولايات فكان يكل الى الولاة اختيارهم، لأنهم بهم أدرى ثم يعقد لهم هو ولاية القضاء .

وكان له كتاب وتراجمة وبالجملة فقد أبقى على من عين فى عهد رسول الله الا ماقضت الضرورة بتغييره .

التقسيم الادارى للحكم المحلى : استتب للاسلام الأمر فى الجزيرة كلها بعد حروب الردة ، عمد أبو بكر الى اعادة تقسيم الجزيرة الى ولايات شأنها شأن المحافظات فى الحكم المحلى فى الجمهورية عندنا الآن ،وكان عددها اثنتى عشرة ولاية أو عمالة . وهى مكة والمدينة والطائف وصنعاء وحضرموت وخولان وزبيد ومرقع والجند ونجران وجرش والبحرين أى أنه قسم الحجاز الى ثلاث ولايات واليمن الى ثمان وجعل البحرين وما اليها ولاية واحدة — أما قواده الذين وجههم الى فتح العراق والشام

فكان كلٌ منهم يولىٌ العمالَ والولاة علىٌ الأراضى التى يفتحها .

راتب الخليفة من بيت المال ولا يحل له تعاطى التجارة :

جمع أبو بكر الصحابة وطلب اليهم ان يحددوا له ولأسرته راتبا من بيت المال قائلا :

« قد علم قومى أن حرفتى وهى التجارة لم تكن لتعجز عن مؤونة أهلى ، وقد شغلت بأمر المسلمين وفرغت لهم وقتى وساحترف لهم فى مالهم وسيأكل آل أبى بكر من هذا المال » فجعلوا له ألفين فقال « زيدونى فان لى عيالا وقد شغلتمونى عن التجارة فزادوه خمسمائة » وقيل فى رواية أخرى أنه ذهب الى السوق غداة استخلافه فمنعه عمر وآخرون من الصحابة على أن يكون رزقه من بيت المالٌ . على أن يفرغ للمسلمين كل وقته وهذا الخبر القصير يتضمن عدة قواعد دستورية وادارية منها .

١ - انه لايحل للخيفة أن يأخذ من بيت مال المسلمين شيئا الا باذن من أهل الشورى ، وتلك هى أحدث القواعد الدستورية العصرية التى تنص عليها الدساتير عادة بقولها « لاتفرض ضريبة الا بقانون تصدره السلطة التشريعة » .

وأهل الشورى هم أهلُ الاجتهاد وأولو الحل والعقد وأسلفنا انهم بمثابة السلطة التشريعية فى العصر الحاضر .

٢ - لايحل للخليفة ولا للامام ان يتجر أو ان يباشرا اى عمل آخر باجر وجميع وقته وجهده ملك للدولة ، وتنص الدساتير العصرية على أنه يحرم علىٌ رئيس الدولة أن يتعاطى التجارة ، وأن يبيع شيئا من ماله الى الدولة وأن يشترى من أملاكها شيئا .

٣ - لايجوز للخليفة أن يرفع من راتبه بل له ان يطلب فقط ويبين الأسباب وللسلطة التشريعية أن تقرر ماتراه .

وكان أبو بكر يفتش الولاة والعمالَ أيضا ويقولُ ما أغبط أحدا بالأمارة ومن رآه منهم اضعف عن تحمل اعباء الولاية عزله . وممن عزلهم خالد بن سعيد وقالٌ : لعلٌ ذلك يكونُ خيرا له فى دينه ، ولا ينقص ذلك من قدره فاوصى به الوالى الجديد شرجيل بن حسنة وقال له : تذكر مكانته من الاسلام وان رسول الله تعالى توفى وهو عنه والٍ .

حروب الردة : وكفى أبا بكر من الفخر والعلا فى شئون الادارة وسياسة الحكم والدولة أنه أصر على محاربة المرتدين رغم أن بعض الصحابة قالوا له : « ان رسول الله كان يقاتل العرب بالوحى ويمده الله بالملائكة وقد انقطع ذلك فالزم بيتك ومسجدك فانه لاطاقة لك على قتال العرب ولكنه نظر فوجد أن الذى يساوم فيه ركن من أركان الاسلام وهو الزكاة وانه أن يتهاون فيه يتهاوى الاسلام ركنا بعد ركن وبحزم وشجاعة منقطعة النظير . قال لعمر بن الخطاب حيث كان على رأس طالبى التمهل « **أجبار فى الجاهلية ياعمر وخوار فى الاسلام والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ولو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه** » قيل فرد عليه عمر فى حدة قائلا ، فكيف تقاتل الناس وقد قال رسول لله صلى الله عليه وسلم «أمرت أن أقاتلَ الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قالها عصم منى ماله ودمه الا بحقها وحسابهم على الله» فرد أبو بكر بما معناه أن حديث الرسول لايجعل العصمة لدم المشرك وماله الا بعد أداء حقها والزكاة حق المال الذى فرضه الله فمن لم يؤدها ارتفعت عنه العصمة وسقطت عنه الحصانة رغم نطقه بالشهادتين وحلت محاربته

وجاء فى الاثر عن خطبة لعمر بن الخطاب ابان خلافته بما يفصل هذا الخبر حيث قالَ « أيها الناس ساخبركم عنى وعن أبى بكر فانه لما توفى رسول الله ارتدت العرب ومنعت الزكاة ، شاتها وبعيرها فأجمع رأينا كلنا أصحاب محمد أن قلنا له ياخليفة رسول الله » ان رسولُ الله كان يقاتل العرب بالوحى » والملائكة يمده الله بهم وقد انقطع ذلك اليوم فالزم بيتك ومسجدك فانه لاطاقة لك بقتالٌ العرب ، وقال أبو بكر : أوكلكم على رأيه ؟ فقلنا : نعم فقال والله لأن أخر من السماء فتخطفنى الطير أحب الى من أن يكون رأيى هذا

ثم صعد المنبر فحمد الله وكبر وصلىٰ على نبيه ، ثم أقبل على الناس وقال : أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فان الله حى لايموت أيها الناس ، ان كثر أعداؤكم وقل عددكم ركب الشيطان منكم هذا المركب ، والله ليظهرن الله هذا الدين ولو كره المشركون ، قوله الحق ووعده الصدق « **بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق** » .

« **وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين** »

والله ايها الناس لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه رسول الله لجاهدتهم عليه ، واستعنت عليهم بالله وهو خير معين .

ومن وصايا أبى بكر فى شئون الحرب ليزيد بن أبى سفيان لما أوسله الى الشام ، « اذا دخلت بلاد العدو فكن بعيدا من الحملة فانى لا آمن عليك الجولة ، واستظهر بالزاد وسر بالادلاء ولا تقاتل مجروحا فان بعضه ليس منه . واحترس من البيان فان فى العرب ، غرة وأقلل من الكلام فان لك ماوعى عنك ، واذا أتاك كتابى فانفذه ، فانما أعمل على حسب انفاذه ، واذا قدمت عليك وفود العجم فانزلهم معظم عسكرك واسبغ عليهم النفقة ، وامنع الناس عن محادثتهم ليخرجوا جاهلين كما دخلوا جاهلين ، ولا تلحن فى عقوبة فان أدناها وجع ، ولا تسرعن اليها وأنت تكتفى بغيرها واقبل من الناس علانيتهم وكلهم الى الله فى سرائرهم ، ولا تجسس عسكرك فتفضحه ولا تهمله فتفسده »

ولم يحدث أبو بكر فى أيامه أحداثا جديدة والفتوح لم تقف مع حروب الردة ووجه وجهته نحو الشام وكان آخر جيش جهزه جيش اليرموك جهزه بكل حكمة وبذل فى تنظيمه أقصى الجهد ، وجعل فيه قاضيا ، وجعل أباسفيان ابن حرب قاصا يسير فى الجماعة ويقول :

الله الله ، عباد الله ، انصروا الله ينصركم، اللهم هذا يوم من أيامك ، اللهم هذا يوم من أيامك اللهم انزل نصرك على عبادك يانصرالله اقترب ، يانصر الله اقترب .

ومات ابو بكر ولم يوجد عنده من مال الدولة الا دينار واحد سقط من غرارة وهو الذى اوصى حينما دنا اجله بأن تباع أرض كان يملكها ويدفع ثمنها بدلا مما أخذه من مال المسلمين .

أخلاقيات ثورتنا

لخيرنا نحن العرب وللسلام العالمى

الأستاذ محمد أحمد رجب

قلب صفحات التاريخ . جيلا بعد جيل . وقف عند كل ثورة من ثورات التحرير الكبرى . يستوى فى ذلك أن تكون ثورة شعب « يسترد بها حقه فى حكم نفسه بنفسه من يد طاغية فرض عليه أو من جيش معتد أقام فى أرضه » أو كانت « ثورة اجتماعية تتصارع فيها طبقاته ثم يستقر الأمر فيها على ما يحقق العدالة الاجتماعية لابناء الوطن الواحد » . فانك بلاجهد ستجد أن كل شعب قام بثورة من تلك الثورات . نجحت أم انتكست . قام من اجل نفسه وفى الاطار الجغرافى لوطنه . لم يفكر الثوار فى ثوراتهم الا فى شعوبهم ولم تفكر تلك الشعوب الا فى نفسها وفى وطنها . لم تشذ ثورة من تلك الثورات عن هذا السلوك .

فالثورة الانجليزية التى قامت بزعامة « أوليفر كرومول » فى سنة ١٦٤٢ ضد طغيان شارل الأول بعد رفضه عريضة البرلمان المسماة « التماس الحقوق » التى تضمنت مطالبته بالكف عن فرض الضرائب بغير موافقة البرلمان . وعن سجن الناس بغير مبرر من القانون . لم تفكر بعد نجاحها فى حاجة غيرها من الشعوب الى تلك الحقوق بل حاربتها بضراوة واستعمرتها وامتصت ثرواتها ممزوجة بدم وعرق أفرادها الكادحين والثورة الامريكية التى قامت برعاية « جورج واشنجطن » فى وجه الاستعمار البريطانى كان اللواء الذى سار الشعب من خلفه لملاقاة المستعمرين هو « اعلان الاستقلال » الذى قرر المساواة بين الناس . وبالرغم من نجاح

تلك الثورة بوضع الحرب أوزارها فى سنة ١٨٧٢ فلا زال الشعب الامريكى يعانى من التفرقة العنصرية فى بلاده . ويمارس فى خارجها أنواع الضغط السياسى على صور شتى . فى شكل تكتلات عسكرية . استعمار سياسى كما هو حاصل اليوم فى الدومنيكان . أو استعمار اقتصادى كما هو الحال فى أمريكا اللاتينية وجهات أخرى متفرقة من العالم .

والثورة الفرنسية التى انطلقت شرارتها فى ١٤ يوليه سنة ١٧٨٩ تحت شعار « الحرية والاخاء والمساواة » والتى انتهت فى سنة ١٧٩٣ بقطع راس ملكها لويس السادس عشر الذى كان الشعب يعتبره سبب نكبته . تحولت الثورة الى حرب اهلية . لم تحترم فيها حرية . ولم يبق معها اخاء . وتنافرت معها فكرة المساواة وظهرت خارج حدودها دولة غازية متعطشة الى دماء الشعوب المسالمة سواء بالنسبة الى جيرانها فى أوربا أو بالنسبة للشعوب الوديعة الطيبة فى أفريقيا وآسيا والكلام يطول لو استعرضنا مدى محافظة الثورات الأخرى على المثل الأخلاقية . بيد أنى أقول بأن كل تلك الثورات سواء منها ما حافظ على مبادئه داخل بلاده أو من خرج عليها فى داخلها . لم تفكر فى تلك المبادىء عند معاملتها للشعوب الأخرى . وهذا بلا مراء سلوك غير سوى . اذ المثالية لا تفرق بين فرد وفرد أو بين شعب وشعب . لان المبادىء بمعناها الخلقى كالديانات كلها خير وكلها تدعو الى الخير ..

وحسبنا فى هذا الصدد مثالية مبادئنا . التى بعدت عن الانانية فكان هذا من أسباب امتدادها الى البلاد العربية . وحذو دول كثيرة حذوها فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ...

وقبل أن أسرد بعض نوازعنا النبيلة الأصيلة بالنسبة للبلاد العربية . والاتجاهات الأخلاقية التى اتجهناها بالنسبة لباقى الشعوب التى عانت من الاستعمار فى صوره المختلفة . أوثر أن أحقق أصل هذا الاتجاه الانسانى الذى انفردت به ثورتنا عن كافة ثورات التحرر آنفة البيان . ومبررات ما نلاقيه من تضحية وبذل جهد ومال فى هذا السبيل .

بديهى أننا جزء من الوطن العربى والوطن العربى قلوبنا وشعوبنا متلاقية دائما مهما حاول الاستعمار ان يفرق بينهما او اخذ بعض الحكام جانبا سيئا أو سلبيا بالنسبة للتضامن العربى . ولقد كان اول من فكر فى ضرورة التكتل العربى ضد الاستعمار واعوانه من الحكام المارقين هو جمال عبد الناصر . فكر فى الوطن العربى ككل لا يتجزأ ولا يجوز أن يتجزأ لأن طبيعته لا تقبل التجزئة . وكان هذا التفكير من هذا الزعيم الواعى المنتبه باكورة تفتح أذهان غيره من الضباط الأحرار الى ضرورة تضافر الشعوب العربية جميعا فى معركة مصيرها .

وذلك على ماقاله فى كتابه «فلسفة الثورة» الجزء الثالث . « وأذكر يوما ، عقب صدور قرار تقسيم فلسطين فى شهر سبتمبر سنة ١٩٤٧ ، عقد فيه الضباط الأحرار اجتماعا واستقر رأيهم على مساعدة المقاومة فى فلسطين . وذهبت فى اليوم التالى أطرق باب الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين . وكان ما يزال يعيش فى الزيتون واقول له :

- انكم فى حاجة الى ضباط يقودون المعارك ويدربون المتطوعين : وفى الجيش المصرى عدد كبير من الضباط يريد أن يتطوع . وهم تحت امرك فى أى وقت تشاء !.

وقال لى الحاج أمين الحسينى انه سعيد بهذه الروح ولكنه يرى أن يستاذن الحكومة المصرية قبل أن يقول شيئا .

ثم قال لى الحاج امين :

سوف اعطيك ردى بعد استئذان الحكومة

وعدت اليه بعد ايام . وكان رده . الرد الذى حصل عليه من الحكومة . هو الرفض. ولم نسكت .

ورسخت فى قلوب الضباط الاحرار عقيدة القومية العربية فلم يتخلفوا فاتصلوا ببعض

ضباط فوزى القاوقجى . وكان القاوقجى يقود قوات التحرير العربية ويستعد لمعركة حاسمة فاصلة فى المنطقة الشمالية من فلسطين واتفقوا على اشارة سريعة تأتى من سوريا فيقوم الطيران المصرى ليشترك فى معركة حاسمة على الأرض المقدسة . ثم يتجه الطيارون بعد ذلك الى مطار قرب دمشق ينزلون فيه ويترقبون الاحوال فى مصر . ولم تتم الخطة يومها لان الاشارة لم ترد !.

ويستطرد الرئيس جمال عبد الناصر فى تأصيل تلك النوازع العربية القومية فيقول « ولست أريد أن أدخل فى تفاصيل حرب فلسطين - الآن - فذلك بحث تتشعب فيه الأحاديث . وانما يعنينى من حرب فلسطين درس عجيب .

لقد دخلتها شعوب العرب جميعا بدرجة واحدة من الحماسة . واذن فهذه الشعوب جميعا تتشارك فى شعورها وفى تقديرها لحدود سلامتها . ثم خرجت منها هذه الشعوب بنفس المرارة والخيبة . واذن فهى جميعا كل منها فى بلاده . قد تعرضت لنفس العوامل وحكمتها نفس القوى التى ساقتها الى الهزيمة ونكست رأسها بالذل والعار » .

الى أن يقول :

« ولما انتهى الحصار - حصار الفالوجا - وانتهت المعارك فى فلسطين وعدت الى الوطن كانت المنطقة فى تصورى قد أصبحت كلا واحدا .

وأيدت الحوادث التى جرت بعد ذلك هذا الاعتقاد فى نفسى . كنت أتابع تطورات الموقف فيها فأجده أصداء يتجاوب بعضها مع بعض .

كان الحادث يقع فى القاهرة فيقع مثيل له فى دمشق غدا . وفى بيروت وفى عمان وفى بغداد وغيرها .. وكان ذلك كله طبيعيا مع الصورة التى رسمتها التجارب فى نفسى . منطقة واحدة . ونفس الظروف . ونفس العوامل ... بل ونفس القوى المتألبة عليها جميعا » .

وجاء الميثاق الوثيقة الخالدة التى قدمها الزعيم الى الشعب وخصص «الباب التاسع» منه « للوحدة العربية » متضمنا

« ان مسئولية الجمهورية العربية المتحدة فى صنع التقدم . وفى دعمه وحمايته تمتد لتشمل الأمة العربية كلها » .

« ان الأمة العربية لم تعد فى حاجة الى أن تثبت حقيقة الوحدة بين شعوبها .

«لقد جاوزت الوحدة هذه المرحلة وأصبحت حقيقة الوجود العربى ذاته .

« يكفى أن الأمة العربية تملك وحدة اللغة التى تصنع وحدة الفكر والعقل .

« ويكفى أن الأمة العربية تملك وحدة التاريخ التى تصنع وحدة الضمير .

« ويكفى أن الأمة العربية تملك وحدة الأمل الذى تصنع وحدة المستقبل والمصير » .

فلم يكن غريبا على تلك الروح العربية الأصيلة فى ثورتنا ولا النوازع النبيلة فى مثاليتها أن تبادر معها الحكومة المصرية وقد قدرت أن السودان يبغى تقرير مصيره . ان تحترم تلك الارادة وترسل بتاريخ ٢ نوفمبر سنة ١٩٥٢ وبعد ثلاثة أشهر من قيامها الى بريطانيا - شريكتها فى حكمه - وجيوشها لا زالت رابضة على ارضنا فى منطقة القنال . بمذكرة متكاملة لتعزيز مصير السودان وصمدت فى وجه مراوغة الانجليز حتى ترك للسودان أن يقرر مصيره فاستقل وقامت ثوراته بمبررات احتياجات شعبه وغاياته .

ناصرت مصر سوريا حينما تحرشت تركيا كادت تندلع ثورته فى ديسمبر سنة ١٩٥٤ حتى بادرت القاهرة الى مده بالسلاح وبكافة الوان المعونة التى احتاج اليها وطلبها حتى نال استقلاله .

مصرت مصر سوريا حينما تحرشت تركيا بها بتحريض من دول الاستعمار ولبت نداءها واعملت ميثاق سنة ١٩٥٥ ونزلت قواتنا فى سنة ١٩٥٧ أرض سوريا فاطمأن السوريون . ووقفت تركيا عند حدها .

كذلك باركنا ثورة العراق (١٤ تموز ١٩٥٨) وأيدناها . ثم انقلاب ١٢ فبراير سنة ١٩٦٣ حيث أزال الشعب العراقى عبد الكريم قاسم واعوانه من الوجود وأطاح بحكمه الأسود البغيض .

وفى سنة ١٩٦٢ لبينا استغاثة المشير عبد الله السلال قائد ثورة اليمن . ولم نكف عن مناصرة المحميات فى الجنوب العربى ولا المطالبة باستقلالها . هذا مع الاصرار الجازم والدعوة المتتالية لتكاتف قوى السلام . فى كافة المحافل والمؤتمرات الدولية . ودعونا فى المناسبات المختلفة لعودة عرب فلسطين الى وطنهم ولازالة عصابة الصهاينة من الوطن العربى السليب .

هذا وفى المجال الدولى لم نتعزل عن العالم وتقدمنا الصفوف . وبرزت لنا شخصية دولية اتسمت بعدم الانحياز والحياد الايجابى وتبعتنا فى هذا السبيل دولا كثيرة فأصبحنا قوة لا يستهان بها فى قضايا الحق والسلام اذ أنه وكما يقول السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى كتابه « فلسفة الثورة »:

« لم يعد مفر أمام كل بلد من ان يدير البصر حوله خارج حدود بلاده ليعلم من أين تجيئه التيارات التى تؤثر فيه . وكيف يمكن أن يعيش مع غيره وكيف .. وكيف .. ولم يعد مفر أمام كل دولة من ان تجيل البصر حولها تبحث عن وضعها وظروفها فى المكان وترى ما تستطيع أن تفعل فيه وما هو مجالها الحيوى وميدان نشاطها ودورها الايجابى فى هذا العالم المضطرب » .

وفى « الباب العاشر » من الميثاق توكيد لهذا الاتجاه النبيل حيث يعلن ان شعبنا يعيش ويناضل من اجل المبادىء الانسانية السامية التى كتبتها الشعوب بدمائها فى ميثاق الامم المتحدة » .

ومن اجل ذلك كانت الجمهورية العربية المتحدة دائما خصما للاستعمار وحربا عليه فى كافة صوره ومختلف اقنعته . حاربته فى شكل مناطق النفوذ وفى صور الضغط السياسى المختلفة . ولعنته فى التفرقة العنصرية التى تشكل أحقر انواع الاستعمار وأقذر امتهان للانسانية ، وأسوأ جمود للاديان المنزلة .

ساعدت الثوار فى انجولا ولعنت التفرقة العنصرية فى جنوب أفريقيا وقطعت علاقاتها بالدول الباغية ـ البرتغال وجنوب افريقيا ـ وساعدت الثوار فى الكونغو . وبرغم تهديد الولايات المتحدة بقطع المساعدات التى كنا ندفع ثمنها بالجنيه المصرى لم نحد عن معاونة هؤلاء الثوار ، ولما نفذت الولايات المتحدة وعيدها وقطعت مساعداتها لنا أزددنا صلابة واصرارا على مساعدة ثوار الكونغو . لأننا لا نقبل أى ضغط مهما كان الثمن خاصة وان مساعدة ثوار الكونغو استرسال لمبادئنا فى طلب الحرية للانسان وتحطيم قيود الشعوب لتنطلق فى مسيرة السلام ..

كذلك باركت الجمهورية العربية المتحدة آمال الدول الافريقيسة التى تحققت حين استقلت والدول الأخرى التى لا زالت تتوق الى الاستقلال ومدت يدها وفتحت قلبها لثورة كوبا التى تخلصت من قبضة الاستغلال الامريكى . أو بمعنى أدق الاستعمار الاقتصادى ..

وبالنسبة للسلام وفى مجال تطبيق مبادئنا لم ينس العالم ذلك الموقف الكريم الذى وقفه الرئيس جمال عبد الناصر عندما تدهورت العلاقات بين الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة بسبب طائرات التجسس الامريكية « ى ٢٠ » التى اسقطها الاتحاد السوفييتى فقد دعا كل من الرئيس خروشوف والرئيس ايزنهاور الى التفاوض تحت علم الأمم المتحدة من اجل نزع السلاح واجتمعا فعلا وانتهت الأزمة .

هذا وفى أزمة برلين سنة ١٩٦١ رأت الجمهورية العربية المتحدة شبح الحرب يطل على العالم فأعلنت فى اول سبتمبر سنة ١٩٦١ فى مؤتمر دول عدم الانحياز المنعقدة فى بلجراد ضرورة التكاتف والدعوة الى السلام والعمل على التدخل بين الكتلتين المتصارعتين درءا لخطر الحرب ووافقت الدول المجتمعة على أن يحمل نهرو ونكروما دعوة التقارب والسلام الى

خروشوف وأن يحمل الى الرئيس الامريكى دعوة مماثلة سوكارنو وموديبوكيتا واستجاب الرئيسان لتلك الدعوة وخفت حدة التوتر وزال خطر عن العالم كاد يودى به .

وفى ازمة كوبا لعبت الجمهورية العربية المتحدة دورا رشيدا كان له أكبر الأثر فى انهائها بما يرضى السلام . ذلك أن الولايات المتحدة احست أن روسيا تناصر كوبا وأنها بدأت تمد لها يدها بأنواع المساعدات العسكرية بما فى ذلك الصواريخ الموجهة . ففرضت فى ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٦٢ حصارا بحريا على كوبا . الأمر الذى دعا الاتحاد السوفييتى الى توجيه انذار الى الولايات المتحدة بما فى تصرفها من خطر قد يؤدى الى قيام حرب عالمية. وتنبهت الجمهورية العربية فى ٢٥ اكتوبر سنة ١٩٦٢ مشروع قرار مقدم الى الامم المتحدة محصله « أن يقوم السكرتير العام للمنظمة بمباحثات عاجلة مع اطراف النزاع لازالة التوتر والعمل على اعادة الموقف فى منطقة البحر الكاريبى الى طبيعته » . ورحبت دوائر الأمم المتحدة بهذا الاقتراح واقر المشروع العربى وتمت الاتصالات بين « أوثانت » وخروشوف وكنيدى وانتهت الأزمة وعاد السلام .

كذلك كان موقف الجمهورية العربية المتحدة من النزاع الذى قام بين الصين الشعبية والهند على الحدود فى سنة ١٩٦٣ فان تدخلها أثمر فى مؤتمر كولومبو أحسن الثمرات .

كل ذلك بلا جدال أثر من آثار سمو الغايات التى قامت من أجلها ثورتنا . التى عبر السيد الرئيس جمال عبد الناصر عن مثالبها فى خطابه فى عيد الثورة الثالث عشر -٢٣ يوليو ١٩٦٥- بقوله : « ان هذا أيها الاخوة المواطنون كان لأول مرة فى التاريخ عمل ثورى اجتماعى . عمل ثورى سياسى . واجتماعى حينما تكلمنا عن العدل سرنا فى طريق العدل . وقلنا ان طريق العدل هو شريعة الله . وحينما تكلمنا عن الكفاية لم نتجه الى الاساس المادى . وننسى الأساس الروحى والدينى والفكرى . ولكننا احترمنا انسانية الانسان وحق الانسان فى الحياة كانسان لم ننظر للانسان بأى حال من الأحوال كآلة هى فى المجتمع تجرد من الفكر . وتجرد من الحق فى القيم الروحية »

القومية العربية في شعر شوقي

الدكتور أحمد الحوفي

لم يكن عن مصادفة هذا الفخار الكثير فى الشعر الحديث بتاريخ العرب المجيد وحضارتهم العريقة ، وتراثهم المشرق ، وعظمائهم وأبطالهم •

ولم تكن الاشادة بهذا مظهرا من مظاهر الاقتدار على المعارضات الشعرية ، أو تدريب القرائح على التجويد ، بل كان عملا مقصودا صادرا عن عواطف قوية صادقة نبيلة •

ذلك أن العرب أفاقوا فى أواخر القرن التاسع عشر ، فاذا أعداؤهم ينتقصون أقدارهم ، ويستولون على بلادهم ، ويحاولون أن يطمسوا معالم مجدهم ، ويرخوا أستارا كثيفة صفيقة بينهم وبين ماضيهم العريق الحافل بالعظمة والعظماء ، على حين أن هؤلاء الأعداء يحرصون أشد الحرص على التنويه بتاريخهم هم وبعظمتهم وعظمائهم ، ليضعفوا ثقة العرب بأنفسهم •

أفاق العرب على هذه الخدع التى حاكها الاستعمار ، فهبوا سراعا الى ابطالها واحباطها ، فأحيوا تاريخهم المجيد ، وأشادوا بحضارتهم الزهراء ، ونوهوا بأسلافهم الذين سعوا فى كل ناحية من نواحى الحياة ، ليصدوا الدعاوى الأجنبية عن العقول والقلوب ، وليضاعفوا ايمان العرب بأنفسهم ، وأنهم أهل لأن يسودوا كما ساد آباؤهم ، وأهل لأن ينبغوا كما نبغ أسلافهم ، وليبينوا أن الضعف الذى يعانون جرائره ليس طبيعة فيهم ، بل هو طارىء موقوت ، مناهم به الانقسام والاستعمار والتحلل من المثل العليا التى سنها لهم دينهم ، وأرسى قواعدها أجدادهم ، وهم لايلبثون أن

ينهضوا الى ذروة العلا والقوة والمجد اذا ما عرفوا قدر أنفسهم ، واهتدوا بالقيم النفسية السامية التى خلفها لهم سابقوهم .

وقد سلك المستنيرون والقادة الى احياء المجد القديم مسالك متنوعة ، كان الشعر من أبرزها .

فاذا مارجعنا الى شوقى استرعى نظرنا أنه كثيرا ما لهج بماضى العرب المجيد ، وأشاد بحضارتهم وتراثهم وأبطالهم وعظمائهم ، يقصد بعث العزائم على رفض الذل ، والأنفة من الاستعمار ، والاقتداء بالأجداد الذين كانوا سادة العالم وزينة الأرض ، والمثل العالية فى القوة والبطولة والعلم والحضارة ومكارم الأخلاق ، فانه لا يحفز الأمم على النهوض مثل الجهاد الدائب لاستعادة مجدها الذاهب .

فهو يصف العرب بأنهم أمة البيان والعلوم سادوا العالم ، وكانوا أساتذته احقابا طوالا ، وكان الحق والعدل والحرية والخير والعلم ترافق فتواهم حيثما حلوا ، فهم الذين حملوا معهم تعاليم الاسلام الى كل اقليم نزلوا به ، فطبوا البشرية من أمراضها ، وسنوا لها أسمى النظم فى العقيدة والتشريع والتفكير والاجتماع والحكم وسائر ما يتصل برقى الأفراد والجماعات . وليس للبشرية دواء ناجع يقيها ويعالج أدواءها غير الاسلام ، بما قضى من عقائد وتشريع ونظم يقتبس منها اتباعه وغير اتباعه ، وهى نظم يجد فيها المصلحون بغيتهم ويجد فيها العلماء والباحثون طلبتهم .

ثم استنكر شوقى من الأعاجم أبناء الخصب والظل والنعيم والترف أن يعجبوا من أن تخرج الصحراء عباقرة فى السياسة والعلوم ، وأن ينطلق من الخيام أفذاذ فى الحروب وقيادة الجيوش استطاعوا فى زمن قصير أن يدكوا عرش كسرى وقيصر ، وأن يقيموا حكما أساسه العدل والحرية والرخاء والخير للمحكومين :

أمة ينتهى البيان اليها
وتئول العلوم والعلماء
جازت النجم واطمأنت بأفق
مطمئن به السنا والسناء
كلما حثت الركاب لأرض
جاور الرشد أهلها والذكاء
وعلا الحق بينهم وسما الفضـ
ـل ونالت حقوقها الضعفاء
تحمل النجم والوسيلة والميزا
ن من دينها الى من تشاء
وتنيل الوجود منه نظاما
هو طب الوجود وهو الدواء
يرجع الناس والعصور الى ما
سن والجاحدون والأعداء
فيه ماتشتهى العزائم ان هم
ذووها ويشتهى الأذكياء
أيرى العجم من بنى الظل والما
ء عجيبا أن تنجب البيداء
وتثير الخيام أساد هيجاء
تراها آسادها الهيجاء

ثم وقف على آثار العرب بالأندلس ، فغالبه البكاء اذ استرجع تاريخهم الوضاء هنالك فترقرق الدمع فى عينيه ، ولكن ثناه عن البكاء وعن انحدار الدمع اجلاله لاجداده الاباة الذين لم يخضعوا الا لله ولم يبكوا الا على صلاتهم وضراعتهم لله ، وهو بهذا التصوير يضعهم فى ذرا العزة والكرامة والاباء فى علاقتهم بالأقوياء من الناس ، ويصفهم بالتدين وحب الله والخشية من عقابه والانقياد له ، ثم يعقب على هذا بأنهم سادوا العالم ، معتمدين على دينهم ، وعلى اخلاقهم التى اشتهروا بعلائها قبل سلامهم :

رسم وقفنا على رسم الوفاء له
نجيش بالدمع والاجلال يثنينا
لفتية لاتنال الأرض أدمعهم
ولا مفارقهم الا مصلينا
لو لم يسودوا بدين فيه منبهة
للناس كانت لهم أخلاقهم دينا

وكذلك ناجى بنى امية فى دمشق ، فمجدهم ، وباهى بفتوحهم وقوتهم فى الشرق وفى الأندلس :

قم ناد جلق وانشد رسم من بانوا
مشت على الرسم أحداث وأزمان

هذا الأديم كتـــاب لاكفاء له
رث الصحائف بلى منه عنوان
الدين والوحى والاخلاق طـائفة
منه ، وسـائره دنيا وبهتـان
بنـو اميـة للانبـاء مافتحوا
وللأحاديث ماسـادوا وما دانو
كانوا ملـوكا سرير الشرق تحتهم
فهل سألت سرير الغرب ماكانوا ؟

ثم كرر الفخار فى قصيدة أخرى ، وصف فيها دمشق بانها ظئر للاسلام ربت كثيرا من رجالاته ، وحسبها من العظمه انها مثوى رفات صلاح الدين ، وانها كانت عاصمة الأمويين الذين مهدوا للدولة العباسية فى الشرق ، وأسسوا الدولة الأموية فى الغـرب ، فكانوا أساسا لحضـارة هؤلاء وهؤلاء ، واذا كانت حضارة العباسيين والأندلسيين ، ذات آثار عظيمة فى حضارة الأمم الغربية ، فان للامويين اذا فضلا على هذه الحضارات لاينكر :

أليست دمشـق للاسلام ظئرا
ومرضـعة الأبوة لاتعـق ؟
صـلاح الدين تاجك لم يجمل
ولم يوسم بأجمـل منه فرق
وكل حضـارة فى الأرض طالت
لهـا من سرحك العلوى عرق
سماؤك من حلى الماضى كتـاب
وأرضك من حلى التـاريخ رق
بنيت الدولة الكبرى وملكـا
غبـار حضـارتيه لاشق
له بالشـام أعلام وعرش
بشـائره بأندلس تدق

وقال فى قصيدة أخرى :

لولا دمشـق لما كانت طليطلة
ولا زهت ببنى العباس بغـداد

على أن له ديوانا مستقلا فى (دول العرب وعظماء الاسلام) ، وأربع مدائح نبوية أشاد فيها بعظمة رسـول الله صلى عليه وسلم وبالشريعة الاسلامية ورجالات العرب .

وله قصيدة فى تمجيد العرب بالأندلس وبكاء حضارتهم ، مطلعها :

اختلاف النهار والليـل ينسى
أذكرا لى الصـبا وأيام أنسى

وله موشح فى صقر قريش عبد الرحمن الداخل ، مطلعه :

من لنضـــو يتنزى ألما
برح الشـوق به فى الغلس
حن للبـان وناجى العلمـا
اين شرق الأرض من أندلس ؟

كما نجد فى ديوانه أبياتا كثيرة تنـوه بعظمة العرب مثل الأبيات التى فى قصيدته (كبار الحوادث فى وادى النيل) ، والأبيات التى فى قصيدته (أيها النيل) . فهو فى اشادته بالعرب الذين فتحوا مصر يصـفهم بالشـجاعة المقترنة بمكارم الأخلاق ، لأنهم يجاهدون ليحقوا الحق ويزهقوا الباطل ، فلا بغى ولا جبروت ولا استعمار ولا استئثار بخيرات البلاد ، وبأنهم كانوا المثل الأعلى وبأنهم فى التسامح والعدل والمساواة ، ولم يكونوا أصحاب أبهة واستعلاء ، ويرسم صورة رائعة لعمرو بن العاص والى مصر وهو جالس على حصير كما يجلس الناس ، وحوله أبهة روحانية من دينه وأخلاقه تفوق أبهة الملك المتوج ، وهو موئل الخائفين ، وملاذ المستضـعفين ، ثم يؤكد عدله بان النصارى واليهود أحبـوه ودعوا له فى كنائسهم وبيعهم ، لأنه أنقذهم من أهوال الرومان ومظالم البيزنطيين ، قال شوقى فى مناجاة النيل :

وودائع الفاروق عنـدك دينه
ولواؤه وبيـــانه والمنطق
بعث الصحابة يحملون من الهدى
والحق مايحيى العقول ويفتـق
احلاس خيل بيد أن حسـامهم
فى السلم من حذر الحوادث مقلق
تطوى البلاد لهم وينجد جيشهم
جيش من الأخـلاق غاز مورق
فى الحق سل وفيه أغمد سيفهم
سيف الكريم فى الجهالة يفـرق
والفتح بغي لايهـون وقعه
الا العفيف حسـامة المترفق
ما كانت الفسطاط الا حائطـا
يأوى الضعيف لركنه والمراهـق

وبه تلوذ الطير فى طلب الكرى
ويبيت قيصر وهو منه مؤرق
عمرو على شطب الحصير معصب
بقلادة الله العلى مطوق
يدعو له الحاخام فى صلواته
موسى ويسأل فيه عيسى البطرق

ويتحدث شوقى عن بطولة صلاح الدين وحمايته للمسلمين وتحريره الوطن العربى من الصليبيين اذ انتصر عليهم فى موقعة حطين سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م) . وعن انتصار توران شاه على لويس التاسع ملك فرنسا والقبض عليه وأسره فى موقعة المنصورة سنة ٦٤٨ هـ (١٢٥٠ م) ثم اطلاقه بفدية ، لا لأن مصر أغرتها الفدية أو كانت محتاجة اليها ، بل لأنها اطمأنت الى أنه صار بعد الهزيمة والأسر لايخشى له بأس ، ثم ختم شوقى أبياته بالعظمة البالغة من هذه الأحداث ، وهى أن العرب كانوا أصحاب هذه الأخلاق العظيمة التى أراد الاستعمار تشويهها ، وبأخلاقهم هذه سادوا وشادوا وخلدوا أنباء يتناقلها التاريخ فى زهو بهم وفخار .

يعرف الدين من صلاح ويدرى
من هو المسجدان والاسراء
انه حصنه الذى كان حصنا
وحماه الذى لا به الاحتماء
يوم سار الصليب والحاملوه
ومشى الغرب قومه والنساء
يغمرون الدمار للحق والنا
س ودين الذين بالحق جاءوا
ويهدون بالتلاوة والصلب
ـان ماشاد بالقنا البناء
فتلقتهم عزائم صدق
نص للدين بينهن خباء
مزقت جمعهم على كل ارض
مثلما مزق الظلام الضياء
وسبت امرد الملوك فردتـ
ـه وما فيه للرعايا رجاء
ولو أن المليك هيب اذاه
لم يخلصه من أذاها الفداء
هكذا المسلمون والعرب الخا
لون لا ما يقوله الاعداء
فبهم فى الزمان نلنا الليالى
وبهم فى الورى لنا أبناء

واذ خايل شوقى بمجد العرب ، وأشاد بأبطالهم ، ونوه بفضلهم على العالم كله ، لم يغب عنه ان يقيس الحاضر المتخلف الى هذا الماضى السباق ، فيشتد به الأسى . وتغالبه الحسرة ، لكن حسرته لم تكن استسلاما أو استكانة أو قناعة بحسب الآباء والاجداد بل هى وفاء للماضى واعزاز ، وتبصير بما بينه وبين الحاضر من بون شاسع ، ليحفز العزائم الى العمل الدائب . وتحطيم قيود الخور والهوان ، فقد بكى حضارة الأندلس فى سينيته ، وبكى عزة العرب فى مناجاته لدمشق فى نونيته وبكى مجد المسلمين فى كثير من قصائده الدينية وغيرها .

وحسبنا من بكائه قوله :

بنو امية للأنباء مافتحوا
وللاحاديث ما سادوا وما دانوا
ياويح قلبى مهما انتاب ارسمهم
سرى به الهم أو عادته اشجان
بالأمس قمت على «الزهراء» أندبهم
واليوم دمعى على «الفيحاء» هتان
مررت بالمسجد المحزون أسأله
هل فى المصلى أو المحراب مروان؟
تغير المسجد المحزون واختلفت
على المنابر أحرار وعبدان
فلا الأذان أذان فى منارته
اذا تعالى ولا الآذان آذان

هكذا كان شوقى يصدح بالعروبة ، ويحمى دمارها ، وهكذا كان شوقى يتغنى للقومية العربية ، ويعلى منارها ، فليته عاش حتى يراها اليوم وهى تشق طريقها لتحقق ما كان يرجوه لها .

ما لا يجوز الخلاف فيه بين المسلمين

فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

مراتب الوجود :

المرتبة الأولى (الوجود) الذى يعبر عنه العلماء بالذاتى ، وهو الثابت للشىء فى الخارج كوجود السماء ، والأرض ، والبحار ، والجبال وغير ذلك ، مما لايتوقف تحققه على ادراك مدرك ، وعقل عاقل .

والمرتبة الثانية مرتبة (الوجود الحسى) وهو وجود شىء يتمثل فى العين مما لم يسبق لها أن رأته أبدا ، كالصور الغريبة التى يراها النائم ، وكذا المريض ، بل قد يتصورها المتيقظ ، الذى سبح فى خياله ، اذا كان منصرفا تمام الانصراف عما يدور حوله ، كصورة فرس لها جناحان مثلا .

والمرتبة الثالثة مرتبة (الوجود الخيالى) وهو وجود صورة ماسبق أن رأته العين تتمثل فى الخيال بعد غيابه عنها ، كما تدرك صورة فيل ، أو فرس ، بعد ان يتوارى عن نظرك .

والمرتبة الرابعة مرتبة (الوجود العقلى) وهو وجود الشىء الذى له حقيقة ثابتة ، ولكن لاتدركه الحواس ، وانما يدركه العقل فقط ، كالقدرة ، والارادة ، والحياة مثلا فانها مدركة بالعقل ، ولا تدرك الحواس الا بعض آثارها .

والمرتبة الخامسة مرتبة (الوجود الشبهى) ، وهو يكون لشىء مذكور باللفظ ، وليس لهذا الشىء وجود ، لابذاته فى الخارج ، ولا بصورته فى الحس ، ولا بخياله ، ولا فى العقل ، وانما يكون الموجود شيئا آخر يشبهه فى صفة من صفاته ، وسيأتيك مثاله فى جانب الله سبحانه وتعالى .

اذا علمت هذا فاليك أمثلة هذه الدرجات من الوجود ، مما جاء فى كتاب الله ، أو سنة رسوله .

ومن غفل عن هذه الدرجات ، وقع فى تكفير من لايستحق التكفير .

اذا أخبر الشارع عن وجود شىء فقد يكون المراد وجوده بنوع من هذه الأنواع ، لاخصوص الوجود الذاتى هو أعلاها فى مدارك البشر .

فاذا قال صلى الله عليه وسلم كما فى الحديث الصحيح : « يؤتى بالموت يوم القيامة فى صورة كبش ، ويذبح بين الجنة والنار ، وينادى مناد : يأهل الجنة حياة بلا موت ، يأهل النار حياة بلا موت » فبعض العلماء قام عنده البرهان على أن الموت عرض، لاجسم ، والموت انما هو للأجسام ، لا للأعراض، وأن قلب العرض جسما مستحيل.

لذلك يؤول الحديث على أن المراد ان اهل القيامة يشاهدون صورة يعتقدون أنها الموت ، ويكون ذلك موجودا فى حسهم . لافى الخارج .

وهذه هى المرتبة الثانية من مراتب الوجود كما تقدم :

والغرض من ذلك أنه يحصل للخلق جميعا اليقين باليأس من الموت ، لأن المذبوح ميئوس منه ، فيفرح أهل الجنة ، ويحزن أهل النار ، وهذا هو المراد من الحديث .

وبعضهم لم يقم عنده برهان على استحالة قلب العرض جوهرا ، فصح له أن الموت نفسه ينقلب كبشا ويذبح .

فهذا الفريق الثانى مهما كان مدركه بعيدا، بل قد يكون مستحيلا (١) ، فانا لانستطيع أن نكفره ، لأنه ما قال ذلك الا لأنه آمن بالنص على ظاهره ، ولا ضرر فيه كما سيأتى .

واذا قال الله سبحانه : « يد الله فوق أيديهم » آية ١٠ من سورة الفتح فمن قام عنده البرهان على استحالة يد له تعالى ، وهى جارحة محسة فانه يؤول الكلام على أن المراد يد عقلية (لاحسية) .

وذلك بأن يقول : بما أن اليد هى التى بها الفعل ، والبطش ، والعطاء والمنع فالمراد أن قوة الله فوق قوتهم .

ومن لايقم عنده هذا البرهان ، يقول : ان لله يدا حقيقية ، ولكنها ليست كأيدينا ، بل هى صفة من صفاته ، كالسمع ، والبصر ، لا يعلم حقيقتها غيره تعالى .

واذا قال صلى الله عليه وسلم : « ان الله يفرح بعبده التائب كفرحة أحدكم بضالته اذا وجدها ، وقال تعالى : « أولئك عليهم غضب من الله »

فمن قام عنده الدليل على استحالة الفرح، والغضب عليه سبحانه وتعالى لأن الفرح هو انشراح النفس لحصول ما به لذتها ، والغضب حقيقته فورة غليان دم القلب الذى يحمل على الانتقام .

من قام عنده الدليل على استحالة ذلك قال : المراد بالفرح لازمه ، وهو الرضا ، وبالغضب لازمه أيضا ، وهو ارادة الانتقام ، أو الانتقام نفسه .

ومن لم يقم عنده هذا الدليل قال : لا مانع أن يكون لله صفة هى الفرح ، وأخرى هى الغضب ، ولا نعلم حقيقتهما .

اذا علمت هذا فاعلم أن كل من نزل قولا من أقوال صاحب الشرع ، على درجة من هذه التأويلات . فهو من المصدقين .

وانما التكذيب، هو أن ينفى وجود هذه الأشياء التى ورد بها الشارع بأى نوع من أنواع هذه الموجودات ، ويزعم أن ماقاله صاحب الشرع لا معنى له ، وانما هو كذب محض ، أراد به صرف الناس عن شيء يريده.

وحينئذ من أول لايكفر ، وكيف يكفر المؤول ، وما من فريق من أهل الاسلام الاوقد اضطر الى التأويل .

وهاهو ذا أبعد الناس عن التأويل الامام احمد بن حنبل قد أول فقد قال الثقات من أئمة الحنابلة : ان الامام احمد صرح بالتأويل فى مواضع قليلة جدا عدها بعضهم ثلاثة .

منها فى قوله صلى الله عليه وسلم : « الحجر الأسود يمين الله فى الأرض »

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » .

---

(١) كما سيأتى بعد تأويلات ابن حنبل .

أول الامام أحمد رحمه الله عندما قام عنده البرهان على استحالة المعنى الظاهر • فقال فى تأويل الحجر الأسود الخ : لما كانت اليد تقبل فى العادة تقربا الى صاحبها ، فالحجر الأسود يقبل تقربا الى الله امتثالا لأمره •

فهو مثل اليمين ، لا فى ذاتها ، ولا فى صفاتها ، ولكن فى أمر عارض من عوارضها ، وهو التقرب بتكريمها لصاحب الأمر بهذا التكريم •

وكذا لما قام عنده البرهان على استحالة وجود اصبعين لله تعالى يحيطان بالقلب لأن من يتحسس صدره لايشعر فيه باصبعين ، تأول ذلك على الأمر العقلى ، الذى يلزم الأصابع وهو قدرتها على تقليب الأشياء من حال الى حال •

فالمعنى المراد أن القلوب تحت تصرف الله سبحانه ، يفعل بها ما يشاء

ولم يتوسع ابن حنبل رحمه الله فى التأويل لأنه لم يظهر عنده استحالة الظاهر الا فى هذه المواضع التى أولها ، لأنه رحمه الله لم يكن ممن شغلوا أنفسهم بكثرة الامعان فى النظر العقلى ، ولو أمعن كغيره لظهر له كثير مما يصح تأويله •

ككون الله سبحانه فى السماء فى قوله : « أأمنتم من فى السماء أو يخسف بكم الأرض مع كونه سبحانه مع الاثنين والثلاثة الخ ما فى قوله « ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم » آية ٧ سورة المجادلة •

ولذلك ترى الأشعرى والمعتزلى لزيادة تعمقها فى النظر فى العقليات أولوا ظواهر كثيرة •

ومما أوله الأشعرى ماتقدم : من ان الموت يأتى يوم القيامة فى صورة كبش الخ • وان الأعمال توزن يوم القيامة ، وقال : بما أن الأعمال أعراض انتهت فى الدنيا ، فالذى يوزن هو صحائف الأعمال •

والمعتزلى تأول الميزان نفسه ، وجعله كناية عى شىء بسببه ينكشف لكل واحد مقدار عمله ، وهذا تأويل أقرب من تأويل الأشعرى •

ومن هذا تعلم أن كل فريق من المسلمين وان بالغ فى المحافظة على الظاهر ، ونفر من التأويل ، فهو مضطر الى التأويل ، الا أن يتجاوز الحد فى الغباوة فيقول : الحجر الأسود يمين الله حقيقة ، والموت وان كان عرضا فانه يصير جسما حقيقة •

ومن ينتهى الى هذا الحد من الجهل فقد انخلع من ربقة العقل •

ثم قال : وعلى هذا فلا ينبغى أن يكفر كل فريق خصمه اذا رآه مخطئا فى الدليل •

نعم يجوز أن يصفه بالخطأ ، أو الضلال عن الطريق الذى يراه هو صوابا ، ثم يجب أن يعلم أن هناك مقامين ، أحدهما مقام عوام الخلق ، والحق فى هذا المقام هو اتباع السلف ، والكف عن تغيير الظواهر رأسا ، والحذر من ابتداع تأويل لم يصرح به الصحابة ويجب أن يزجر من يريد الخوض فى الكلام أمام العوام فى مثل هذه المواضع ، كما روى عن الامام مالك رضى الله عنه لما سأله سائل عن معنى « الاستواء » فى قوله تعالى « الرحمن على العرش استوى » قال : الاستواء معلوم ، والايمان به واجب ، والكيف مجهول لنا ، والسؤال عن ذلك بدعة » •

والمقام الثانى مقام الباحثين الذين اضطربت عقائدهم المأثورة ، فهؤلاء ينبغى أن يكون بحثهم بقدر الضرورة ، ولا يتركون الظاهر الا لضرورة برهان قاطع ، يقوم عندهم •

ولا ينبغى أن يكفر بعضهم بعضا لمجرد أن يراه مخطئا فيما رآه برهانا عنده ، فان ذلك ليس بالأمر الهين الذى يسهل مدركه •

ثم ينبغى أن تعلم أن من الناس من يبادر الى تأويل ظواهر النص بمجرد ظنون ، فهذا أيضا لانسارع الى تكفيره فى كل مقام •

بل ينظر فيما قال فان كان تأويله فى أمر لايتعلق بأصول العقائد فلا نكفره ، وذلك

كمن يقول : ان فلق البحر لموسى كان بوساطة الجزر ، فان هذا التأويل مع كونه لايتفق مع قوله تعالى « فكان كل فرق كالطود العظيم » آية ٦٣ من سورة الشعراء ، فانه لايسوغ أن نكفر صاحبه ، بل نخطئه .

أما التأويل بمجرد غلبة الظن المتعلق بأصول العقائد المهمة فيجب أن يكفر من يغير ظاهر النص بدون برهان قاطع كمن ينكرحشر الأجسام يوم القيامة ، أو ينكر العقوبات الحسية ، فى الآخرة ، لمجرد ظنون ، وأوهام ، واستبعادات .

ثم قال : واعلم أن شرح ما يكفر ومالايكفر يستدعى تفصيلا طويلا ، فاقنع الآن بوصية ، وقانون .

أما الوصية فهى أن تكف لسانك عن أهل القبلة ، ماداموا قائلين لا اله الا الله محمد رسول الله ، غير مناقضين لها .

والمناقضة تحصل بتجويزهم الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أما القانون فهو أن تعلم ان النظريات قسمان ، قسم يتعلق بأصول العقائد كما سبق ، وقسم يتعلق بالفروع .

وأصول الايمان ثلاثة : هى الايمان بالله ، والايمان برسوله ، والايمان باليوم الآخر ، وما عدا ذلك فروع .

واعلم أنه لاتكفير فى الفروع الا فى مسألة واحدة ، وهى ان ينكر حكما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم بالتواتر القاطع ، وأجمعت عليه الأمة بسائر طوائفها .

كانكار وجوب الصلوات الخمس ، أو صوم رمضان .

وكذا لو قال قائل : ان البيت الذى بمكة ليس هو الكعبة التى أمر الله بالحج اليها ، فهذا كفر ، لأنه قد ثبت تواترا عند جميع الخلق الذين بلغتهم دعوة النبى صلى الله عليه وسلم خلاف ما يقول هذا المدعى .

الإنسانية الإسلامية

النبى محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل ، وشريعته أكمل الشرائع ، اصطفاه الله تعالى وبعثه بها على حين بلغت الانسانية نصيبا وافرا من السمو العقلى ، والرقى الفكرى ، فجاءت رسالته جامعة لكل ما ينفع الناس فى معاشهم ، ويضمن لهم السعادة فى معادهم .

والاسلام دين اجتماعى ، عنى بالجماعة ومقوماتها ، وحرص على تعاونها وتآزرها ، يقول الرسول صلوات الله عليه وسلامه : « ترى المؤمنين - فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم - كمثل الجسد ، اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى . » كما اهتم بالفرد وصلاحيته ، وأنار له الطريق المستقيم فى سلوكه وادبه. وما كان للاسلام - وتلك عنايته ببناء المجتمع المثالى - ان يهمل شأن طائفة من اهم طوائفه ، طائفة كادحة عاملة لا غنى لمجتمع عنها ، تلك هى طائفة الخدم ، بل التفت اليها ، وأولاها ما هى جديرة به من عطف ورعاية .

فالاسلام - كما نعهده - دين الاخاء والمساواة جميعا ، وقد طبق هذا القانون فى سماحة ورفق على الخدم فجعلهم اخوانا لنا اذ يحسون كما نحس ، ويتألمون كما نتألم ، ويفرحون كما نفرح ، لا فرق بيننا وبينهم الا فى شىء من المال والجاه ، ولا قيمة لهما فى نظر الاسلام الذى يقدر المرء بعمله الصالح وخلقه القويم ، قال الله تعالى : « ان اكرمكم عند الله أتقاكم » . فنظرة الاسلام الى الخدم نظرة انسانية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان .

والنبى صلى الله عليه وسلم ، وقد ادبه ربه فاحسن تاديبه ، وبعثه ليتمم مكارم الأخلاق ، كان المثل الأعلى ، والقدوة الكريمة فى معاملة الخدم والاحسان اليهم قدر فى المجتمع وضعهم ، ورفع الغبن والمهانة الواقعة عليهم ، وطبق عليهم نظرية الاسلام عملا واقعا ، فرفعهم الى صفوف الناس ، ورد اليهم ثقتهم فى انسانيتهم ، وحث

فى معاملة الخدم

للأستاذ
محمد عطية الابراشى

على الرفق بهم،وكرر الوصاة بحسن معاملتهم فى مناسبات شتى ، فهو الذى يقول عليه صلوات الله وسلامه . لايقل أحدكم عبدى وأمتى ، وليقل فتاى وفتاتى » . جبرا لخاطرهم ، وتقديرا لشعورهم . ويقول عليه السلام « اذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فان لم يجلسه معه فليناوله لقمة او لقمتين ، فانه ولى علاجه . » أى قام بتجهيز الطعام واعداده ، وتعلقت نفسه به .

ويقول صلى الله عليه وسلم فى حديثه الجامع لآداب معاملة الخدم : « ان اخوانكم خولكم (أى ان الخدم الذين يخدمونكم ليسوا عبيدا ولكنهم اخوان لكم .) فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما ياكل ، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فان كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم» أى ساعدوا فى انجازه ..

ومن مظاهر رفق الرسول بالخدم أنه اذا ركب اركب خادمه وراءه على ظهر دابته ، وما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خادما بيده .

على أن غاية البر بالخدم تبدو فيما يرويه البخارى عن أنس بن مالك خادم الرسول اذ يقول : قالت أمى يا رسول الله ، خادمك أنس ادع الله له .

فقال عليه السلام : « اللهم أكثر ماله وولده ، وبارك له فيما أعطيته » .

فما أجمل تواضع الرسول ، وما أسمى أدبه ، وما أجدره بقول الله تعالى فيه : « وانك لعلى خلق عظيم ».

هكذا كان النبى عليه السلام فى معاملة الخدم العطوف الرءوف ، وعلى هديه سار أصحابه وأتباعهم من بعده ، مقتفين أثره ، سالكين طريقه .

ونحن سلالة هؤلاء الهداة السابقين ، وحملة لواء هذا الدين ، فهل تحلينا بهذا الأدب النبوى ، وأنزلنا الخدم المنزلة التى وضعهم فيها الرسول الكريم ، وعاملناهم كما عاملهم أو قريبا مما كان يعاملهم ؟ يميل بى الظن أن الجواب فى الكثير الغالب : لا . فقد ضيعنا هذا الأصل من أصول ديننا ، وتنكرنا لهذه الطائفة المعاونة لنا ، وعاملناهم كأنهم من جنس غير جنسنا ، أو من طينة تخالف طينتنا ، ولا احب الخوض فى تفاصيل ما تلقى تلك الطائفة على أيدينا ، مما يبرأ منه الدين ، وتتقزز له النفس ، ويندى الجبين ، وسنحاسب عليه الحساب العسير من يدى أحكم الحاكمين .

ان الخادم فى البلاد الغربية تأكل فى الوقت الذى تأكل فيه الأسرة ، ومن الطعام الذى أعدته ، ونصيبها منه نصيب الابن او البنت ، ولها الفوطة والشوكة والسكين والملعقة كأى فرد فى المنزل ، ولها حجرة خاصة بها ، فيها صوان للملابس ، وثان للكتب ، وشىء كثير من وسائل التسلية ، فهى تقرأ ـ وقت فراغها ـ اذا شاءت،وتسمع المذياع اذا أرادت ، واذا طلب منها سيدها شيئا قال من فضلك ، فاذا ناولته اياه قال : أشكرك ، انها معاملة عنوانها سماحة وانسانية ، وأساسها رفق واخوة ، فانظروا الى حالهم وحالنا ، ومعاملتهم للخدم ومعاملتنا ، تجدوهم ينهجون نهج ديننا الذى ضيعناه ، ويسلكون طريق سلفنا الذى اخطأناه ، فأى خزى لنا بعد هذا وأى عار ؟

ولننقل الآن الى الناحية الثانية ، فنسأل طائفة الخدم: هل أدوا واجبهم كما ينبغى ؟ هل خدمونا فى أمانة واخلاص ؟ هل أحسنوا تدبير أموالنا ورياضة أطفالنا ؟ الجواب أيضا فى الكثير الغالب : لا .

فكم من اسرة تأرق ليلها لخروج الخادم وعدم عودتها ، وكم من أسرار أذاعها الخدم وأفشوها ، وكم من بيوت سرقت وكان الخدم هم الممهدين لهذه السرقة ، وكم من حلى وملابس جمعتها الخادم حتى اذا ماأظلم الليل ونامت الأسرة تسللت خارجة بها ، وكم من نقود هى كل ذخيرة الأسرة اختلستها الخادم ناسية سابق العطف والحنان ، وكم من طفل جنى عليه اهمال المرضعة ، بل كم من سيدة أو سيد تآمر الخدم على قتله وحرمانه الحياة .. الى غير ذلك مما تقص به محاضر الشرطة ، وما تطالعنا بأخباره الصحف كل صباح ومساء .

ماذا نقول ؟ أنقول تهربا من التبعة : ان الخدم أساءوا الينا فأسأنا اليهم ، وانهم نسوا واجباتنا فنسينا حقوقهم علينا ، واساءة باساءة ، وجحود بجحود .

لا ، ان الاسلام يأبى ذلك ولا يرضاه ، اذ هو الفوضى عينها . وقد جاء الاسلام لمحاربتها . ان الاسلام هو الدين الذى حدد المسئولية ، وحمل كل انسان ما يخصه منها ، وحاسبه عليه ، يقول النبى صلى الله عليه وسلم: « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالامام راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده وهو مسئول عن رعيته . »

فلنا مسئوليتنا ، وللخدم مسئوليتهم ، وعلى قدر المسئولية تكون المثوبة أو العقوبة ، ولا شك أن مسئوليتنا أعظم ، لأننا ـ بالنسبة للخدم ـ أولياء أمورهم ، ولنا القوامة عليهم ، فى كثير من شئون حياتهم .

ان مشكلة الخدم مشكلة عامة ، وكلنا يقاسى مرارتها ، وربات البيوت لا يشكين الا الخدم ومساويهن ، فلنأخذ للأمر عدته ، ولنحاول علاج هذا الداء واستئصاله من جذوره ، لعلنا نستريح ونريح . فعلينا أن نبادر أولا اصلاح أنفسنا ، واحياء مادرس من سنة نبينا ، فذلك خير لنا . أما اصلاح الخدم فاننا نضعه بين يدى وزارة العمل ، ترسم خططه ، وتتعهده وترعاه كما يروقها ، وما أمره عليها بعزيز متى خلصت النيات ، وقويت العزائم ، والله الموفق ، وهو المستعان .

الإسلام بين العقل والنقل

الأستاذ محمود أبو الفيض المنوفي

(هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والرسخون فى العلم) .

المعتزلة :

ليس هناك شك فى أن جماعة المعتزلة هم واضعوا علم الكلام الذى يبحث فى العقائد الاسلامية وقد تعهدوه منذ نشأته وصاحبوه الى أن بلغ الكمال تقريبا ، وتوسعوا فيه بحيث أصبح أشبه ما يكون بفلسفة متعددة الفصول والأبواب تحت اسم علم الكلام . فكانت لهم فيه نظريات عميقة وأفكار دقيقة ليست من محض ابتكارهم ، ولكنهم استقوا أغلبها من دراسات فلسفية ودينية عقائدية وأسطورية مختلفة المصادر (بحجة مناظرة الخصم بلغته ومنطقه). فكان نسخة مستعربة من علم المنطق الأرسطى.

ويرجع تاريخ المعتزلة الىأوائل القرنالثانىللهجرة ، فقد كان حسن البصرى يجلس الى جماعة من التلاميذ له يحدثهم أو يفسر لهم شيئا من الآيات القرآنية ، أو يشرح لهم بعض المسائل الدينية والفلسفية ، وكان من بين تلاميذه الأفذاذ واصل بن عطاء ، فتعرض الاستاذ يوما للخوارج والحكم على دينهم ليتبين ما اذا كانوا كفارا أو مؤمنين ، فعارضه تلميذه وقال فى منزلة بين المنزلتين ، وكان الأستاذ قد حكم باسلامهم فاعتزل واصل مجلس الحسن البصرى ، وهنا قال الحسن جملته المشهورة (لقد اعتزلنا واصل) ولما كون واصل حلقة أخرى غير حلقة الحسن سمى هو وتلاميذه بالمعتزلة وكان الحسن أميل الى التوفيق بين الفريقين وعدم تكفير أحد من طوائف المسلمين ، فقال : ان مرتكب الكبيرة مؤمن عاص، بينما يقول واصل والخوارج بكفره .

ومنذ ذلك الحين اخذ واصل يضع مبادىء الاعتزال ويحددها ويصوغ نظرياته فى قالب علمى فلسفى ولكنها لا تخرج عن أصول الاعتزال الخمسة ، التى سنكتفى بابرازها هنا باختصار ، فانها تدور حول البارى وصفاته وعلاقته بمخلوقاته ، وأفعال العباد وما أعد لهم من ثواب أو عقاب . وعليها مدار الأخذ والرد بينهم وبين مخاليفهم، وقد صرحوا بانه لا يستحق أحد اسمالاعتزال ! لا ان يقول بها (الأصول الخمسة)

١ ـ نظرية التوحيد :

ويعنون به توحيد الله توحيدا تجريديا للذات عن الصفات ـ وفيه تفصيل لها ـ فيقولون انه واحد بلاشك قديم لا محدث ، وهو منزه من جميع الجهات وعن سائر النعوت ولا كثرة فى ذاته البتة ، وهو خالق الجسم وليس هو بجسم ، ومحدث الأشياء وليس هو بشىء منها ومنزه عن سائر صفات الحوادث . والمسلمون موحدون على الاطلاق وفكرة الوحدة أوضح نقطة فى عقيدتهم ، وانما اختص المعتزلة بالقول بأن الذات مجردة عن النعوت والصفات ، وقد ردوا عن الاسلام غارة القائلين بالتعدد أو المماثلة من زنادقة وملحدين .

على أن فكرة التوحيد الفطرية السهلة البسيطة قد صارت عندهم نظرية فلسفية متعددة النواحى والدلالات ، فوحدة البارى تستلزم تجرده عن الجسمية والمكان وما ورد فى الكتاب والسنة من آثار تثبت أن له عرشا أو وجها أو يدا أو نحوها يجب أن نؤول تأويلا يلائم هذه الوحدة المجردة تجريدا مطلقا .

واذا انتفت عنه الجسمية والجهة فلا سبيل الى رؤيته (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الابصار) ووحدته جل شأنه تقتضى ألا تكون له صفة زائدة عن الذات ، وما جاءت به النصوص من صفاته الثبوتية مثل العلم والقدرة لا يفيد شيئا خارجا عن حقيقة الذات ، فالله عالم وقادر بذاته .

وهكذا وقد خالف السلفيون وأهل الأثر المعتزلة فى كل هذا ، فقبلوا النصوص الواردة بالجسمية والمكانية على ظاهرها بلا كيف ولاتشبيه ، وقالوا ان لله عرشا لاكالعروش ويدا لا كالأيدى ، ونادوا بامكان رؤية البارى فى الآخرة محاولين اثبات ذلك بمختلف الادلة ، وقالوا بان لله صفات متميزة عن الذات وان كانت قائمة بها ، كالعلم والحياة والسمع والبصر والارادة والكلام .

وكان لصفة الكلام بوجه خاص شأن عظيم فى هذه الخصومة ، فقد جرت الى مشكلة خلق القرآن التى اتخذ منها المأمون من بعده وسيلة لتعذيب العلماء والمتمسكين بقدم القرآن حتى يقولوا بخلقه . وعلى الجملة بينما المعتزلة يؤولون النصوص ويفسرونها تفسيرا يتلاءم مع فكرة تجريد التوحيد اذ بخصومهم من السلفيين وأهل السنة يقفون عند المدلول اللفظى والأحاديث فى المتشابه آخذين بظاهرها ويفسرونها على يقتضى ذلك رادين تأويلها الى الله ورسوله .

٢ - ونظرية العدل تكون مع التوحيد الاصليين الهامين الذين عرف بهما المعتزلة فسموا أنفسهم (باهل العدل والتوحيد) والعدل صفة من صفات البارى جل شأنه تنفى عنه الظلم والجور ، وتقتضى انه لا يفعل شيئا الا لغرض وحكمة فليس من العدل مطلقا أن يريد الشر أو يحدثه فى العالم ، بل كل أعماله ترمى الى ما فيه خير العباد وصلاحهم ، وما يبدو فى الكون من شرور هو خير فى الواقع وان عز علينا تفسيره أحيانا .

وبديهى ان الخير لا يريد الا الخير ، وما دام الاله خيرا مطلقا فلا يمكن أن يصدر عنه الشر بحال ، والأوامر والنواحى الدينية مطابقة للعقل تمام المطابقة لان العادل الكامل يستحسن ما استحسنه العقل ، ويستقبح ما استقبحه ، ومن العدل أن يكون هناك حساب وعقاب على ما اتيناه من الأعمال فى هذه الدنيا ، ولكن من العدل أيضا الا نحاسب الا على ما اتجهت اليه ارادتنا وانتجته أيدينا ، فأفعال العباد مخلوقة لهم ونتيجة اختيارهم والا بطل التكليف ولم يبق مجال للمدح والذم وارشاد المرشد وارسال النبى .

ويظهر أن المعتزلة افتنوا فى توضيح هذه النقطة للرد على الجبرية الذين سلبوا المرء كل قدرة واردة ، غير أن خصومهم من السلف استنكروا منهم أن يذهبوا الى وجوب فعل (الصلاح والأصلح على الله) ومعناه : ان المعتزلة يؤخذ من أقوالهم أنه يجب على الله دائما فعل الصالح والأصلح ، وأنكروا عليهم القول « بالحسن والقبح العقليين » واعتبار العبد مصدرا لأفعال نفسه كلها - ومعناه أن الحسن ما حسنه العقل لا الشرع ، والقبيح ما قبحه العقل أيضا فى رأيهم .

وهذه مسائل كما ترى بالغة الحد فى الدقة والعمق ، وقد أثارتها الديانات والفلسفات من قديم ولا تزال تثيرها حتى اليوم ، فموضوع الصلاح والأصلح ليس الا صورة من صور مذهب التفاؤل الفلسفى ، ومسألة الحسن والقبح ترجع الى نظرية القيم فى الفلسفة التى تبحث عما اذا كانت الأشياء حقائق ثابتة أو مجرد اعتبارات ، وهو بحث فلسفى قديم وحديث ، وخلق الأفعال يتصل اتصالا وثيقا بمشكلة الجبر والاختيار وهى مشكلة فلسفية أيضا .

٣ - الوعد والوعيد : ويراد به أن الله صادق فى وعده ووعيده لا مبدل لكلماته فلا يمكن أن يثيب العاصى أو يعذب المطيع لانه وعد بالثواب على الطاعات ، وأوعد بالعقاب على المعاصى . ولعلنا نلاحظ فى هذا الأصل فكرة العدل التى أشرنا اليها من قبل ، ولم يتردد مخالفوا المعتزلة فى أن قالوا أن ثواب الله فضل لا يتخلف ، وعقابه عدل لا يتسامح فيه .

٤ - المنزلة بين المنزلتين : وهذا من أول الأصول التى عدل اليها المعتزلة ، ومؤداه أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا بكافر - فهو فى منزلة بين المنزلتين - وأساس هذا الحكم أن الايمان فى رأيهم اعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، وخالفهم كثيرون فقالوا بمجرد التصديق القلبى مع الاقرار باللسان .

٥ - الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : كى يؤدى المسلمون أمانتهم وينشروا دعوتهم ، عليهم أن يقيموا حكم الله ولو بالسيف على كل من خالف سواء كان كافرا أو فاسقا ، وقد أخذ المعتزلة أنفسهم بهذا المبدأ فناضلوا عن الدين نضالا عظيما ، وأصبحوا سيفا فى حلوق المكابرين ومبعث رعب وخشية للزنادقة والملحدين ، وأسلم على أيديهم كثيرون ممن بهروا بحجتهم وأسروا بمنطقهم .

هذه هى أصول المعتزلة الخمسة وهى تشمل جميع عناصر علم الكلام الرئيسية لانهم مؤسسوا هذا العلم ومقيموا دعائمه وقد صاغوه صياغة عقلية ونظموه فى صورة فلسفية تقوى على حملات الخصوم والأعداء .

وقد قام المعتزلة بمذهبهم فى الاسلامية آخذين بأحكام العقل ومنطقه ورادين اليه خبرة كل حكم شرعى وكل نص منزل فاقتضى هذا أمرين :

الأمر الأول : انهم أولوا الآيات المتشابهة فى القرآن ، وفى القرآن آيات محكمات وأخرى متشابهات ، فالحكمة ما دلت على أمر ظاهر غير محتاج للتأويل بنقله من حقيقة اللفظ الى مجازه أو من مجازه الى حقيقته ، ولهذا أول ... المعتزلة من آيات القرآن ما يشبه بالانتقال فى الزمان أو المكان أو مايشبه بصفات المخلوقات ، أولوه من حقيقة اللفظ التى تدل عليها الى المجاز ، ومن أمثال ذلك قول الله تعالى : « يد الله فوق أيديهم » والله منزه عن أن يكون له يد كأيدينا ، فيؤولون اليد بيد القدرة مثلا أو الاحاطة ، وفى قول الله تعالى : «الرحمن على العرش استوى» يؤولون ذلك بالاستيلاء بالقدرة على كل شىء واعتبار أن العرش أكبر الأشياء ، ولا يقبلون الاستواء بمعنى الجلوس تشبيها له بعباده .

وذلك فى مقابل أن علماء الأثر الذين يطلق عليهم اهل الظاهر لأخذهم بظاهر الفاظ نصوص القرآن لايؤولون منها شيئا ، فكان وجود المعتزلة هى الواقع كرد فعل لعدم استعمال أهل الظاهر لعقولهم قائلين لهم ان الله عظم العقل وخاطبه فلا يصح تعطيله .

الأمر الثانى : انهم لا ياخذون بالاحاديث بحجة أن حصول الاختلاف فيها كثير جدا بخلاف القرآن ، ويؤخذ من مجموع آراء المعتزلة أنهم بناء على منطق ارسطو الذى نقلوه عن اليونان وبنوا عليه علم الكلام يبالغون جدا فى تحكيم العقل فى نصوص الشرع .

مع أن الشرع جاء به الوحى ، والوحى يهبط من آفاق تعلوا على امكانيات مدارك العقل . وليس معنى هذا أن العقل لا قيمة له فى الشرع ، وانما الأمر بالعكس من حيث أن الدين الاسلامى هو أول دين ناصر العقل وحرره من التقليد الأعمى ، وليس معناه الانتصار لأهل الجمود والتزمت الواقفين على مجرد ظواهر الألفاظ وان دلت على وجود الجهة لله أو على المماثلة للخلق فى المجىء والذهاب والقيام والقعود .

فان كان أهل الظاهر يقبلون هذه النصوص المتشابهة على ما هي عليه دون تأويل لظاهرها ، ودون اعتبارها ألفاظ مجازية تدل على معان لحقائق أخرى وراءها . فان المعتزلة يريدون أن يحكموا العقل مطلقا فى أحكام الشرع مطلقا وفى هذا افتئات على قضية أساسية فى الاسلام هى :

ان القرآن جاء به وحى الى روع الرسول الذى أمر أن يبلغه للخلق ، وان الوحى خطاب الله للعقل آت من الأعلى ليخاطب الادنى .

وفى مبالغة أهل الأثر فى التمسك بظواهر الالفاظ مبالغة أيضا تؤدى الى ضرب من الجمود على الظواهر .

وبينما نرى الآخذين بظواهر نصوص اللفظ القرآنى يحكمون مقتضيات النقل فيما تقتضيه أحكام العقل ، وهذا معناه اخضاع العقل للنقل دون شرط ولا قيد ، وجعل العقل كالتابع الذى ليس عليه الا مجرد التأييد للنقل ولو بالتقليد .

كذلك نرى من ناحية أخرى المعتزلة يجردون الحقيقة الالهية من سائر صفاتها ونعوتها معتبرين أن الصفات موجودات غير الذات قائمة بجانبها كحقائق أخرى .

والواقع أن الصفات مجرد خصائص للذات الالهية ليست بخارجة عنها وان كانت قائمة بها .

ثم بالغوا بناء على هذا فى نفى صفة الكلام على الأخص مما أدى بهم كما رأيت الى اعتبار أن القرآن مخلوق وهذا لشدة المبالغة فى التجريد كما ذكرنا ، ولم يقبلوا أن لله كلاما يقرأ ويسمع مما دعا الى وجود فرقة ثالثة هى الاشاعرة تتوسط بين أهل الظاهر وبين المعتزلة .

والحق الذى يجب على المسلمين اعتقاده اعتبار أن الوحى أنزل ليخاطب العقل بالنقل ، فالنقل رسالة ، والمرسل هو الله ، والمرسل اليه هو عقل الانسان فى الانسان ، فلا يجب تحكيم العقل بصفة مطلقة فى النصوص التى تعلو أحيانا مفاهيمها على نظر العقل لانها تهبط من آفاق قد يعجز العقل عن اكتناه كنهها والوصول اليها ويكون للعقل بعد ذلك حق الفقه والتفسير لما أنزل اليه من ربه ، والتفريق بين ما هو حقيقة وما هو مجاز من معانى التنزيل ، على أن يكون تأويلا بحسبان ودون شطط، وتكون وظيفة العقل حينئذ بالنسبة لما جاء به الوحى : وظيفة الكائن المخاطب المتفهم الواعى المتدبر المعتبر المفسر ، فيقدر الشرع الذى أنزل اليه حق التقدير دون أن يغيب عن تقدير نفسه هو أيضا باعتبار أنه الكائن المخاطب بالشرع من الله الذى جاء دليلا لعقل الانسان فى الانسان .

وتكون وظيفة الدين ان يقوم مسلك العقل والحس عن طريق تنوير القلب ، والأمر بالتزام صراط الشرع ، لان هذا هو غرض الشارع منزل القرآن فى خطابنا بالقرآن . لاسيما وأن الاسلام عظم العقل وفرض له قسطا كبيرا من الحرية ليلقى عليه قسطا آخر من المسئولية . وهذا هو صراط الحق والشرع والمعقول فى وقت واحد « وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، وصدق الله العظيم » .

الحرية الدينية في الإسلام

الدكتور
علي عبد الواحد وافي

قرر الاسلام مبدأ الحرية الدينية فى أوسع نطاق ، وحرص على دعمه فى جميع ما سنه من مبادىء ، وبخاصة فى أربعة مبادىء جعلها أساسا لعقيدته ولتنظيم العلاقات الدينية بين المسلمين وغير المسلمين بمختلف نحلهم وطوائفهم .

وأول هذه المبادىء وأهمها جميعا أنه لا يرغم أحدا على ترك دينه واعتناق الاسلام ، وأن مهمة الرسول عليه السلام ومهمة كل داع فى الاسلام تقتصر على بيان تعاليم الدين وتوضيحها للناس ، ولكل فرد بعد ذلك مطلق الحرية فى الدخول فى الاسلام أو عدم الدخول فيه . وفى هذا يقول الله تعالى : « **لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى** » (آية ٢٥٦ من سورة البقرة) . ويقول مخاطبا الرسول : « **ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** » (آية ٩٩ من سورة يونس) . والاستفهام فى الآية استفهام انكارى ، أى لا ينبغى لك أن تكره الناس حتى يدخلوا فى دينك . ويقول مخاطبا الرسول كذلك « **فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ** » (آية ٤٨ من سورة الشورى) ، « **انما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر** » (آية ٢١ ، ٢٢ من سورة الغاشية) ، « **قل يأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم ، فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ، وما أنا عليكم بوكيل** » (آية ١٠٨ من سورة يونس) .

وعلى هذا المبدأ سار المسلمون فى حروبهم مع أهل الأديان الأخرى ، فكانوا يبيحون لأهل البلد الذى يفتحونه أن يبقوا على دينهم فى مقابل أداء ضريبة يفرضونها عليهم تسمى الجزية ، وكانوا لقاء ذلك يحمونهم ضد كل اعتداء ، ويحترمون عقائدهم وشعائرهم ومعابدهم . وفى هذا يقول عمر بن الخطاب فى معاهدته لأهل بيت المقدس عقب فتحه له « هذا ما أعطى عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل ايلياء من الأمان : أعطاهم أمانا لأنفسهم وكنائسهم وصلبانهم . لاتسكن

كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص من خيرها ولا من صلبهم . لايكرهون على دينهم ،ولايضار أحد منهم » . ويقول عمرو بن العاص فى معاهدته مع المصريين بعد فتحه لمصر : «هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان: أعطاهم أمانا على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم .لايدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص » .

وفى سبيل احترام الاسلام لحرية الأديان يوجب على المسلم الذى يتزوج مسيحية أو يهودية أن ييسر لها ممارسة شعائرها ، ويصحبها الى معبدها فى يوم سبتها أوأحدها لأداء صلواتها ، ويبيح لها من المأكولات والمشروبات جميع ما يبيحه دينها ولو كان مما يحرمه الاسلام كالخمر والخنزير .

هذا الى أن الاسلام لا يعتد الا بالايمان المنبعث عن اقتناع ، كما سنذكر ذلك فى المبدأ الثانى . وغنى عن البيان أنه لا يمكن الاكراه ولا يعقل فى أمر لا يتحقق الا بالاقتناع النفسى .

والمبدأ الثانى الذى قرره الاسلام فى هذا الصدد هو أنه لا يعتد باسلام الفرد الا اذا كان منبعثا عن يقين واقتناع ، لا عن مجرد تقليد واتباع . وبذلك حطم الاسلام القواعد التى قام عليها التدين فى كثير من الأمم من قبله ، وهى قواعد التقليد والاتباع واهمال النظر والتفكير الحر ، وأهاب بالناس أن يجعلوا عمادهم فى عقائدهم ونشر دينهم الدليل العقلى والمنطق السليم ، ودعا الى النظر والتفكير ، وحث على رفض مالايؤيده علم ولا يعززه دليل . ومن ثم أنكر القرآن على بعض الاعراب ادعاءهم أنهم مؤمنون لأن الايمان النفسى لم يكن قد دخل بعد فى قلوبهم . وفى هذا يقول الله تعالى : **« قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم »** . (آية ١٤ من سورة الحجرات) . ومن ثم كذلك نعى القرآن الكريم على المشركين تقليدهم الأعمى لآبائهم واغفالهم جانب النظر والتفكير ، فقال : **« واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباءهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون »** (آية ١٧٠ من سورة البقرة) وقال : **« واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون »** (آية ١٠٤ من سورة المائدة) . ويصف القرآن أهل الحق بأنهم « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب » (آية ١٨ من سورة الزمر) فوصفهم بأنهم يميزون ما يقال لهم ليأخذوا بما عرفوا حسنه ويطرحوا ما لم يتبينوا صحته ويقول الامام الشيخ محمد عبده : « ان التقليد بغير عقل ولا هداية هو شأن الكافرين . وان المرء لا يكون مؤمنا الا اذا عقل دينه وعرفه بنفسه حتى اقتنع به . فمن ربى على التسليم بغير عقل وعلى العمل ولو صالحا بغير فقه فهو غير مؤمن . فليس القصد من الايمان أن يذلل الانسان للخير كما يذلل الحيوان . بل القصد أن يرتقى عقله وترتقى نفسه بالعلم فيعمل الخير لانه يفقه أنه الخير النافع المرضى لله ، ويترك الشر لأنه يفهم سوء عاقبته ودرجة مضرته . ومن ثم كذلك يقرر كثير من علماء التوحيد أن ايمان المقلد غير صحيح أو غير كامل . وفى هذا يقول صاحب « الجوهرة » :

اذ كل من قلد فى التوحيد
ايمانه لم يخل من ترديد

والمبدأ الثالث : الذى سنه الاسلام فى هذا الصدد هو حرية المناقشات الدينية ولذلك ينصح الله تعالى لنبيه عليه السلام وينصح للمسلمين أن يلتزموا جادة العقل والمنطق فى مناقشاتهم مع أهل الأديان الأخرى ، وأن يكون عمادهم الاقناع وقرع الحجة بالحجة والدليل بالدليل . وفى هذا يقول الله تعالى مخاطبا رسوله عليه السلام : **« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن »** (آية ١٢٥ من سورة النحل) . ويقول مخاطبا المؤمنين : **« ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن »** (آية ٤٦ من سورة العنكبوت) .

ويقصد بأهل الكتاب أهل الأديان ذات الأسفار المقدسة كاليهود ، والنصارى . ويقول مخاطبا أهل الأديان الأخرى : « قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السماوات ، ائتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم ان كنتم صادقين » (آية ٤ من سورة الأحقاف) . ويقول مخاطبا اياهم كذلك : « قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » (آية ١١١ من سورة البقرة) . ولا يكتفى القرآن بذلك بل يغريهم بالمناقشة والاتيان بدليل على صحة أديانهم ، فيسلم جدلا بأنه من الممكن أن يكون محمد أو يكونوا هم على حق أو فى ضلال ، فيقول : « وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين » (آية ٢٤ من سورة سبأ) .

وكان الخلفاء من بنى العباس وغيرهم يعقدون المجالس للمناقشات الدينية ، فيجتمع عندهم علماء كثيرون ينتمون الى مختلف الطوائف وشتى الأديان والفرق ، فيتناقشون فى شئون العقائد ويوازنون بين الأديان ، كل يدلى بحجته ويبين رأيه فى حرية واطمئنان . ولم يكن الخلفاء يجتمعون هذه المناقشات فحسب ، بل كانوا يشجعون عليها بمختلف وسائل التشجيع ويشتركون فيها بأنفسهم .

والمبدأ الرابع : الذى قرره الاسلام فى هذا الصدد هو حرية الاجتهاد فى فهم أصول الدين الاسلامى واستنباط فروعه . فالاسلام يبيح هذا الاجتهاد مادام معتمدا على دليل من الكتاب والسنة ومادام صاحبه قادرا عليه بأن كان متمكنا من علوم القرآن والحديث واللغة العربية التى نزل بها الكتاب الكريم وقيلت بها أحاديث الرسول . بل ان معظم الفقهاء ليحرم التقليد على كل قادر على الاجتهاد ، وعلى رأس هؤلاء الامام الدبوسى من كبار فقهاء الحنفية . ويحترم الاسلام رأى المجتهد ويقرر أنه مأجور مشكور على كل حال ، سواء وافق رأيه الحق أم خالفه ، وانه « ان أخطأ فله أجر ، وان أصاب فله أجران » كما يعبر أئمة المسلمين .

وأما ما أثر فى بعض العهود الاسلامية وخاصة فى عصور أبى جعفر المنصور والمأمون والمعتصم والواثق من محاولات لمحاربة بعض الآراء الدينية وايذاء القائلين بها (كايذاء أبى جعفر المنصور للامام مالك لذهابه الى أن أيمان المكره غير ملزمة له ، وايذاء المأمون والمعتصم والواثق للامام أحمد بن حنبل لعدم قوله بخلق القرآن) وفرض مذاهب معينة فى أصول الدين أو فى فروعه ، فان كل ذلك كان منبعثا فى الغالب عن اعتبارات سياسية خاصة ، وكان على كل حال انحرافا صريحا عن مبادىء الاسلام . وقد وصمه بذلك كل من يعتد بآرائهم من أئمة المسلمين .

وقد يعترض على ما ذكرناه بموقف الاسلام حيال المرتد . فالمذاهب مجمعة على أن المرتد يقتل اذا لم يتب بعد استتبابه .

والجواب على ذلك أن ارتداد شخص ما عن الاسلام بعد ما يتبين له أنه الحق ، وبعد أن اقتنع بقوة أدلته ، ووازن بينه وبين غيره - وخاصة أن الاسلام لا يجبر أحدا على اعتناقه ، كما ذكرنا ذلك فى المبدأ الاول - لا يكون الا عن عناد وتبييت النية للكيد للاسلام ، وهذا مظهر من مظاهر الفتنة لا يتم تأمين الدعوه الاسلامية الا بالقضاء عليه ، ولا تثريب على الاسلام فى ذلك .

من إعجاز القرآن

الإعجاز البياني

الدكتور حفني شرف

تبلورت فكرة اعجاز القرآن البياني عند الالوسى فى اوائل العصر الحديث وظهرت بعده نزعة علمية دافعة حاولت أن تعلل الاعجاز القرآنى بأسباب علمية هدفها اثبات مسايرة القرآن لكل مايجد من مكتشفات ومخترعات ويمكننا أن نرد هذه النزعة العلمية الى ملامح عديدة وجدناها لدى الفخر الرازى فى كتابه « نهاية الايجاز فى دراية الاعجاز » والغزالى فى « احياء علوم الدين » وكذا السيوطى فى مؤلفه النفيس « الاتقان فى علوم القرآن » .

ولئن وجدنا فى هذه الكتب منذ قديم شذرات هنا ولمحات هناك الا انها تمخضت أخيرا لتلبس ثوب التجمع والظهور فى مؤلف خاص حوى كل ما يتعلق بهذه الناحية بين دفتيه .

ومثل هذا يظهر فى كتاب : « كشف الاسرار النورانية القرآنية فيما يتعلق بالاجرام السماوية والارضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية » لمحمد بن أحمد الاسكندرانى الطبيب من رجال القرن الثالث عشر الهجرى . وكذا كتابه الاخر : «تبيان الاسرار الربانية فى النبات والمعادن والخواص الحيوانية » .

وتدرجت هذه النزعة عبر الزمن حتى نمت على أيدى بعض كبار المفكرين الاسلاميين أمثال : السيد عبدالرحمن الكواكبى الذى حاول أن يستخرج من القرآن الكريم مجموعة من المكتشفات الحديثة قال عنها انه قد ورد التصريح أو التلميح بها فى القرآن منذ ثلاثة عشر قرنا أو يزيد وعلل ظهورها بعد الخفاء باثبات اعجاز القرآن الكريم .

ولا يقف الكواكبى وحده فى هذا الميدان فثمة حكيم الاسلام وأديبه المؤمن المرحوم مصطفى صادق الرافعى الذى أشار فى كتابه اعجاز القرآن الى استخراج محدثات الاختراع وغوامض علوم الطبيعة من القرآن (انظر ص ١٥١ من اعجاز القرآن) وهناك أيضا المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى فى تفسيره القرآن : هذا التفسير الذى تظهر فيه تلك النزعة العلمية جلية واضحة .

أضف الى هؤلاء ما قاله أحد المعاصرين وهو الاستاذ محمد محمود ابراهيم الذى ألف كتابا فى عدة أجزاء تحت اسم « اعجاز القرآن فى علم طبقات الارض » تكلم فيه عن الايات التى تتصل بالنواحى العلمية فى السماء والأرض وهو يرى أن الاعجاز قائم ــ ليس فى الاقتصار على العلم والحكمة فحسب ــ بل فى دقة تعبيره ووصفه الكامل الشامل الذى يتجلى فى مثل قوله تعالى : «يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل » فهذا التكوير لفظا ومعنى يدل على أن الكواكب التى يختلف

عليها الليل والنهار كروية الشكل تماما حتى يتأتى تكوير الليل على النهار وتكوير النهار على الليل فلو نقص التكوير من جانب لنقص تكوير الليل أو النهار أواحدهما على الاخر .

وهكذا يسير فى مؤلفه هذا على هذا النمط العلمى فى التفسير ولم يكشف عن اعجاز القرآن الا من هذه الناحية .

ولعل السر فى هذا الاتجاه بفكرة اعجـاز القرآن وتفسيره التفسير العلمى راجع الى رد الفعل العنيف الذى أحدثه الاتصال بأوربا وامتزاج الثقافة العربيـة الاسلامية بالثقافة الاوربية وكذا ما بهر العلماء من علوم ومخترعات حديثة . فحاول هؤلاء المفكرون ان يرجعوا الى تراثهم الاسلامى العربى مستنبطين منه اصول هـذه العلوم وخشوا اذا هم لم يفعلوا أن يظهروا القرآن غير مساير للزمن فى أعين أنصاره ومتبعيـه وأن تتزعزع العقيدة فى قلوب أناس بهرهم زبرج المدنيـة الحديثة ولالاؤها .. نعم حاول هؤلاء أن يبينوا أن القرآن قد حوى هذه العلوم وأشار الى تلك المخترعات قبل أن يعرفها أهلها أنفسهم اذ سبقهم الى ذلك منذ ثلاثة عشر قرنا وقد استغل هؤلاء المفكرون بعض الكلمات والجمـل القرآنية التى تتسع لتأويلات عديدة فطوعوها حسب أغراضهم وساروا بها تلك الوجهة فكان لهم ما أرادوه .

نقول هذا مؤرخين لاتجاه علمى غلب على ميـدان اعجاز القرآن ولا يهمنا هنا مناقشته رفضـا أو قبولا لان ذلك ان حدث سوف يصرفنا عن غرضنا الاساسى من هذه الدراسـة وهو السـير بخطة الاعجاز والتأريخ لها تأريخا بعيدا كل البعد عن الميل والهوى على أن يتم هذا التأريخ فى سلسلة منتظمة غير منقطعـة الحلقات أو منفصلة فى احداها .

وبعد .. فهذه مقدمة يسيرة لم نرج من ورائها الا القاء الضوء على فكرة اعجاز القرآن الكريم ، التى سرنا بها طويلا لننظر ما أصابها من تغير وتحور فى العصر الحديث وعلى يد علمائه الاجلاء اذ ربما اتضحت لنا أفكارهم مادمنا ننظر اليها ضمن الاطار العام الذى حددته هذه المقدمة فى ايجاز .

الشيخ محمد عبده وفكرة الاعجاز :

نعرض فى السطور التالية موقف العلامة الراحل فى صدق وأمانة حيال نظرية الاعجاز .

فها هو ذا فى رسالة التوحيد يقول :

« جاءنا الخبر المتواتر أنهمع طول زمن التحدى ولجاج القوم فى التعدى أصيبوا بالعجز ورجعوا بالخيبة وحقق الكتاب العزيز الكلمة العليا على كل كلام وقضى حكمه العلى على جميع الاحكام ..

أليس فى ظهور مثل هذا الكتاب على لسان أمى أعظم معجزة وأول برهان على أنه ليس من صنع البشر وانما هو النور المنبعث من شمس العلم الالهى والحكم الصادر عن المقام الربانى على لسان الرسول الأمى صلوات الله عليه ؟ » .

ويمضى الشيخ فيذكر ما جاء فيه من الاخبار بالغيب وما كان من حرص العرب على معارضته صلى الله عليه وسلم والتماس الوسائل قريبها وبعيدها لابطال دعواه وتكذيبه فى الاخبار عن الله واثباتهم فى ذلك مبلـغ استطاعتهم ولا حجة له بين يدى ذلك كله الا تحديهم بالاتيان بمثل أقصر سورة من ذلك الـكتاب العزيز أو بعشر سور من مثله وكان فى استطاعتهم أن يجمعـوا اليهم من العلماء والفصحاء والبلغاء ما شاءوا ليـأتوا بشىء من مثل ما أتى به ليبطلوا حجته ويفحموا صاحب الدعوة (رسالة التوحيد ١٤٦ ط المنار) .

وهو فى هذا كمانرى يذهب الى أن القرآن معجزمن عند الله لامور أهمها صدوره عن نبى أمى وكذا اخباره عن مغيبات عديدة بالاضـافة الى تقاصر قوى البشر دون مكانته .

ومعنى هذا فى عمومه أن الاعجاز قائم لديه على البلاغة ليس غير وهذا لا جديد فيه اذ هو اختصـار لرأى الباقلانى الذى أفضنا فيه القول تفصيلا ووقفنا عنده الامد الطويل .

واذا قلنا ان الشيخ قد أوجز رأى الباقلانى فى قيام الاعجاز على عنصر البلاغة فانما نستدل لما قلناه بما نقله عنه تلميذه المرحوم رشيد رضا (اعجاز القرآن للرافعى ١٩) . من قوله : « ان لكلام الله تعالى أسلوبا خاصا يعرفه أهله ومن امتزج القرآن بلحمه ودمه وأما الذين لا يعرفون منه الا مفردات الالفاظ وصور الجمل فأولئك عنه مبعدون » .

وقولته أيضا : « فهم كتاب الله تعالى يأتى بمعرفة ذوق اللغة وذلك بممارسة الكلام البليغ منها » .

وكذا قوله حين بين تأثير القرآن فى سامعه أو تاليه : « انى عندما أسمع القرآن أو أتلوه أحسب أنى فى زمن الوحى وأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - ينطق به كما أنزل عليه أو نزل به عليه جبريل عليه السلام » .

كل هذه النصوص التى نقلها الاستاذ رشيد رضا عن الشيخ الامام تفيد تأثره بالسابقين الى مدى بعيد وخاصة بالسكاكى وعبد القاهر الجرجانى فى نحوهما هذا المنحى وان أكد هذا ما ذهبنا اليه هو كل قصدنا حين نتدرج مع الفكرة من عالم الى آخر فما هى الا لبنات نرص بعضها الى جوار بعض لتشكل لنا فى النهاية البنيان الذى نحلم به وهو الذى يجسم البصر فكرة اعجاز القرآن وتطورها وموقف العلمـاء منها عبر العصور .

مصطفى صادق الرافعى والاعجاز :

تركت المرحوم الشيخ محمد عبده بلل الله ثراه وأنزل عليه غيث رضاه والتقيت بالاديب النابه والمسلم الحق الذى دافع بقلمه عن اعجاز القرآن الدفاع الكريم المجيد وهو المرحوم مصطفى صادق الرافعى .

التقيت به على صفحات كتابه « اعجاز القرآن والبلاغة النبوية » وطوفت معه الى آفاق عليا شدنى اليها بيانه الرائق وحديثه الذى يأخذ بمجامع القلوب فألفيت فيه نعم المؤلف البارع الذى يوردك بقطرات من شباة قلمه على أن تنهل من ورده الصافى وتنهل من منهله العذب ولا غرو فهو الذى استولت عليه فكرة الاعجاز الى حد أنه بجوار افراده لها الـكتاب الذى ذكرناه قد تناولها أيضا فى فصل كبير من كتـابه الضخم تاريخ آداب العرب » .

نعود الى ما كنا فيه حين التقينا به فى كتابه المذكور فنجده قد جمع كل المذاهب المختلفة لظاهرة الاعجـاز ولكنه لم يكن مجرد جامع للاراء بل كان ناقدا فاحصا أكثر من أى شىء آخر .. ولم يقف كتابه عنـد عرض

المذاهب المختلفة فحسب بل ذكر كثيرا من المسائل التى تتعلق بالقرآن وعلومه وما اليها وكان فى كل ذلك يبدى رأيه على واردة هنا أو شاردة هناك بروح المسلم المتحمس للاسلام الثائر على من يعانده ولذلك نجده أحيانا حين يسوق الكلام ارسالا يصم من يخالف عقيدة المؤمن الصادق بالفاظ تحط منه وتشيد وهو مع ذلك يناصر الاسلام بعصبية قد تبعد أحيانا عن الروح العلمية الموضوعية ولكنه لا يأبه بذلك بل يسير وفقا لما يمليه عليه قلبه الغيور وأخيرا يقدم رأيه الخاص الذى يعتقده وبه يدين .

نخلص من هذا كله الى ذكر ما يتصل بموضوعنا لدى هـذا الرجل . وأول ما يطالعنا فى هـذا الصدد هو تعريفه للاعجاز (ص ١٥٦) وذلك اذ يقول : « وانما الاعجاز شيئان : ضعف القدرة الانسانية فى محاولة المعجزة ومزاولة على شدة الانسان واتصال عنايته ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه فكأن العالم كله فى العجز انسان واحد ليس له غير مدته المحدودة بالغة ما بلغت فيصير من الامر المعجز الى ما يشبه فى الرأى مقابلة أطول الناس عمرا بالدهر على مداه كله فان العمر دهر صغير » .

ويدع هذا أو يخلص منه الى بيان الاعجاز بالصرفة حيث يقول عنه (ص ١٦٢) : « وبه قال أبو اسحاق ابراهيم النظام من المتكلمين والشريف المرتضى من الشيعة ولكن الاول هو الذى بالغ فيه حتى عرف به كما كان النظام بليغا لسنا مع حسن تصرف ولكن مع هـذه الصفات اجتمعت فيه عيوب لم يستطع البراء منها أو البعد عنها ثم تكلم عن القول باعجاز القرآن لنظمه الغريب المخـالف لنظم العرب ونثرهم فى مقاطعه وفواصله ومطالعه (ص ١٦٥) ويستطرد الى الاتيان برأى من قال ان اعجازه فى سلامة ألفاظه مما يشينها وخلو عباراته من التناقض واشتماله على المعانى الدقيقة والقول بانه فى اجتماع هذه الامور كلها وهو يرفض هذه المذاهب بأسلوب تهكمى ويتعرض لرأى عبد القادر الجرجانى ويثبت أنه ليس أولا فيه ولا سابقا اليه ، وانما قد سبقه اليه أبو عبد الله محمد بن يزيد الواسطى المتوفى سنة ٣٠٦ ثم أبو عيسى الرمانى المتوفى سنة ٣٨٢ هـ .

ثم يذكر رأى القائلين بأن القرآن معجز لمزاياه الظاهرة وبدائعه الرائعة فى فواصله وفواتحه وخواتيمه وأقاموا ذلك على ثلاث خواص :

١ ـ الفصاحة فى الالفاظ كأنها السلسال .

٢ ـ البلاغة فى المعانى بالاضافة الى مضرب كل مثل ومساق كل قصة وخبر فى الاوامر والنواهى وأنواع الوعيد ومحاسن المواعظ والامثال .

٣ ـ صورة النظم فان كل ما ذكره من هذه العلوم مسوق على أتم نظام وأحسنه وأكمله .

هذا وقد نسب الرافعى هـذا الرأى لطائفة من المتأخرين وهو فى الحقيقة مذهب يحيى بن حمزة اليمنى فى كتابه « الطراز » وقد سبقت الاشارة اليه فى حينه اذ هو القائل بأن الاعجاز فى فصاحة الالفاظ وبلاغة المعانى وحسن النظم .

والرافعى يتعرض لذكر طائفة من المتكلمين وأهـل التقسيمات المنطقية على اختلاف بينهم ويرى أن ما ذكروه لا يعدو فى جملته عن أن يكون سفاسف سخيفة وآراء واهية مضطربة حيث ذهبوا الى انكار اعجاز القرآن وكذا انكار التحدى ووقوعه . ونعى على بعض العلماء الذين تعرضوا لهذه الطائفة وردوا عليها اذ رأى أن ما ذكروه سخف بالغ لا يرد عليه .

وينتقل الرافعى بعد هذا كله الى ذكر مؤلفات العلماء قبله فى اعجاز القرآن فيـذكر كتاب « نظم القرآن » للجاحظ ويورد عليه نقد الباقلانى كما يذكر كتابى : الواسطى والرمانى وكتاب اعجـاز القرآن للباقلانى ولكنه لم يشأ ترك هذا الاخير دون أن ينقد كتابه ويسلط عليه عدساته (ص ١٧١) واستمع اليه يقول :

« على أن كتاب الباقلانى وان كان فيه الجيد الكثير وكان الرجل قد هذبه وصفاه وتصنع له الا انه لم يملك فيه بادرة عابها هو من غيره ولم يتحاش وجهـا من التأليف لم يرضه من سواه وخرج كتابه كما قال هو فى كتاب الجاحظ : لم يكشف عما يلتبس فى أكثر هذا المعنى .. وقد حشر اليه أمثلة من كل قبيل من النظم والنثر ذهب بأكثره وغمرت جملته وعدها فى محاسنه وهى من عيوبه » .

ولكن الرافعى رغم هذا كله لم ينكر كتاب البـاقلانى وقيمته من حيث وفائه بكثير مما قصد اليه من أمهات المسائل ويقول ص ١٧٣ :

« وما زاد الباقلانى ـ رحمه الله ـ على أن ضمن كتابه روح عصره وعلى أن جعله فى هذا الباب كالمستحث للخواطر الدانية والهمم المتثاقلة فى أهل التحصيل والاستيعاب الذين لم يذهبوا عن معرفة الادب ولم يغفلوا عن وجه اللسان ولم ينقطعوا دون محاسن الكلام وعيوبه ولم يفصلوا فى مذاهبه وفنونه .. ان الناقص فى هـذه الصنعة كالخارج عنها والشادى فيها كالبائن منهـا وقد كانت علوم البلاغة لم تهذب لعهده ولم يبلغ عنهـا الاستنباط العلمى ولم تجر فيها الامهات والاصول ككتب عبد القاهر الجرجانى ومن جاء بعده فبسط الرجل من ذلك شيئا وهذب شيئا ونحا فى الانتقاد منحى الذين سبقوه من العلماء بالشعر وأهل الموازنة بين الشعراء وكانت تلك العصور بهم حفيلة .. وبالجملة فقد وضع ما لم يكن يمكن أن يوضع أوفى منه فى عصره بيد أن القرآن كتاب كل عصر وله فى كل دهر دليل من الدهر على الاعجاز » .

ثم يذكر مؤلفات العلماء الذين تكلموا عن الاعجاز بعد ذلك كالخطـابى والرازى وابن أبى الاصبع والزملكانى ويقول عن تلك المؤلفات : انها كتب أخذ بعضها من بعض .

ويتعرض بعد ذلك لآيات التحدى ويرى أنها كانت تتدرج من الاكثر الى الاقل ويتكلم عن المتنبئين والمخالفين الذين عارضوا القرآن ويذكر بعضا من أخبارهم وأقوالهم وهم :

مسيلمة والاسود والعنسى وطليحة بن خويلد وسجاح بنت الحارث والنضر بن الحارث ويذكـر ممن اتهموا بالمعارضة ابن المقفع وابن سينا وقابوس بن وشمكير وابن الراوندى والمتنبى والمعرى ويدافع عن بعض هؤلاء المتهمين ويحمل على ابن الراوندى ويقف موقفا حياديا من آخرين كما تعرض لعجز العرب عن مجاراة القرآن لادراكهم علو كعب القرآن عن متناولهم وذلك بقوة طبعهم وذوقهم الغنى .

وبعد هذا العرض المركز لمؤلفات هؤلاء جميعا يخلص الرافعى الى ذكر رأيه هو فى اعجاز القرآن الكريم ، وانصت اليه اذ يقول (ص ١٧٥) :

« أما الذى عندنا فى وجه اعجاز القرآن وما حققناه بعد البحث وانتهينا اليه بالتامل وتصفح الآراء واطالة الفكر وانضاج الروية وما استخرجناه من القرآن نفسه فى نظمه ووجه تركيبه واطراد اسلوبه ثم ما تعاطينا من التنظير والمقابلة واكتناه الروح التاريخية فى اوضاع الانسان وآثاره .. وفى رد وجوه البلاغة الى اسرار الوضع اللغوى التى مرجعها الى الابانة عن حياة المعنى بتركيب حى من الالفاظ يطابق سنن الحياة فى دقة التاليف واحكام الوضع وجمال التصوير وشدة الملاءمة .. نقول ان الذى ظهر لنا بعد كل ذلك واستقر معنا ان القرآن معجز بالمعنى الذى يفهم من لفظ الاعجاز على اطلاقه حين ينفى الامكان بالعجز عن غير الممكن فهو أمر لا تبلغ منه الفطرة الانسانية مبلغا وليس الى ذلك مأتى ولا جهة وانما هو اثر كغيره من الآثار الالهية يشاركها فى اعجاز الصنعة وهيئة الوضع وينفرد عنها بان له مادة من الالفاظ كانها مفرغة افراغا من ذوب تلك المواد كلها وما نظنه الا الصورة الروحية للانسان اذا كان الانسان فى تركيبه هو الصورة الروحية للعالم كله .

فالقرآن معجز فى تاريخه دون سائر الكتب ومعجز فى أثره الانسانى ومعجز كذلك فى حقائقه » هذا هو نص ما قاله هذا العلامة الاديب ملخصا رأيه فى اعجاز القرآن والرافعى اذ يعرض لنا رأيه هى الاعجاز لا يفوته أن يعرج على سبب الاعجاز البيانى عموما فهو يرى ان اسلوب الاديب نتيجة لمزاجه الخاص وأن اعجاز القرآن فى أسلوبه راجع الى انه ليس من مزاج البشر ولولا ذلك لاشبه اسلوبا من اساليب العرب أو من جاء بعدهم الى هذا العهد ولهذا خلا من التناقض « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » (ص ٢٣٢)

ونلاحظ هنا على الرافعى انه قد جعل السبب مسببا والعلة معلولا فبدلا من أن يسعى لاثبات ان القرآن من عند الله باثبات أنه معجز نراه يفعل العكس فيثبت بانه معجز لانه من عند الله ولذا فقد علل ذلك بانه انفرد عن أساليب العرب باسلوبه الخاص اذ ليس وضعا انسانيا على جهة العموم .. ولو انه أثبت قبل ذلك أن أسلوب القرآن فوق طاقة البشر لكانت طريقتـه فى البرهنة صحيحة لا غبار عليها .

ويرى الرافعى أن اعجاز القرآن كامن فى موسيقاه اللغوية التى نتجت عن انسجامه واطراد نسقه واتزانه على أجزاء النفس مقطعا مقطعا ونبرة نبرة كانها توقعه توقيعا ولا تتلوه تلاوة ويستدل لذلك بما حدث لعمر بن الخطاب حين سمع آيات الله تتلى فاعلن اسـلامه (ص ٢٤١) .

وأيضا بما فعله القرآن فى نفوس بعض المشركين الذين كانوا يذهبون ليلا فى سرية تامة ليتسمعوا نغمه العذب وجرسه الرنان فى القلوب .

وليس الاعجاز فى نظر الرافعى وقفا على الموسيقى اللغوية فحسب بل فان الاعجاز متحقق بنظمه ايضا .. هذا النظم الذى يقتضى كل ما فيه اقتضاء طبيعيا وضع كل شىء فى موضعه .

« فليست فيه استعارة ولا مجاز ولا كناية ، ولا شىء من مثل هذا يصح فى الجواز ، وفيما يسعه الامكان أن يصلح غيره فى موضعه اذ تبدلته منه فضلا عن ان يفى به وفضلا عن ان يربى عليه ولو ادرت اللغة كلها على هذا الموضع » .

فكان البلاغة فيه انما هى وجه من نظم حروفه وانواع البلاغة انما هى من وجوه التاليف بين معانى الكلمات . فالحرف الواحد من القرآن معجز فى موضعه لانه يمسك الكلمة التى هو فيها ليمسك بها الاية والايات الكثيرة وهذا هو السر فى اعجازه اعجازا أبديا فهو أمر فوق الطبيعة الانسانية وفوق ما يتسبب اليه الانسان اذ هو يشبه الخلق الحى تمام المشابهة وما أنزله الا الذى يعلم السر فى السموات والارض فانت الآن تعلم أن سر الاعجاز هو النظم وأن لهذا النظم ما بعده من تآلف وعدم تنافر وهو ثالث الاركان التى يقوم عليها الاعجاز فى نظـر الرافعى ونلخصها مجتمعة فيما يلى :

١ - الموسيقى التى تشتمل عليها حروفه وكلماته .

٢ - الروح المستشفة من نظم القرآن والتى تخاطب الروح وهى ليست الفاظا ذات معنى فقط بل حياة تضطرم وهى خلق روحى فيه صوت النفس الطبيعى فى تركيب اللغة العربية وصوت الفكر أو العقل وقد توفرا للعرب ويمتاز القرآن بصوت ثالث هو صوت الحس فى الالفاظ والمعانى الممثلة .

٣ - خلو القرآن من الالفاظ التى تكون كمتكا وهذا المتكا يشاهد فى كلام البلغاء وهو يرى أن كلمات القرآن كلها ضرورية فى تادية المعنى الذى تريده .

وبرغم الاحاطة بهذا كله لم ينس الرافعى القـول باشتمال القرآن على مبادىء العـلوم وعلى كثير من المخترعات والنظرات العلمية الحديثة . (انظر القرآن والعلم ص ١٢٦ من كتاب اعجاز القرآن) ولعل ظهور النزعة العلمية هى التى أرشدته الى ارتياد هـذه الطريق . كذلك فلم يفته أن يذكر كلام ابن رشد فى احتواء القرآن على طرق التعليم .

هذا كله جميل من الرافعى فهو جهد حميد وان كنا ناخذ عليه جعله القرآن موسوعة دينية ودنيوية لعلوم الارض بمعنى أنه يصح أن أحيل عليه طالب الطبيعـة والكيمياء وعلم الجيولوجيا علم طبقات الارض يستوضحه فى تجاربه ومسائله الرياضية .

وهنا نتساءل : هل هذا يمكن أن يكون ؟

أقول : لا .. اذ القرآن يحوى رءوس المسائل العلمية ليس غير أما تفصيلاتها فمجالها العقل البشرى .

ولا يصح ربط اعجاز القرآن بالعلوم لان العلم يتجدد ويتغير أما الاعجاز فثابت لا يتغير وكل ما فى الامر انه كلما تقدم العلم كلما أكد اعجاز القرآن .

انظر ما كتبناه عن ذلك فى مقدمة كتابنا « الخواطر السوانح فى أسرار الفواتح القرآنية » .

وبعد : فالى هذا الحد قد انتهينا من رأى الرافعى فى اعجاز القرآن عرضناه عرضا أمينا مع ابداء كل ماجادت به القريحة وكما قلنا آنفا : ان هذا العمل كله ما هو الا لبنات توضع بعضها فوق بعض لتشكل البنيـان الاصيل الذى لا نبتغى من ورائه سوى تجسيم فـكرة الاعجاز البيانى لاهم كتاب مقدس عرفته البشرية مقوما لها وهاديا الى سواء السبيل .

(للبحث بقية)

معجزات الأنبياء

الدكتور محمد محمد أبو شهبة

دعانى الى الكتابة فى هذا الموضوع الجليل ما قرأته فى بعض المجلات الاسلامية من مقال لأحد الكاتبين فى معرض بيان اختلاف معجزات الأنبياء حيث قال ما نصه : « ففى وقت بعثه موسى عليه السلام كان السحر هو مقياس العظمة والجبروت ، وهو الذى يبعث النفوس على التصديق بمكانة الشخص ، فكانت معجزة موسى هى السحر بأوسع معانيه من انقلاب العصا الى حية ابتلعت حبال السحرة الآخرين ، الى انشقاق البحر ليتسع لعبور قومه هربا من فرعون » . وفرق كبير بين المعجزة والسحر ، وانها لزلة تستحق التوبة والاستغفاروالندم ، لذلك رأيت أن أبين ما هى المعجزة ؟ وما الفرق بينها وبين السحر ، وما الفرق بينها وبين المخترعات ؟ وما السرفى تغاير معجزات الانبياء عليهم صلوات الله وسلامه ولم كانت المعجزة الكبرى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم هى القرآن الكريم ؟

وهل لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام معجزات حسية مثل معجزات اخوانه الانبياء ؟ فأقول : ومن الله استمد العون والتوفيق .

ماهى المعجزة ؟

المعجزة أمر خارق للعادة يجريه الله سبحانه وتعالى على يد مدعى النبوة عند دعواه اياها ، وقد تكون مقرونة بالتحدى الصريح وهو الغالب الكثير ، وقد لا تكون مقرونة به ، اكتفاء بقرائن الأحوال ، والظروف المحيطة بوقوعها فاذا قام انسان وادعى النبوة ، وقال : الدليل على صدقى أن يجرى الله سبحانه على يدى ما يخالف المألوف من عادته ، ثم يتحدى الناس زرافات ووحدانا أن يأتوا بمثل ما أتى به ، وفيهم الكثيرون ممن هم على شاكلته ، ثم لم يكن منهم الا العجز وعدم الاستطاعة ، فلا شك أن هذا دليل قوى ، وبرهان ساطع على صدقه ، وأن ما جاء به من عند الله سبحانه .

فمتى ظهر الأمر الخارق للعادة على يد بشر ، وقارن ظهوره دعوى النبوة علم بالضرورة أن الله ما أظهرها الا تصديقا لمن ظهرت على يديه ، اذ من المحال عقلا أن يؤيده الله وهو كاذب ، لأن تأييد الكاذب تصديق له ، وتصديق الكاذب كذب ، والكذب محال عقلا ونقلا باجماع أهل الأديان والعقول السليمة ومع وضوح دلالتها على صدق النبى الذى ظهرت على يديه فقد قارن حدوثها الانكار من بعض الناس عنادا ومكابرة ، ولو أن كل حق يظهر يأخذ به الناس جميعا لما كان هناك خلاف فى الأرض ، ولكان الناس أمة واحدة ، ولكن طبيعة البشر على خلاف هذا وصدق الله حيث يقول : « ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ماجاءتهم البينات ولكن اختلفوا ، فمنهم من آمن ، ومنهم من كفر ، ولو شاء الله ما اقتتلوا ، ولكن الله يفعل ما يريد » وقال : « وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين »

المعجزات أمر ممكن عقلا

والمعجزة ليست من قبيل المستحيل العقلى فان مخالفة السنن الكونية المعروفة لنا مما لم يقم دليل على

استحالته ، فهى - وان كانت مخالفة للعادة - داخلة في نطاق الممكنات العقلية ، واذا كان الله سبحانه ربط الاسباب بالمسببات واوجد الكائنات بنواميس معروفة لنا غالبا فليس من المحال عليه سبحانه وتعالى أن يضع نواميس خاصة بخوارق العادات غير أننا لا نعرفها ، ولكننا نرى آثرها على يد من اختصه الله بفضل من عنده واذا اعتقدنا أن الله قادر مختار لا يعجز ، ولا يغيب عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء سهل علينا الايمان بانه سبحانه لا يمتنع عليه أن يحدث الشيء على اى هيئة أراد ، وتابعا لأى سبب شاء ، اذا سبق في علمه - عز شانه - انه يحدثه كذلك ، واقتضت الحكمة ايجاده على هذا النحو .

المعجزات لا تنال بالكسب والرياضة

والمعجزات نفحة من نفحات الحق - تبارك وتعالى - يجريها الله على يد من يريد من انبيائه وأصفيائه لا تنال بالكسب ولا بالرياضات الروحية ، فهى ليست من صنع النبى وانما هى من صنع الله سبحانه وخلقه وليس أدل على هذا من أن نبى الله موسى عليه السلام لما أراد الله سبحانه أن يعلمه معجزته الكبرى وهى العصا أمره بالقائها فانقلبت حية فولى خائفا ولو كانت بصنعه لما خاف قال سبحانه : « وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ، ولم يعقب يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون » اما السحرة فلما ألقوا حبالهم وعصيهم ، وصارت حيات تسعى لم يجفلوا منها لانها بصنعهم وهم اعلم الناس بحقيقة امرها .

الفرق بين المعجزات ، والمخترعات الغريبة

والمخترعات مهما بلغت من الغرابة والدقة فانها لا تدخل في نطاق المعجزات ولا تقاربها لأنها امور مبنية على تجارب ونظريات علمية داخلة تحت طاقة الانسان ، ومن عمله وصنعه فهى جارية - مهما كانت - على السنن الكونية المعروفة ، وليست خارجة عنها ولئن كانت غائبة او خفية على كثير من الناس فهى ليست بغائبة ولا مجهولة عند أهل العلم والمعرفة . وما سمعنا مخترعا ادعى النبوة باختراعه ، ولو فعل وتحدى الناس فلا يلبث أن يظهر كذبه ، وان يأتى الزمن بمن يأتى بمثل اختراعه وان لم يكن باشد غرابة منه .

الفرق بين المعجزة والكرامة والشعوذة

قلنا : ان المعجزة لا تسمى معجزة الا اذا ظهرت على يد من يدعى النبوة والاخبار عن الله اما ان ظهر الامر الخارق للعادة على يد رجل معروف بالصلاح والتقوى من غير دعوى النبوة فهى الكرامة ، وهى فضل من الله يجريه الله على يد من يريد اكرامه وأما ما يظهر على يد الرجل الذى لم يعرف بصلاح واستقامة مما يتوهم بعض الناس أنه خارق للعادة فهو دجل وشعوذة ولا يمت الى الحقيقة بسبب وانما هو تخييل وتمويه ، واحتيال وتلبيس .

الفرق بين المعجزة والسحر

وما أبعد ما بين المعجزة والسحر فالمعجزة أمر خارق للعادة لا يقدر عليه انسان أما السحر فهو وان خفى على بعض الناس فهو مما يعلمه بعضهم ، وله قواعد وأسباب يتوصل بها اليه فهو شيء يتوصل اليه بالصنعة والاكتساب ، وليس أمرا وهبيا كالمعجزة وبعضه تمويه وتخييل ، وشتان ما بين الحقيقة والخيال ، فكن على بينة من ذلك ، ولا يلتبس عليك الباطل المزيف بالحق المبين .

معجزات الانبياء وملاءمتها لأزمانها

وما من نبى من الانبياء الا وآتاه الله معجزة أو معجزات ، على حسب ما تدعو اليه الأحوال والملابسات ، ونحن معاشر المسلمين نؤمن بان لأنبياء الله معجزات ، ولا سيما التى اخبرنا بها الكتاب المهيمن على الكتب السماوية السابقة وهو القرآن الكريم ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

وقد تواردت الكتب السماوية على اثبات المعجزات للانبياء سواء في ذلك التوراة والانجيل والقرآن ، فوجب الايمان بها ، وتصديقها ، ما دام تواتر النقل بها أوضح الطريق لها ، وما دامت لا تخالف عقلا ولا نقلا اقوى منه واوثق وقد شاء الله سبحانه ان تكون معجزات الانبياء ملائمة لما اشتهر في أزمانهم ، وتواضع عليه الناس ، حتى اذا ما عجز الناس جميعهم عن الاتيان بمثلها كان ذلك أقوى دليل على صدق من ظهرت على يديه ، ولا سيما انها تظهر على يد من لم يعرف بالتبريز ، أو الاختصاص فيما اشتهر في زمنه وقد أشار الى ذلك نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه فقال فيما صح عنه : « ما من نبى من الانبياء الا واوتى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذى اوتيه وحيا اوحاه الله الى فارجوا ان اكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » رواه البخارى في صحيحه .

ومراده - صلوات الله وسلامه عليه - أن معجزات الانبياء الكبرى تأتى ملائمة لما اشتهر في أزمانهم ، وأن معجزته الكبرى ، وهى القرآن كانت وحيا يتلى الى يوم القيامة وليس مراده صلى الله عليه وسلم نفى ما عداه من المعجزات ، وكيف ؟ وله من المعجزات الحسية الشيء الكثير كما سنثبت ذلك فيما بعد .

وهذا اجمال يحتاج الى تفصيل وتمثيل ، ذلك ان سيدنا موسى عليه السلام لما ارسل في بيئة انتشر فيها السحر ، والى قوم ضربوا فيه بسهم راجح أعطاه الله بعض الآيات مناسبة لما اشتهر في زمنه فكان من آياته الكبرى العصا تكون في يده عصا جامدة لا حس فيها فيلقيها فاذا هى حية تسعى ، واليد يضعها تحت ابطه فاذا هى تخرج بيضاء من غير سوء قال سبحانه : « وما تلك بيمينك يا موسى قال هى عصاى اتوكأ عليها واهش بها على غنمى ولى فيها مآرب اخرى قال : ألقها يا موسى فالقاها فاذا هى حية تسعى قال : خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى ، واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى لنريك من آياتنا الكبرى » .

ولم تكن آية موسى الحقة لتلتبس على السحرة ولذلك لما حشر فرعون السحرة وألقوا بحبالهم وعصيهم حتى خيل الى الرائى من سحرهم أنها تسعى وألقى موسى عصاه فاذا هى تلقف ما يافكون - كان أول من آمن بالله هم السحرة ، لانهم علموا علم اليقين أن عصا موسى ليست من السحر في شيء ، وأن ما كان من العصا لن يكون الا من القوى القهار الذى لا يغالب اقرأ قول الله تعالى في سورة طه : « قالوا يا موسى اما أن تلقى ، واما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى ، فاوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لاتخف انك أنت الاعلى والق ما في يمينك تلقف ماصنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى ، فالقى السحرة سجدا قالوا : آمنا برب هرون وموسى » .

فلم يجد فرعون – كما هو شأن المغلوب المكابر – بدا من ان يرمى موسى بانه كبيرهم الذى علمهم السحر وتوعدهم بتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف وتصليبهم فى جذوع النخل فلم ينل منهم التهديد ولا الوعيد لأنهم آمنوا عن يقين ولذلك قالوا كما حكى الحق سبحانه « قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض انما تقضى هذه الحيـاة الدنيا انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى » .

وسيدنا عيسى عليه السلام لما بعث فى وقت كثر فيه الاشتغال بالطب وبلغ فيه بعض الناس مبلغا عظيما كان جل آياته مناسبة لما اشتهر فى عصره ، فكان يخلق لهم من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيرا باذن الله ، وكان يبرىء الاكمة « الذى ولد اعمى » ، والابرص وهما من الأمراض المستعصية كما كان يحيى الموتى باذن الله ، وقد حكى الله سبحانه كل ذلك فى الكتاب الكريم قال سبحانه عن عيسى عليه السلام : « ورسولا الى بنى اسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم انى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ، وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى باذن الله ، وأنبئكم بما تأكلون ، وما تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين » .

وقال أيضا : « اذ قال الله ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا ، واذ علمتك الكتاب والحكمة ، والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى ، وتبرىء الاكمه والأبرص باذنى ، واذ تخرج الموتى باذنى ، واذ كففت بنى اسرائيل عنك اذ جئتم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هـذا الا سحر مبين » .

مع أن عيسى عليه السلام لم يكن ممن عرفوا بالنبوغ فى الطب ، ولا ممن يمارسون هذه الصنعة فظهور هذه الخوارق على يديه دليل على أنها من صنع الله ، وأنه صادق فيما ادعاه وخاتم النبيين ورسول البشرية عامة لما بعث فى وقت اكتمل فيه العقـل البشرى وبلغت البشرية سن الرشد ، ومن قوم عـرفوا بتملك زمام الفصاحة والبلاغة ، والتصرف فى فنون القول وضروبه حتى كانت غاية الشريف منهم أن يكون شاعرا مفلقا ، أو خطيبا مصقعا كانت آيته وحيا يتلى بلغ أقصى درجات الفصاحة والبلاغة ، وأتى بأساليب لم تكن معهودة عندهم ، وبطرق فى البيان وقفوا أمامها مبهورين مع اشتماله على أسمى العقائد ، وأحكم التشريعات ، وأعظم الأخلاق والآداب مع أنه صلى الله عليه وسلم كان كواحد منهم ، لم يؤثر عنه تبريز فى خطابه ، ولم يعرف عنه انه قال شعرا ، ولا جلس الى معلم ، ولا قرأ فى كتاب فكان ذلك آية الآيات على أن ما جاء به من القرآن انما هو وحى من رب العالمين وقد طال الحديث اليوم فلنرجىء الكلام عن المعجزة الكبرى وسائر المعجزات الحسية لخاتم الأنبياء الى مقال آت ان شاء الله .

كان للعرب علاقات تجارية مع الروم قبل الاسلام ، فقد سار هاشم بن عبد مناف الى الشام وطلب من قيصر الروم أمانا لتجار قريش ، فأجابه الى طلبه ، وأخـذ القرشيون منذ ذلك الوقت يذهبون بتجـارتهم الى تلك البلاد ، وكان تجارهم يخرجون من مكة فى قوافل عظيمة ، فيذكر الطبرى أن قافلة من هذه القوافل بلغت الفـا وخمسمائة بعير ، وتميزت رحلاتهم التجارية بتمتعها بالأمن لأنهم أهل حرم الله وولاة بيته ، فلا يتعرض لهم الناس بسوء على حين كان غيرهم من العرب مهددا بالاغـارة عليهم .

وكانت القوافل التجارية التى تسير من مكة الى الشام تنزل فى أيلة – على راس خليج العقبة – حيث تحصل منها الحكومة الرومانية ضرائب معينة ، ومنهـا ترحل الى غزة ، وهناك تتصل بتجار البحر المتوسط ومن غزه يذهب بعض التجار الى بصرى . وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم سافر فى هذه القوافل مرتين : الأولى وله من العمر اثنى عشرة سنة ، والثانية وهو فى الخامسة والعشرين من عمره .

تطورت العلاقات بين المسلمين من العرب والروم منذ أن شرع الرسول فى توسيع نطاق الدعوة الاسلامية وولى وجهه الى سائر بلاد العرب ، بل الى خارجها ليحقق ماورد فى القرآن من مطالبة الناس جميعا بقبول الاسلام ، فصار الروم يتوجسون خيفة من اتساع نفوذ الدولة الاسلامية ،

حتى مستهل عهد الراشدين

الدكتور محمد جمال الدين سرور

بجزيرة العرب ، ومن ثم رابطوا بجيوشهم فى جنوب الشام خشية امتداد سلطان المسلمين الى بلادهم .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد كتب الى أميرى دمشق وبصرى ــ وهما من أمراء العرب بالشام الموالين للروم ــ يدعوهما الى الاسلام ، فلم يجيبا دعوته، كما بعث الى هرقل قيصر الروم كتابا جاء فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فانى ادعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين ، فان توليت ، فان عليك اثم الأريسيين (الاتباع) « يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لانعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون » . فكتب هرقل الى الرسول : « الى احمد رسول الله الذى بشر به عيسى ، من قيصر ملك الروم ، انه جاءنى كتابك مع رسولك ، وانى أشهد أنك رسول الله، نجدك عندنا فى الانجيل ، بشرنا بك عيسى بن مريم ، وانى دعوت الروم أن يؤمنوا بك فابوا ولو اطاعونى لكان خيرا لهم ولوددت أنى عندك فاخدمك واغسل قدميك » .

رأى الرسول أن يتبع دعوته السلمية ، لنشر الاسلام خارج بلاد الحجاز بغزو الأراضى الجنوبية لبلاد الشام حيث كان يقيم الغساسنة ، فاعد جيشا فى جمادى الأولى سنة ٨ هـ ، تبلغ عدته ثلاثة آلاف ، وأسند قيادته الى مولاه زيد بن حارثة الكلبى ، وأوصى فى حالة موته أن يخلفه جعفر بن ابى طالب ، واذا قتل جعفر حل محله عبد الله بن رواحه الأنصارى ، وان أصيب عبد الله بسوء فليتفق المسلمون على اسناد القيادة لرجل منهم ، كما أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم أمراء الجيش بهذه الوصية : « أوصيكم بتقوى الله ، وبمن معكم من المسلمين خيرا ، أغزوا باسم الله فى سبيل الله ، فقاتلوا من كفر بالله ، لاتغدروا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليدا ، واذا لقيت عدوك من المشركين ، فادعهم الى احدى ثلاث ، فايتهن ما أجابوك اليها ، فاقبل منهم واكفف عنهم ، ادعهم الى الدخول فى الاسلام ، فان فعلوا فاقبل منهم واكفف عنهم ، ثم ادعهم الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين ، فان فعلوا فاخبرهم ان لهم ماللمهاجرين ، وعليهم ما على المهاجرين ، ان دخلوا فى الاسلام واختاروا دارهم فاخبرهم انهم يكونون كأعراب المسلمين ، ويجرى عليهم حكم الله ولا يكون لهم فى الفيىء ولا فى الغنيمة شىء الا أن يجاهدوا مع المسلمين ، فان أبوا فادعهم الى اعطاء الجزية ، فان فعلوا ، فاقبل منهم واكفف عنهم ، فان أبوا فاستعن بالله وقاتلهم » .

« وستجدون رجالا فى الصوامع ، معتزلين للناس ، فلا تتعرضوا لهم ، لاتقتلن امراة ولا صغيرا ضرعا ، ولا كبيرا فانيا ، ولا تقرقن نخلا ، ولا تقلعن شجرا ، ولاتهدموا بيتا .. » .

ولما فرغ الرسول من وصيته لأمراء الجيش ، قال له عبد الله بن رواحه : يارسول الله ، مرنى بشىء احفظه عنك ، قال : انك قادم غدا بلدا ، السجود فيها قليل ، فأكثر السجود ، قال : زدنى يارسول الله ، قال : اذكر الله ، فانه عون لك على ماتطلب » .

سار جيش المسلمين الى تخوم البلقاء ــ وكانت موطن نفوذ الغساسنة ــ ولما وصلوا بلدة معان ، بلغهم أن هرقل نزل بمكان يقال له مآب ، فى مائة الف من الروم ومعه من قبائل العرب مائة الف ، فأخذوا يفكرون فى الأمر وأرادوا أن يكتبوا الى الرسول بكثرة عدد العدو ليبعث اليهم مددا أو يأمرهم بالعودة الى المدينة ، فشجعهم عبد الله بن رواحة على المضى فى القتال ، فتغلبت على المسلمين الحماسة الدينية ومضوا فى سيرهم الى بلدة مؤته حيث وافاهم الروم وحلفاؤهم من العرب ومعهم مالاقبل لهم من العدد والسلاح والديباج والحرير والذهب ، ثم دار القتال بين الفريقين ، فأخذ زيد بن حارثة اللواء وظل يقاتل حتى قتل ، فخلفه جعفر بن أبى طالب فى القيادة ، غير انه لم يلبث أن استشهد فى ميدان القتال ، وخلفه عبد الله بن رواحه ، فقتل ، ثم ولى المسلمون عليهم خالد بن الوليد ، فبذل جهده فى انقاذ بقية جند المسلمين وعادبهم الى المدينة ، فقابلهم أهلها بشىء من السخط ، غير أن الرسول لم ينظر الى حادث انهزامهم هذه النظرة ، بل أظهر أمله فى عودتهم لمهاجمة العدو ، واحراز النصر عليه .

رأى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقضى على الآثار التى خلفتها غزوة مؤته ، ويقوم بعمل حاسم يحول دون حدوث أى تهديد من قبل الروم ، فلما تم له فتح مكة فى السنة الثامنة للهجرة وانصرف عائدا الى المدينة ،عول على غزو حدود بلاد الشام الجنوبية المتاخمة لأعالى الحجاز ليوطد نفوذه بتلك المنطقة ، ويدعو أهلها الى الاسلام ، فبين لانصاره الجهة التى سيغزونها ليتدبروا أمرهم ويأخذوا اهبتهم ــ وكان قد بلغه أن الروم جمعت جموعا كثيرة بالشام ــ ثم بعث الى القبائل والعشائر يدعوهم الى الخروج للقتال . وكانت حرارة الصيف وقتذاك شديدة، كما أن الثمار قد طابت ويؤثر الناس البقاء بجوار ثمارهم فلم تلق دعوته ترحيبا من بعض المسلمين ، فاعتذر بعضهم

باعذار واهية ، منها مشاق السفر وشدة الحر ، وتشير الى ذلك هذه الآيات فى سورة التوبة :

« يأيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الأرض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل »

« لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ،ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون » .

كذلك لاقى النبى مشقة فى اعداد الجيش ، فحض الأثرياء من كبار المسلمين على بذل المال فى سبيل الله ، فسارعوا الى تلبية دعوته ، وتبرع كل من أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ، وعباس بن عبد المطلب بمبالغ كبيرة فى سبيل تجهيز هذا الجيش .

ولما تغلب الرسول على الصعاب التى لاقاها فى سبيل اعداد الجيش ، اعتزم المسير الى حدود بلاد العرب الشمالية ، فخرج ومعه ثلاثون ألفا فى أول رجب سنة تسع وتخلف عنه المنافقون بقيادة زعيمهم عبد الله بن أبى ، فلم يبال بتخلفهم ، ومضى فى سيره حتى وصل تبوك ، فحط بها رحاله وصالحه أهلها على الجزية ، ثم شاور أصحابه فى التقدم شمالا والسير الى حدود الشام ، فقال له عمر ابن الخطاب : ان كنت أمرت بالسير ، فسر ، فقال الرسول : لو أمرت به ما استشرتكم فيه ، فقال له أصحابه : يارسول الله ان للروم جموعا كثيرة ، وليس بها احد من أهل الاسلام ، وقد دنوت منهم حيث ترى ، وقد أفزعهم دنوك ، فلو رجعت هذه السنة حتى ترى أويحدث الله لك فى ذلك أمرا ، فاكتفى الرسول بانفاذ بعض سراياه الى الجهات المجاورة لتبوك ، كما بعث خالد بن الوليد الى دومة الجندل (وتقع شمالى المدينة) على رأس حملة خشية خروج ملكها أكيدر بن عبد الملك ومعاونته جيوش الروم ، وكان أكيدر من كنده ، ويدين بالنصرانية ، فأمر الرسول خالد بأن يأتى به اليه ونهاه عن قتله ، فقدم خالد بأكيدر على الرسول بالمدينة ، فصالحه الرسول على اداء الجزية وأخلى سبيله .

انصرف الرسول من تبوك بعد أن أقام بها بضع عشرة ليلة ، وعاد الى المدينة دون أن يتابع السير الى حدود الشام ، ولم يقع قتال بينه وبين الروم كما كان متوقعا بل اكتفى بتوطيد سلطانه السياسى على شمال الحجاز ، وقد تم له ذلك بعد أن اقبلت عليه وفود المستعمرات النصرانية واليهودية من المنطقة الواقعة على مقربة من الحدود الشمالية .

لبلاد الحجاز ، واتفق معهم على أن يؤدوا اليه جزيةمعينة وبذلك تيسر له اخضاع أهالى تلك المنطقة لنفوذه السياسى

ولما أدى الرسول حجة الوداع فى السنة العاشرة للهجرة ، وعاد مع أصحابه الى المدينة ، أصبح لا يخشى شيئا من ناحية جزيرة العرب لسيادة الدين الاسلامى على اقاليمها ومدنها ، لكنه كان يرى أن دولته الاسلامية لاتزال مهددة بالخطر من ناحية الشمال حيث كان الروم يرابطون على حدود الشام الجنوبية ، لذلك وجه اهتمامه الى تجهيز جيش لغزو تلك المنطقة ، أسند قيادته الى أسامة بن زيد بن حارثة ، وأمره بالمسير الى تخوم البلقاء حيث قتل أبوه ، واذا تم له النصر عاد مظفرا ، كما أوصاه بقوله : « أغز باسم الله فى سبيل الله ، فقاتلوا من كفر بالله ، أغزوا ولا تغدروا ، ولا تقتلوا وليدا ولا امرأة ولا تمنوا لقاء العدو ، فانكم لاتدرون لعلكم تبتلون بهم ، ولكن قولوا : اللهم أكفناهم ، واكفف بأسهم عنا ، فان لقوكم قد أجابوا وصيحوا ، فعليكم بالسكينة والصمت ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، وقولوا اللهم انا عبادك ، نواصينا ونواصيهم بيدك وانما تغلبهم أنت ، واعلموا أن الجنة تحت البارقة (السيوف) » .

لقيت الدعوة التى وجهها الرسول الى المسلمين للاشتراك فى حملة أسامة قبولا من كثير من وجوه المهاجرين والأنصار كعمر بن الخطاب وأبى عبيدة بن الجراح وسعد بن أبى وقاص ، غير أن بعض المهاجرين ساءه تولية أسامة قيادة الحملة لحداثة سنه ، اذ كان لايتجاوز العشرين من عمره . فلما بلغ ذلك الرسول ــ وكان قد بدأ يشكو من المرض الذى ألم به ــ غضب غضبا شديدا ، وألقى على المسلمين خطبة فى المسجد ، قال فيها : « أما بعد ، أيها الناس ، فما مقالة بلغتنى عن بعضهم فى تأميرى أسامة ؟ والله لئن طعنتم فى امارتى أسامة لقد طعنتم فى امارتى أباه من قبله ، وأيم الله ، ان كان للامارة لخليقا ، وان ابنه من بعده لخليق للامارة ، وانه كان لمن أحب الناس الى ، وانهما لمخيلان لكل خير ، فاستوصوا به خيرا ، فانه من خياركم » .

حرص الرسول صلى الله عليه وسلم ــ رغم المرض الذى اعتراه ــ على المضى فى اعداد حملة أسامة بن زيد ، فقال للمسلمين الذين جاءوا يودعونه قبل خروجهم مع أسامة : « أنفذوا بعث أسامة » ، فأخذ المسلمون يتهيئون للغزو وركب أسامة الى معسكره ــ خارج المدينة ــ وطلب من أصحابه اللحاق به . بيد أنه لم يكد يشرع فى السير بحملته حتى أتاه خبر اشتداد المرض على الرسول ،فاقبل الى المدينة بصحبة عمر بن الخطاب وأبى عبيدة بن الجراح وبعد فترة قصيرة من وصوله اليها ، انتقل الرسول الى جوار ربه وذلك فى يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١١هـ .

ولما بويع أبو بكر الصديق بالخلافة ، وطد العزم على محاربة زعماء القبائل العربية الخارجية على الحكومة الاسلامية مهما كانت النتيجة . ولكى يظهر أنه أمين على وصية النبى بدأ عمله بانفاذ حملة أسامة بن زيد التى جهزها الرسول قبل وفاته وزودها بخيرة المسلمين من المهاجرين والأنصار لغزو أطراف الشام الجنوبية ، وكان أبو بكر يرمى من وراء الاسراع بارسال هذه الحملة ايهام العرب أنه غير مكترث بحركة هؤلاء الثوار ، واشعارهم بقوة الحكومة الاسلامية وثبات مركزها ،ويرى ابن الأثير أن انفاذ جيش أسامة ، كان من أعظم الأمور نفعا للمسلمين ، فان العرب قالوا : لو لم يكن بهم قوة لما أرسلوا هذا الجيش فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون أن يفعلوه » .

سار أسامة على رأس جيشه قاصدا البلقاء ولم يتخلف عنه سوى عمر بن الخطاب الذى رأى أبو بكر ابقاءه بجواره فى المدينة ليشير عليه . فلما وصل أبنى (ناحية بالبلقاء) شن الغارة على أهلها وقضى على كل من تعرض له منهم ، كما حرق منازلهم وحرثهم ونخلهم ،وغنم بعض الغنائم . وبذلك أخذ أسامة الثأر لأبيه وللمسلمين فى مؤته ، ولم يغره النصر بمهاجمة الروم ، أو التوغل فى بلادهم ، بل اكتفى بأداء المهمة التى ندب من أجلها وعاد ظافرا الى المدينة بعد أن قضى فى غزوته مايقرب من شهرين

كانت حملة أسامة عظيمة الأثر ، فقد أوقفت القبائل العربية ، التى تقيم فى أطراف الشام الجنوبية ، على قوة المسلمين ، كما أثارت الرعب فى قلوب الروم ــ رغم أن أسامة لم يلق جيشهم ــ فاضطروا الى ارسال حامية قوية لترابط فى البلقاء ، وفضلا عن ذلك ، فانها مهدت السبيل للحملات التى أرسلت فيما بعد لغزو بلاد الشام

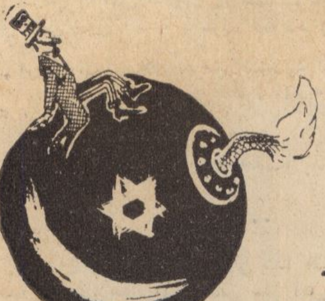

حتمية التعبئة الروحية في مرحلة الانطلاق العظيم

الأستاذ عبد العليم المهدى

وقفت امام الباب الثامن من ميثاق العمل الوطنى ، بين الطاقة الذرية ، وبين الطاقات الروحيـة ، فوجدته يقول :

« ان الطاقة الذرية من اجل الحرب ليست هدفنا ، ولكن الطاقة الذرية فى خدمة الرخاء قادرة على ان تصنع المعجزات فى معركة التطوير الوطنى »

« على انه يتعين علينا ان نذكر دائما ان الطاقات الروحية التى تستمدها الشعوب من مثلها العليا النابعة من اديانها السماوية ، او من تراثها الحضارى ، قادرة على صنع المعجزات »

« ان الطاقات الروحية للشعوب تستطيع ان تمنح آمالها الكبرى اعظم القوى الدافعة ، كما انها تسلحها بدروع من الصبر والشجاعة ، تواجه بها جميع الاحتمالات وتقهر بها مختلف المصاعب والعقبات »

« واذا كانت الاسس المادية لتنظيم التقدم ضرورية ولازمة ، فان الحوافز الروحية والمعنوية ، هى وحدها القادرة على منح هذا التقدم انبل المثل العليا واشرف المقاصد والغايات » .

حديث الطاقة الذرية

واقولها ـ أمانة ومكاشفة ـ ان العبارة الاخيرة من هذا النص الميثاقى قد شدتنى اليها ، فاخذت استعيدها مرارا ، ووجدتنى أهمس بها فى صوت مسموع ، ثم اجهر بها كمن يفكر بصوت عال ..

« اذا كانت الاسس المادية لتنظيم التقدم ضرورية ولازمة ، فان الحوافز الروحية والمعنوية ، هى وحدها القادرة على منح هذا التقدم انبل المثل العليا واشرف الغايات والمقاصد » .

ولست اعرض فى هذا المقام مدى العمق الذى احسه فى هذه المعانى ، ولكنى اقف بجانب الحوافز الروحية والمعنوية ، أقف بجانب القوة الالهية فى الانسان ، فان كثيرين غيرى يقفون بجانب الاسس المادية ، ولهم كل العذر ، فانها ضرورية ولازمة لتنظيم التقدم . ولكنى أرى الميثاق يضع الحوافز الروحية فى مرتبة اعلى واكبر .. فقد جعلها وحدها القادرة على منح التقدم المادى انبل المثل العليا واشرف الغايات والمقاصد ..

واحب ان اعيش هذه المعانى المجسدة فى حياتنا اليوم .. او بعبارة ادق فى جوهر حياتنا اليوم .

ان التقدم المادى قد جذبنا اليه فكريا ، ولا ضير مطلقا فى أن تتعلق أفكارنا بآمالنا فى مستقبل افضل ..

لقد عشنا احقابا من الذل بسبب تخلفنا المادى .. فلما عشنا عهد العزة ، طمحت آمالنا الى السد العالى والى الوادى الجديد ، والى كهربة كل الجمهورية ، والى الصناعات الثقيلة ، والى استخدام الذرة فى ذرع الصحارى وكشف الكنوز .

حديث الطاقات الروحية ..

وغايتنا من حديث الذرة ، قمة التقدم المادى ، هو ان تطمئن قلوبنا الى اننا نملك القوة الذرية ..

وجواب زعيمنا عبد الناصر فى ذلك واضح .. نحن نملك القوة الذرية .. ولكن استخدام هذه القوة فى الحرب ليس هدفنا ، ولكن الطاقة الذرية فى خدمة الرخاء قادرة على ان تصنع المعجزات فى معركة التطوير الوطنى .

استخدام الذرة فى الحرب ليس هدفنا .. فنحن دعاة سلام .

هذا هو المنطلق الحر لتقدمنا المادى فى حقيقته الروحية .. العالم بمعسكريه يستخدم الذرة فى التهديد بتدمير الحياة .. ونحن نستخدم الذرة وندعو الى استخدامها فى بناء الحياة .

من هنا تبدأ مفاهيم القيم الروحية لثورتنا تفرض وجودها كمدرسة انسانية .

اننا نؤمن بان القيم الروحية فى نفس الانسان الفرد، تمنحه طاقات لا حدود لها فى صنع التقدم . ونؤمن بان الحوافز الروحية قادرة على منح هذا التقدم انبل المثل العليا واشرف الغايات والمقاصد .

نؤمن بذلك فى اعماقنا ..

ان الايمان والعمل صنوان فى معركة الوصول الى تحقيق انبل المثل العليا واشرف المقاصد والغايات .

ان مرحلة الانطلاق تفرض التعبئة المادية ، وحكمة الميثاق تعلن انه لاسبيل الى القوة المادية سوى التعبئة الروحية .

والسؤال الآن : هل اخذنا انفسنا باسباب التعبئة الروحية ؟

خطه عمل ..

لا أريد أن أنفرد بالجواب على هذا السؤال ، ولكنى اصحب القارىء معى الى مجلس علم أتشرف بالانتساب اليه ..

نحن الآن فى دار المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، وفى قاعة اجتماعات « لجنة التعريف بالاسلام » . وجدول أعمال الجلسة يتكون من مادة واحدة هى :

« التعبئة الروحية فى مرحلة الانطلاق » .

واستغرق بحث هذا الامر سبع جلسات طوال ، بين مناقشات علمية هادئة رصينة ، وبين خلجات روحية حارة ، تدور بين صفوة مختارة من علماء الدين والقانون والتربية والفكر والاجتماع والتاريخ .

قد انتهت اللجنة من بحوثها الى توصيات بخطة عمل للتعبئة الروحية فى مرحلة الانطلاق ، تقدمت بها الى ادارة المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، لتتخذ بشانها ماتستوجبه أمانة الدعوة الى التعبئة الروحية بين الجيل الصاعد فى مختلف مراحل التعليم ، وبين المجتمع العامل فى كافة مجالات العمل ، وتجنيد وسائل الاعلام فى تفجير الطاقات الروحية ، فانها وحدها القادرة على منح تقدمنا المادى أنبل المثل العليا واشرف الغايات والمقاصد .

ولست اليوم فى حل من نشر خطة العمل التى اوصت بها لجنة التعريف بالاسلام فى مجال التعبئة الروحية ، ولكنى اراني مدفوعا الى دعوة قومى الى الاحتكام الى الميثاق ، فانه دليلنا فى مرحلة الانطلاق .. انه يقول :

« يتعين علينا ان نذكر دائما ان الطاقات الروحية التى تستمدها الشعوب من مثلها العليا النابعة من اديانها السماوية او من تراثها الحضارى ، قادرة على صنع المعجزات . ان الطاقات الروحية للشعوب تستطيع ان تمنح آمالها الكبرى أعظم القوى الدافعة . كما انها تسلحها بدروع من الصبر والشجاعة ، تواجه بهما جميع الاحتمالات ، وتقهر بهما مختلف المصاعب والعقبات »

وما اشد احتياجاتنا اليوم الى اعظم القوى الدافعة وما اشد احتياجنا اليوم الى التسلح بالصبر والشجاعة ، فنحن نواجه تحديات ضخمة ، ونواجه كثيرا من المصاعب والعقبات .

واذا كانت الدعوة الى التقدم المادى تسيطر على افكارنا ، فان الدعوة الى التقدم الروحى ينبغى ان تسيطر على ضمائرنا ، فان فى أعماق هذا الشعب رصيدا من الايمان هو وحده القادر على منح آمالنا الكبرى أعظم القوى الدافعة .

كل مايحتاجه هذا الرصيد من الايمان هو الكلمة الطيبة .. الكلمة الشريفة .. الكلمة الصادقة .. الكلمة النافذة الى القلب . كأنها الفتيل الذى يشعل المصباح امام الجيل الصاعد ليعرف الطريق الى مستقبله وانه بغير قوة العقيدة لن يستطيع تحقيق احلامه فى غد مشرق سعيد ، هو الذى نعمل من اجله ، ومن أجله نكدح ، ومن اجله نعرق .. حتى لايتعرض الابناء لما تعرض له الجيل الذى صنع الثورة اننا نصنع حياتنابالتجربة والخطا ، ولكنحياة ابنائنا ستكون ثمرات النجاح .. ولن يكون اهلا لهذه الثمرات حتى يتفتح قلبه بنور الايمان ، ليعزز النجاح بالنجاح ، ويؤكد النصر بالنصر .

ذلك اذا سلمناه نحن ميراثا من التقدم المادى فى وعاء من التقدم الروحى ..

ذلك اذا كان هذا الجيل مؤمنا بالله ، واثقا من نفسه ، قادرا على الاخذ باسباب التقدم الروحى ..

وليس التقدم الروحى لغزا أو مجرد شعار جميل براق ، ولكنه فى ميدان الحق والواقع علم له أصوله وركائزه التى ارساها الميثاق وهو يجعل الايمان أعظم القوى الدافعة الى الى تحقيق أكبر الآمال .

ان بناء القوة الذاتية لا يمكن أن يرتفع ويبقى مرتفعا الا اذا كانت دعائمه حوافز روحية تعطى التقدم المادى انبل المثل واشرف الغايات .

ومن هنا يتحتم علينا بذل جهود ضخمة فى تعبئة الشعب روحيا فى مرحلة الانطلاق ، وهى مسئولية ضمير ومصير بالنسبة للقائمين على امر التعليم والارشاد فى المدارس والجامعات والمصانع والحقول والمكاتب والمتاجر والبيوت .

العقيدة وحدها هى التى تصنع جيلا قادرا على تحمل مسئولية القيادة بنجاح

العقيدة هى الوسيلة الوحيدة لمضاعفة الانتاج ، ومحاربة الاسراف ، والحض على الادخار ، وتقوى الله فى مصالح الناس ، وبناء حياة الاسرة على قاعدة « الاقتصاد فى النفقة نصف المعيشة » وهى أمانة كل مسئول فى مجال التعليم ، ورعاية القوى العاملة وبناء الأسرة على مقومات الدين والوطنية والأخلاق .

واذا كانت وزارتا التربية والتعليم ، والتعليم العالى مسئولتين عن تنشئة الجيل الصاعد ، فان وزارات الازهر والشباب ، والعمل والثقافة والارشاد القومى ، والشئون الاجتماعية ، مسئولة عن الاجيال العاملة .. وكل تاخير فى بدء التعبئة الروحية انما يؤخر انطلاقنا وقد يقف بنا عند منتصف الطريق .

واسجلها - امانة - ان امكانياتنا الطبيعية اقل من آمالنا الطموحة ، ولكن امكانياتنا البشرية يمكن أن نضاعفها بتفجير الطاقات الروحية .. ولعله من دواعى الانصاف أن نذكر هنا أن الاذاعة والتليفزيون العربى قد بدات فيهما محاولة للوصول الى هذا الهدف ، نتمنى أن تستمر ، وان يوفق القائمون بها الى الوعى بانهم يخدمون الوطن اجل خدمة .. ونرجو ان تحذو حذوهما الصحف ودور النشر .

صور من حرية الكلمة في الإسلام

"الساكت عن الحق شيطان أخرس"

فضيلة الشيخ
محمد محمد الشرقاوى

على قدر ماحرر الاسلام العقول من اسارها ، وفك عن الافكار عقالهــا ، وأتاح فرص التحليــق فى آفاق السماء ، والتعميق فى طباق الارض .. بحثا عن الحقائق الكونية ، واستكناها للاسرار الفطرية .. للافادة منها . دينا .. عن طريق الاستدلال من روعة الصنعة على عظمة الصانع .. ودنيا بالانتفاع بمذخور كنوزها .. وتذليل قواها الكامنة فيها - حرر اللسان من ربقة الجمــود والقيود ، والفكر من التبعية والتقليد ، واطلق العنان للكلمة الحرة .. لتجول فى اطار التعبير البناء .. الى اقصى آماده وابعاده كيفما شاء لها التجوال ، وتطوف فى عالم المنطق الهادف حيثما ساقها التطــواف ، واعتبر ذلك فى نظر الاسلام لونا من العبادة وفى الحــديث الشريف : « الساكت عن الحق شيطان أخرس »

ومتى مانضجت الفكرة فى راس واعيها ، واختمــر الراى فى قريحة ناظره .. كان حقا عليه أن يدلى به فى معرض الجدل ، ويلقى به على بساط البحث والنظر .. من غيــر أن يخشى فى ذلك لومة لائم . ولقــد عاب الاسلام الغــاء العقــل ، وانميــاع الــذات .. بالانسياق الأعمى وراء التيار الفكرى ولو كان جارفا.. لان ذلك يعنى تعطيل اثمن مايتميز به الانسان عن سائر العوالم من الحرية والتفكير ، والارادة والتعبير وفى ذلك تتحدث السنة الصحيحة :

« لايكن احدكم امعة .. يقول انا مع الناس .. ان احسن الناس احسنت . وان اساءوا أسات ، ولــكن وطنوا انفسكم .. ان احسن الناس ان تحسنوا ، وان اساءوا ان تجتنبوا اساءتهم »

.. وهذا مافعله عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع المؤلفة قلوبهم وهم صنف من اصناف ثمانية تصرف لهم الزكاة المجموعة .. كما قال تعالى :

« انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » .. فلقد جرى العمل على مقتضى هذه الآية الكريمة منذنزلت على صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام .. الى عهد خليفته الصديق ابى بكر رضى الله عنه .. ولكن الفكر المتطور ، والروح المتحرد كان لهما اثر فعال فى مستقبل الاحكام المأخوذة من تلك الآية الكريمة : وذلك ان المؤلفة قلوبهم كانوا يمثلون فى مطلع الدعوة الاسلامية ثلاثة اصناف من العرب : صنف كان الرسول عليه الصلاة والسلام يتألفهم بالاحسان ويستميلهم الى صفوف الاسلام بالمادة .. حتى تتطامن قلوبهم العصية ، وتلين قناتهم الابية .. فيدفع لهم من مال الزكاة ليسلموا ..ويسلم قومهم باسلامهم .

وصنف آخر .. كان فى قلوبهم مرض .. رغم اسلامهم الظاهر وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يدفع لهم جانبا من الصدقات لتثبيت اسلامهم المزعزع .. ولتخليصهم من دائهم الذى خامر عقائدهم المريضة ، وساور عزائمهم الرخوة .

وصنف ثالث كانوا على الكفر مقيمين ، وفى الضلالة سادرين .. ولكن ضرورة الكفاح الذى يعتمد تارة على حد السنان وتارة اخرى على لغة الاحسان .. اقتضت ان يبذل لهم الرسول جانبا من الزكوات .. اتقــاء لشرهم ، ودرءا لكيدهم ..

ومن هذا الصنف الاخير ٠٠ عيينة بن حصن ، والاقرع ابن حابس ، وعباس بن مرداس ، وكانوا من اشراف قريش ، وكان الرسول يدفع لكل منهم مائة من الابل واحيانا يدفع خمسين ٠٠ واستمر الحال على هذا المنوال طيلة حياة الرسول وصدرا من خلافة ابى بكر . الى ان طلبوا من ابى بكر يوما وثيقة مكتوبة تخول لهم ملكية بعض العقار ٠٠ فاعطاهم ابو بكر ماطلبوا ٠٠ جريا على سنة سبق بها عمل الرسول عليه الصلاة والسلام ٠٠ ثم انطلقوا من ابى بكر الى عمر وطلبوا منه وثيقة ثانية ٠٠ تؤكد وثيقة ابى بكر الاولى ٠٠ وهنا يقف التاريخ فى زهو وفخر ليسجل « حرية الكلمة فى الاسلام » فقد اخذ عمر منهم الوثيقة البكرية ، ومزقها كل ممزق وقال : « هذا شيء كان يعطيكم رسول الله تاليفا لكم ٠٠ اما اليوم فقد اعز الله الاسلام ، واغنى عنكم ٠٠ فان ثبتم على الاسلام ٠٠ والا فبيننا وبينكم السيف » ٠٠ فعادوا الى ابى بكر وقالوا له : انت الخليفة أو عمر ؟.. بذلت لنا الخط ومزقه عمر ٠٠ فرد ابو بكر بلغة السياسى المحنك ، وقال : هو ان شاء ، ولم يخالفه ابو بكر ، وايده كل الصحابة فكان اجماعا ٠

ولقد حفلت حياة الرسول والصحب الكرام بالكثير من النماذج المعبرة عن تلك الحرية المنطوقة ٠٠ التى عاشت ضمن الكفالات والتامينات الاسلامية ، وادت رسالتها فى تصحيح الاوضاع ، وتنبيه الاسماع ، وتصويب الآراء ٠٠ حتى ولو بلغ بها الغلو حد الاسفاف احيانا ٠٠ ومن ذلك ماروى انه صلى الله عليه وسلم كان يقسم غنائم حنين فقال له ابن ذى الخويصرة : اعدل يارسول الله !٠٠ فقال عليه الصلاة والسلام : ويحك ٠٠ ان لم اعدل فمن يعدل ٠٠ واعطاه الرسول ولم يحرمه ٠

ومن ذلك ايضا : ماروى ان ابا الجواظ - وكان من المنافقين - قال لاصحابه على مسمع من الرسول وهو يوزع الصدقات : الا ترون الى صاحبكم محمد ٠٠ انما يقسم صدقاتكم فى رعاة الغنم وهو يزعم انه يعدل ٠٠ ومع ان هذا الاسلوب قد جانبته اللياقة فان الرسول تلقاه برحابة صدر ، وسجاحة خلق وقال له : « اما كان موسى راعيا ، اما كان داود راعيا » واعطاه بالعدل والقسطاس المستقيم

هذه السماحة فى تقبل النقد والاستماع الى الراى الاخر من قائله ٠٠ كانت ديدن الرسول فى كل حياته السياسية والحربية والاجتماعية ، وعليها قامت دعائم الحكم الاسلامى ، واصبح النقد الموجه جزءا لا يتجزا من سياسة الاسلام التقليدية ٠

وانظر ماحدث يوم الحديبية عام ست من الهجرة ٠٠ حينما ابرم الرسول صلحا مع قريش على ان يعود من حيث اتى ، ولا يزور البيت الحرام الا فى العام القادم وعلى ان يلتزم برد من جاءه مسلما بدون اذن وليه ٠٠ فى حين لايلتزم المشركون برد من آتاهم كافرا ٠٠ فقد اعترض عمر وذهب الى الرسول محتدا ٠٠ يقول له : الست برسول الله ؟ قال : بلى قال : او لسنا بالمسلمين ؟ ٠٠ قال بلى ، قال : اوليسوا بالمشركين ، قال : بلى ، قال : فعلام نعطى الدنية فى ديننا !؟ فقال الرسول : انا عبد الله ورسوله ، لن اخالف امره ، ولن يضيعنى ٠٠ قال عمر : اولست كنت تحدثنا انا سنأتى البيت ونطوف به ؟ قال بلى : ٠٠ افاخبرتك انا ناتيه هذا العام ؟.. قال : لا .. قال : فانك آتيه ومطوف به »

ان السياسة الرشيدة التى استنها الاسلام للافصاح عن الرغبات المكبوتة ، والاعراب عن خلجات النفس ، وهواجس الحدس ٠٠ كانت منهاجا حكيما لديموقراطية الحكم ، وشعبية الحاكم ٠٠ ذلك لان الحكمة ضالةالمؤمن يلتقطها حيثما وجدها ، وصواب الفكرة ، وسداد الراى ليس وقفا على احد ، او احتكارا لفئة دون فئة ، وانما هو قدر مشاع بين الناس ٠٠ شيوع الشمس والنور والهواء ، فكل عقلية تدعى العصمة فهى واهمة ، وكل راى يؤخذ منه ويعطى له الا صاحب هذه الروضة ٠٠ كما قال الامام مالك مشيرا الى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ٠

ولقد ضرب عمر رضى الله عنه من واقعيته المثالية المثل تلو المثل على مدى احترام الاسلام للكلمة الحرة ، والنقد اللاذع .. وكان يقاطع فى خطبته وهو على أعواد المنبر ٠٠ من دون ان يرى فى ذلك تهجما ٠٠ اوتجنيا عليه بل كان يفسح المجال للحقيقة حتى تبدو جلية روىالفخرى انبرودا من اليمن جاءتالى عمر ففرقها بين اتباعه واعطى كلواحد بردا واخذهو برده٠ ثم اعتلىالمنبر وعليه قميص من قماش هذه البرود ، وندب الناس للجهاد ٠٠ فقال رجل : لاسمعا ولا طاعة فقال عمر ، ولم ذلك ؟ ٠٠ فقال الرجل : لانك استاثرت علينا بقميص ، وهو اطول من البرد ٠٠ فمن اين جئت بالزائد وانت رجل طويل ٠٠ فالتفت عمر الى ابنه وقال : اجبه يا عبدالله .. فقال عبدالله : لقد ناولته من بردى فاتم منه قميصه فقال الرجل : الآن السمع والطاعة :

وعلى هذا المنهاج القويم قامت ثورتنا المباركة ، داعية الى رفع لواء حرية الكلمة ، ايمانا منها بانها الاساس القويم لبناء مجتمع الحرية والعدل . وهاهى الشعوب العربية والاسلامية تجنى ثمار الدعوة الحرة الصريحة التى وجهها الرئيس جمال عبدالناصر للملوك والرؤساء العرب داعم وحدة الصف العربى فى ظل مؤتمرات القمة العربية ومؤتمرات القمة الافريقية الاسيوية ٠

عدالة التوريث في الإسلام

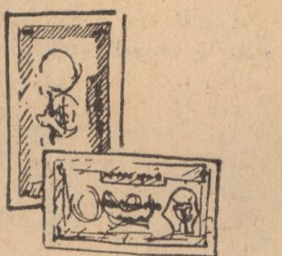

فضيلة الشيخ محمد عبد الرحيم الكشكى

كانت نظم التوريث معروفة لدى الأمم السابقة قبل الاسلام ، من قدماء الرومان ، واليونان ، والأمم الشرقية القديمة ، وقدماء المصريين واليهود ، والعرب وكانت النظم تختف باختلاف الأمم فى طرق معيشتها ، وحاجة الحكومات الى الأهالى فى الأعمال العمومية .

كما كانت هذه النظم جميعها يقتربها النقص فى التشريع ، وعدم الكمال فيه ، ويشوبها الحيف البغيض ، والظلم الفادح .

وبعد أن بعث محمد صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ، واستقرت تعاليم الاسلام جاء بنظام التوريث الذى لايدانيه من عدالته نظام ، لا فى الأمم السابقة قبل الاسلام ، ولا فى الأمم المتحضرة اليوم .

وليس قولى هذا من قبيل مايقوله العربى « كل فتاة بأبيها معجبة » وانما هو من قبيل مايشهد به الحس ، وتقتضيه البداهة ، ولا نزاع فيه لعاقل .

ان نظرة واحدة فى نظام المواريث عند الأمم القديمة والحاضرة ، وفى نظام التوريث فى الاسلام ، لتدل دلالة واضحة على أن الاسلام قضى على الظلم والحيف ، وجاء بالعدل المطلق ، والقسطاط المستقيم .

فقد كان فى طريقه قدماء الرومان الأولى يستبد المورث بأمواله بعد مماته ، فيوصى بها الى من يستخلفه ، ويفوض أمرها اليه ، ولو كان من الأجانب الذين لاتربطه بهم أية رابطة ، من قرابة ، أو زوجية أو ولاء

وأما فى طريقتهم الثانية بعد أن أصدر الامبراطور غسطنيانوس أوامره - ٥٤٣ - ٥٤٧ م - باتخاذ القرابة قاعدة للميراث ، فقد كانوا لايورثون الأصول مع الفروع ، وكل طبقة يرث ذكورها واناثها بالتساوى ، ولا يورثون الزوجة من ميراث زوجها ، ولا الزوج من ميراث زوجته .

وكانت الطريقة عند قدماء اليونان كالطريقة الأولى عند قدماء الرومان .

وكانت الأمم الشرقية القديمة كالكلدان والطورانيين وغيرهم تجعل الهيمنة على الثروة للبكر ، فاذا لم يكن فلأرشدالذكور من الأولاد أو الاخوة عند عدم الولد ، أو الأعمام عندعدم الأخوة ، وهكذا الى أن يدخل الأصهار وأهل العشيرة .

وكان قدماء المصريين يسوون بين جميع الأولاد فى التقسيم لافرق بين ذكر وأنثى .

وكان قدماء اليهود أيضا لايورثون الأصول مع الفروع ، ولا الزوجة من زوجها ، ولا الزوج من زجته ، وانما كان يرث الميت عندهم الذكر من أولاده ، من نكاح صحيح أو غير صحيح، فاذا تعدد الذكور كان للبكر نصيب اثنين ، وأما البنت فلها النفقة والتربية حتى تبلغ الثانية عشرة من عمرها

وكان العرب فى جاهليتهم لايورثون الأطفال ، ومنهم الابن الصلبى ، ولا النساء ومنهن البنتوالأم والزوجة ، ويورثون الدخيل عليهم بالمخالفة أو التبنى .

ومن الأمم المتحضرة فى العصر الحديث ، من تؤثر الولد الأكبر بالميراث دون غيره ، محافظة على لقب الأسرة الكاذب ، ومجدها الزائف .

ولا شك أن فى تلك المواريث كلها ظلما بينا ، وحيفا صريحا ، فعلى كل من يمنع من ميراثه ، ويحرم من نصيبه ، فقد يصبح فقيرا معدما ، بينما ينعم الذى اختص بالميراث بالنعم الوافرة ، ويتمتع بالثروة الطائلة ، مع استوائهما فى الصلة بالموروث .

وفى درجة القرابة منه ، ولا فرق بينهما الا بالسن ، أو الذكورة والأنوثة ، أو الفرعية والأصلية ، ومع صبر المرأة مع الزوج على بأساء الزمان وضرائه ، ومع نصب الزوج وكده فى سبيل راحة الزوجة ورغد عيشها حال حياتها .

بينما نجد الدين الاسلامى الحنيف لم يترك المورث يستبد بالتركة فيخص بها من يستخلفه ، ولم يطلق يده الا بمقدار الثلث يوصى منه بما يشاء ، لمن يريد ، تلافيا لما عساه أن يكون فاته من أعمال الخير والبر »

ولم يقصر الميراث على الفروع دون الأصول ، ولم يحرم الزوجة من ميراث زوجها ولا الزوج من ميراث زوجته .

ولم يسمح الاسلام لأحد الورثة أن ينفرد بالتركة دون سواه ، فلم يخص الأرشد ، أو البكر بالميراث ، أو يجعل له نصيب اثنين اذا تعدد الذكور .

ولم يسو بين الأقارب ، ولا بين الذكر والأنثى ولم يحرم الأطفال ولا النساء .

ان الدين الاسلامى جعل أسباب الميراث ثلاثة .

١ ـ القرابة .

٢ ـ الزوجية .

٣ ـ الولاء .

وانما اعتبر الاسلام هذه الأمور الثلاثة أسبابا للميراث ، لأن الميراث خلافة عن الميت والخلافة عنه لاتكون الا لمن يحفظ مجده وحسبه ، ويكون ذكره الباقى بعده كالفروع ، أو لمن كان يعطف عليه ، ويود له الخير ويؤثره به على نفسه كالأصول ، أو لمن كان يناصره ، ويشاركه فى سرائه وضرائه كأهل قرابته وذوى رحمه وزوجه . أو لمن أجرى الله خيره على يديه ، فأحياه أدبيا ، ومنحه الانطلاق والحرية كمولى العتاقة ، فان لم يكن واحد من هؤلاء فيكون ماله لبيت المال ، لأنه هو الذى يقوم بمصالح الجماعة والأمة التى ينضوى الميت تحت لوائها .

١ ـ القرابة .

هى الصلة النسبية بين المورث والوارث بالولادة ، وهى أقوى أسباب الميراث ، لأنها من أصل الوجود ولا تزول ، وتشمل الفروع والأصول ، والحواشى وذوى الأرحام ، وقد ورث الاسلام الجميع معملاحظةدرجة القرابة ولذا اختلفت الانصباء باختلاف قوة القرابة وضعفها .

ورث الأصول مع الفروع للتساوى فى درجة القرابة ، ولأن الميت فى حياته مدين لأصوله ، وله آمال فى فروعه يود تحقيقها اذا امتد به الأجل أو طال به الزمن ، وليس من العدالة أن يحرم من قدم المعروف فيما سلف من الزمن ، أو من يرجى فى مستقبل الأيام خيره وبره .

وأشرك جميع الأولاد فى التركة ، لافرق بين كبيرهم وصغيرهم ، كما ورث الذكر والأنثى منهم فجعل لكل منهم نصيبا مقدرا وفرضا محدودا .

وكذلك ورث ذوى القرابة من الحواشى ، فاذا انعدم الفروع والأصول انتقل الميراث الى الحواشى ، لاتختص به قرابة دون قرابة ، فيرث أولاد الأم مع الأخوة الأشقاء والاخوات الشقيقات أو لأب ، فان الأم تربطهم ، كما يربطهم أبوهم ، وهم يناصرون أخاهم كما يناصره الأشقاء والشقيقات .

وانما حرص الاسلام على كل هذا محافظة على جميع الأسرة ، حتى لاتتجمع الثروة فى يد أحدهم ، ويتبدد الآخرون ، وتكمن روح الحقد والحسد فى نفوس المحرومين منهم ، ويتفرق شمل الأسرة ، وتبدو العداوة والبغضاء بين أفرادها ، وبذلك تسوء حالة المجتمع ، وتنحل روابطه ، لأن الأسرة هى وحدة المجتمع ، ومنها تتكون لبنات بنائه .

أما اذا لم يحرم احد من ميراثه كما جاء به الاسلام ، وعلم كل واحد منهم أن له جزءا من المال يحوزه عند الوفاة ، فانه تقوى رابطته بغيره من اسرته ، وتتوثق الصلة بينه وبين جميع أفرادها ، فيصلح المجتمع كله ، وتسوده المودة والوئام ، ويصبح مجتمعا سليما ، ترتكز أسسه على دعائم من الأخلاق قويمة .

كما ورث الاسلام ذوى الأرحام ، لأن الرحم قد وصلت بينهم وبين المتوفى ، وهم ينصرونه ويشدون أزره .

وانما اخر ميراثهم عن ذوى الفروض والعصبات ، لانهم يعتبرون من غير أسرة المتوفى غالبا ، فضلا عن أن لهم ثروة جاءت لهم من أسرهم ، فلا يرثون الا بعد الأقربين من أقاربه .

٢ - الزوجية

هى ماكانت بعقد نكاح صحيح ، وهى أقوى صلة حيوية اجتماعية ، ولذا ورث الاسلام الزوج من زوجته ، لأنه القوام عليها ، والكادح لأجلها حال حياتها ، يدفع الضراء عنها ، ويعمل لنعمائها ، فمن العدالة أن يكون له نصيب فى ميراثها ، كما كان عليه نصيب فى أعباء حياتها ..

كما ورث الزوجة من زوجها ، لأنها شريكة حياته ، وصبرت معه على مرارة العيش وحلاوته وربما تكون ساهمت معه فى جمع الثروة ، وتحملت العنت والمشقة بجواره فى سبيل كسبها وتحصيلها ، فمن الوفاء والعدالة أن يكون لها نصيب يقيها نوائب الزمان ، فلا تقع فى براثن الفقر والحاجة ، ولتبقى محافظة على وده ، والوفاء له بعد أن فارقها .

٣ - الولاء

وهو نوعان : ولاء عتاقة ، وولاء موالاة

فأما ولاء العتاقة فهو علاقة حكمية بين المعتق وعتيقه ، وقد ورث الاسلام مولى العتاقة من عتيقه اذا لم يكن له صاحب فرض أو عصبة ، حثا على العتق ومنح الحرية التى يحرص الاسلام عليها دائما ، لأن المولى اذا علم أن له نصيبا فى مال عتيقه بعد ذوى الفروض والعصبة ، وقبل ذوى الأرحام ، حمله ذلك على العتق ، وسهل عليه وطابت به نفسه .

وأما ولاء الموالاة وهو ماكان بسبب الحلف والمعاقدة فقد قال الجمهور بنسخه ، وبقولهم أخذ قانون المواريث رقم ٧٧ لسنة ١٩٤٣ م

ان نظام التوريث فى الاسلام هو أعدل النظم وأحكمها ، للملكية الفردية التى لاحيف فيها ولا استبداد ، فهو نظام وسط بين النظرية التى لاتجعل للانسان ملكا الا فيما يحصله بكده ، وعرق جبينه ، فلا تبيح له الميراث ، وبين النظرية التى تجعل الانسان يستبد بأمواله بعد مماته ، كما كان يستبد

يها فى حياته ، فتبيح له أن يوصى بكل ماله ولو لأجنبى

وانما كان نظاما وسطا بين هاتين النظريتين ، لأن الاسلام ملك الوارث بالميراث مالم يكن يكسبه بجده وكده ، ولكن لقوة صلته بالمورث ، وقربه منه ، ولكن لقوة الاستبداد بجميع ماله ، لأنه جعل الخلافة عنه فى ثلثى أمواله اجبارية ، تنتقل ملكيته لهذين الثلثين بمجرد وفاته الى وارثه ، بل تبطل تصرفاته التى كانت فى مرض موته بما زاد على الثلث ، ولم يطلق يده فى الوصية الا بمقدار الثلث يوصى منه بما يشاء لمن يريد ، تلافيا لما عساه أن يكون قد وقع منه من التقصير فى أعمال الخير ، وأنواع البر •

ولقدحرضت الشريعةعلى الاستقرار ، وقطع مادة النزاع بين الناس ، فبينت الحقوق المتعلقة بالتركة ، وأسباب الميراث ، وشروط التوريث ، وموانعه ، ومن يرث ، ومن لايرث كما بينت كيفية تقسيم التركة بينمستحقيها تقسيما عادلا ، لايشوبه حيف ، ولا يقربه ظلم •

وان مايبدو من زيادة بعض الوارثين على بعض فى الأنصباء والسهام لاينافى العدالة ، ولا يجافيها ، لأن الزيادة للحاجة ، وتكاليف الحياة ، فكلما كانت الحاجة أشد كان النصيب أكثر ، ومن هنا كان نصيب الأولاد أكثر من نصيب الأبوين ، لأن الأولاد فى الغالب يكونون ضعافا يحتاجون الى كثرة الانفاق ، فى التربية والتعليم ، وغير ذلك من مطالب الحياة التى يستقبلونها •

وكذلك كان نصيب الذكر ضعف نصيب الأنثى ، لأنه ينفق على نفسه ، وعلى زوجته وأولاده ، وعلى من تلزمه نفقته من ذوى رحمة فكان له سهمان ، وأما الأنثى فانها تنفق على نفسها فقط ، فاذا تزوجت كانت نفقتها على زوجها ، فكان لها سهم واحد ، فمن العدالة أن يكون التقسيم على مقدار الحاجة كما جاءت به الشريعة الغراء •

تذويب الفوارق

الناس سواسية كأسنان المشط ، لافضل لعربى على عجمى ولا لابيض على اسود الا بالتقوى •

من الميثاق :

والصراع الحتمى والطبيعى بين الطبقات لايمكن تجاهله او انكاره وانما ينبغى ان يكون حله سلميا فى اطار الوحدة الوطنية وعن طريق تذويب الفوارق بين الطبقات •

الطبقات ، كلمة دخلت قاموس اللغة ، لغة التعامل فى العصر الحالى ونشات اجيال تسمعها مرغمة وترى بذور التفرقة بين البشر دون ان تجد مبررا لوجودها •

نظام الطبقات يهيىء لبعض الناس ان يتمتع بمميزات وحقوق جمة ويستأثر بكثير من الفرص التى لاتتاح للآخرين والبعض الاخر محروم حتى من حقه الطبيعى فى الحياة •

ويتساءل ابناء الطبقة الدنيا •• لماذا ننتمى الى طبقة وينتمى غيرنا الى اخرى وهل كتب علينا ان نعيش فى اطار موضوع لانفارقه وان تفرض علينا حدود لانستطيع ان نتعداها •• بينما غيرنا تحيط به منذ مولده مظاهر الترف والابهة •• ويشب ليجد طريقه فى الحياة محاطا بالورود والرياحين •• حتى لولم يكن له من الاخلاق والصفات مايؤهله لهذه المكرمة وكل ماله من فضل هو انتماؤه للطبقة العليا ••

واذا اردنا التعرف الى كيفية تكوين هذه الطبقات لوجدنا ان المجتمع نفسه هو الذى يضع مقاييس معينة يحدد بها الافراد الذين تشيع بينهم المساواة فى كثير من نواحى الحياة ويتميزون عن الاخرين ببعض الصفات ثم ينسبهم طبقة محددة ويقتحمون الحياة فى حدود هذه الطبقة التى حددها لهم المجتمع •

بين الطبقات

الاستاذة هدى عفيفى

وقد تقلب نظام الطبقات فى مصر فى عد قصور بسبب تعدد المستعمرين الدخلاء من مماليك واتراك وفرنسيين وانجليز . وفى كل فترة من فترات الاستعمار كانت تنشا طبقة عليا تجمع السلطة والثروة فى يدها ويحتضنها الاستعمار ويدللها ويمنحها كل الحقوق دون ان يكون عليها واجبات .

وكانت نتيجة اختلاط المجتمع المصرى بهؤلاء الاجانب الدخلاء ان تاثر بعاداتهم وتقاليدهم واسلوب معاملتهم واصبحت بصماتهم ظاهرة على كل ثوب يلبسه المجتمع بصمات تحمل سمات مختلفة متباينة .. فنشا المجتمع غير المتجانس مجردا من الطابع القومى الخاص .

وحتى قيام الثورة المباركة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كان المجتمع المصرى يتكون من ثلاث طبقات مميزة :

١ ـ الطبقة العليا :

وهكذا كانت تسمى اقليه من الناس وهى الطبقة حليفة الاستعمار وربيبته التى منحها جميع الميزات وارتبطت مصالحه بمصالحها . كانت هذه الفئة تكون نسبة ضئيلة من المجتمع ولكنها تتمتع بالمال والجاه والنفوذ وتضع يدها على ادوات الانتاج وتملك الارض الزراعية وما عليها ومن عليها يتوارثون المناصب والحكم ويسيرون الامور لمصلحتهم .

٢ ـ الطبقة المتوسطة :

وتتكون من الافراد الكادحين الذين يقع على عاتقهم دفع عجلة الانتاج ويجاهدون فى سبيل الحياة الكريمة ولكنهم لاينالون من الحقوق مايعادل ماعليهم من واجبات ..

٣ ـ الطبقة الدنيا :

وتتكون من المعدمين الذين لايملكون اى حق من حقوق الانسان .

ثم كانت الثورة الاجتماعية التى نبعت من ثورة ٢٣ يوليو والتى حاربت الرجعيين والاستغلاليين وحددت الدخل الاقصى للاسرة والحد الادنى للاجور ثم قضت على الاستغلال فى جميع صوره بتحديد الملكية الزراعية وباصدار قوانين يوليو الاشتراكية .

ان الدين الاسلامى الحنيف لايقر نظام الطبقات بل ساوى بين جميع البشر فى الحقوق والواجبات .. ان امة اسلامية تسير طبقا للقوانين الالهية التى انزلت فى القرآن وتبعا للشريعة والسنة يجب ان تتخلص من براثن هذا الداء وتنفض الغبار الذى نثره الاستعمار ففرق بين ابناء الامة الواحدة .

ولكن ماهى الخطة وما هو السبيل ؟ ان الثورة هيأت لكل فرد فى المجتمع فرصته فى ان ينال حظه من الحياة ويقوم بدوره الفعال فى بناء الوطن والعبء الآن يقع على عاتق الشعب ليستفيد من حقوقه المكتسبة وبالتالى تذوب الفوارق بين الطبقات .

ولنرجع مرة اخرى الى المقاييس التى تحدد وجود الطبقات حتى اذا تتبعنا اصل الداء امكن لنا ان نعرف الدواء :

اولا ـ المركز المالى والاقتصادى :

يعد دخل الاسرة عنصرا هاما فى تحديد الطبقة اذ ان كفاية الدخل يحدد اسلوب المعيشة ـ والمقدرة على مواجهة اعباء الحياة .. ونقص الدخل يعنى حياة الشقاء والحرمان والدخل المعقول يعطى فرصة الحياة الكريمة اما ارتفاع الدخل الى مستويات خيالية فهذا مدعاة لحياة البذخ والاسراف .

والنظام الاشتراكى يحتم توزيع الدخل القومى توزيعا عادلا بحيث يكون هناك حد اعلى وحد ادنى للدخول وان يكون الفرق بين الحدين فرقا معقولا . بل واكثر من هذا عند حساب الحد الادنى يجب مراعاة ان يكون كافيا ليكفل حياة انسانية كريمة .

وقد وضع القرآن الكريم هذا المبدا حين فرض الزكاة « خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » «واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة »

لقد كفلت الدولة لقوانينها الاشتراكية تحديد الدخل بقى ان نسعى لتنظيم الزكاة .

وما لنا لانلتمس طريق الهدى من القرآن الكريم الذى نص على الزكاة حتى يعطى الغنى جزءا من ماله للفقير يعينه به على مواجهة الحياة . ان السبل والمثل الاعلى يتمثل امامنا مما حدث فى صدر الاسلام وكيف تم تنظيم جمع وتوزيع الزكاة عن طريق بيت المال .

لذلك اقترح على الدولة ان تنظم هيئة مسئولة عن جمع الزكاة بالقسط الذى شرعه الله وتوزعها على المحتاجين والمستحقين .

وليس الدخل وحده هو الذى يحدد الطبقات ومعالجتنا لهذه الثغرة وحدها لاتوصلنا الى اذابة الفوارق بين بين الطبقات . فهناك مثلا كثير من الموظفين قد يقل دخلهم عن التجار ولكنهم يتمتعون بمركز اجتماعى مرموق .. وهناك اسر كونت ثروات طائلة عن طريق لاتجار فى بعض السلع الشعبية واقتنوا الاملاك والعمارات ولديهم مدخرات ومع ذلك مازالت هناك عوامل اخرى

غير المادة تشدهم الى طبقتهم الاصلية ولم تستطع الثروة وحدها ان تنقلهم الى طبقة اعلى .

ثانيا ـ الثقافة والتعليم :

يعتبر التعليم من اهم العوامل التى تحدد الطبقة وثقافة الافراد دائما تنعكس على طريقة معيشتهم وانفعالاتهم للمؤثرات المختلفة .

والثقافة والتعليم ترفع مدارك الانسان وتفتح امامه مجالات وتزيد من فرص الكسب والعمل وتبث فيه الطموح والاجتهاد ولكنها ليست ضمانا مطلقا للانتماء الى طبقة معينة اذا لم يساندها الجد والاجتهاد والكفاية فى العمل .

ومن سياسة الثورة فتح باب التعليم على مصراعيه للراغبين ومجانيته فى جميع مراحله من تيسير طلباته ونفقاته ومحاربة الامية فى جميع الاوساط .

ومن المسلم به وجوب اتاحة الفرصة فى جميع المجالات امام المجتهدين وغض النظر عن النسب والوساطة حتى يشعر كل انسان ان لكل مجتهد نصيب فيخدم مجتمعه بروح وثابة يدفعها الامان والثقة الى الاجادة والاخلاص

ثالثا ـ الاخلاق والتقاليد :

لقد قال شاعرنا الخالد شوقى :

وانما الامم الاخلاق مابقيت
فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا

ولاشك اننا لو تمسكنا بالدين الحنيف ومايدعو له من تسامح ومحبة واخوة والمعانى الجميلة التى يدعو لها حين يقف المسلمون فى صلاة الجمعة صفوفا متساوية الغنى بجانب الفقير والكبير بجانب الصغير يركعون ويسجدون لله .. اننا اذا اهتممنا ببث روح الاسلام فى النفوس وتربية الصغار تربيه دينية سليمة لاستطعنا ان نقتلع جذور النعرة التى اوجدتها الطبقات .

والعادات والتقاليد الموروثة فى مجتمعنا على مر العصور من اهم مظاهر النظام الطبقى . وهذه مشكلة تحتاج الى انقلاب ثورى حتى نتخلص من الشوائب الدخيلة والعادات والتقاليد المستوردة وما نتصف به من تباين وتضارب وتتمثل هذه التقاليد فى جميع مظاهر الحياة .

ا) الملبس :

يوجد فى مصر اكثر من عشرة ازياء مختلفة تدمغ لابسها بطابع طبقة معينة بل تتعدد الازياء فى نفس الطبقة ، فلو اننا استطعنا ان نجد زيا موحدا يحمل الطابع القومى ولو على مستوى المحافظات او الجهات المختلفة فى القطر المصرى لتقاربت الفوارق بين الطبقات .

ب) المسكن :

ان المسكن الصحى اللائق من اهم مظاهر الفوارق بين افراد الطبقات لذا يجب العمل على كفاية المسكن اللائق لكل مواطن ولتحقيق هذا الغرض هناك وسائل متعددة منها :

ـ تشجيع السكن خارج المدن وذلك بتوفير الخدمات والمستعمرات السكنية وخاصة بجوار المصانع والضواحى كذلك فى المحافظات المختلفة حتى نجذب المواطنين اليها .

ـ تشجيع الجمعيات التعاونية (غير المستغلة) لبناء المساكن .

الاستمرار فى سياسة تخفيض الايجارات .

جـ) العقائد والعرف :

ويشمل التقاليد المتبعة فى التعبير عن مظاهر الفرح والحزن ونظام اقامة الحفلات فى المناسبات من ندوات وافراح ومآتم .. الخ ، حفنة من الناس مازالوا يتمسكون بمظاهر الاسراف فى هذه النواحى رغبة فى اشباع مظاهر الطبقية .. هذا عدا مخالفة الدين بما يحدث من شرب وخلاعة ومجون .

د) طرق قضاء الفراغ :

يختلف الناس فى طريقة قضاء اوقات راحتهم وفراغهم فبعضهم يميلون الى الرياضة والرحلات والبعض الآخر لايستفيد بهذا الوقت ويضيعه هباء وآخرون يقتلون الوقت فى الملاهى والمقاهى .

لذلك يجب توجيه نظم مدروسة تشترك فيها الدولة بامكانياتها لتسهيل قضاء اوقات الفراغ بما يعود على المواطنين بالفائدة وخاصة بالنسبة للشباب مع الاهتمام بالاجازات الصيفية بصفة خاصة .

هـ) وهناك عادات وتقاليد لاتحصى ولا تعد ويجب وضع حد لتباينها . هذه التقاليد تفرض حواجز بين الطبقات فلو اننا عملنا على وضع مقاييس جديدة نابعة من واقعنا وتتمشى مع حضارتنا وديننا وتعكس طابعنا العربى الاصيل ثم عملنا على نشرها وتطبيقها والقضاء على العادات الرذيلة الموروثة والدخيلة لقضينا شوطا بعيدا نحو تحقيق اذابة الفوارق بين الطبقات .

رابعا : اسلوب الحياة والمعاملات بين الافراد :

ويتمثل فى طريقة كلام الناس واتصالاتهم وطريقة تعاملهم ومستوى اخلاقهم . وطريقة المساواة فى هذا الموضوع تتمثل فى نشر الوعى والثقافة الاخلاقية وتعميم التربية الدينية بشتى الوسائل .

الإسلام في الأدب العربي

الأستاذ ابراهيم عوضين

٢

في مقالنا السابق تتبعنـا الحقيقة الأولى التي رأينا أنها لازمة لموضوعنا قبل الخوض فيه .... وكانت تأثير الاسلام في الكيان الانساني عموما ، والكيان العربي على وجه الخصوص .

أما الحقيقة الثانية المصاحبة فهي أن الأدب – في حقيقته – مظهر من مظاهر السلوك البشري ، وصورة من صور الحياة الانسانية ، فهو يخضع لما تخضع له هذه الحياة ، ويتأثر بكل ما تتأثر به ، على اختلاف تلك المؤثرات التي تتناول الحياة من فطر وعقائد وأفكار وثقافات .

فكل ما ينطق به لسان الانسان الواعي انما هو تصوير لما يثير نفسه ، ويحرك عواطفه، ويهز مشاعره وانفعالاته.. سواء كانت تلك المثيرات بالرفض أو بالقبول ، بالحب أو بالبغض .

وليس هناك مجال لأن يتشكك في تلك الحقيقة باحث ، خصوصا بعد أن توصلنا – في الدراسات النفسية – الى ما بين الاتجاهات النفسية والأفكار والآداب من روابط وثيقة ، لا يكاد يعتورها فصام أو انفكاك .

ان الانسان ليس جهازا ميكانيكيا فحسب ..

ولكنه – الى ذلك – أشتات مجتمعات يشدها في بناء واحد بيئته على اختلافهـا ، من طبيعية واجتماعية وسياسية وثقافية .. الى غير تلكم المؤثرات جميعا التي تتناول الفرد بالتأثير حتى قبل مولده عن طريق عامل الوراثة .

بيد أننا لن نستطيع أن نلم بجميع تلك المؤثرات هنا ، لأن منها ما نعرف ومنها ما نجهل ، ولأن ما نعرفه منها ليس كله ضروريا في بحثنا هـذا ... فكل ما نريده أن نستذكر المبدأ مجملا .

وعلى هذا فمما يجدر بنا أن نلم به من تلك المؤثرات هنا ، لأنه يعيننا على تحقيق ما نهدف اليه من فهم الأدب وتذوقه ، ورده الى أصوله ، وملاحظة ما طرأ عليه ، وسر ذلك كله ...

١ – الاقليم والمناخ ... وهذا الأثر يبدو واضحا في الأدب بما لا يترك فرصة لأخذ ورد، لأن الاقليم الصحراوي يختلف بنفوس ساكنيه عن الاقليم الجبلي ، وكل منهما يختلف عن الاقليم السـهل الخصيب ، اذ في كل من الصفات ما يضفيه على الحياة المادية والمعنوية للشعوب التي تقيم فيه ، وبالتالي يتأثر ما تنتجه هذه الشعوب من الآثار الأدبية على أجناسها .

اقرأ للنابغة قوله :

ومهمه نازح تعـوى الذئاب به
نائي المياه عن الوراد مقفار
جاوزته بعلنـداة ، مناقلة
وعر الطريق على الاحزان مضمار
كأنما الرحل منها فوق ذي جدد
ذب الرياد الى الأشباح نظار

تجد فيه الطبيعة الصحراوية الخشنة التي شب ونشأ فيها .

ثم اقرأ قول ابن خفاجة :

لله نهر سـال في بطحاء
أشهى ورودا من لمى الحسناء
متعطف مثل السوار كأنه
والزهر يكنفه مجر سماء
وغدت تحف به الغصون كأنها
هدب تحف بمقلة زرقاء

ترى فيه صورة الأندلس واضحة تامة الوضوح .

ولا يعني هذا أن انتقاله الى الأندلس قطع صـلته بالبيئة العربية الأصيلة ، وانما أقصد أنه اكتسب سمة جديدة ميزته عن الشعر الجاهلي ، وهذا ما نجده حين نتتبع الشعر اليوناني الذي نشأ في بلاد اليونان الآسيوية وفي جزر بحر ايجه ، فتأثر بهذا الاقليم الذي نشأ فيه ، ثم انتقل الى بلاد اليونان الأوربية فتأثر باقليمها ، ثم انبث في الشرق بعد فتوح الاسكندر فتأثر بالأقاليم المختلفة التي استقر فيها ، ولكنه مع كل ذلك ظل محتفظا ببعض آثار الاقليم الأول الذي نشأ فيه .

٢ ـ والحضارة التى تنتقل بها الشعوب من طور الى طور ، وتنشر بينها من الاستقرار والنظام ما كانت تجهله ، وتمنحها من الترف والسهولة ما لم يكن لها به عهد ، فتترك فى حياتها المادية والمعنوية آثارا بارزة قوية ، وخصوصا آثارها فى الأدب باجناسه ، فاغراض المتحضر التى يقصد اليها تختلف عن أغراض البادى ، والمعانى التى تخطر للمتحضر غير المعانى التى تخطر لأهل البادية، بل ان الالفاظ التى يستعملها المتحضر فى تعبيره غير الالفاظ التى يؤدى بها البدوى معانيه وأفكاره ، فهى لدى المتحضر تلائم حياته لينا ورقة وعذوبة ، كما تلائمها دقة ووضوحا وحسن استقصاء .

٣ ـ والحياة السياسية التى تضطر الناس الى الخضوع لنظام بعينه يقوم أحيانا على القوة والبطش ، مما يلجىء الى التملق والخضوع فينتج ألوانا من الأدب يظهر فيها التانق والاسراف فى تمجيد أصحاب السلطان ، أو يلجىء الى الرمز والابهام ، أو اصطناع الحيوان لابداء ما يريد على لسانه مثل كليلة ودمنة ، ومثل المعذبون فى الأرض للدكتور طه حسين .

وأحيانا يقوم النظام السياسى على الحرية ، فينتج الوانا من الأدب تعيش فى ظل الصراحة والاعتراف بالشخصية الانسانية ، وتبدو فيها حرية الأديب فيما يريد أن يطرق من موضوعات الشعر والنثر .

والأغراض التى تظهر مع الحرية تختلف عن الأغراض التى تبرز مع الاستبداد ، فالمدح يلازم الاستبداد السياسى مثلا .

بل ان الأجناس الأدبية التى تعيش فى ظلال الحرية غير الأجناس التى تحيا مع العسف والجور ... ومن ثم ارتقت الخطابة ولا سيما السياسية فى صدر الاسلام حين استمتع العرب بالحرية ، فلما اشتد بطش الخلفاء العباسيين انحطت الخطابة .

والاستبداد السياسى من أخطر المؤثرات على الأدب ، فهو يؤدى الى قلة الانتاج ، ورداءة هذا القليل وضعفه ، لانه يلتزم السير على مشيئة السلطان وارادته ، وهذا ما نلمسه فى الأدب الاسبانى مثلا أيام الاضطهاد الدينى .

ولماذا نبعد فى البحث وأمامنا المثل القريب فى العصر الحديث ، فنحن ما نزال نذكر حادثة « دكتور زيفاجو » للكاتب الروسى باسترناك .

٤ ـ والدين الذى هو قوام الحياة النفسية للشعوب، ولذلك فقد حرصت على أن أجعله خاتمة المؤثرات الأربعة التى رأيت التعرض لها ، فهو يؤثر فى كل ما يصدر عن الانسان من آثار مادية ومعنوية ، وهو بالتالى يؤثر فى كل ما عداه من مؤثرات أخرى .

ويكفى أن نجول بفكرنا فيما يتصل بالدين من أخلاق ومعتقدات وأفكار وسلوك لنعلم مدى قوة تأثيره فى الحياة الفنية ، ومدى عمق ذلك التأثير ...

فالأدب التمثيلى مثلا أثر من آثار بعض الديانات اليونانية ، وظل يترقى ويتطور حتى أصبح فنا مستقلا يقصد لنفسه ، والأدب الصوفى الذى نراه عند اليونان وعند المسلمين وعند كثير من الأمم المسيحية ... أثر من آثار الدين ...

هذا عن الدين عموما ...

أما الدين الاسلامى فله خاصية أخرى تفوق كل ذلك ، لأنه يغاير تلك الديانات جميعا بتعاليمه ومبادئه التى تتناول كل شئون الحياة دقيقها وجليلها ، فهو وحده يخلف فى النفس كل الآثار التى تخلفها المؤثرات المتنوعة ، لأن فيه من السياسة والحضارة والثقافة والخلق وأنماط الحياة المختلفة ما يحقق كل ذلك .

ومجمل القول فى تلك الحقيقة الثانية أن أى أثر فى الحياة يظهر فى الأدب ، لأن الأدب صورة من صور الحياة، وواحد من مظاهرها .

وكم كان تجاهل تلك الحقيقة سبيلا يقود الى الضلال، ويوقع فى التيه ، حتى رأينا أعاجيب يدهش لها العقل ، ويتساءل فى ذهول كيف لم يتنبه هؤلاء الى تلك الحقيقة على نصاعتها ؟!

وفى الحق أن ذلك الضلال انما يرجع الى التخلى عن استصحاب تلك الحقيقة والدراية بها فى أثناء بحثه ومناقشاته .

وأوضح ما ترى ذلك الضلال والتورط فى بحوث المستشرقين التى يتعرضون فيها لبحث الأدب العربى أو الشريعة الاسلامية ، حيث يغفلون فى بحوثهم الأدبية عن القرائن الأدبية فى الأدب العربى ...

وذلك لانهم يبحثون فى آداب لم يستصحبوا كل آلاتها لانهم لما يتمكنوا منها ، ولم يستوضحوا كل مؤثراتها المختلفة التى تخصها من دون غيرها لأنهم لما يتعرفوا عليها جميعا .

بل أدهى من ذلك وأمر أنهم ينساقون الى البحث فى آداب غير آدابهم فى ضوء ثقافاتهم هم ، وبملاحظة مؤثراتهم المختلفة .

ومن ثم بدت حتمية الانحراف فى السير ، والخطأ فى التقدير .. قد يكون عن عمد ، وقد لا يكون .

فهم انما ينظرون فى النصوص والاسناد ، ولا ينظرون فى الأدب ، ولا فى روح الكلام ، ومضامين التعبير ، لأن معرفتهم باللغة العربية وملابساتها معرفة محدودة ، لا تتيح لهم القدرة على أن يحكموا على آدابها وأساليبها ومضامين كلامها حكما يخلو من الخطأ والاضطراب .

فهذا علامة منهم ـ على حد تعبير الأستاذ العقاد فى مطلع النور ـ تصدى لوضع المعجمات الكبرى فى اللغة العربية فكتب فى مادة « أخذ » أنها تأتى بمعنى نام لقوله تعالى : « لا تأخذه سنة ولا نوم »

ومنهم من يترجم « أبو بكر » ب « أبو العذراء » لم يأخذ فى تعليل ما وصل اليه من تلك الترجمة فيقول انه سمى كذلك لأنه كان والد الزوجة التى بنى بها النبى عليه السلام وهى عذراء .

ومنهم من يقول ان التضحية تدل على عبادة الشمس لأنها من الضحى ...

وما هى فى وضعها الا كالتغدية من الغداة ، والتعشية من العشاء ، والسحور من السحر ، الى غير ذلك من توقيت الوجبات والذبائح بميقاتها من الليل والنهار .

بل ان منهم من يحسب أن القصيدة من القصد ، فيترجمها بقوله : الكلام الذى يراد معناه .

وقد تصدت منهم للبحث عن اللغة قبل نزول القرآن طائفة تقتحم هذه المباحث وهى أجهل بآلاتها من عامة الأميين .

(البقية ص ٩٥)

الاسلام كما أراده الله

الأستاذ منصور نسيم

الاسلام كما اراده الله دين سلام « والله يدعو الى دار السلام » ودين الحرية والمساواة والاخوة « كلكم من آدم وآدم من تراب » « ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » « انما المؤمنون اخوة » ٠٠ والاسلام دين الوحدة « اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن الا وانتم مسلمون » واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » ٠٠ « ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون » ٠٠ والاسلام دين العمل « فاذا فرغت فانصب » « ان الله يكره العبد البطال كلا على الناس » ٠٠ والاسلام دين العدالة « اعدلوا هو اقرب للتقوى » حتى مع العدو ٠ « ولا يجرمنكم شنآن قوم على الاتعدلوا » .. ودين مكارم الاخلاق . كلها « بعثت لاتمم الاخلاق » « الدين المعاملة » ٠٠ والاسلام دين الكرم والايثار « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » ودين الكفاح والجهاد ، فالمسلم الحق لايذل نفسه « وجاهدوا فى الله حق جهاده » ودين التسامح والتعاطف « فمن عفا واصلح فهو خير له » ودين التناكح والتناسل اذ لولاهما لخربت الدنيا وانقرض البشر ٠٠ « تناكحوا تناسلوا فانى مفاخر بكم الامم يوم القيامة » ودين الوفاء « واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها » ٠

هكذا رسم الاسلام حدوده وهكذا اراده الله هديا للبشر وطريقا سليما لوضع خطط واهداف الحياة الهادئة المستقرة ٠٠ سلام ووئام يحوطهما امان واستقرار ورسول البشرية محمد عليه السلام خط بحياته الكريمة برنامج الاسلام كهدى وعمل ورسم بالهام الله وحياة الانسانية كما يجب وكما تتطلب ٠

والمسلم الحق من احس بعظمة دينه وتفاعل مع تعاليمه وعمل قدر طاقته على ان يعزه وينصره « ان تنصروا الله ينصركم » والمسلم الصادق العقيدة ذات الاحاسيس المتجاوبة لايبغى بدينه بديلا ولا يبغى له سوى التاييد والتدعيم « اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين ، « يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم » « اشداء على الكفار رحماء بينهم » ٠٠

والاسلام فى حقيقته كمنهج وعقيدة محاط باخطار جسيمة من قبل اعدائه وخصومه ، وهم كما نعلم ونحس أقوياء مسلحون بالمال والعتاد . لا يدخرون وسعا فى الكيد للاسلام والمسلمين ، والعمل على النيل منه والحط من قدره ومكانته وواجبنا نحن ابناء الاسلام فى كل مكان الا نقف امام هؤلاء الاعداء وتحدياتهم مكتوفى الايدى ٠٠ فمن كمال اسلام المرء الغيرة على الدين ، غيره تنبع من خلجات عامرة بالعقيدة متفاعلة مع الاهداف والتعاليم ، ومن هنا كان السلف الصالح فى صدر الدعوة الاسلامية ، ومن هنا غيروا وجه التاريخ بعددهم القليل وفى سنوات وجيزة ، وليست هذه الغيرة فى القيام باداء طقوس العبادات فحسب ، ولكنها فى الدفاع فى كل موقف يتطلب الدفاع سواء بالقول والحجة او حمل السلاح والذود عن الكيان « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » ٠٠ وليس نصيب الحكومات باقل من نصيب الافراد ، اذ للحكومات الاسلامية مجالها الرحب فى خدمة الاسلام والمسلمين بالعمل الجدى على نشر اللغة العربية والثقافة الاسلامية فى البلاد التى حرمت منها والتى كانت تحت حكم الاستعمار البغيض فى افريقيا وآسيا والاقليات الاسلامية فى أوروبا وأمريكا ، وفى كل بقعة يحرم اهلها المسلمون دراسة اللغة العربية لغة التنزيل ، وليعيدوا النظر الى ماتوصل اليه الاستعمار بواسطة ثقافته التى ظل ينشرها ومازال يعمل على نشرها بكافة الوسائل وعلى مرأى ومسمع من الكثيرين الذين اعتنقوا الاسلام كدين وفقط دون أن تكون لديهم الذرات الاولى من الغيرة الاسلامية ٠٠ « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم » ٠٠ « من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وهذا هواضعف الايمان » ٠٠وليس اعمق ولا أقوى من تنشئة الشباب المسلم على فهمه السليم وحبه العميق لدينه ٠٠ فالعقيدة تسرى من صاحبها مسرى الدم من الشرايين وتلك التنشئة تعد لنا أجيالا سلمت مسامعها من تراهات واضاليل الحاقدين والمستعمرين وترسم امامهم طريقا محفوفا بالامل الزاهر والتجاوب الصحيح ، ويجب تعميق مفاهيم هذه التنشئة فلا تقتصر على التوجيه المدرسى فقط بل تبدأ مع حياة الانسان الاولى فى البيت والمدرسة والمجتمع وأن تدفن تلك الآراء الهدامة والمسرحيات والتمثيليات المسمومة من حياة ذلك النشء .. فما أضر على المجتمع من أن تسرى فيه امثال هذه الاكاذيب المحبوكة والحركات المثيرة والالحاديات الفتاكة ٠٠ « من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها » « ولاتزر وازرة وزر اخرى »

شباب البعوث الإسلامية

واجبهم نحو دينهم ووطنهم

الأستاذ محمد فتحي محمود

كان المسلمون أمة واحدة منذ أقام صاحب الرسالة الاسلامية صرح هذه الأمة ، فقد تميزت هذه الأمة الاسلامية بميزات لم تسبقها أمة فيها ولم تلحقها بعدها اليها ، ولا يزال العالم ينشد هذه المبادىء التى تأسست عليها الأمة الاسلامية فلا يستطيع ، على ماعرف من نظم واختبر من حكومات ٠

وأول هذه الميزات أن الناس فى هذه الأمة سواء ، سواسية كأسنان المشط ، لافضل لعربى على عجمى الا بالتقوى ٠ **والميزة الثانية** متصلة بالأولى وهى أن الناس أخوة لأب وأم وبذلك لاتعرف الأمة الاسلامية الفواصل بين الأجناس والألوان ، فالاسلام ملك لمن دخل فيه ، والأمة الاسلامية تتكون من مجموع المسلمين ٠ وقد ثبت هذا من أول يوم أقام فيه النبى هذه الأمة بدستور مكتوب وهو الصحيفة التى عقدها فى المدينة وجعلها دستور أمته الناشئة وأول بند فيها : ينص على هذا التعميم الانسانى وهو « المهاجرون والأنصار ومن لحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة من دون الناس » بهذا فتح الباب على مصراعيه أمام الناس جميعا ليدخلوا فى الأمة دون قيد أو شرط سوى الاسلام والرغبة فى الالتحاق بهذه الأمة ٠

والميزة الثالثة هى العالمية : وهى ميزة ترتكز على ما قبلها من ميزات فما دام الناس أخوة وما دام الاسلام ملك لمن دخل فيه ، وما دامت الأمة تقوم على هذا الاخاء الانسانى فان هذه الأمة هى الأمة العالمية التى يمكن أن تحتوى البشر جميعا تحت ظل اخاء واحد ومبدأ واحد وهو مبدأ التساوى والعمل لخير الجميع ، فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، والمسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا ٠ والمسلمون فى تراحمهم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ٠

الجزيرة العربية ثم جاء أصحابه فخرجوا الى

على هــذه الأسس أقام النبى دولتــه فى المجال الخارجى ليعطوا المبادىء الاسلامية كل امكانياتها لتعم الناس ولتطبق تطبيقا عمليا فلم تلبث غير قليل سوى سنوات عشر أو قل عشرين أو خمسين - فليس هذا شيئا فى عمر الأمم - حتى قامت الأمة الاسلامية العالميــة تمتد من الصين الى غرب أوربا وتشمل العالم المتحضر المعروف كله ، بل جاوزته وشملت عالما لم يكن متحضرا ولا معــروفا لأهــل الحضارات ٠

ودخل فى الاسلام الذى هو شرط الانتماء الى الأمة شـعوب كثيرة منها ما كان صاحب حضــارة عريقــة ومنها من كان يعيش على البدائية ، فامتزج الجميع امتزاج اخاء ومحبة ثم انصهروا ، ثم كان منهم مزيج انســانى يستطيع أن يسميه الشعب الانسان دون أن يجاذف بهذه الكلمـــة ٠ وفى ظل هذه الأمة الاسلامية الانسانية نشأت حضارة عالمية وقام تعاون عالمى فى كافة نواحى الحياة الانسانية والنشاط الانسانى ٠

ثم جاءت ظروف داخلية وخارجية لاعلاقة لها بالمبــدأ فى جوهره فمزقت هذا الجسد الواحد أشلاء مبعثرة وهوجم الجزء منه والكل واستطاع بعضه أن يصمد ويحيا وفشل بعضه فى الصمود وسقط فريسة لأعدائه ٠

والآن : والعالم ينشد الانسانية والعالمية وليس له ســابق تجربة الا هــذه التجربة الانسانية الاسلامية فما كان أحراه أن يحاول اعادة التجربة التى نجحت من قبل عدة قرون ولكنه التعصب لازال يعمى الكثير من البصائر وانا نحمد الله أن هــذا التعصب لم يكن ولن يكون عنــد المسلمين وان حاول المتعصبون اسقاط تعصبهم على غيرهم ٠

وبشائر هذه اليقظة الاسلامية ظاهرة واضحة فى هذه الأيام ، والجمهورية العربيــة المتحدة تفتــح أبواب جامعاتهـا ومعـاهدها ومدارسها بل تفتح صدورها وقلبها النابض لتحتضن شباب المسلمين من كافةبقاع الأرض يحلون هنا فى مصر الثورة فيحسون أنهم بين اخوانهم وفى وطنهم ، وبهذا يحسون بالتجربة قائمة فى نفوسـهم وحياتهم حتى اذا ما عادوا الى أوطانهم أمكنهم أن يقيموها على الصــعيد العام بعد أن ألفوها فترة من أغلى أيام حياتهم - أيام الشباب والدرس والتحصيل - ٠

لكن أهذا ممكن أن يقوم به شباب البعوث الاسلامية ٠ ؟ !

الاجابة على هــذا السـؤال موكولة اليهم ليجيبوا عن أنفسهم ٠

ولكنا من ناحيتنا نعتقد أن الشــباب اذا أخلص نيتــه وارتفع بمستوى نفســه وعقله وعاطفته السليمة الى الانسانية الســامية ، استطاع أن يحقق كل شىء ، بل ان تاريخ الاسلام نفسه تجربة حية أمام الشــباب فما أقام الدين الا عدد صغير من الشــباب فى مكة قابل الاضطهاد والعــداوة وفقــد مودة الأهل ثم هاجر من الوطن ولكنــه انتصر فأقام صرح الدين والدولة ورسم التخطيط العــام للأمة ثم ان العرب الذين خرجوا بهذه التجربة الى مجالها العالمى كانوا قلة فى الشعوب من حيث العدد والمال والامكانيات ولكنهم تزودوا بالايمان فحققوا به هذا الصرح الشامخ الذى لم تعرف الانسانية حتى الآن له نظيرا ٠

هذا تاريخ معــروف لايمارى فيــه أحد ولا يجهله مثقف فى العالم وهو بذاته مثل حى على ما يمكن للشــباب أن يعلمه ٠ فهــل يعى شباب العــالم الاسلامى هذا الدرس ؟ وهل يدرك شباب البعوث الاسلامية العمل الذى هم مطالبون به والأمل المعقود عليهم ؟

يقيني أنهم يدركون هذا ، ولست أخشى عليهم الجهل فهم شباب متعلم وانما أخشى عليهم أن تجرفهم المادية مادية الحياة فينصرفوا الى حياتهم الخاصة وينسوا أو يتناسوا رسالتهم المقدسة كرواد لأوطانهم وكذخيرة لشعوبهم والرائد ـ كما يقول العرب ـ لايكذب أهله ، ومن جعلتهم الأمم ذخرها أخلق بهم أن يحققوا الرجاء ويضربوا المثل الأعلى .

وإذا كان لى نصح أوجهه فانى أطلب الى شباب البعوث أن يحيا التجربة الاسلامية كاملة هنا ، فهم يمثلون كل الشعوب وكل الأقاليم ، فصفة العالمية صفة متحققة فى اجتماعهم وكذلك صفة الأخوة الاسلامية ثم صفة الانسانية التى تحس وحدتها ، حتى اذا ما ذاقوا ثمرتها وأدركوا جلالها وآمنت بها قلوبهم ونمت فى ظلها عواطفهم : كان ذلك حافزا لهم وعونا فى تحقيق رسالة الاسلام كما جاء بها صاحب الرسالة وكان المسلمون بحق خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله .

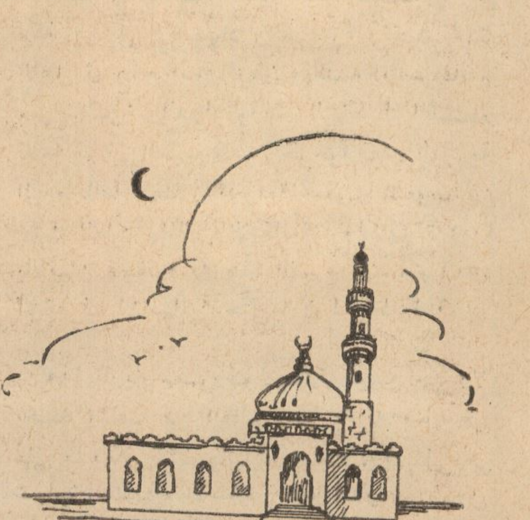

تحريف اليهود للقرآن

نشرت صحيفة الأهرام الغراء فى اليوم الحادى والعشرين من شهر ربيع الأول سنة الف وثلاثمائة وخمسة وثمانين من الهجره الموافق اليوم العشرين من شهر يوليه سنة الف وتسعمائة وخمسة وستين من الميلاد فوق صفحتها الأولى خبرا صغيرا لا يتجاوز سطرين او ثلاثة ما معناه (عادت اسرائيل الى طبع القرآن الكريم محرفا كعادتها وجعلته فى مصاحف تحمل الشعار الاسرائيلى وقامت باهدائه الى شعوب افريقيا وآسيا وبعض بلاد اوروبا) وهذا أمر ليس بالمستغرب على شعب يهود وخبر معهود عن اسرائيل ، وهذه الصفات مشهورة عن الشعب اليهودى لأن شعب اسرائيل معروف منذ القدم بالمكر ومطبوع على اللؤم ومجبول على الكيد للأديان عامة وللعرب خاصة واليهود منذ نشأتهم ببلاد العرب وهم يكيدون للعرب ولما ظهر الاسلام ازدادوا كيدا وبرعوا فى خلق المؤامرات الدنيئة ضد مبادىء الاسلام ونبى المسلمين واخذوا يدبرون خططا نقضى على ظهور الاسلام وغلبة القرآن ، فجندوا بعض احبارهم وعلمائهم ليقوموا بنشر بعض تفسيرات وتوضيحات للقرآن الكريم والحديث النبوى الشريف لا حبا فى الاسلام ولا رغبة فيه ولكن كيدا له وبغضا لقائد الاسلام وتحديا لمبادىء المسلمين ، فاظهروا شعار الاسلام ودخلوا المساجد وعقدوا بها الحلقات ووقفوا بالاسواق وقاموا بين الناس وأخذوا ينشرون أكاذيبهم وينفثون سموم أقوالهم وهذيان كلامهم الذى لقى رواجا لدى سذج المسلمين وعوامهم ـ بل قد بلغ من جرأتهم وطغيان اعتدائهم على الاسلام أن زوروا احاديث عن رسول الله لم ينطق بها اطلاقا ووضعوا كلاما فى السنه لم يقله رسول الله ودسوا على المسلمين أقوالا بعيدة عن الحكمة والصواب فاتعبوا علماء المسلمين عندما احسوا بهذا الخطر اليهودى الذى أحاط بشريعة المسلمين وأحدق بنصوص النبى الأمين ، فقام علماء الاسلام على قدم وساق وأخذوا يتحرون الصواب من الاحاديث وينقونها من الأوشاب ويبعدون عنها الدخيل ويمحون السواد عن بياض السنة الغراء وقد لعبوا كثيرا واصابتهم مشقات وقامت امامهم فسهروا ليلا وقطعوا المسافات البعيدة نهارا ليقابلوا عالما بالسنه فى بلد بعيد ليأخذوا عنه لفظ حديث واحد من احاديث رسول الله كان يحمله ذلك العالم .

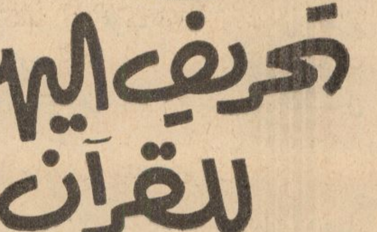

قديما وحديثا

فضيلة الشيخ
سليمان حسن عبد الوهاب

ورد أن الامام البخارى صاحب اصح كتاب حديث فى السنه انه قال حفظت مائتى ألف حديث مكذوبة على رسول الله ومائة الف حديث صحيحة عن رسول الله قد اخترت منها سبعة آلاف حديث فقط ورددت الباقى ، وكان الامام البخارى لا يتلقى الحديث ولا يكتبه الا بعد أن يصاحب ويصادق راوى الحديث ليقف على خلقه ومروءته وتدينه فان وجد عنده خدشا فى مروءته أو خلقه أو تدينه انصرف عنه ولا ياخذ الحديث .

ورد أن الخليفة المامون العباسى راى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وقال له أقتل فلانا (رجلا معروفا فى الدوله العباسيه كان يتظاهر بالاسلام وينشر الدعوة ويعظ بالمساجد ولا يعلم المسلمون عن شعاره المكذوب ولا عن حقيقة أمره شيئا سوى انه واعظ اسلامى متطوع) فقال المامون تلك اضغاث احلام ولم يلق للرؤية بالا وبعد مدة رأى المامون الرسول فى المنام مرة اخرى وقال اقتل فلانا فقال المامون أضغاث احلام ولم يهتم للرؤية فرأى المامون الرسول للمرة الثالثة فى المنام وقال له اقتل فلانا . فلما أصبح الصباح وانشق الفجر ولاح دعا المامون الرجل الى مجلسه وقال له لقد رأيت رسول الله ثلاث مرات وفى كل مرة يأمرنى بقتلك فقام الرجل واقفا وقال : أيكون هذا جزائى وأنا قلت فى شريعته كلاما لم يقله وأنشأت أحاديث لنشر دعوته وخدمة دينه فقال الخليفة المامون الآن وجب قتلك وصدق رسول الله ودعا السياف فاطار عنقه وهذا جزاء من زور وكذب على رسول الله الذى يقول (من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) حديث متفق عليه متواتر لفظا كتواتر لفظ القرآن . ونحن لا زلنا فى حرج من حصيلة الكذب اليهودى والتزوير الاسرائيلى فى الأحاديث الموضوعة والأقوال المكذوبة ولازلنا نعانى المشقات من تلك الأكداس الخرافية التى حشيت بها كتب التفسير وعرفت بالاسرائيليات وما أكثر الاسرائيليات التى رواها بعض المفسرين لكتاب الله واغتربها عوامهم ولكن الله الحافظ لكتابه أعد لها أساطين علماء المسلمين وجهابذة رجال الحديث حتى اعتدل الوعى الاسلامى واصبح المسلمون لا يقبلون هذا الهذيان الاسرائيلى والخرف اليهودى لأن الشريعة الاسلامية شريعة محكمة لا يأتيها الباطل من أى باب واصبح المسلمون لا يثقون بما روى عن كعب الاحبار ووهب بن منبه وغيرهما من بنى اسرائيل الذين تظاهروا بالاسلام وكادوا له باطنا مع أن صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم لم ينتقل الى الملأ الأعلى الا بعد ان أتم الدين وأكمله ولم يترك وراءه قولا لقائل من تشريع او استحسان وصدق الله اذ يقول (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) ولنعد الى تفصيل تحريف اليهود للقرآن قديما وحديثا وبيان خطوات هذا التحريف لكتاب الله منذ ظهور دعوة الاسلام الى اليوم :ـ

أ ـ قام اليهود على عهد رسول الله بتحريف آيات الله ولكنهم لم يتظاهروا بها ولم يعلنوها وانما كانوا يهمسون بها سرا فى بعض اوساطهم وأوساط المشركين والمنافقين ويخشون اعلانها لجبنهم وخوفهم من قوة المسلمين وهذا شأن الجبناء فى كل زمان ومكان ولكن الوحى المحمدى كان يلاحقهم ويفضح أمرهم وقد سجل القرآن الكريم هذا التحريف فاضحا لتلك المؤامرات الخسيسة وكاشفا لحالتهم يقول الله تعالى فى سورة البقرة آية رقم ٧٥ (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) بل اثبت القرآن عند نزوله ان اليهود كتبوا التحريف بايديهم ودونوه فى قراطيس .. وقالوا هذا ما نزل من عند الله وما هو من عند الله ، ان يقولون الا كذبا ففضح القرآن فعلتهم وبين تحريفهم يقول الله تعالى فى سورة البقرة آية رقم ٧٩ (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون)

وروى البخارى فى صحيحه ان الامين جبريل كان ينزل على رسول الله كل ليلة فى شهر رمضان من كل عام ويقرأ على رسول الله ما نزل من القرآن والرسول يقرأ بقراءة جبريل والرسول بعد ذلك يقرأ على المسلمين فيزدادون تجويدا واتقانا ووعيا لألفاظ القرآن فلم يستطع أى انسان كائنا من كان أن يزيد فى الفاظ القرآن أو يبدل من تركيب آية وفى البخارى أيضا ان جبريل فى آخر شهر رمضان من حياة رسول الله عرض القرآن على رسول الله عرضتين وقرأه عليه مرتين تمكينا واستيثاقا لوعى القرآن وحفظه فى صدورهم ـ وظل المسلمون منذ نزول الوحى يتعاهدون حفظ القرآن وترتيله على الرسم المدون بالمصحف الموجود لدى جميع المسلمين اليوم والذى نقل اليهم متواترا جيلا بعد جيل وسيظل قائما محفوظا ومصانا وفى ضمان الله الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وتبارك الله رب العالمين .

ب ـ ومنذ سنوات قليلة بعد ان استطاع المستعمرون ان ينشئوا وطنا يهوديا فاقاموا دولة اسرائيل المزعومة فوق ارض فلسطين المغصوبة (ردها الله الى أهلها وأعاد اليها سكانها انه قوى عزيز) ارادوا أن يظهروا دولتهم فعادوا الى التمويه والتضليل والكذب واثارة العداوة والبغضاء فظهروا على طبيعتهم الاولى من اللؤم والكذب والتضليل والتحريف والتاويل فقاموا بطبع مصحف محرف يحمل الشعار اليهودى ونشروه بين شعوب افريقيا وآسيا وبعض شعوب اوروبا التى لا تعرف اللغة العربية ولا تقف على اسرارها ووضعوا مصحفا محرفا وطبعوا قرآنا عمدوا الى حذف كلمات اللعن التى نزلت فى حقهم وحذفوا بعض الآيات التى فضحت مؤامراتهم وبينت كذباتهم وغيروا فى ضبط الآيات وبدلوا بعض الكلمات واليك أمثلة من هذا التحريف اليهودى :ـ

قول الله فى سورة البقرة لآية رقم ١١٣ (وقالت اليهود ليست النصارى على شىء وقالت النصارى ليست اليهود على شىء وهم يتلون الكتاب) حرفوا هذه

الآية بحذف كلمة ليست وكتبوا فى مصحفهم المحرف (وقالت اليهود النصارى على شىء وقالت النصارى اليهود على شىء وهم يتلون الكتاب) - وقول الله فى سورة آل عمران آية رقم ٨٤ (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) حرفوا هذه الآية ايضا بحذف كلمة غير وكتبوا فى مصحفهم - ومن يبتغ الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين - وقول الله فى سورة المائدة آية رقم ٣٨ (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم) غيروا فى الفاظ الآية وبدلوا وكتبوا - والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله غفور رحيم - ولو وقع فى يدى مصحف اسرائيلى لاستطعت ان احصى التحريف اليهودى مرتبا على حسب السور وجعلته مقالا ينشر فى مجلة منبر الاسلام الغراء التى يقرأها العالم العربى من اقصاه الى اقصاه .

ج - وقد قيض الله لصد تلك الحملة الظالمة على كتاب الله : رجال الجمهورية العربية المتحدة اذ وفقهم الله لصنع قنبلة قرآنية ذرية نسفت عمل اليهود من القواعد فأصبح هباء تذروه الرياح فقامت اولا بطبع مسجل صوتى للقرآن الكريم من صوت شيخ المقارىء المصرية الاستاذ محمود الحصرى بقراءة حفص ، وقراءة حفص هى قراءة قريش افصح لغات العرب كما سجل تسجيلا آخر بقراءة ورش وقد تلاه فى التسجيل هذه الأيام القارئان الاستاذ المنشاوى والاستاذ عبد الباسط وقد علمت ان هناك عزما واستعدادا من القراء المشهورين لتسجيل القرآن جميعا بالقراءات السبع المتواترة .

وقد اصبحت جميع محطات الاذاعة فى العالم جميعا تذيع القرآن من المصحف المسجل الذى قام المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بطبع اسطوانات وافرة منه واهدى منها نسخا للاقطار الاسلامية لتذيعه فى اقطارها - وقامت الاذاعة المصرية فى هذا العام بانشاء محطة اذاعية خاصة بالقرآن الكريم تذيعه طول النهار وجزءا كبيرا من الليل - وبجانب هذا قام المجلس الاعلى للشئون الاسلامية كذلك بطبع مصاحف مصممة على الرسم العثمانى الوارد عن رسول الله ووزعه على سائر الشعوب الافريقية والاسيوية وقد حمدنا له هذا الصنيع العظيم - ولن ننسى دار القرآن التى احتفل بوضع الحجر الاساسى لها فى العام الماضى بميدان رمسيس بالقاهرة والتى اعدت لطبع المصحف بنوعيه (تسجيلا على الاسطوانات والأشرطة والورق) ودراسات القرآن من تفسير وحديث واحياء التراث الاسلامى من فقه وتوحيد واستقبال رجالات الاسلام من سائر الاقطار والتى ستتكون من سبع وعشرين طبقة . وصدق الله اذ يقول (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) ولا يزال الله يتولى حفظ كتابه ويرعاه بعينه الى ان تقوم الساعة ما دام هناك قارىء يرتل فى المسجد او عالم يرقى المنبر الاسلامى - ولازيدنكم بصرا بالادلة الآتية على رعاية الله لهذا الكتاب المجيد ليكون القارىء على بينة مما نقول وليزداد المسلم ايمانا بكتاب ربه المنزل من حكيم حميد ولتقولوا لاسرائيل فى قوة وعزة بؤوا بغيظكم وعودوا الى بؤرتكم فلن تصلوا الى مس قمة القرآن الشامخة الصاعدة الى السماء - وهاكم الادلة :-

١ - المسلمون منذ نشأتهم يجيدون حفظ القرآن وتلاوته حسب التلقين الذى تلقوه من رسول الله ضبطا للحروف وسلامة الالفاظ ومراعاة للشكل على الطريقة العربية ويحذقونه حذقا فوق منتهى الجودة ويؤدونه اداء يأخذ بالقلوب بل استطاعوا ان يحصوا حروفه وعدد كلماته وأرقام آياته وموضع كل آية من سابقتها ومواقع السور وترتيبها وعدد آياتها ومعرفة الآيات المتشابهة فى القرآن جميعا ومكانها فى كل سورة فلو حاول مسلم ان يجعل آية سورة القصص رقم ٢٠ (وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى) بدل آية سورة ياسين رقم ٢٠ (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) ونقل احداهما مكان الأخرى كتابة او قراءة لقامت اليه سيوف المسلمين ولن يهدأ بالهم حتى يصحح الوضع القرآنى كما أنزله رب العزة ونقل الينا متواترا عن رسول الله وصدق الله اذ يقول (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) .

٢ - حدث فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت نزول القرآن ان قرأ على ملأ من المسلمين والمشركين فى مكة « سورة النجم » فلما قرأ رسول الله « فاسجدوا لله واعبدوا » فى ختام السورة سجد رسول الله والمسلمون وسجد المشركون معهم فسأل رسول الله كيف سجد المشركون ؟ وهم لا يؤمنون - فهل آمنوا ؟ فقالوا يا رسول الله انك حين قرأت ، قرأت أفرأيتم اللات والعزى ، وان شفاعتهن لترتجى - ففرح المشركون لذلك لذكر آلهتهم بالخير فقال رسول الله لم أقرأ (وان شفاعتهن لترتجى) ولم اذكر آلهتهم بالخير ثم قرأ الرسول السورة مرة ثانية كما انزلها الله فاغتم المشركون وحزنوا لأن الشيطان قد انهزم بينهم وهمس بتلك الزيادة وتألم الرسول لشيوع ذلك بين المشركين فنزل قول الله تسلية لرسول الله وتسريا عنه ومواساة له (وما أرسلنا قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) ومعنى تمنى (قرأ) ومعنى ألقى فى امنيته (ألقى فى قراءاته) أى زاد فى قرآنه ثم ينسخ الله تلك الزيادة ويعيد القراءة مرة اخرى ليحكم الآيات ويذهب بالباطل - وان كان بعض المفسرين لا يرتضى هذا التفسير ويفسر الآية بان المراد من التمنى : تمنى النبى نجاح رسالته وذيوع دعوته ، والقاء الشيطان عبارة عن العراقيل والعقبات التى يضعها فى طريق الرسالة وعلى كلا التفسيرين فالآية تبين ان آيات الله وجميع ما انزله على رسله وانبيائه تحت عناية الله ورعايته ولن يصل اليها شيطان مضل او محرف مخل فلا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها وصدق الله اذ يقول (كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير)

٣ - روى ابن خلكان فى تاريخه ان رجلا وثنيا فى عصر هارون الرشيد الخليفة العباسى اراد ان يختار دينا يعتنقه من بين الاديان الثلاثة (اليهودية . النصرانية . الاسلام) فتحير بين هذه الاديان ، أيها يختار وعمد الى ذلك الاختبار الذى ارتآه ليعتنق دينا عن بينة ، فاشترى نسخة من التوراة وقرأها ثم نزع بعض اوراقها وكتبها بخطه وجلدها تجليدا متقنا ثم عرضها على الوراق (الكتبى) فاشتراها منه وبعد اسبوع عاد اليه وسأله هل راجت النسخة فقال نعم اريد نسخة اخرى فانها مطلوبة ثم اشترى نسخة اخرى من الانجيل وقرأها ثم نزع بعض اوراقها وكتبها بخطه وجلدها تجليدا متقنا ثم عرضها على الوراق فاشتراها منه وبعد اسبوع ذهب اليه وسأله هل راجت النسخة فقال نعم اريد نسخة ثانية فانها مطلوبة ، ثم اشترى نسخة من القرآن الكريم وقرأه ثم نزع بعض اوراقه وكتبه بيده وجلده تجليدا متقنا ثم عرضه على الوراق فاشتراه منه وبعد اسبوع رجع اليه وسأله عن نسخة القرآن هل راجت ، فقال له لم تبع وكل انسان يطلبها يردها الى ويقول أعوذ بالله ان الكاتب نسى ان يكتب آيات كاملة فهى نسخة ناقصة الاوراق ثم ثار

الناس على الوراق لانه يبيع مصحفا غير كامل وتظاهروا عليه ثم طالبوه باحراق ذلك المصحف ، فقال الوثنى : (اشهد الا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا وبالقرآن حكما واماما) وبذلك أيقن بعد ظهور البرهان ان الاسلام أولى بالاتباع لأن المسلمين يحرصون على حفظه ووعى آياته ويسهرون على صيانته سهرهم على حياتهم وذلك دليل على انه الحق المبين والكتاب الذى لا ريب فيه هدى للمتقين .

٤ - وهاكم مناقشة اللورد كتشنر سفير بريطانيا لمصر مع الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله فى مسالة (حفظ الله للقرآن وعناية الله لهذا الكتاب دون سائر الكتب المنزلة) وبيان انه الكتاب الوحيد المحفوظ فى الصدور المكتوب فى المصاحف المصان بالعيون المفدى بالمهج والارواح لا يمسه الا المطهرون وان رجال الاديان الاخرى لا تجيد حفظ كتب الله المنزلة عليهم ولا تدرى مواضع الآيات ولا يعرفون سابقها من لاحقها وتحداه الاستاذ الامام واحضر له صبيا يحفظ القرآن من كتاب الشيخ صالح (مدرسة الشيخ صالح) بحى السيدة زينب رضى الله عنها بالقاهرة وطلب منه ان يحضر بعض رجال الأديان الأخرى ليقوم بالتحدى والمقارنة بين صبى مسلم يحفظ القرآن ولم يتجاوز العاشرة من عمره وبين رجال الأديان الأخرى درسوا التوراة والانجيل وتخصصوا فى دراسته واخذ اللورد نسخا من (التوراة والانجيل والقرآن) وقام اللورد بنفسه بعملية نزع بعض الاوراق من الكتب الثلاثة وقدم التوراة لصاحبها ودارسها وقدم الانجيل لصاحبه ودارسه وطلب منهما ان يقرآ فاخذا يقرآن ويتلوان ولم يستبينا موضع النقص ولا مكان النزع وكان الكلام موصول مرتب ثم قدم المصحف للصبى فلما قرأ وقف عند آخر صفحة ولما اراد ان يقرأ التالية وقف وقال هنا نقص وورق منزوع وقد نزعت أوراق من آية كذا ، وبذلك غلب الامام العميد البريطانى وصفعه بالبرهان العملى وصدق الله اذ يقول (وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) .

٥ - ترجم القرآن الى لغات كثيرة كالانجليزية والفرنسية والاردية ولم يقل احد اطلاقا ان هذه الترجمة قرآن لها قدسية القرآن والمسلمون جميعا يعتقدون انها ترجمة اى تفسير لألفاظ القرآن تقريبا للمعنى ليفهمه أهل اللغة الأخرى .

ويعجبنى فى هذا المقام انى كنت فى مجلس يتلو فيه القرآن الكريم قارىء مكفوف البصر فقرأ قول الله (محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم) فقال له جارى فى المجلس - قل صلى الله عليه وسلم - فسكت القارىء ولم يرد ، ثم قرأ ثانية محمد رسول الله والذين معه ... الى اخره ، نفس جارى قال له - قل صلى الله عليه وسلم - فسكت القارىء ولم يرد عليه ثم قرأ ثالثا (محمد رسول الله ... الى اخره) فقال ذلك الجار - قل صلى الله عليه وسلم - فقال القارىء يا اخى انا اقرأ القرآن واتلو قرآنا وهذه الصلاة ليست من التلاوة وانا اصلى على الرسول بقلبى وكلنا نحب رسول الله ونصلى عليه كما امر الله ولكن لا ازيد اى لفظ فى كتاب الله - فقلت الله أكبر ، الله أكبر صدق الله (الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما) .

آمنت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا وبالقرآن حكما واماما ، وصدق من يقول

الله أكبر ان دين محمد
وكتابه أقوى واقوم قيلا
لاتذكروا الكتب السوالف قبله
طلع الصباح فاطفأ القنديلا

وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه انيب .

« بقية مقال الاسلام فى الادب العربى »

فالدكتور سنكلر تسويل صاحب كتاب « مصادر الاسلام » يروى شبهات الناقدين للقرآن الكريم ومنها هذه الأبيات :

دنت الساعة وانشق القمر
عن غزال صاد قلبى ونفر
أحور ، قد حرت فى أوصافه
ناعس الطرف بعينيه حور
مر يوم العيد فى زينته
فرمانى ، فتعاطى فعقر
بسهام من لحاظ فاتك
تركتنى كهشيم المحتظر

ويتخذ منها قرينة على اقتباس القرآن بعض الآيات من اشعار الجاهليين ، على أن هذه الأبيات لامرىء القيس ، فيقول بعد ان يذكر أبياتا أخرى كذلك :

« ومن الحكايات المتداولة فى عصرنا الحاضر انه لما كانت فاطمة بنت محمد تتلو هذه الآية - وهى «اقتربت الساعة وانشق القمر» - سمعتها بنت امرىء القيس وقالت لها ان هذه القطعة من قصائد ابى اخذها والدك وادعى أن الله انزلها عليه .

« ومع أنه يمكن ان تكون هذه الرواية كاذبة، لأن امرأ القيس توفى سنة ٥٤٠م ولم يولد محمد الا فى سنة ٥٧٠م فلا ينكر أن هذه الأبيات المذكورة واردة فى سورة القمر.. وغاية الأمر انه يوجد اختلاف طفيف فى اللفظ وليس فى المعنى ، فورد فى القرآن اقتربت وفى القصيدة دنت.. ومن البين الواضح أنه يوجد مناسبة ومشابهة بين هذه الأبيات وبين تلك الآيات الواردة فى القرآن .

« فاذا ثبت أن هذه الأبيات هى لامرىء القيس حقيقة فحينئذ يصعب على المسلم توضيح كيفية ورودها فى القرآن لأنه يتعذر على الانسان أن يسلم بأن أبيات شاعر وثنى كانت مسطورة فى اللوح المحفوظ قبل انشاء العالم» .

ثم يعمد الدكتور الى اقامة العراقيل أمام الباحث ليبعده عن الحقيقة الجلية فيقول :

ولكن يصعب علينا أن نصدق بأن ناظم هذه القصائد بلغ الى هذا الحد من التهتك والاستخفاف والجرأة فى أى زمن من الأزمان بعد تأسيس مملكة الاسلام التى كانت متسعة الأطراف والاكناف حتى يقتبس آيات من القرآن ويستعملها فى مثل هذا الموضوع . »

والدكتور اذ يقدم ذلك انما يقدمه معتقدا ان ما لقيه من عناء وجهد فى بحث تلك الأبيات سيلقاه مثله باحثو المسلمين ونقادهم .

ومن ثم يعتقد انهم سيضطرون الى التسليم بما يريد أن يرى عليه القرآن .

فهو يجهل او يتجاهل ان نظرة واحدة من عربى أصيل كافية لأن تدحض نسبة تلك الأبيات الى امرىء القيس أو غيره من شعراء الجاهلية .

وهذا كله راجع - كما قلنا - الى اغفال ملابسات الحياة واللغة فى الجاهلية وبعد الجاهلية .

اعتراف الأجانب بالدين الإسلامي ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم

سماحة الأستاذ
مبشر الطرازي الحسيني

لقد سبق أن نشر لنا مقال تحت عنوان « حول السيرة النبوية » فى عدد جمادى الاخرى سنة ١٣٨٤ هـ من « منبر الاسلام » ووعدنا القراء الكرام ، أن نكتب لهم عن اعتراف الأجانب حول سرعة انتشار الدين الاسلامى فيما اعترفوا به ، حيث قلنا « .. ويشهد التاريخ الصحيح فى سطوره البارزة ، أن دين محمد بن عبد الله - نبى البشرية ورسول الانسانية - صلى الله عليه وسلم انتشر من الجزيرة العربية الى ربوع الدنيا فى أسرع وقت . الا وهو مدة قرن ، بحيث لم ير له مثيل من سائر الأديان فى سرعة الانتشار ، وقد اعترف بهذه السرعة علماء الأجانب فيما اعترفوا به للدين الاسلامى الحنيف دين محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا نطيل البحث بذكر اعتراف الأجانب هنا وربما نفرده فى مقال آخر » .

وهانحن رأينا الآن أن نفى بوعدنا تحت عنوان أوسع وهو الذى وضعناه فوق المقال ، وانما ذلك حرصا لافادة اخوتنا المسلمين ولا سيما الجيل الناشىء أبنائنا الشباب الذين يرغبون كل الرغبة فى الاطلاع على نظرية الأجانب فى الدين الاسلامى ، وفى كتابه القرآن الكريم ،وفى رسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وفى تعاليمه عامة .

حتى أن بعض الشباب لايرغبون فى هذا الاطلاع فحسب بل يهتمون به كل الاهتمام ويقيمون له وزنا يذكر ، وذلك ظنا منهم ان الغربيين وغيرهم من اجانب البلاد الراقية ، قد تقدموا فى العلم وأخذوا من الثقافة حظا أوفر .

مقدمة

مما يجب أن يعلم أولا : أن العلماء الأجانب ، لم يعترفوا بالدين الاسلامى ، أو بكتابه ، أو برسوله ، أو بتعاليمه ، الا بعد أن حققوه من كل ناحية ، واطلعوا على حكمه وأسراره الى حد ، حيث أيدته عقولهم ، وأنصفته ضمائرهم ، واستساغته طباعهم .

نعم : حققوه شان الانسان فى طموحه الطبيعى ونزعته الفريزية نحو الاطلاع على ما فى هذا الكون ، وحرصه فى كشف حقائق الامور ، واقناع الضمير فمنهم من شرح الله صدره للاسلام ، ومنهم من بقى على ما هو عليه ، بعد ما اضطره ضميره الانسانى بالاعتراف .

ثانيا - هناك كثيرون من العلماء الأجانب والمستشرقين - فى الغابر والحاضر - نظروا نحو الدين الاسلامى نظرة الخصوم ، وقد بذلوا جهودهم الجبارة فى سبيل العثور على اى عيب فى اصوله ، او نقص فى فروعه وأحكامه ، كما نظروا الى رسول الاسلام محمد عليه الصلاة والسلام بعين هذه النظرة ، ولكن خابت آمالهم ، وفشلت محاولاتهم ، حيث ساقهم الضمير ، وقادهم العلم نحو القول بالحقيقة ، مائلين من الاجحاف نحو الانصاف ، ومن الانكار الى الاعتراف .

ذلك لأن الحق كلما بحث حوله ، ونقب تنقيبا فى شئونه ، يزداد ظهورا أمام الباحثين ، وتنكشف أسراره لدى المنقبين ، فيجلب عقولهم نحو الشهادة به ويجبر ضمائرهم على تقديره واجلاله ، كما أن الباطل كلما بحثت حوله ونقبت فيه ينكشف لك بطلانه ، وتظهر لديك عيوبه فيحقره ضميرك ويمجه عقلك ، وفى النتيجة

لايكون نصيبه من البحث الا الخمول ، ومن التنقيب الا الأفول . « وقل جاء الحق وزهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقا » .

هذا هو شأن الدين الاسلامي شأن الحق ، وشأن خلافه شأن الباطل .

« ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

نعم : هناك كثيرون ممن خانهم الحظ وساد على آرائهم الزيغ وغلب على عقولهم الضلال ، حيث اخذوا من الدين الاسلامي وكتابه ورسوله موقف المنكرين والمنتقدين ، « انها لاتعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » .

ومع ذلك فان انكار المنكرين ، وانتقاد المنتقدين . لايستطيع أن يؤثر فى ايمان المؤمنين ، وعقيدة أهل اليقين، ولا يبرح حتى يزول زوال الظلمة أمام النور . كما انه لاينال – ولن ينال أبدا – وزنا لـدى من له الادراك والانصاف .

والى هذا أشار شاعر ايران الحكيم ، وفيلسوفها العظيم الشيخ سعدى الشيرازى حيث قال :

گرنبيند بروزشب پره چشم
چشمه آفتاب اچه گناه

يعنى : اذا لم ير الخفاش فى النهار جسما ، فماذنب محيا الشمس الوضاء ؟

ورحم الله الامام البوصيرى الجليل ، شاعر وادى النيل ، حيث يقول فى قصيدته « البردة » :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد
وينكر الفم طعم الماء من سقم

ويقول شاعر عربى آخر :

اذا لم تكن للمرء عين صحيحة
فلا غرو أن يرتاب والصبح مسفر

ولا كلام لنا مع هؤلاء ، فانه لاقيمة لمن لم يتصف بانسانية حق الانصاف ، ولم ينور قلبه بنور المعرفة والانصاف .

والشاعر يقول :

لو كل عاو عوى ألقمته حجرا
لأصبح الصخر مثقالا بدينار

وانما كلامنا مع أولئك الذين يدققون النظر ، ويحققون الفكر ، فى مسائل عالم البشر ، فيعترفون بالحق ولو على انفسهم وآبائهم الاقدمين .

فلنبدأ الآن برواية اعتراف الاجانب فى الموضوع الموعود فى أول الأمر ، الا وهو :

سرعة انتشار الاسلام

قال مسيو ادوار مونتيه مدير جامعة جنيف فى محاضراته التى ألقاها فى كلية جنيف :

« ولقد انتشر الاسلام منذ نشأته بسرعة ، وقلما توجد – بل لاتوجد أبدا – ديانات كانت تنتشر ولا تزال تنتشر بمثل هذا الانتشار ، وان ماصادفه الاسلام من أول عهده كان عظيما وباهرا ، حتى لقد تكونت اراء طائشة عن حقيقة سبب تلك الفتوحات السريعة التى وطدت سلطة محمد « صلوات الله وسلامه عليه » واصلاحه بعيدا عن حدود بلاد العرب . لقد كرروا ولا يزالون يكررون الآن ، أن نجاح العقيدة الاسلامية يرجع الى العنف والى قوة السيف فى عهد محمد وعهد الخلفاء الأولين ، لكن هذه الفكرة قد كذبتها الوقائع ، فهى لاتضع موضع الاعتبار ، العناصر المختلفة للمسائل المراد حلها والوقوف على حقيقتها .

ويلوح لى أن لاشك فى ان الاصلاح الاسلامى ، كان فى أول عهده دينيا محضا . وأن محمدا « عليه الصلاة والسلام » كان نبيا بالمعنى الذى كان يعرفه العبرانيون القدماء ، ولقد كان بدافع عقيدة خالصة ان قطع كل صلة بالوثنية ، واخذ يسعى لانتشال مواطنيه من ديانة جافة لا اعتبار لها بالمرة ، وليخرجهم من حالة فى الأخلاق والمدنية المنحطة كل الانحطاط ، ولايمكن أن نشك ، لا فى اخلاصه ولافى الحمية الدينية التى كان قلبه مفعما بها ، فتلك هى الأفكار والعواطف التى اثارت فى نفسه حب الدعوة الى الاصلاح ، التى قام بها فى مكة ثم فى المدينة، الى أن قال : وقد أورد بعضهم تفسيرات اخرى لهذه الحقيقة ، وهى سرعة انتشار الاسلام فى اول عهده الا انهم ذهبوا – على ما نظن – الى البحث عنها بعيدا ، بينما انه يكفى – كما سبق ان اوضحنا – ان ننظر الى الظروف العامة والطبيعية فى حياة كل هيئة انسانية .

فقد ظن البعض أن انتشار الاسلام بمثل هذه القوة يرجع الى مهاجرة الجنس العربى اخيرا للخروج من بلاده التى لم يجد فيها جميع الاسباب متوفرة لرقيه وتقدمه .

ويزيد البعض الآخر على هذه الاعتبارات زاعمين ان السبب الأول لمهاجرة العرب الذى ادى فى القرن السابع المسيحى الى اعتناق قسم كبير من الشرق للدين الاسلامى „ ان السبب الاول لابد وأن يبحث عنه فى التحول البطىء لبلاد العرب فى خلال آلاف السنين ، ذلك التحول الذى كان من نتيجته الجفاف التدريجى بشبه جزيرة العرب ، الذى تعادل مساحته ثلاثة أرباع أوربا ، الا اننا نخشى كثيرا أن يذهب بنا هذا التغيير الجوى التام ، الى ماقبل التاريخ .

فاذا كنا رأينا من المفيد ان نأتى بهذا البيان الوجيز على أسباب سرعة انتشار الاسلام فى أوائل زمن الهجرة ، فذلك لأن هذا الدين مافتىء ينتشر فى الوقت الحاضر ، ولأنه فى حركة تقدمه المستمرة هذه التى تسوقه دائما الى الامام ، نجد أن السببين الجوهريين اللذين بيناهما فى أول نشأته لا يزالان العاملين القاطعين لدواعى نجاته .

وانا نجد فى سير الاسلام الممتد وانتشاره فى خلال القرن العشرين ، هذين النوعين من الأسباب مجتمعة :

الأسباب الدينية البحتة ، والأسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية » .

وقال مسيو ادوار فى محاضراته أيضا

« الاسلام فى واقع الامر ينتشر نوعا ما من تلقاء نفسه ، أريد أن أقول أنه ينتشر بواسطة المسلمين انفسهم ، لأن كل مسلم فى البلاد الوثنية ، رسول لدينه مبدئيا ، فالمسلم على وجه العموم مؤمن قوى العقيدة ، وتلك خاصية من خاصيات الاسلام أن يستحوذ تماما على نفس المؤمن بكليته وجزئيته ، وأنه ان وجد عدد من المسلمين فاترى العزيمة أو من غير المبالين ، فان الحمية من الصفات المميزة للدين الاسلامى ، وانى أكرر أن المسلم غالبا يحمل فى جسمه أنسجة المبشر الاسلامى .

فالاسلام كما قلنا ينتشر من تلقاء نفسه ، فهو ينتشر بواسطة القوافل التى تذهب للتجارة فى البلاد الوثنية ، أو التى تعبد فيها الاصنام ، فرسل الاسلام تدفعهم الغيرة للتبشير الى الالتجاء بالوسائل المختلفة والملائمة لكل حالة خاصة فى البلاد وفى الشعوب التى يقومون فيها بأداء عملهم الدينى ، وهنا نرى العامل الدينى يعمل عمله ـ بجانب العاملين » الاجتماعى والاقتصادى .

فالاسلام فى البلاد الشاسعة التى ينتشر فيها ويمتد نفوذه ، ينم لنا عن حالة اجتماعية واقتصادية فى أرقى الحالات ، وتباعا يعتبر الاسلام من أولى وسائل التقدم والرقى .

ثم يمضى مسيو ادوار يقول .

« والاسلام فى الواقع حضارة قائمة بنفسها ، حضارة ترجع أصولها الى قديم الزمان ، بلغت تلك الحضارة أوج مجدها فى الشرق والغرب فى الزمن الغابر ، ثم أخذت فى الهبوط والانحطاط ، ولكنها لم تنعدم فى وقت ما قط ، بل وسنرى فى قسم آخر من هذه الأبحاث ، كيف أن هذه الحضارة أخذت تستعيد نضارتها وتسترد نشاطها ، فهذه الحضارة فى المقاطعات الافريقية الوطنية . التى دخلت فيها ، قد ظهرت بدرجة عالية من الرقى والتقدم من الوجهة الادارية والاجتماعية كما هى كذلك من الوجهة الفكرية والخلقية والدينية .

ثم قال : وهذا صحيح حتى أن أحد النقاد المحايدين استطاع أن يجاهر بالقول عند المفاضلة بين نتائج الاسلام فى افريقية الغربية ، وبين نتائج تنصيرها ، وبالأحرى بين نتائج صبغها بالصبغة الأوربية ، وهو يريد أن يقول بين تأثير عمل الاسلام وتأثير عمل المسيحية فى تلك البلاد من جميع الجهات ، استطاع أن يجاهر بقوله اننا بمقارنة مجموع النتائج التى تسببت عن دخول الاسلام ، وبين نتائج النصرانية (ليس فقط من وجهة عدد المعتنقين للدين ، لأنه فى هذه الوجهة نجد ضعف المسيحية واضحا كل الوضوح ، بل ومن جهة التأثير الفكرى والخلقى والاجتماعى على الجماعات وعلى الأفراد) اذا قارنا بين كل تلك النتائج ، فاننا نجد بدون أى شك أن المقارنة فى مصلحة الاسلام .

وفى الختام قال : فاذا كان الاسلام بداعى سموه له تأثير راجح فى افريقيا فانه يجب علينا أن نثبت كذلك (وهذه هى ثانى نقطة من خطتنا العامة) ان الاسلام يمتاز بخاصيته الملائمة لذكاء الشعوب الافريقية ، ذلك الذكاء الوقاد .

وهنا ينتهى ما اعترف به مسيو ادوار مانتيه فى محاضراته بجامعة جنيف عن اسباب سرعة انتشار الاسلام . وقد اكتفينا بروايته عن رواية اعترافات كثيرة لغيره من رجال أوربا ، وذلك لما فيه كفاية فى نظر المنصفين الذين يرحبون بقول الحق ممن كان وفى أى مجال كان . مع ان غرضنا ليس استيعاب الاعترافات فى هذا الباب ، وانما هو تقديم نموذج ليذكر اولو الالباب .

أمة قدسها القرآن

ان الاسلام ينتظم فى احكامه المادة والروح معا ، ولا يسمح بطغيان احداهما على الأخرى فى سلوك المؤمن ، وهو بذلك أشد نظرا ، وأسمى واقعا من النظريات الجانبية الخاطئة التى يقول فى بعضها « جود » استاذ الفلسفة وعلم النفس فى جامعة لندن :

« ان النظريات المهيمنة السائدة على هذا العصر هى النظريات الاقتصادية ، وأصبح البطن أو الجيب عنوانا لكل مسألة ، فبمقدار اتصالها بالجيب وتأثيرها فيه يقبل الناس عليها ويعنون بها » .

ولقد رد رسول الله صلوات الله عليه الى الصواب أبصار الذين يؤثرون السمن ، والذين تتعلق أنفسهم بالدعة والعافية دون أن يقدموا بين يديها من طاعة الله أى ثمن ، والذين يتعجلون اللذائذ وتنهزهم صوالحهم الخاصة وان هلك الناس ، غافلين عن شؤم الأنانية ، ونذر حب الذات الذى يجتاح الايمان فى مثل قول الرسول « ما آمن بى من بات شبعان ، وجاره الى جواره طاو جائع ، وهو يعلم » .

روى جعدة الجشمى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا سمينا فأومأ بيده الى بطنه وقال « لو كان هذا فى غير هذا لكان خيرا لك » ، يريد أن هذا السمن لو كان فى ايمان الرجل وفى نشاطه الى معالى الأمور لكان خيرا له وللحياة التى لاتزدهر ولاتشرق الا بوقود من عرق الأحياء وحرارة حركاتهم البناءة ، والمرء لا يرجع فى ميزان الفضل بشحم ولا لحم ولا يكبر بأب ولا أم ، ولا يكون بياضه وحمرته وسيلة شىء من ذلك حتى تفىء جبينه فعال صالحة .

رباهم على التكارم ونكران الذات

الأستاذ
معوض عوض ابراهيم

وماذا يعني شرف الآباء بينما ابناء قد أخلدوا الى الأرض واتبعوا أهواءهم ؟ وماجدوى نضرة وجوه اقوام ، واستواء خلقهم ، اذا كانت قلوبهم سوداء خالية من نور الايمان ، وكانت أخلاقهم أبعد الاشياء عن الكرامة التي جمل الله بها الانسان

جمال الوجه مع قبح النفوس كقنديل على قبر المجوسي

كان أصحاب النبي يتندرون بحموشة ساقي عبدالله ابن مسعود ورقة عظامه حتى قال لهم النبي صلوات الله عليه « لرجل عبد الله بن مسعود أثقل في الميزان من أحد » .

ويوم قال أبو ذر لبلال يابن السوداء وجاء النبي فسلم مرات ، وأعرض الرسول عنه ولم يرد عليه حتى قال « أنت الذي تعير بلالا بأمه ؟ انك امرؤ فيك جاهلية والذي أنزل الكتاب بالحق ما لابن البيضاء على ابن السوداء فضل الا بالتقوى ، ان انتم الا كطف الصاع »

وفي رواية « مثل بلال كمثل نحلة عدت تاكل من الحلو والمر ثم هو حلو كله » . ولقد جاء بنو البكير يسألون رسول الله : أيزوجون أختهم من بلال ؟ وكأنهم تقالوه ، فقال صلوات الله عليه ، أين انتم من بلال ؟ ! وأعادوا سؤالهم فأعاد عليه السلام جوابه حتى قال في الثالثة « أين أنتم من بلال ؟ أين انتم من رجل من اهلى»

وفي هذا المجال تلتمع كلمة عمر « أبو بكر سيدنا واعتق سيدنا » يعني بلالا رضي الله عنه .

وكان جليبيب صحابيا في وجهه دمامة ، فعرض عليه النبي أن يتزوج فقال : اذن تجدني يارسول الله كاسدا فقال « انك عند الله لست بكاسد » وخطب له ابنة انصاري ، فكره وزوجته هذه الخطبة وسمعت ابنتهما ماقال الرسول وماقالا فقالت « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » ثم قالت : رضيت وسلمت لما رضي لي به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا لها النبي قائلا « اللهم أصبب عليها الخير صبا ، ولا تجعل عيشها كدا » فلما قتل جليبيب في غزاة مع النبي لم يكن في الأنصار أيم أنفق منها ، أي أنها سعي اليها بكثرة طلاب الزواج . وكانت حفاوة الرسول به بعد استشهاده امتدادا لاعزازه له في حياته .

عن ابي برزة الأسلمي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في غزاة فأفاء الله عليه ، فقال لأصحابه « هل تفقدون أحدا ؟ قالوا نعم فلانا وفلانا ، ثم قال هل تفقدون أحدا ؟ قالوا نعم فلانا وفلانا ثم قال : هل تفقدون أحدا ؟ قالوا لا قال : لكني أفقد جليبيبا فاطلبوه في المعركة قال فوجدوه الى جنبه سبعة قد قتلهم ثم قتل ، فقالوا يارسول الله هو ذا قد قتل سبعة ثم قتل فأتاهم النبي فوقف عليه فقال : قتل سبعة ثم قتل .. هذا مني وأنا منه ، ثلاث مرات ـ ثم احتمله على ساعديه ماله سرير الا ساعدي النبي صلوات الله عليه ، ثم حفروا له فوضعه في قبره دون أن يغسل أو يصلى عليه .

وهكذا ذكر القائد الراشد جنديا غاب عن خواطر صحابته ، وصنع له مايتقاصر دونه ماعرف الناس من صنيع المدنيات المادية بشهدائها .

قال عوف بن بشير الجهني « اصيب ابي يوم احد فمر بي النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي فقال : «أما ترضى أن تكون عائشة أمك وأكون أنا أباك » ؟ وما أكرم العوض واجمل البديل واندى هذه المواساة من الرحمة المهداة ، وبهذا الحدب الذي فاض من اعمق اعماق نفس لاينضب معين برها ، كان الصحابة يحبون النبي كما لم يحب احد أحدا ، ويطيعونه ويأتمرون بأمره لاعلاء كلمة الله ، وخذوا مثلا من أمثلة يندر أن نجد لها في تاريخ البشرية مثيلا .

ارسل النبي صلوات الله عليه صاحب سره حذيفة بن اليمان ليتعرف حال قريش يوم الأحزاب ، وكانوا كما قال الله « اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا » .

وفي ليلة عاتية كانت عواصفها تصم الآذان ، وكان بردها يدمي الوجوه ، تسلل حذيفة الى حيث تجمع قريش بعد أن خذل نعيم بن قيس بينها وبين بني قريظة فسمع حذيفة أبا سفيان يقول محذرا ـ يامعشر قريش لينظر كل امرىء من جليسه ؟ أي احذروا العيون » .. وكان حذيفة قد تعلم في مدرسة الوحي ان المؤمن كيس فطن ، لاتباغته الأحداث ولا يؤخذ على غرة ، فبادر رضوان الله عليه المشرك الذي يجاوره فاخذ بيده وقال بصوت فيه رنة التهديد : من انت ؟

قال فلان بن فلان فتركه ، ولم يفكر المشرك ان يسأل حذيفة من يكون ؟ ولبث الصحابي الجليل مستخفيا حتى سمع من حديث ابي سفيان ومن حدثهم من قريش عزمهم على الاياب والنكوص على الاعقاب ـ الى مكة بعد أن انخذل بنو قريظة وقل علف الخيل والابل وواجهه المشركون من جند الله ماعظمت به منته في قوله تعالى « يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا » وليذهب تقدير المؤمن لجنود الله مع قوله تعالى « وما يعلم جنود ربك الا هو »

وعاد حذيفة بخبر القوم الى النبى ، فوجده قائما يصلى ، فاشار اليه بالاقتراب منه وطرح عليه ـ صلوات الله عليه ـ طرفا من ثوبه ليقيه البرد ، وساله الصحابة كيف تحملت هذا الزمهرير ؟ فقال « والله لقد كنت اشعر كانى أسير فى حمام » انها حرارة الايمان لاريب تضاءل أمامها البرد الذى كان يرعش الأفئدة ، ويدعو الصحابة الى الاشفاق الهالع على حذيفة .

وحذيفة بعد حرى أن يكون ـ كما وصفه صحابة النبى ـ صاحب سر الرسول ـ ففى صحيح مسلم عن عبد الله بن يزيد الخطمى عن حذيفة قال « لقد حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماكان وماسيكون حتى تقوم الساعة » .

وقد ساله عمر عن الفتن أيها اشد ؟ فقال حذيفة « أن يعرض عليك الخير والشر فلا تدرى أيهما تركت » .

وليتعرف الذين يلون امر النـاس فى جوانب من العالم انفسهم فى ضوء حكمة حذيفة ..

« لاتقوم الساعة حتى يسود كل قبيلة منافقوها »

ان تدبر هذه الكلمة يلقى الاضواء على أقـوام يكمنون وراء ظواهر من الاخلاق والسلوك تخلعها عنهم شمس الحقيقة ، وتتركهم عراة من فضائل الاخاء والفداء والتضحية ، فهم اذا دعاهم الحق الى شىء من مواجهة الأخطار تركوا الباطل يستطيل أمره ويتفاقم شره حتى يجدوا من غفلة الشعوب مايمكنهم ـ مرة أخرى ـ من الوثوب الى السيادة والتسلل الى سلطان لايرشحهم له عمل ولا كفاية .

ونسيان الشعوب اساءة المسيئين وصغار الـذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، ذنوب جسام يسلط الله بها عليهم من لايرحمهم ، وفى الحديث « لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم » .

ونسيان الشعوب أنفسهم فى قول الله « ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم أنفسهم » انما هو جزاء غفلة وبلاهة التبس بها الحق والباطل واختلط الحابل بالنابل وتشابه المعروف والمنكر ، وبذلك تهون الكرامات وتسقط القيم ، ويتقدم الدون ، وتؤذن الدنيا بزوال ـ وقد روى ابن القيم ان الله عز وجل أوحى الى بعض أنبيائه كلاما منه « ومن لم يعتصم بى فاننى أقطع يديه من أسباب السماء وأخسف من تحت قدميه الأرض معلقا فى الهواء ، ثم أكله الى نفسه » وصدق الله العظيم « ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور »

والسيادة فى الناس شرف ينبغى أن لاتتطاول اليـه الأعناق الا بحقه ..

كان سعد بن معاذ سيد الأوس قبل أن يهديه الله للاسلام ، ثم سوده بعد ذلك دينه وعلمه وبلاؤه فى مشاهد الحق واعلاؤه حكم الله على هوى قومه حين حـكمه الرسول فيهم ، فلما جاء على حماره قال الرسول لهم « قوموا لسيدكم » ولما لقى ربه قالت أمه « ويل أم سعد سعدا صرامة وجسدا » فقال لها الرسول « لا تزيدى على هذا ، كان والله ماعلمت حازما وفى دين الله قويا »

وقد سال رسول الله صلوات الله عليه بنى سلمة ، من سيدكم ؟ فقالوا سيدنا الحد بن قيس على بخل فيه فقال صلوات الله عليه وأى داء أدوأ من البخل ـ ان سيد بنى سلمة الأبيض الجعد البراء بن معرور ... » ومضى ذلك مع ركب الحياة سلوكا راشدا ونهجا سويا لاتكون السيادة بحق الا على أساس منه ـ قال معاوية ابن أبى سفيان لجرير بن أوس الطائى ـ من سيدكم اليوم ؟ قال جرير : من أعطى سائلنا واغفى عن جاهلنا واغتفر زلتنا . فقال معاوية أحسنت ياجرير .

وقيل لأهل البصرة من سيدكم ؟ قالوا الحسـن البصرى ، استغنى عن دنيانا واحتجنا الى دينه ، ويوم يسود غير السيد المال ، ويعيش بعض الناس فى ثيـاب قد استعاروها من شرف الآباء والأمهات دون أن يحسنوا بعدهم عملا أو يحققوا لانفسهم او لغيرهم املا ، يترك تشارفهم ذلك ندوبا شوهاء فى وجه الحيـاة لاتلبث أن يستطيل أمرها وتستعصى السلامة منها اذا لم تتضـافر قوى المصلحين الغير على مكافحتها واستئصال جرثومتها غير وانين ولا مترفقين .

كان سيد ولد آدم صلوات الله عليه بما طبعه الله عليه من خلال الخير سيد المرسلين وصفوة الله من خلقه وأى سيادة ـ منذ كان الناس والى أن يرث الله الأرض ومن عليها ـ يمكن أن توضع فى كفة ميزان توضع فى الكفة المقابلة لها بعض أمجاد النبى الذى أقسم الله على كمال خلقه وأكد ذلك بكل ماحفلت به لغة القرآن من مؤكدات بعد القسم من الجملة الاسمية وان ولام التوكيد فى قوله تعالى « وانك لعلى خلق عظيم » النبى الذى جعـل الله الايمان به قرين الايمان بالله ، واتباعه سبيل محبة الله ، وأقسم سبحانه بحياته صلوات الله عليه بصورة فذة رائعة لم تعرفها الحياة الا فى قول الله « لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون » ثم لايؤمن مؤمن ولا يؤذن مؤذن ، ولا يصلى لله مصلى الا وهو يقرن بين الشهادة لله بالوحدانية وبين الشهادة لمحمد بالرسالة .

وشق له من اسمه ليبجله فذو العرش محمـود وهذا محمد »

واى سيادة وراء أن يقول من له الخلق والأمـر لمصطفاه « ولسـوف يعطيك ربك فترضى » فلا يزداد معلم الناس الخير الا عرفانا بربه وبالامر الجليل الذى انتدبه له « الله أعلم حيث يجعل رسالته » وبما يوجهه من نشاط وسبق الى جلائل الأعمال ، فهو يسارع صلوات الله عليه ـ الى استطلاع مايحسبه خطرا يدهم المدينة ويفاجىء المسلمين وهم نيام .

عن أنس رضى الله عنه قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم أحسن الناس ، واجود الناس وأشجع الناس

ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق الناس قبل الصوت ، واستقبلهم النبى قد سبق الناس الى الصوت وهو يقول « لن تراعوا ، لن تراعوا » وهو على فرس لابى طلحة عرى ماعليه سرج ، فى عنقه سيف فقال « لقدوجدت بحرا أو أنه لبحر » .. وهو صلوات الله عليه فى بدر وفى غيرها يواجه الخصوم ويسهم فى القتال ويترك من روائع التكتيك الحربى مالم يعرفه كبار العسكريين الا أخيرا ، ويناله من أذى الأعداء بعض مانال المؤمنين .

قال على رضوان الله عليه « كنا اذا اشتد الباس واحمرت الحدق وحمى الوطيس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يكون أحد أقرب الى العدو منه »

وما يعلى اقدار القادة فى أنفس الجنـد ولا يعلى من معنوياتهم شىء مثل أن يروا قادتهم بينهم يقاسمونهم لأواء المعارك ، ويصبرون مثلهم على شظف العيش ، ومايفرضه القتال من شدائد ، كما قال الله « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لاتعلمون »

وستأتيك بعد قليل روائع الأمثال من صنع النسـاء والرجال الذين منحوا الرسالة والرسول كل فداء وان كان الدم العزيز والحياة الغالية ، لنعرف أين الأبنـاء من الآباء .

البحث متصل »

عمر بن الخطاب في رعيته

الأستاذ
عبد العال شعيب

رأينا فيما تحدثنا به من قبل المنهج الذى أخذ به عمر بن الخطاب نفسه فى مباشرة أمور رعيته ، وهو منهج أبى بكر الصديق وصاحبه من قبل ، ويتلخص فى اطلاق الحرية للعامل فى الشئون الوضعية وتقييده فى المسائل العامة ، ومراقبته فىالسر والجهر ، وكان يحاسب عماله على اعمالهم فى الأمة ، فيشجع المحسن ويقف فى وجه المسيىء ، وكان يضرب المثل بنفسه فى الزهد والاخلاص في العمل ، والقيام على شئون الناس ، وكان يعتبر نفسه مسئولا عن اى تهاون يقع فى اية بقعة من بقاع المسلمين ، وكان من سياسته أن يأخذ عماله بموافاة الحج فى كل سنة ، كتب الى أبى موسى الأشعرى : أما بعد فان للناسنفرة فاعوذ بالله من أنتدركنى واياك عمياء مجهولة ، أقم الحدود ولو ساعة من نهار ، واذا عرض لك أمران احدهما لله والآخر للدنيا فآثر نصيبك من الله فان الدنيا تنفذ والآخرة تبقى . وأخيفوا الفساق واجعلوهم يدا يدا ورجلا ورجلا ، وعد مرضى المسلمين واشهد جنائزهم ، وافتح لهم بابك وباشر أمورهم بنفسك فانما انت رجل منهم غير ان الله جعلك أثقلهم حملا ،وقد بلغنى أنه فشا لك ولأهل بيتك هيئة فى لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها ، فاياك يا عبد الله ان تكون بمنزلة البهيمة مرت بواد خصيب فلم يكن لها هم الا السمن وانما حتفها فى السمن ، واعلم أن العامل اذا زاغ زاغت رعيته ، وأشقى الناس من شقى الناس به والسلام .. اننا نراه يوصى أبا موسى الأشعرى بأن لا يغفل عن أمور الرعيةوأن يقيم حدود الله - وأنيراقب الله مراقبة من يطلع عليه ويعلم سره ونجواه ، وليؤثر ما عند الله على ما عند الناس ما عندكم ينفذ وما عند الله باق) ويوصيه بالا تأخذه رأفة بالفساق الذين يفسدون فى الأرض ، وينشرون المنكر فى المجتمع ، فان تركهم ، وشأنهم يشيع الفاحشة وينشر الفساد ، فتتصدع الأمة ويهتز بنيانها .

وانما الأمم الأخلاق ما بقيت
فان همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ويوصيه كذلك بأن يحيى فى نفسه عاطفة المشاركة الوجدانية والعملية للرعية . فمن مرض يعوده ، ومن مات يشهد جنازته ، ويوصيه بأن يمكن الشعب من الاتصال به تصالا مباشرا بأن يفتح لهم بابه ، ويباشر أمورهم بنفسه فانما هو واحد منهم ثم يحذره تحذيرا عنيفا من أن يجعل الدنيا كل همه ، فيقبل عليها وينعم بمباهجها ويؤثر نفسه وأهله بما لا يقدر عليه عامة الرعية ، فان فعل ذلك وجعل همه الدنيا وزينتها كان شأنه شأن البهيمة ، لايهمها الا أن تسمن وهلاكها فىهذا السمن . والعامل فى أمته قدوة يقتدى بها فان صلح كانت الأمة صالحة وان فسد فسدت الأمة وباءت بالخسران والوبال .. وان اشقى الناس من شقى الناس به ، وبهذا يرسم الطريق الواضح الذى يصلح به الفرد ويصلح به المجتمع ويعيش جميع ابنائه متحابين متآخين متعاونين ، لا يحقد أحد على أحد ، ولا يجد أحد فى قلبه موجدة نحو أحد من أخوانه ، بل الجميع أسرة واحدة يتحقق فيهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ترى المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » وقول الرسول « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » ..

ومن أمتع ما يروى عن ولاة عمر ما حدث حينما شكا أهل حمص عاملهم سعيد بن عامر واليه على حمص

وسالوه عزله . فسالهم عن سبب طلبهم هـــذا الامر الغريب ، خصـــوصا وهو يثق بسعيد ، ولم ترق الى سيرته ظنه ، فقالوا له : انه لا يخرج للناس حتى يرتفع النهار ، ولا يجيب احدا بليـل ، ولـه فى الشهر يوم لا يخرج فيه ، فتعجب عمر من هذا الذى ينسب الى عامله ، واخـذ يتحرى عنه ، وعن تصرفاته ومعـاملته للرعية ، فتبين له أن عامله يعجن كل يوم خبزه ويجلس حتى يختمر فيخبزه ثم يخرج لناس ، وانه يجعـــل الليل كله للعبادة ، لانه يشتغل مرة فى الشهر بغسل ثيابه ، حينئذ ايقن عمر انه وضع ثقته فى موضعها وبعث لسعيد بالف دينار يستعين بها ، فوزعها على جيش من جيوش المسلمين .. وقدم سعيد بن عامر على عمـــر بالمدينة فلم ير معه الا عكازا وقدحا . فقال له عمر : ليس معك الا ما ارى ، فقال له سعيد : ما اكثـر من هذا ، عكاز احمل عليه زراعى وقدح آكل منه .

وكان من عماله ايضا عمير بن سعيد ، يقول فيه عمر: وددت لو ان لى رجلا مثل عمير بن سعد استعين به على اعمال المسلمين ، وقف يوما على منبر مدينـــة حمص وخطب خطبة رائعة ، كان مما جاء فيها : لا يزال الاسلام منيعا ما اشتد السلطان ، وليس شدة السلطان ضربا بالسوط ولكن قضاء بالحق واخذا بالعدل » يريد بذلك أن الامة تصلح اذا كان راعيها قويا شديدا فيهـــاب ويخشى باسه ، وليست الشـدة التى يعنيها عمر هى العنف والضرب بالسياط ، ولكن الشدة التى يريدها هى أن يقضى بين الناس بالحق ، ويسلك بينهم مسلك العدل ، ويعطى كل ذى حـ قحقه ، وحينئذ تكون عينه ساهرة ترقب العمال وتتابع الاعمال ، وحينما يحس كل واحد من الناس بانه ان يهضم له حق ولا يجار عليه بظلم فسيعمل بجد وعزيمة ، بل يواصل العمل من اجل عزة أمته ورفع شانها .

لقد كتب عمر الى عمير هذا أيام ان كان عامله على حمص : اقبل بما جبيت من فئ المسلمين ، فقدم اليه ، فساله عما عمله ، قال : بعثتنى حتى اتيت البلدفجمعت صلحاء اهلها فوليتهم جباية فيئهم ، حتى اذا جمعـــوه وضعته مواضعه ، ولو نالك منه شئ أتيتك به ، قال : فما جئتنا بشئ ؟ قال لا جـددوا لعمير عهدا ، فقال عمير : لا عملت لك ولا لاحد بعد ، والله ماسلمت ، فقال قلت لنصرانى : أى اخزاك الله ، فهذا ما عرضتنى له يا عمر ، وان اشقى ايامى يوم خلقت معك يا عمر ... هذا الوالي حينما ولى امارة حمص ، لم ياخذ الناس بالشدة والعنف فى جمع ما عليهم من أموال ، ولكن ولى صلحاءهم هذه المسالة ، فقاموا بجباية الاموال ممن تجب عليهم ، وصرف عمير هذه الاموال فى مصالح الامة. ولم يترك شيئا يبعث به لامير المؤمنين ، ولما ساله عمر عما احضره من مال واخبره بما حدث ابتهج وفرح لهذا الصنيع ، لانه وجد عامله يقوم على شئون رعيته ويفعل ما فيه مصلحتهم ، فقال : جددوا لعمير عهدا ، لـكن عميرا الذى يتحمل المسئولية والذى يسهر فى سبيل خدمة رعيتهيابى ذلك ، ويرفض أن يعود الى حمص واليا عليها ان هذه مثل رائعة يعتز بها تاريخنا الاسلامى الزاهر ، وتفخر به سيره ابطالنا الاوائل الذين ضربوا انبل الامثلة فى الزهد والتفانى فى سبيل المصلحة العامة، ولم يفكروا فى الدنيا وزينتها ، لم يقبلوا على مباهجها بل زهـدوا فيهـا فى عـزة ، كانت الدنيـا فى أيديهم ، لكن لم يجعلوها فى قلوبهم لانهم أصحاب مبادئ واصحاب عقـائد ، يعيشون فى سبيل مبدئهم الذى يخلد لهم حسن الذكرى فى الدنيا ويضمن لهم طيب الجزاء فى الاخرى تحقيقا لقوله تعالى « من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم باحسن ما كانوا يعملون » ان هؤلاء لم يزين لهم حب الشهوات ، بل ابتغوا حسن المآب الذى يدخره الله للعاملين المخلصين ، لقدقرروا أو فهمواوطبقوا هذه الآية الكريمة « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب قال أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيهـا وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد ، الذين يقولون ربنـا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصـادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار » .

وهذا هو عامل آخر من عمال عمر ، كان مثلا رائعـا لا يثار المبدأ على زينة الدنيا ، انه حذيفة بن اليمان ، لقد ولاه عمر على المدائن ، وكتب فى عهده ، بان اسمعوا له واطيعوه واعطوه ما سالكم ، فلما قدم المدائن استقبله الدهاقين ، فلما قرأ عليهم عهده قالوا : سلنا ما شئت قال : أسالكم طعاما آكله وعلف حمارى ما دمت فيكم ، فاقام فيهم ، ثم كتب اليه ليقدم عليه ، فلما بلغ عمر قدومه كمن له فى الطريق فلما رآه عمر على الحال التى خرج من عندهعليها أتاه فالتزمه وقال له : أنت اخى وانا أخوك » لقد وجد عمر عامله على شاكلته فى الزهد فى الدنيا والاعراض عنها اذن قد جمعت بينهما المبادئ والاتجاهات الواحـدة ، ولهـذا اتخذه اخا له ، وهى أخوة المبدا ، واخوة المبدا والعقيدة اخوة لله وفى الله ، انها تنمو وتترعرع ويباركها الله ويدخر لاصحابها حسن الجزاء ، فمن السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله : رجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وافتـرقا عليه » .

والامة تسـعد بهذه النماذج الرفيعـة من الانسانية العلية ، ولقد سعدت فى عهد عمر بن الخطاب وعاشت ترفرف عليها راية الحق والعدالة والاخوة ، وما ذلك الا بفضل السياسة التي اتبعها عمر فى رعيته وحسن اختياره لعماله ، ومراقبتهم جميعا لله الذى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور .. والى المقال التالى مع نماذج أخرى من سيرة عمر رضى الله عنه وأرضاه ..

التسامح في الإسلام

الدكتور ابراهيم سالم

حفل القرآن الكريم بدعوة المسلمين الى التسامح فلم يمنع المسلمين من البر بغير المسلمين ما داموا فى سلم مع المسلمين قال تعالى « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين . انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا علي اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون » .

وأمر الاسلام بالرفق فى الدعوة اليه وامر بمناقشة المخالفين بالحسنى قال تعالى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي احسن ». وقال « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون .

ويبين الله للنبى أنه مكلف أن يبلغ الدعوة ويبشر بالاسلام وليس مكلفا ان يحمل الناس اليها بالقوة قال تعالى : فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر» قال: « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » .

وحض النبى صلوات الله وسلامه عليه على التسامح وحببه الى المسلمين بقوله وبفعله قال عليه الصلاة والسلام : « من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو اخذ منه شيئا بغير طيب نفس فانا حجيجه يوم القيامة » وأمر صلوات الله عليه بالا يجبر احد من النصارى او اليهود على ترك دينه فقد كتب الي عامل له فى اليمن « من كان على يهودية أو نصرانية فلا يفتتن عنها . »

واظهر النبي وخلفاؤه وقواد المسلمين سماحة فيما عفوا من صلح مع البلاد التى فتحوها . ومن شأن المنتصر ان يستبد ويملى شروطه بدافع الغيظ والانتقام والغرور بالقوة ولكن المسلمين كانوا فى معاهدتهم مع المغلوبين كراما فاقروهم على عقائدهم وشعائرهم الدينية وأوصوا برعايتهم والمحافظة على اموالهم فهذا النبى عليه الصلاة والسلام قد عقد معاهدة مع قبيلة تغلب وكان الاسلام قد قوى ودانت له العرب اباح لهم فيها البقاء على نصرانيتهم وصالح نصارى نجران وتركهم احرارا فى دينهم .

وقد اقتدى المسلمون بالنبى من بعده فقد أوصى أبو بكر أسامه بن زيد لما وجهه الى الشام بالوفاء لمن يعاهدهم وبالرحمة فى الحرب وبالمحافظة على أموال الناس وبترك الرهبان احرارا فى ديارهم وصوامعهم .

وكان عمر بن الخطاب على شدته مع المسلمين رفيقا بأهل الكتاب فقد نصح سعد بن أبى وقاص لما أرسله الى حرب الفرس بان يبعد معسكره عن قرى أهل الصلح والذمة وبالا يسمح لأحد من أصحابه بدخولها الا اذا كان علي ثقة من دينه وحسن خلقه وأوصاه الا يأخذ من أهلها شيئا لان لهم حرمة وذمة يجب على المسلمين الوفاء بها وحذره من أن تضطره حرب أعدائه الي ظلم الذين صالحوه .

هذا فقد قام الاسلام على التسامح قولا وعملا . ومن امثال التسامح العملى ما يلى :

١ - اشترطت قريش على النبى صلى الله عليه وسلم فى صلح الحديبية شروطا قاسية منها أن من جاء من محمد الى قريش لا ترده الى محمد ومن جاء الى محمد من قريش بغير اذن وليه رده محمد . وقبل النبى شروطهم الجائرة . وما كادوا ينتهون من توقيع المعاهدة حتي جاء أول امتحان للوفاء فقد وصل مسلم من مكة اسمه أبو جندل يرسف فى الحديد فارا من أذى قومه والح على الرسول أن يضمه اليه ولكن الرسول سلمه لقريش وفاء بعهده .

وجاء أيضا الى الرسول بالمدينة أبو بصير عتبه بن أسيد فرده وتنجلي سماحة الرسول وسماحة الاسلام فى أسرى بدر فقد عامل صلوات الله وسلامه عليه اسرى بدر معاملة حسنة ذلك بانه وزعهم على أصحابه وامرهم أن يحسنوا اليهم فكانوا يفضلونهم على أنفسهم فى طعامهم ولما فتح مكة اقل لقريش : « ماذا تظنون انى فاعل بكم .. قالوا « خيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال : اذهبوا فانتم الطلقاء لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لى ولكم » .

وكان عليه الصلاة والسلام يحضر ولائم أهل الكتاب ويغشى مجالسهم ويواسيهم فى مصائبهم ويعاملهم بكل أنواع المعاملات التى يتبادلها المجتمعون فى جماعة يحكمها قانون واحد وتشغل مكانا مشتركا فقد كان يقترض منهم نقودا ويرهنهم متاعا . ولم يكن هذا عجزا من أصحابه عن اقراضه فان بعضهم كان ثريا وكلهم يتلهف على أن يقرض رسول الله بل كان يفعل ذلك تعليما للامة وتثبيتا عمليا لما يدعو اليه من سلام وتدليلا على ان الاسلام لا يقطع علاقات المسلمين مع مواطنييهم من غير دينهم .

٢ - كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه عادلا سمحا . فقد رأى رضى الله عنه رجلا يسأل على الأبواب وكان الرجل شيخا ضريرا فقال له عمر : من أى أهل الكتاب انت ؟ فقال يهودى قال عمر : فماالذى الجأك الى ماأرى؟ قال الجزيه والحاجة والسن . فاخذ عمر بيده وذهب به الى منزله وأعطاه مما وجده . ثم ارسل الي خازن بيت المال وقال له : انظر هذا وضرباءه فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عن الهرم ووضع عنه الجزية .

وأمر رضى الله عنه أن يعطي من الصدقات قوم من النصارى مصابون بالجذام وان يرتب لهم القوت . لم

« البقية ص ١٠٦ »

الحضارة المعاصرة

بين القيم المادية والروحية

الدكتور محمد مظهر سعيد

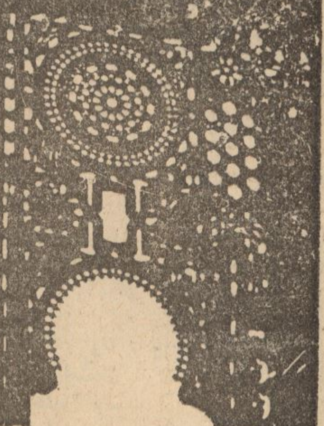

لعل من المناسب فى مستهل هذا الحديث أن نفرق بين مفهوم كل من « المدنية » و « الحضارة » ، فقد جرى العرف العام على اعتبارهما لفظين مترادفين لمفهوم واحد . ولكن العلوم الانسانية الحديثة تقصر مصطلح المدنية على المستوى الراقى من حياة المجتمع المادية ، التى تتمثل فى العمران وتخطيط المدن وتنظيمها وتوفير مرافقها ، والتنوع والتفنن فى مطالب الحياة الضرورية والكمالية ، من ماكل ومشرب وملبس ومسكن وترويح عن النفس ، وتوفير كل هذه المطالب يحتاج الى وفرة الامكانيات والاموال وسعة الانفاق ، فطبيعى ان يرتبط مستوى المدنية فى أمة ما بمقدار مواردها الطبيعية وثروتها المالية . ومن ثم تكون المدنية ظاهرة اقتصادية .

اما الحضاره فمصطلح يطلق على النواحى الفكريه والخلقية والاجتماعيه من حياة المجتمع ، التى تتمثل فى العلوم والآداب والفنون ونظم الحكم ودساتير السلوك والآداب والتقاليد والاخلاق العامه والعقيدة الدينية .

ومن ثم فالحضارة ظاهره نفسية اجتماعية . فالمدنيه تتمسك بقيمها المادية ، والحضارة تعتز بقيمها الخلقية الروحية . والقيم المادية شىء ، والقيم الروحية شىء آخر ، ولكن بينهما صلات وثيقة . فالأمة التى تتوافر لها القيم المادية بحيث لا يشغلها طلب العيش عن التفكير والتامل ، يسهل عليها التطلع للقيم الخلقية والروحية وللحياة الأفضل . والأمة التى تتمسك بقيمها الخلقية والروحية تستطيع أن توجه قيمها المادية نحو الخير العام ، وتوفير الحياة الكريمة لجموع الشعب وليس لقلة من الأسرات الغنية القادرة المترفه .

وقد كان هذا الجزء من العالم ، الذى نعيش فيه ، وهو حوض البحر الابيض المتوسط . ولا يزال مسرحا لمدنيات وحضارات ، كل منها سادت المنطقة بدورها ، وأثرت فى مجرى حياتها وطبعتها بطابعها الى حين ، ثم تخلفت واضمحلت ، بعد ان مهدت الطريق للحضارة او المدنية التى تلتها .

وكانت الحضارة المصرية القديمة أم الحضارات وأقدمها ، فقد بدات بواكيرها منذ مئات القرون قبل عهد الأسرات واستكملت مقوماتها بتوحيد اقاليم مصر تحت حكم مينا مؤسس الاسرة الاولى منذ خمسين قرنا . وكانت حضارة مدنية ، فارئة كاتبة حاسبة ضربت باوفر سهم فى العلوم والفنون والآداب والحرف والصناعات ، مما تشهد به آثارها الباقية الخالدة ، ومنها اخذ الفينيقيون والاغريق مقومات مدنياتهم ، وكانت لها قيم أخلاقية وروحية تتمسك وتعتز بها . فكانت فى تربية النشء تعنى بتربية الجسم والعقل والخلق والروح واعتبار العمل الصالح فى الدنيا طريق الخلود فى الأخرى . ذلك لأنهم كانوا يؤمنون بخلود الروح والبعث بعد الموت والحساب والثواب والعقاب ، حتى قبل أن ينادى اخناتون ، فرعون مصر العظيم ، بعقيدة التوحيد ، قبل ان يدعو اليها موسى نبى الله عليه السلام . ثم اختفت هذه الحضارة فى مقابرها ومعابدها ، بعد أن عمرت مئات القرون ، وكأنها سر مكتوم ، الى أن كشف عنها حجر رشيد الغطاء فى هذا العصر الحديث .

وجاءت الحضارة الاغريقية ، بعمرانها وفلسفتها ونظمها السياسية ، وسادت المنطقة الى حين ، ثم اختفت هى الأخرى بعد انقسام مملكة الاسكندر الأكبر ،

وضاعت قيمها الخلقية والروحية ، وطويت آثار فلاسفتها ومفكريها ومشرعيها بعد أن جاهدت فى سبيل البقاء فترة ما فى جامعة الاسكندرية البطلمية .

واعقبتها المدنية الرومانية التى سادت جميع المنطقة عدة قرون ، وكانت مدنية وثنية عسكرية استطاعت بفيالقها ان تفتح البلاد الآمنة المسالمة وتسترق شعوبها ، وهم ورثة الحضارات الأرقى ، وتسرق خيراتها وتستنزف مواردها ، ليستمتع بها سلالة الاسرات التى اسست روما وزالت هذه المدينة بعد ان استنزفت اموالها فى الترف والفجور ، تاركة وراءها الفراغ والفوضى فى كل مكان ، حتى فى بلادها الأصيلة ، ولم يرث العالم عنها شيئا غير القانون الرومانى .

وفى هذا العهد المظلم الظالم ، والمنطقة كلها تئن تحت نير الامبراطورية الفارسية الفاسدة فى الشرق ، والأمبراطورية المنحلة فى الغرب ، وتحت اقدام فيالقهما الوفيرة العدد والعدة ، بزغ نور الاسلام فى الجزيرة العربية ، يكشف معالم الطريق المستقيم لحضارة جديدة عادلة ومدنية حديثة معتدلة ، وسرعان ما انتشر حتى عم جميع أرجاء المنطقة ، مخترقا ، بعون الله وعدالة الرسالة وسماحة الدين وقوة الايمان ، جميع السدود والقيود ، من حدود الصين شرقا ، الى المحيط الاطلسى غربا ، ومن جنوب فرنسا وايطاليا واسبانيا وبيزنطة شمالا الى أواسط افريقية جنوبا ، ناشرا لواء العدل والمساواة والحرية والاخاء ، مبشرا بالرفاهية والرخاء ، مثبتا للقيم الخلقية والروحية ، هاديا لمكارم الأخلاق ، هادما للوثنية والعصبية والشعوبية ، محترما عقائد الشعوب ومقدساتها . وما كادت شعوب هذه المنطقة ترى ومضات هذا النور الالهى ، وآذانهم تسمع ترانيم هذا الوحى السماوى ، حتى هفت نفوسهم للاسلام واطمانت قلوبهم له ، وأدركهم الله برحمته ، وأتم عليهم نعمته ، وهداهم سبيل الرشاد ، فاتخذوا الاسلام دينا ، والرسول اماما ، والقرآن كتابا ، ولغته لسانا ، وكانت لهم حضارات ومدنيات سابقة تركوها ، ولغات وعقائد وتقاليد قديمة تحرروا منها ، وعداوات وثارات متاصلة نبذوها . وكانهم خلقوا خلقا جديدا ، واصبحوا جميعا ، بفضل هذا الدين الحنيف ، أخوة فى الله ، متحابين متعاونين على البر والتقوى ، يفكرون بعقل واحد ، ويشعرون بعاطفة واحدة ، ويؤمنون بقلب واحد ، وينطقون بلسان واحد ، ويعملون بيد واحدة ، وبالقيم المادية السليمة أنشاوا مدنية جديدة ، أرسوا قواعدها على القيم الخلقية والروحية ، فكان منها حضارة مثالية ، لم يعرفها التاريخ من قبل . ومن مفاخرها انها عرفت الغرب بحكمة الهند وفن الفرس وفلسفة اليونان ، وكانت مؤلفاتها ومترجماتها وشروحها التى غمرت أوروبا ، عن طريق الحرب الصليبية فى الشرق والأندلس وصقلية فى الغرب ، من أكبر العوامل التى مهدت لعصر النهضة ، التى نقلت أوروبا من ظلام القرون الوسطى الى نور المدنية الحديثة .

واقبلت الدنيا على الدولة الاسلامية الجديدة ، وتفتحت لها كنوز الأرض ، وتدفقت عليها أموال الخراج من كل مكان ، فاغترف منها الخلفاء والأمراء والحكام ، واقبلوا على متع الدنيا ، وتراجعت القيم الأخلاقية والروحية ، وانقسمت الخلافة الواحدة الى خلافات ، والدولة الى دويلات ، وقعت كل منها ، الواحدة بعد الأخرى ، فريسة للاستعمار . ودالت الدولة الاسلامية الكبرى ، ولكن شجرة الحضارة الاسلامية ما يزال أصلها ثابت فى أرض العروبة ، وفروعها عالية فى السماء ، تتطلع لفجر النهضة الجديد ، محتفظة بدين الاسلام ، حافظة لقرآنه ومتكلمة بلسانه ، فى حين أن الأمم غير اللاتينية لم تغير عقيدتها ولغتها وتقاليدها القديمة ، رغم خضوعها لسلطان روما تلك القرون الطوال .

ثم جاءت المدنية الغربية الحديثة ، مدنية الفحم والحديد ، والبخار والكهرباء ، والقنبلة الذرية والصاروخ ، التى خضعت لسلطان الاقطاع ورأس المال ، فاستطاعت بجيوشها البرية الجرارة واساطيلها البحرية الجبارة أن تستعمر البلاد الغنية الآمنة وتستعبد شعوبها المسالمين العزل ، وتسلبها مواردها وخيراتها ، لتعيش كالنبات الطفيلى المتسلق على عصارة الشجرة المورقة المثمرة ، حتى تتركها زاوية ذابلة . والاستعمار بطبعه لايؤمن بالقيم الخلقية والروحية ، ما دام يعبد القيم المادية ويتخذ المال الها من دون الله . وها هى الدول الكبرى ، انجلترا وفرنسا وامريكا ، التى ثارت شعوبها يوما ثوراتها الكبرى على الظلم والاستبداد ، واتخذت لها شعارات الحرية والاخاء والمساواة والديمقراطية والعدالة ، بسياستها الاستعمارية الأمبريالية ، وحرمان الشعوب الخاضعة لنفوذها من حق تقرير مصيرها ، ووقوفها فى طريق نهضة الأمم النامية ، وتدخلها المسلح فى أخص أمور الدول المحايدة ، جريا وراء مناطق النفوذ ، او سد الفراغ المزعوم ، تهدم نفس المبادىء التى نادت بها ثوراتها ، ولا يزال أمام الشعوب المستعبدة والحديثة العهد بالاستقلال طريق طويل وجهد شاق حتى تظفر بحريتها الكاملة وتتخلص من كابوس الدول الكبرى . التى تزعم أنها رائدة العالم الحر ، وبانية المدنية الحديثة .

وشاء الله سبحانه وتعالى أن يطلع فجر اليوم الجديد ، فقامت ثورتنا المباركة البيضاء ، ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ ، ثورة الكفاية والعدل ، والديمقراطية الاشتراكية التعاونية ، هنا فى مصر ، قلب العروبة النابض ، وحصنها المكين ، فاستطاعت بفلسفتها ومبادئها ، ودستورها وميثاقها ، وزعامتها الموفقة وحكومتها الرشيدة وقوى شعبها العاملة ، ان تحقق القيم المادية السليمة ، على اساس متين من القيم الخلقية والروحية ، وتبعث الحياة من جديد فى شجرة الحضارة الاسلامية ، وتغذيها بالايمان والارادة ، حتى تزهر وتثمر ، كما كانت من قبل ، فيستظل العالم العربى كله بظلها الظليل ، ويستمتع بقطوفها الدانية ، أن ثورتنا المباركة ، وهذه هى رسالتها ومبادئها ، تبنى حضارة مثالية جديدة ، تحقق العدالة الاجتماعية والكرامة الانسانية والسلام العالمى . انها دعوة للقيم الروحية وجهاد فى سبيل الله ، ولابد ان تنتصر وتسود . أجل لابد أن تنتصر حضارة القيم الروحية على مدنية القيم المادية والامبريالية والراسمالية . والقيم الرحية هى أساس الحضارة الجديدة التى تبثها ثورتنا المباركة .

هذا هو دستور ١٩٥٦ يقول فى مقدمته :

« تنبثق أحكام هذا الدستور من صميم كفاحنا ، ومن خلاصة تجاربنا ، ومن المعانى المقدسة التى هتفت بها جموعنا ، ومن القيم الخالدة التى سقط دفاعا عنها شهداؤنا ، بعون الله وتوفيقه وهداه نقر هذا الدستور ونعلنه .

ونصت المادة ٥ ـ الأسرة أساس المجتمع ، وقوامها الدين والأخلاق والوطنية » وجاء فى الباب الأول من الميثاق :

« ان العمل العظيم الذى تمكن الشعب المصرى من انجازه بالثورة الشاملة تحقق بفضل عدة ضمانات ـ ايمان لا يتزعزع بالله وبرسله وبرسالاته القدسية التى بعثها بالحق والهدى الى الانسان فى كل زمان ومكان ».

وجاء فى الباب السابع :

« ان امكانية تحقيق هذا الهدف (مضاعفة الدخل) لا تعتصر قوى العاملين تحت ضغط المسئولية ، وانما كل الذى تتطلبه منهم هو لعمل بوحى من الفكر الاجتماعى الذى يرسم لها طريقها الى صنع المجتمع الجديد ، وما يمكن لهذا الفكر ان تطوره من قيم اخلاقية جديدة ومعان انسانية منفتحة للحياة نابضة بها » .

« ان مجتمع الرفاهية قادر ان يصوغ قيما اخلاقية جديدة لا تؤثر عليها القوى الضاغطة المتخلفة عن العلل التى عانى منها مجتمعنا زمانا طويلا » .

« أن حرية العقيدة الدينية يجب ان تكون لها قداستها فى حياتنا الجديدة الحرة . أن القيم الروحية الخالدة ، النابعة من الاديان ، قادرة على هداية الانسان ، وعلى اضاءة حياته بنور الايمان ، وعلى منحه طاقات لا حدود لها من الخير والحق والمحبة . أن رسالات السماء كلها فى جوهرها كانت ثورات انسانية تستهدف شرف الانسان وسعادته » .

وجاء فى ختام الميثاق

« ان شعبنا يعيش ويناضل من أجل المبادىء الانسانية السامية . أن شعبنا قد عقد العزم على أن يعيد صنع الحياة على أرضه بالحرية والحق ، بالكفاية والعدل بالمحبة والسلام . ان شعبنا يملك من ايمانه بالله وايمانه بنفسه ، مايمكنه من فرض ارادته على الحياة ، ليصوغها من جديد وفق أمانيه » .

ولعل خير ما نختتم به هذا الحديث ، ما قاله الرئيس الملهم جمال عبد الناصر ، فى خطابه الجامع بميدان الجمهورية ، يوم العيد الثالث عشر للثورة :

« لا يسعنا اليوم الا أن نتطلع بالشكر الى الله عرفانا وتقديرا ، أن أضاء طريق الشعب المصرى ، وأعانه على أمره ، وحقق له وبه تجربة من أبرز وأشرف وانبل تجارب التطور الثورى الحديث . ونحن حينما نطبق العدل لم ننكر باى حال شريعة الله ، ولكنا آمنا فى قلوبنا وفى نفوسنا بان شريعة العدل هى شريعة الله .. وحينما تكلمنا عن الكفاية لم نتجه الى الأساس المادى وننسى الأساس الروحى والدينى والفكرى . ولكنا احترمنا انسانية الانسان ، وحق الانسان فى الحياة كانسان . ولم ننظر للانسان باى حال من الاحوال كآلة فى المجتمع ، تجرد من الفكر ، وتجرد من الحق فى القيم الروحية .

سرنا على أساس اننا حينما نتجه الى البناء المادى العريض الوفير ، حينما نقيم القاعدة الاقتصادية القوية ، سواء فى الزراعة أو فى الصناعة ، لابد أن لا ننسى الدوافع الروحية والفكرية والثقافية ، التى تبقى الانسان انسانا ، لأن الانسان اذا تجرد من انسانيته لا يمكن باى حال أن يخلص لروحه أو لبلده أو لوطنه . أن الانسان الذى يبقى على انسانيته ، الانسان الذى يحتفظ بحريته الفكرية وحريته الروحية ، الانسان الذى يشعر بامكانيته والذى يشعر بقيمته ، يعمل دائما على تركيز وتدعيم الاستقلال ، وتركيز وتدعيم الحرية ، ونحن اذ نحتفل بسنة ١٣ للثورة ، نشكر ربنا من كل قلبنا ، انه وفقنا ، وانه مكننا من ان نتغلب على المصاعب التى قابلتنا .

ولكن بعون الله ، وبعزيمة هذا الشعب وقدرة هذا الشعب استطعنا أن ننتصر . وفقنا الله .

بقية مقال « التسامح فى الاسلام »

يفرق الاسلام بين المسلم وغير المسلم فى المعاملات العامة لأن الجميع سواسية أمام القانون لا تفضيل ولا محاباه حتى وان كان احد الخصمين مسلما رفيع المكانة والآخر يهوديا او مسيحيا .

فقد شكا يهودى على بن أبى طالب للخليفة عمر فقال عمر لعلى : قم يا أبا الحسن فاجلس بجوار خصمك ففعل على . وعلى وجهه علامة التأثر . فلما فصل عمر فى القضية قال لعلي : أكرهت يا على ان تساوى خصمك ؟ قال : لا لكنى تألمت لانك ناديتنى بكنيتى فلم تسو بيننا ومعروف ان الكنية للتعظيم فخشيت أن يظن اليهودى أن العدل ضاع بين المسلمين فهل سجل التاريخ او عرف الناس سماحة فى العدالة ودقة فى المساواه الى هذا الحد ؟.

وتوجد الوان كثيرة فيها شهد كثير من غيرالمسيحيين للاسلام . فلما فتح المسلمون الأندلس أعفوا من الجزية غير القادرين عليها ووكلوا جمعها الى موظفين من النصارى . وسلك المسلمون مسلكا نبيلا فى تصريف شئون الشعب هناك لهذا استمتع بالحرية النصارى واليهود .

أما النصارى فقد عاشوا احرارا فى اقامة شعائرهم الدينية وبنوا عدة أديار جديدة .

ولقد تولى المسيحيون المناصب العالية فى قصور الملوك وفى الجيش لذلك اندمج المسيحيون بالمسلمين وتسمى كثير منهم بأسماء عربية وحاكوا المسلمين فى كثير من عاداتهم فاختتن كثير منهم وتعلموا اللغة العربية ودرسوا العلوم الاسلامية .

ولما هاجربعض المسيحيين الى فرنسا ليعيشوا فى ظلال حكم مسيحى لم يصيروا أحسن حالا من أخوانهم النصارى بالاندلس .

واذا نظرنا ودققنا النظر فى سماحة الاسلام فى شخص النبى صلوات الله وسلامه عليه لوجدناها تتجلى فى أحسن صورها حيث أن اهل قريش قد آذوه أشد أذى حيث خرج من دياره ليلا فرارا بدينه وحينما فتح مكة وانتصر عليهم تجلت سماحته عليه الصلاة والسلام فقال لأهل قريش الذين آذوه ماذا تظنون انى فاعل بكم قالوا أخ كريم وابن أخ كريم فقال : اليهم صلوات الله وسلامه عليه اذهبوا فانتم الطلقاء . نعم السماحة ونعم العفو عند المقدرة .

وهكذا توجد صورة كثيرة من سماحة الاسلام .

حول انتشار الإسلام في أرخبيل الملايو

الدكتور حسن حمود

يحيط الغموض بقصة دخول الاسلام الى هذا الجزء الهام من جنوب شرق آسيا ، ويبدو أن احتكاك هذه البلاد بالاسلام لأول مرة انما يرجع الى التجار العرب الذين اتصلوا بهذه البلاد فى القرون الأولى للهجرة، وليس هذا بعيدا ، فقد زاول العرب فى جنوب شرق آسيا تجارة واسعة النطاق منذ وقت مبكر ، ففى القرن الثانى الهجرى كانت تجارة جزيرة سيلان كلها فى أيديهم . وفى مستهل القرن السابع الميلادى لقيت تجارتهم مع الصين عن طريق جزيرة سيلان رواجا عظيما ، وفى مقال لنا قبل هذا أشرنا الى أن التجار العرب أقاموا فى كانتون فى منتصف القرن الثامن الميلادى فى أعداد كبيرة . وظلت سيطرة العرب على هذه الموارد التجارية الغنية حتى القرن الخامس عشر الميلادى حينما ظهر البرتغاليون وتطلعوا الى هذه الآفاق .

وليس من المعقول بعد هذا الاتصال الطويل أن لايكون هؤلاء التجار العرب قد أسسوا مستعمرات تجارية فى أكثر من موقع فى جزر أرخبيل الملايو . واذا كنا لانجد أية اشارة الى نشأة هذه المستعمرات فى مؤلفات الرحالة العرب قبل القرن التاسع الميلادى الا أن حوليات الصين أشارت فى أخبار عام ٦٨٤ الى مستعمرة عربية على ساحل سومطرة الغربى .

على كل حال لم تترك هذه المستعمرات المتناثرة أثرا يذكر فى انتشار الاسلام على نطاق واسع فى هذه البلاد ، وأغلب الظن أنهم أقاموا فى هذه البلاد كما يقيم الغرباء يزاولون تجارتهم ، ولم يعرف أنهم قاموا بحركة تبشيرية كبيرة لنشر الاسلام بين أهل البلاد الاصليين .

على أن الفضل الحقيقى فى الدعوة الى الاسلام فى هذه البلاد انما يرجع الى الدعاة المسلمين الذين وفدوا على أرخبيل الملايو من جنوب الهند ، والذين حملوا معهم عقائدهم ومذاهبهم فتركت أثرا باقيا حتى اليوم ، فقد حملوا اليها المذهب الشافعى كما حملوا معهم بعض عقائد التشيع التى لاتزال آثارها باقية حتى اليوم فى جاوه أو سومطرة .

هذا فضلا عن أن التجار المقيمين فى الركن والذين قامت الحركة التجارية على أيديهم بين الدول الاسلامية فى الهند وأرخبيل الملايو قد استقروا فى جماعات كبيرة فى الموانى التجارية الواقعة فى جزر الأرخبيل ، وقد شارك هؤلاء التجار الدعاة نشاطهم العظيم .

ذلك أنهم بعد أن استقروا فى مراكز التجارة أصهروا الى سكان البلاد وتكونت من أولادهم ونسائهم وعبيدهم النواة الحقيقية للجماعة الاسلامية التى كانت أعدادها تتزايد باستمرار بعد ان اتخذوا لغة القوم وتخلقوا باخلاقهم وقلدوا عاداتهم واساليب حياتهم

واخذت الجماعة الاسلامية تزداد قوة فى التأثير وسعة فى الانتشار وطبعت المنطقة بطابع اسلامى واضح ، وجاهد أفرادها فى سبيل نشر الاسلام جهادا صادقا جدير أن يكشف عنه وأن يؤرخ له ، فقد امتدت آثار هذه الجماعة الاسلامية الى سومطرة وشبه جزيرة الملايو وسيام وجاوه وبرينو ، وغيرها من الجزر المتناثرة فى هذه المنطقة .

فلنعرض فى ايجاز لتاريخ انتشار الاسلام فى كل جزيرة على حدة :

١ ـ سومطرة : كانت الهند هى النبع الذى تفجرت منه المؤثرات الاسلامية التى انطلقت الى هذه الجزيرة ، فقد قامت العلاقات التجارية القوية منذ قرون بين الهند وسومطرة ، وكان التجار الهنود المقيمين فيها أول دعاة الى الاسلام . وكانت العقيدة الجديدة فى مستهل أمرها مقصورة على الموانى التى اتصل بها التجار المسلمون .

ثم أخذت هذه العقيدة تنفذ الى الداخل فى قوة واضطراد مصطدمة بالمؤثرات الهندوكية القوية التى اتخذت لها مركزا فى مملكة منانجكباو .

يستفاد ذلك من أخبار الرحالة ماركوبولو الذى قضى خمسة أشهر على ساحل سومطرة الشمالى عام ١٢٦٢ ميلادية .

وتركزت المؤثرات الاسلامية فى هذه الفترة فى مدينة سمدرة . ويرجع الفضل فى اتخاذها معقلا للنفوذ الاسلامى الى البعثة التى أرسلها شريف مكة للدعوة الى الاسلام فى هذه الجزيرة بزعامة أحد صلحاء المسلمين ويسمى بالشيخ اسماعيل .

وقد كللت جهودهم بالنجاح ودخل أهل سمدرة فى الاسلام ثم تقدموا شمالا يوسعون أفق دعوتهم وساروا بحذاء الساحل حتى وصلوا الى الجانب الآخر من الجزيرة .

وسرعان مانشأت امارة اسلامية قوية اتخذت اسم امارة سمدرة ، كان من أبرز ملوكها الملك الظاهر الذى استقبل ابن بطوطة عندما زار هذه الجزيرة ، وقد وصلت هذه الامارة الى أوج قوتها فى عهد هذا الأمير ، وامتدت مسيرة أيام كثيرة على طول الساحل . وكان هذا

الأمير ستيا غيورا على دينه مولعا بعقد المناظرات مع الفقهاء ورجال الدين ، وكان بلاطه مقصد السفراء ورجال العلم واتصلت هذه الامارة اتصالا وثيقا بسلاطين وصلى وبعيرها من الامارات الاسلامية ، ولم يتوان هذا الأمير عن المشاركة فى الجهاد فأعلن الحرب على الوثنيين المجاورين له فاذعنوا لحكمه ودفعوا الجزية .

وقد أخذ الاسلام يشق طريقه الى قلب الجزيره نفسها منذ عام ١٤١٣ ميلادية ، فقد اشار رحالة صينى زار البلاد فى هذه الفترة الى مدينة لامبرى ، ومافيها من جالية مسلمة عظيمة العدد والى مملكة آرو التى اعتنق شعبها الاسلام .

ولكن بقى على الاسلام ليعم الجزيرة كلها ان يتغلب على مملكة منانجكباو الهندوكية التى امتدت سيطرتها على جزء عظيم من الجزيرة يقع شمال خط الاستواء وجنوبه ، وكانت معقلا قديما من معاقل الهندوكية ، ووقفت عقبة كبيرة تعوق تقدم الاسلام .

ومن حسن الحظ ان هذه المملكة الهندوكية دهمها الانحلال آخر القرن الخامس عشر الميلادى وأول السادس عشر فى الوقت الذى نشطت فيه الدعوة الاسلامية من مراكزها القوية فى الجزيرة وتسرب الاسلام الى المناطق الداخلية .

وانتشر الاسلام على الخصوص بين شعب التباك ، الذين استجابوا للجهود السلمية التى بذلت لادخالهم فى الاسلام وأظهروا حماسة فى هذا السبيل ، ثم اختفت الامارة الهندوكية لتمكن الاسلام من أن يحرز نصره الاخير وأصبح السواد الأعظم من أهل سومطرة يعتنقون الاسلام وان كانت قد بقيت بعض الجيوب الوثنية فى قلب الجزيرة .

وفى مستهل القرن التاسع عشر قامت فى سومطره نهضة دينية عظيمة كان لها الأثر القوى فى تثبيت دعائم الاسلام وتأكيد انتصاراته فقد تأثر بعض حجاج سومطرة بالحركة الوهابية وحملوها معهم الى بلادهم وأخذوا يبثون فى البلاد حياة دينية أكثر صفاء وأشد غيرة ، حرموا التوسل الى الأولياء وشرب الخمر والميسر وادخلوا الكثيرين فى الاسلام وأعلنوا الجهاد .

٢ - شبه جزيرة الملايو وسيام

وانتقل التيار الاسلامى من سومطرة الى شبه جزيرة الملايو فقد خرجت أول هجرة من أهل الجزيرة فى منتصف القرن الثانى عشر الميلادى وتأسست مدينة مالقا من أحفاد هؤلاء المهاجرين فى منتصف القرن الثالث عشر وسرعان ما أصبحت هذه المدينة مدينة كبيرة ذات موقع مناسب من طريق التجارة الآتية من الشرق .

وقد تأكد انتشار الاسلام فى هذه المدينة وتحولت الى امارة اسلامية قوية فى عهد أحد ملوكها ويدعى محمد شاه سنة ١٢٧٦ واصبحت من اهم المعاقل الاسلامية فى شبه الجزيرة .

ثم امتد التيار الاسلامى الى ولاية أخرى هى ولاية قويدة بفضل جهود الداعية الشيخ عبد الله الذى تمكن من ادخال أهلها فى الاسلام عام ١٥٠١ ، ثم انتقل التيار الاسلامى من قويدة الى أتجيه اذ بعث سلطانها فى طلب الشيخ عبد الله واعتنق الاسلام على يده كما اعتنقه رجال دولته وأهل امارته .

وليست لدينا بعد هذا أخبار أخرى مفصلة عن تاريخ تحول سكان شبه جزيرة الملايو الى الاسلام ،ولكننا نجد فى مواضع كثيرة أضرحة الدعاة المسلمين الذين كانوا أول من أدخل العقيدة الى البلاد وانفرد أهل الملايو بطابع اسلامى خاص ، فقد أدت معاشرتهم الطويلة للعرب ومسلمى ساحل الهند الشرقى الى جعلهم شديدى التمسك بتعاليم دينهم ، كما أدى اتصالهم المستمر بالهندوكية والبوذية والمسيحية الى جعلهم أكثر تسامحا

وانتقل التأثير الاسلامى الى سيام وترك أثرا لاباس به بين أهل سيام من البوذيين ، ودخل فريق منهم فى الاسلام بفضل هجرات أهل الملايو التى اشتدت منذ نهاية القرن الرابع عشر .

٣ - جاوة : وأول عهد جاوة بالاسلام يرجع الى نهاية القرن الثانى عشر فقد استطاع الابن الأكبر لملك باجاجاران ان يقوم برحلة تجارية الى الهند حيث لقى بعض التجار العرب ودخل فى الاسلام على يدهم واتخذ لنفسه اسم حاجى بروا . ولما عاد الى وطنه ومعه أحد الدعاة المسلمين دعا أخاه وأهله الى الاسلام فلم يصادفه التوفيق وفى النصف الأخير من القرن الرابع عشر بدأت الحركة الاسلامية فى الجزيرة يشتد ساعدها عن ذى قبل ، فقد استقر أحد الدعاة على الساحل الشرقى للجزيرة وكان ينتسب الى على زين العابدين واشتغل بالدعوة الى الاسلام وأحرز نجاحا كبيرا فى هذا السبيل ، لكن انتصار الحركة الاسلامية الصحيح يرجع الى التغلب على امارة ماجابهيت الهندوكية .

وقد بدأ الاسلام يشق طريقه عبر هذه الامارة القوية التى سيطرت على الجزء الشرقى والأوسط من الجزيرة حينما اعتنق أحد سلائل ملوكها الاسلام واصبحت له أهمية كبرى فى تاريخ الحركة الاسلامية فى البلاد ويسمى رادت رحمت الذى أصبح من أكثر الدعاة تحمسا للاسلام وعمل على نشر مبادئه وقد ولى حكم مدينة امبل على الساحل الشرقى وسمح له الملوك باقامة شعائر الدين فاصبحت هذه المدينة من أهم المراكز الاسلامية فى البلاد ، وذاعت شهرة هذا الوالى المسلم الذى كان يعلم فى حماس بالغ للدعوة الى دينه ، ومن هذه المدينة خرج الدعاة الى كافة أرجاء الجزيرة فامتدت الدعوة الى مملكة بلمبنجن .

ولم تكتف امارة امبل بمجرد الدعوة السلمية فقد حمل أمراؤها السيف وخاضوا مع الامارة الهندوكية حربا استمرت سبع سنوات وقضى على الامارة الهندوكية عام ١٤٧٨ وحلت السلطنة الاسلامية محل الهندوكية فى جاوة الشرقية .

وسرعان ماتسرب الاسلام الى جاوة الوسطى ثم تقدم نحو الجنوب فى سير وئيد راسخ ثم تدفق الى جاوة الغربية فى منتصف القرن السادس عشر . وكان الانتصار الاسلام على الوثنية فى الغرب رغم بطئه أتم من الانتصار الذى تحقق فى الشرق . ومسلمو غرب جاوة اليوم هم الذين يدرسون دينهم دراسة تامة ويؤدون فريضة الحج وجميع أهل جاوة اليوم مسلمون عدا أقلية ضئيلة لاتذكر

وامتد الاسلام الى شمال برنيو منذ مستهل القرن السادس عشر فدخلت فى الاسلام امارة كانت خاضعة لسلاطين جاوة الهندوكية ثم بدأ الاسلام ينفذ الى الداخل رويدا فى النصف الاخير من القرن الثامن عشر

للأستاذ محمد سعيد جادالله

فى اقليم الزاب بالمغرب الأوسط وقرب قلعة بنى حماد، مدينة جميلة تدعى مقره تحيط بها البساتين وتجرى من حولها الانهار ، وبينها وبين طبنة ثمانية فراسخ ، وفى هذه المدينة استقرت بها أسرة عربيةقرشية، الى أن انتقل منها الشيخ عبد الرحمن بن أبى بكر على القرشى ، صحبة شيخه الصالح أبى مدين الى تلمسان ، فى القرن السادس الهجرى ، وهناك كثرت فروع هـذه العائلة ، التى عرفت بعائلة المقرى ، وذاع صيتها وعظم جاهها ، فهى زيادة على عروبتها القرشية، اشتهرت بالعلم والثراء الذى جلبته لها التجارة ، لأن عائلة المقرى كانت تشتغل بالتجارة ، بين تلمسان وسجلماسة وبلاد السودان ، ومن تلك الأسرة الكريمة ، شهاب الدين أبو العباس المقرى التلمسانى .

ميلاده ونشاته :

ولد بتلمسان ، ولكنه لم يعين لنا سنة ميلاده ، وقد نشأ المقرى بتلمسان فى ظل والده محمد المقرى الذى كان شاذلى الطريقة ، ولما كبر قليلا لقن القرآن الكريم فحفظه، ولازم حلقات العلماء فى تلمسان ، التى كانت فى ذلك العصر مركزا عظيما للدراسات الدينية ، وأسعفته حافظتـه الجبارة التى كان يتفوق بفضلها على أقرانه فى الدراسة فاذا هو يعلم من أمر الحديث والفقه ، وعلم الكلام وسير الرجال الشىء الكثير ، ولم يزل حدثا ، والشيخ الذى أفاده كثيرا ورعاه هو عمه أبو عثمان سعيد بن أحمد المقرى ، فقد قرأ عليه صحيح البخارى سبع مرات ، وها هو ذا أبو العباس نفسه يشير الى قراءة البخارى على عمه فى احدى الأجازات ، وروى عنه الكتب الستة ، ولم يزل المقرى فى تلمسان ، بين دراسته ودرايته وروايته ، وممارسة أمور تبعد عن طرق الغواية ، وتحبير طروس وملازمة دروس ، ومثول بين يدى أشياخ ، مجالسـتهم نامية الغروس الى سنة ١٠٠٩ هـ .

رحلته الى فاس :

فى أصيل من أصائل سنة ١٠٠٩ هـ رحل المقرى أول مرة الى فاس واخذ هنالك عن الشيخ القصار وابن أبى النعيم وأحمد بابا التنبكتى السودانى ، وغيرهم ، وبقى فى فاس الى سنة ١٠١٠ هـ ، وفى هذه السنة ذهب الى مراكش وحضر احتفال المنصور الذهبى بالمولد النبوى الشريف ، وفى أواخر هذه السنة عاد الى تلمسان ، ثم عاد مرة ثانية الى فاس سنة ١٠١٣ هـ حيث استقر بها الى أن ارتحل الى المشرق ، فاخذ يحن الى بلاده ، ويشكو من مفارقة مرتع الصبا وبلد الأهل والأحباب ، ومع ذلك لا يستطيع الزيارة ، ويشكو أيضا من رزايا الدهروضرباته، وكثيرا ما يحرك ذلك ليعتى رسائل الاقارب والاصحاب كامن الشوق ، شب عمره عن الطوق ، وفى هذا يقول وكنـا نحسب أن الدهر لا يدور ، وأن الاعجاز حدور والاهلة بدور حتى ضرب الدهر ضرباته ، فلم تتأود قدودالأغصان، ولم تترنح أغصان البان ، وانقطعت الاسباب عن مواصلة الأحباب وها أنا الآن احاول اطفاء لهيب بالضلوع وقد ، واعالج أدواء سقم جل وكيف لا وقد

روعت بالبيـن حتى ما أراع به
وبالمصائب فى أهـلى وجيـرانى

لم يترك الدهر لى علقا اضن به
الا رماه بفقـد أو بهجـران

واستقر المقرى بفاس ، التى كانت تزخر بالعلمـاء والأدباء ، وكان ذلك فى فاتحة عصر السلطان أبى المعالى زيدان السعدى ، بعد ما قضى احمد المنصور سنة١٠١٢هـ وسنحت الفرصة له للدرس والبحث واظهار تفوقه ،الذى كان يشعر به فى دخيلة نفسه ، وان كان يتظاهر بالعجز والقصور ، وذاع صيت المقرى فى فاس ، سيما بعد ماالف كتبا كثيرة ، منها أزهار الرياض ، وتولى بعد وفاة الشيخ الهراوى سنة ١٠٢٢ هـ ، الامامة والخطابة بجـامع القرويين ، وسكن فى دار ابن عباد الملاصقة للجامع ، كما أخبر بذلك وهى الدار التى يسكنها خطيب الجامع ، ولم يزل المقرى فى فاس يتمتع بحظوة وتقدير ، ومكانة علمية مرموقة بين طلاب المعرفة ، الى أن رحـل الى المشرق قاصدا حج بيت الله الحرام ، وفى نفسه أشياء ليس منها الطواف وترك المخيط .

رحلته الى المشرق :

بعد اقامة طويلة فى مدينـة فاس التى طالما تغنى بمحاسنها المقرى ، وأشاد بجمالها وجوها الشعرى الساحر ولم لا وقد نظمت المفاخرونسقتها وجمعت المآثر ووسقتها جادتها غر السحب وسقتها

بلاد بها الحصبـاء در وتربهـا
عبيـر وأنفاس الرياح شـمول

تسلسل منها ماؤها وهو مطلق
وصـح نسيم الروض وهو عليـل

بعد هذه الاقامة الحبيبـة الى النفس ، يفطر الى الرحيل فيركب البحر مسرعا واصفا أهواله ، وجلا من مطاردة القرصان النصارى فهجر فاس حين اشتدت بها الأهوال ، وليس أشدها رمى الأطفال فى القدور ، وان هذه الحوادث وحدها لتكفى بأن تكره المقرى العالم الذى هو فى مسيس الحاجة الى الاستقرار على الرحيل ، أما وقد كان للمقرى بها اتصال وثيق ، فما من رحيله بد وما لاقامته من سبيل ، وخرج المقرى من فاس مختفيا تسمع لقلبه وجيبا وتعلم أن لنفسه حديثا وأى حديث ، بعدما دخلها مقبلا على الدرس والتحصيل ، متمتعا بجمال المدينة مرتاحا لرقة أهلها ، بينه وبين الصدارة فى بلاط المنصور صلة وثيقة وبينه وبين الحظوة عند أبى المعالى زيدان صلة أوثق .

المقرى فى الحجاز :

وها هو المقرى تضطره عوامل قاسية الى مغادرة فاس ، فيعقد العزم على الرحيل فى أواخر رمضان ويمر بمراكش، وينشد صاحبها متمثلا بقول على بن عبد العـزيز الحضرمى :

محبتي تقتضي مقامي
وحالتي تقتضي الرحيلا

فيجيبه صاحب مراكش بقوله :

لا أوحش الله منك قوما
تعودوا صنعك الجميلا

ولكن بيت مشعر لا يبطل عزما من ورائه خشية ، وفي نفس صاحبه هواجس وفي مستقبله ظلمة ، ولا يسكن هذا الخافق الا بعد الابتعاد عن وسط الفتنة والكيد، ويركب المقري البحر من ثغر تطاوين بغرب الجزائر في ذي القعدة من سنة ١٠٢٧ هـ ويهول البحر وتتكسر المجاديف ، ويشرف المركب على الغرق وتياس النفوس من النجاة ، ولم يزل البحر يقسو علي المركب مرة ويلين أخرى ، ولم تزل نفوس راكبيه بين فسحة الأمل وظلمة اليأس ، حتى وصل المركب الاسكندرية، ومن هناك قصد المقري القاهرة، ولما وصلها بهرته معالمها ومحاسنها ، فاذا هو ينشد قول ابن مماتي :

جزيرة مصر لاعدتك مسرة
ولا زالت اللذات فيك اتصالها

فكم فيك من شمس على غصن قامة
يميت ويحيى هجرها ووصالها

ويقيم مدة قصيرة في القاهرة ، ثم يركب البحر قاصدا أرض الحجاز ، وتطأ قدماه تراب مكة ويستولى عليه شعوره الديني ، فاذا هو في غيبوبة صوفية ، واذا هو حين يبصر البيت الحرام يغيب عن الوجود أو يكاد ، وينشد قول الشبلي :

قلت للقلب اذا تراءى لعيني
رسم دار لهم فهاج اشتياقي

هذه دارهم وأنت محب
ما احتباس الدموع في الآماق

والمغاني للصب فيها معاني
فهي تدعى مصارع العشاق

حل عقد الدموع واحلل رباها
واهجر الصبر وارع حق الفراق

وفي أوائل ذي القعدة من سنة ١٠٢٨هـ أتم المقري العمره وبقي يترقب أيام الحج ، ولما أدى فريضة الحج أراد أن يقيم في مكة ولكن حال دون ذلك حائل ، وقصد بعد ذلك الى المدينة المنورة ، ولما قضى مدة بجوار الرسول عليه الصلاة والسلام ، رجع الى مصر في محرم سنة ١٠٢٩ هـ وتردد بعد ذلك على مكة والمدينة ، وزار بيت المقدس وسمع كثيرا عن أهل دمشق ونبل أخلاقهم وجمال بلاد الشام،وحسن معالمها،أليست بهاالغوطة الغناء وبردى المنساب في هدوء وصفاء، فتاقت نفسه الى عاصمة الأمويين فزار دمشق وتمتع بمغانيها ، وشعر فيها بامتداد الأمل ، وانشراح الصدر ، وطلب في دمشق مسكنا يكون قريبا من الجامع الأموي ، فانزله المغاربة في مكان لا يليق به ، ولما سمع به أحمد بن شاهين أرسل اليه مفتاح المدرسة الجقمقية ، وأكرمه علماء دمشق وأدباؤها اكراما لم ير مثله في مكان آخر حتى في مدينة فاس ، وأشاد كثيرا بفضل عبد الرحمن بن عماد الدين وبفضل أحمد بن شاهين خاصة ، وأشار الى مكانته في نفوس أعيان دمشق،

أما مكانته العلمية وشخصيته الأدبية ، فقد طفت في دمشق على كل مكانة ، وأصبح أبو العباس شيخ الادباء والعلماء، ويكفيك دليلا ذلك اليوم الذي لم يزل المؤرخون يشيرون اليه ، وهو يوم الاربعاء ١٧ رمضان سنة ١٠٣٧هـ الذي ألقى فيه درسا بالجامع الأموي ، حضره الكبار والصغار حتى ضاق بهم المكان ، وادهش السامعين بغزارة علمه وقوة حافظته وفصاحة لسانه ، واعترف الدمشقيون للمقري بالفضل والعلم ، فتقاطر عليه طلاب الاجازة ، وتزاحم الناس في الأخذ عليه ، ولم يزل أبو العباس في حظوة واكرام ، على ضفاف بردى الى أن رجع الى القاهرة أواخر شوال سنة ١٠٣٧ هـ وقد تألم كثيرا لهذا الفراق الذي يبدو أنه مكره عليه ، وعاد الى القاهرة ولكنها لم تنسه الشام وفضل أهلها ، فاذا هو ينشد على ضفاف النيل متألما لفراق نسيم الغوطة وأهل دمشق .

أحبتنا والله مذ غبت عنكم
سهادي سميري والمدامع مدرار

والله ما اخترت الفراق وانه
برغمي ولي في ذلك الأمر أعذار

اذا شام برق الشام طرفي تتابعت
سحائب جفني والفؤاد به نار

ويقول المقري انه دخل مصر في رجب سنة ١٠٢٨ هـ ويبدو أن دخوله هذا هو الأول وقبل ذهابه الى الحج ، وتبوأ أبو العباس في مصر مكانة علمية مرموقة في القاهرة، وتولى التدريس بالأزهر ، والحسد المشار اليه لم يفز في الحقيقة جميع قلوب العلماء ، فنحن نجد قاضي القضاة عبد الكريم الفنيمي يقول ، واستبشرنا من أنفاس معارفه بعود دروس قد درست ، فدعونا الله تعالى بأن يديم اقامته بهذه الديار ، نفعا للطلبة بل وللعلماء الابرار ، وفي القاهرة تزوج المقري من عائلة الوفائية ، فنال بذلك شرفا عظيما في نظر الناس ، ولكن هذا الزواج لم يكن موفقا ، وهذه المصاهرة لم تعد بخير على المقري ، فتضاعفت متاعبه وزاد قلقه وانتهى الأمر الى الطلاق ، واهتزت القاهرة في يوم من الأيام ، لخبر تطليق الشيخ المغربي للوفائية ، ونظر لأبي العباس نظرة احتقار وبلغ الأمر الى درجة أنه لم يبق في القاهرة من يسلم عليه الا رجل حداد ، والذي شجعه على الطلاق موت ابنته ، ووجد أعداء المقري في هذا الطلاق فرصة للطعن ، وظهرت الغيرة في مظهر اللؤم ولؤم جاحد الفضل ، ولهذا اشتد حنينه الى وطنه اذ خاب أمله ، فقد كان يظن أنه سيجد سوقا نافقة للادب والعلم، فاذا به أمام كساد قاتل ونفوس مريضة ، وظن أنه سيطلع على ثروة عظيمة من الكتب النفسية فاذا به أمام جدب في الكتب وأهلها ، فتذكر مدينة فاس وحلقاتها ومكتباتها ومجالس الأدب فيها ، فحن واشتد حنينه ونوى العودة ولكنه لم يجد اليها سبيلا ، ونراه حين شعر ببعد العودة وبلغ اليه خبر وفاة أمه ، وانقطعت أسبابه من القاهرة بموت ابنته وفراق أمها يعزم على الرحيل الى دمشق ليستقر بها ، ولكن الموت حال بينه وبين تحقيق العزم.

وفاته :

وتوفى أبو العباس في القاهرة ، في جمادى الآخرة سنة ١٠٤١ هـ ودفن صبيحة يوم السبت ، في مقبرة المجاورين وهي احدى المقابر الواقعة شرق القاهرة ، وهكذا ضمت القاهرة جسد المقري رغم نفوره منها وعزمه على مغادرتها.

رحم الله المقري بقدر ما أمتعنا بنفح طيبه وأزهار رياضه .

الثقافة الشعبية قبل الثورة وبعدها

الأستاذ
حسن الشيخة

دارت الايام بالسعد على هذا الشعب الطيب ، من متعلمين وغير متعلمين وقد اخذ كل حظه من ثمار الثورة وطيباتها ، وصار الجميع فى موازينها العادلة على سواء .

من كان يحلم بانه ستجىء الايام البيضاء التى تنال فيها الطائفتان المكونتان للاكثرية العظمى - حقوقا كانت قصرا على غيرهم من بقية الطوائف ، واريد بالطائفتين الفلاحين والعمال ، واريد بحقوقهم ما افاءت به عليهم الثورة من تقدير ومن رعاية سامية ، جعلت منهم فى بلدنا خلقا جديدا ، صورته فاحسنت صوره ، فنعمت الثورة ، ونعم ماخلقت .

اصبحت هاتان الطائفتان فى نسيج الاعمال العظيمة فى هذا الوطن ، وفى صميم تكوينه الحيوى ، مثل .

١ - أنهم أصبحوا فى تكوين الاتحاد الاشتراكى لايقلون عددا عن النصف فى نسبته العددية .

٢ - أنهم أصبحوا اعضاء فى مجلس الامة . ولايقل عددهم أيضا عن نصف عدده .

٣ - انهم نالوا الجوائز التقديرية فى عيد العلم ، وقد كانت قبل مقصورة على غيرهم ، وهم عنها مبعدون

٤ - هذا التكوين السليم الذى نسج منهم بردة وطنية ، ذات منظر ورواء ، وذات بهاء وسناء - يهيب بنا ان نتحدث عن ثقافتهم ، كما نتحدث الان ، ومنذ ازمان عن ثقافة المتعلمين الدارسين ، والمجربين الحاذقين ، وذوى المعرفة من المطلعين .

نعم يجب ان نتحدث عن ثقافتهم ، بعد ان خرجوا من تحت اطباق الثرى الى الوجود الذى استووا فيه مع الطوائف التى كانت تنظر اليهم بعيون مغمضة لاتعيرهم اى اهتمام ، ولا تعدهم من حيث الثقافة - ولو فى حرفهم - الا هملا .

لقد تكون فى خواطرى ان اتحدث عن ثقافتهم ، ولكن فيم أتحدث ؟ وفى اى الاتجاهات اتجه ؟

اننى من قلب الريف - واعرف عن اهله كل شئونهم بحكم النشأة والبيئة ومن عادتى الا أكتب الا ماهضمه فكرى ، أو شاهدته بحواسى أو سمعت به من مصادر الثقة ، واذن فقد تعين اتجاهى فى كلمتى ، وهو التحدث عن ثقافة الفلاحين لاسيما بعد أن قرات أن مكتب التعريب بجامعة الدول العربية اخذ فى وضع معجم للفلاحين فى العالم العربى ، من الخليج الى المحيط ، لتثقيفهم الزراعى ، وأن امين هذا المكتب طلب من الوزارات المختصة آخر معلوماتها الزراعية لوضعها فى المعجم ، لتكون سهلة التناول على الفلاحين فى الاقطار الشرقية ، وان المعجم سيوضع بثلاث لغات ، العربية ، والانجليزية والفرنسية ، ليستفيد منه الجميع ، كل حسب اللغة التى يستطيع الاستفادة بها ، ولا ريب أن وضع هذا المعجم هو شىء جديد على الحياة العاملة ، كما كان جديدا ايضا ماقدمته من القول فيما اكرمتهم به الثورة من امجاد .

نشأت فى الريف ، فوجدت لقومنا ثقافات منوعة ، منها الموروثة عن الاباء والاجداد ، ومنها ماكان لهم فى اعقاب القرن الماضى ، وابتداءات هذا القرن العشرين .

الثقافة الموروثة :

١ - الثقافة الزراعية التى تريد الثورة وضع معجم لهم فيها ، وهى الحرفة الاولى للفلاحين ، تنبت الاقوات

والخيرات ، وتربى الفرع وتهيىء الثمرات ، لهم فيها تجارب موروثة ترجع الى ابعد الازمنة ، ومازالت تتسع وتنمو الى ان اتصلت بزماننا ، تقاوم الافات فى شدتها ، وتقارع النازلات فى حدتها ، مع توقيتات لاتخطىء فى اوقات الزراعات وفصولها ، وفى حصاد ثمارها .

٢ ـ الثقافة الدينية التى يؤدون بها الفرائض والعبادات ، وقد جاءتهم بالتوارث الطيب ، والتقليد المهذب ، وبما يعون عن رجال الدين من الوعظ والارشاد فى المساجد بعد اداء الصلوات ، وبما يسمعون من خطب يوم الجمعة على اختلاف اساليبها امن دينية بحتة الى ممتزجة بامور الدين وشئون الدنيا وقد كثر النوع الثانى منها بعد الثورة عملا بالحديث الشريف « اعمل لدنياك كانك تعيش ابدا ، واعمل لاخرتك كانك تموت غدا » .

٣ ـ الثقافة القصصية التى يسمعونها فى تجمعاتهم واوقات فراغهم على مصاطب القرية من القصاصين ، اما تلاوة واما على الربابة ، كقصص الهلالية والزناتية ، وعنتره وعبلة ، والزير سالم ، وهلم ، وقد يبلغ بهم الحال ان يختلفوا اختلافا كبيرا فى ابطال هذه القصص فيتعصب كل فريق منهم للبطل المفضل عنده كما يقول المثل العربى : « كل فتاة بابيها معجبة » .

٤ ـ ثقافةالادب الشعبى ، كالامثال العامية ، والازجال والمواليا ، وهى لاتنقص فى جلال معانيها عن الامثال العربية وجيد الشعر .

الثقافة الصحفية :

استحدثت فيهم ثقافة ليست بعيدة العهد هى الثقافة الصحفيه فى الثورة العرابية وبعدها ، بما كان يحرر به صفحة كاتب الثورة وخطيبها عبد الله نديم الذى كان يكتب بالاسلوب الذى يفهمه الشعب ومنه اللغة العامية ، الى ان ظهرت الصحف الخمس التى كانت فى مشادة دائمة ، واذكرها بالترتيب الزمنى :

١ ـ صحيفة الاهرام : وهى جريدة نشأت معتدلة وان كانت خدمت السياسة الفرنسية وقت ظهورها ، وكان يكتب فيها الزعيم مصطفى كامل بعض مقالاته ، وهى منتشرة فى الريف حسبما دايناها فى ابتداء حياتنا ، واخيرا كتب عليها اصحابها « جريدة مصرية للمصريين » منعا لكل شك يدور حول خطتها السياسية .

٢ ـ صحيفة المقطم : التى كانت لسانا من السنة الاحتلال الانجليزى ، وكان قراؤها يكونون قسما كبيرا من الاقطاعيين الذين كانوا مربوطين بعجلة المحتلين هم واتباعهم .

٣ ـ صحيفة المؤيد : التى كانت تخدم العالم الاسلامى بلا ريب ، وبالتالى كانت تدافع عن سياسة عباس الثانى ، وكانت تقرا فى الاوساط الاسلامية فى قطرنا وفى غيره ، كما كان يقرؤها انصار الخديوى وكانوا كثيرين ، وهذا هو سبب رواجها .

٤ ـ صحيفة اللواء : التى كانت تسيح فى الوطن كله ، لانها اسست على الدفاع عن قضية مصر ، وعن اخراج المحتلين ، ولذلك كان يفرح بها القرويون ، لاسيما المقالات التى كانت بتوقيع مصطفى كامل .

٥ ـ الجريدة التى كانت لحزب الامة المكون من اصحاب المصالح الحقيقية كما وصفوا انفسهم ، وقد كانت صحيفة وطنية هادئة كما كان المؤيد ، وكانت منتشرة انتشارا لاباس به .

ظل الحال على هذه الصفة الى ان جاءت الحرب الكبرى فزاد اهتمام الفلاحين ـ بل فئات الشعب كله ـ بقراءة الصحف لانهم كانوا يتمنون ان تضع الحرب اوزارها ، وقد اكتووا بنارها ، واغتصبت منهم الانفس والاموال والثمرات ، الى ان انتهت الحرب ، وقامت ثورة ١٩ ـ وهنا زاد اقبالهم على قراءة الصحف وزاد الاستماع لمن لايعرفون القراءه وبذلك زاد انتشار الصحف الاخبارية ومازال الحال على هذا المنوال ، يقرءون خطب زعيم الثورة ، وخطب غيره ، بل يحفظون بعضها عن ظهر قلب ويفرحون بالمفاوضات التى كانت تجرى بين رجالنا وبين المحتلين ، ويعلقون عليها الامال فى استقلال وطنهم ، ويشيد وعاظ المساجد بالابطال ، وكبار الرجال ويضع الزجالون الازجال الطوال تلقى على الاهلين فى الموالد والمجتمعات ، وهكذا كانت الحال الى ان انقسم زعماء الثورة بعضهم على بعض الشىء الذى بلبل افكار الفلاحين ونقل ثقافتهم الوطنية من ثقافة موحدة الاتجاه سليمة البناء ، الى حزبية حمقاء وفرقة نكراء ، ومعلومات عمياء ، ولا أعيد من ذلك شيئا ، لان هذه الحزبية كانت ثقيلة على وانا اكتب لثورة سنة ١٩ . فما الظن بى الآن بعد هذه المدة الطويلة ، وكل مايسمح لى ضميرى ان اقوله الآن هو ان الحزبية الهدامة مازالت تتغلغل فى هذا الوطن الى ان جاءت الثورة الموفقة بخيرها العميم .

ثقافتهم بعد الثورة :

اول ماوجه الثقافة وجهة جديدة عند الفلاحين هو كتاب « فلسفة الثورة » الذى وضعه الرئيس جمال عبد الناصر .. ومانسيت اننى سافرت الى قريتى فى احد أعياد الاضحى بعد طبع هذا الكتاب لاول مرة ، فوجدته فى ايدى كثيرين ممن يحسنون القراءة وكان وجودى بينهم كان فرصة لهم للاسئلة والاستفهامات عما احتوى وقد استبدلوه بما كان يجرى من التطاحن الحزبى بين الاكثرية منهم ، والاقلية ، كما استبدلوه كذلك بالاقاصيص التى سلفت الكلام عنها .

انهالت على الاسئلة والاستفهامات من كل صوب ، ولذلك اتخذنا مكانا مختارا نجتمع فيه لدراسة هذا الكتاب ـ وكان ادقهم اسئلة فيها هم فقهاء الصوفية ولا أنسى ان احدهم شبه بعض عبارات هذا الكتاب بكلام محيى الدين بن عربى فى فلسفته الصوفية ومن اسئلته لى ما ازال اذكر بعضه مثل :

ماهو الفرق بين الاسباب المباشرة وبين الدوافع الحقيقية اللتين فرق الكتاب بينهما ؟ ومعروف ان الدوافع الى الشىء هى سبب وقوعه .

ومثل : يقول الكتاب ان بذور الثورة وجدت فى اعماقنا حين ولدنا ، مع ان الحديث الشريف يقول : كل مولود يولد على الفطرة ، وانما ابواه يهودانه او يمجسانه او ينصرانه ، اى انه ليس فى اعماقنا شىء حين ولدنا .

ان الفصل الذى عنوانه « يجب ان تتجرد لتحكم » لم يفهمه احد فى قريتنا ولا فى القرى المجاورة لها .

وهكذا قطعت انا وبعض لداتى ـ طوال الاوقات معهم فى هذا الكتاب . قراءة وتفهما مع ان الايام ايام عيد قضيناها كلها فى هذه الثقافة الجديدة الشعبية .

وقد كان اسهل شىء عليهم الفصول التاريخية فى الكتاب التى احتوت تاريخ الزعماء وثوراتهم ابتداء من ثورة الشعب برئاسة السيد عمر مكرم الى ثورة سنة ١٩١٩ بقيادة سعد زغلول .

ثم توالت بعد هذا الكتاب ـ خطب الرئيس فى كل مناسبة ـ يقراها الشعب ويعيها الى ان جاء (الميثاق) الذى ارجىء الكلام عنه فى ثقافة الفلاحين الى كلمة اتية .

منابع الفكر العربي الإسلامي

بين تزييف الحقائق وتصحيح المفاهيم

الأستاذ أنور الجندي

لست أعتقد أن رسالة من رسائل القلم أكثر أهمية اليوم من تصحيح مفاهيمنا فى مجال الفكر العربى الاسلامى . فقد أدخلت على المقومات الأساسية لفكرنا فى اللغة والتاريخ والأدب والدين والتراث مفاهيم جديدة ليست من منابعنا . ونحن لا نقف أمام الفكر العربى وقفة الخصومة ولا الرفض ، ولكنا نواجهه بفكر مفتوح ، ونأخذ منه وندع ، شأننا دائما ، لنا مقوماتنا وشخصيتنا وعلى ضوئها نواجه كل نتاج الفكر الانسانى الوافد ونعامله . وليس من العار — على حد قول الدكتور زكى مبارك — أن يتأثر الانسان بفكرة أجنبية ولكن العار أن يدعو لآراء أجنبية ، وعندنا أن مهمة المفكر العربى المعاصر أن يقف على قاعدتنا ويحكم بنظرتنا ، نظرتنا القائمة على انماء بنائنا باضافة كل صالح اليه ، مقتبسا أو منقولا ، دون أن يفقده ملامحه الأصلية أو شخصيته الأساسية .

٢ — ونحن لا نقول بانغلاق الثقافة العربية ، وليس من رأينا الدعوة للنمو الذاتى لها ، منعزلا عن الفكر الانسانى ، ولسنا ندعو الى قفل الباب أمام التجارب الأجنبية المتاحة لانمائها وتطويرها ، ولكنا لا نقبل ان يباح للفكر الأجنبى أن يقضى على مقوماتها وشخصياتها الأساسية .

وفى مجال بعث الماضى واقتباس الوافد نؤمن بالقاعدة التى تقول ان ثقافتنا وفكرنا له طابعه وجذوره وذاتيته التى لابد أن تظل حية قوية قادرة على الحركة والحياة والتفاعل مع النفس العربية . وقد أخذت الثقافة العربية من قبل وأعطت وكانت لها القدرة على التطور والامتصاص .

٣ — ان أخطر نظرية على فكرنا العربى المعاصر هى « النظرة الجزئية » كأن يقال ان القضية الفلانية من اختصاص علماء الدين أو النفس أو الاجتماع أو الأدب ، فاننا فى أساس فكرنا العربى الاسلامى لا نؤمن بهذه النظرة الغربية ، ذات الأثر المسموم حين تفرض علينا من دعاة التغريب ، وانما نحن ننظر الى القضية ككل ونعالج موقفنا فى كل ما يتصل بجوانب الاخلاق أو النفس أو الأدب .

ومعنى هذا ان أدب الجنس هو فى عرف الأدباء أدب . ولكنه عند علماء الاجتماع والأخلاق خطر على المجتمع وهنا يجب أن نحد النظرة بغير تقييد للادب أو اطلاق للاخلاق . ونظرة لا أخلاقية الأدب ، ولا أخلاقية السياسة ليست من فكرنا العربى الاسلامى أساسا وعندنا أنه فى الامكان تصوير النفس الانسانية تصويرا فنيا رفيعا دون أن تكون الصورة عاملا من عوامل التدمير لقيم المجتمع . وهذا من فوارق الأساس بيننا وبين الفكر الغربى .

٤ — « الدين » مقوم أساسى فى ثقافتنا وفكرنا الى جوار اللغة والتاريخ والتراث ، ولا يمكن الفصل أساسا بين اللغة والدين ، أو بين التاريخ والدين . والنظرة التى تركز على اللغة والتاريخ وحدهما نظرة جزئية ، فاللغة لا تستطيع أن تنفصل عن القرآن الذى هو أكبر وثيقة تاريخية ، كما أن التاريخ العربى لا ينفصل عن الاسلام .

٥ — ليس الاسلام رسالة روحية فحسب ، بل هو ثقافة ومجتمع وفكر ، وفكرنا العربى الاسلامى الذى غزاه الاسلام بأكبر مقوماته لا يؤمن بالروحية المجردة ، حتى يكون ذلك موضع تقابل مع مادية الغرب ، وكل ما يقال عن أن الحضارة الغربية المادية فى حاجة الى روحانية الشرق كلام لا يتصل بالاسلام ، فليس الاسلام روحية خالصة وانما هو مزاج متفاعل متكامل للروحية والمادة والعلم والدين والعقل والقلب .

٦ — ليس فى الاسلام طبقة معينة تدعى « رجال الدين » وليس لهم فى علاقتهم بالاسلام حقوق ليست لغيرهم ، وانما هناك علماء متخصصون فى الدراسات الاسلامية والدينية وليس لهم نفوذ معين . ويبدو هذا القول واضحا اذا لاحظنا ان الاسلام ليس دينا فحسب ، ولكنه دين وحضارة وثقافة ومجتمع .

٧ — رفض المفكرون العرب والمسلمون مواجهة الفكر المسيحى الغربى بمثل ما واجه به الاسلام من اتهامات واثارة للشبهات ، وأبدى الفكر العربى الاسلامى انصافا وتقديرا واضحا للمسيحية والمسيح .

٨ — ان نظرة الفكر العربى الاسلامى الى الكون والحياة والانسان تختلف أساسا عن نظرة الفكر الغربى فنحن نؤمن بالله أساسا ونربط سيادة الانسان فى هذا الكون على ضوء هذا الايمان

وابرز معالم الفكر العربى الاسلامى انه يجمع بين العقل والروح والجسد ويرى الانسان كلا لا يتجزأ ، له عقل يلتمس المعرفة ، وجسم يتطلب القوة ، وروح تنشد السعادة ، وهو ياخذ من المادية بقدر لا يطغى على الروح ، ويؤمن بالحياة بحيث لا يصل الى السلبية أو الانحراف.

٩ ـ ان الانسانية فى حاجة الى جوهر فكرنا وعصارة قيمنا ، هذا الفكر الذى يرسم للانسانية طريقا جديدا يحل مشاكل النفس والمجتمع والتربية والاقتصاد فى ذلك المزيج الرائع بين الروح والمادة والعقل والوجدان .

ولقد كانت قيم الفكر العربى الاسلامى دائما قادرة على ان تشق طريقها ، ولم تكن حائلة ولن تكون دون التقدم العلمى الحضارى التكنيكى ، ولقد كانت آفاق هذا الفكر مفتوحة دوما لتقبل كل النظريات الجديدة .

١٠ ـ اخطر ما يواجهنا محاولة معرفة أنفسنا من خلال مرآة الآخرين ، فنحن نعتمد فى كل أبحاثنا على ما كتبه عنا المستشرقون والكتاب الغربيون وليس أسهل على كثير من كتابنا أن يرجعوا الى هذه الموسوعة أو تلك دون محاولة لفحص ما أضيف بسوء نية أو عن قصور من مفاهيم غريبة عنا ان وجهة نظر الغربى عنا لن تكون صادقة دائما ولا أصيلة ، لأنها وجهة نظر الطرف الاخر النابعة من ثقافته ومفاهيمه وأهوائه وايمانه الاصيل بالفوارق العقلية والجنسية التى تصده عن أن يفهم أو ينصف اذا فهم .

ومن الخطأ الخضوع لعقدة الاجنبى ، واعتناق المفكرين العرب والمسلمين لكل التقسيمات والقواعد الغربية فى مجال الأدب والفكر .

١١ ـ نحن نؤمن بمرونة الحياة مع ثبات القاعدة ، وصفة الكائنات الحياة هى التحول المستمر ، فالنبات يتحول دون أن يترك جذوره أو يفقد شخصيته ، والحى دائم التمثل والافراز والنمو ، دون جمود أو طفرة ، دون رخاوة أو عنف ، والحركة أساس الحياة والتطور ناموس الوجود ، ولكن لا ندع الحركة تقتلعنا ولا التطور يحولنا عن جذورنا وأسسنا . نحن لا نقول ما قال غاندى « أريد ان افتح نوافذ بيتى لكل التيارات بحيث لا يقتلعنى اى تيار منها » ولكن نقول « لابد أن نكون لأساسى الفكرى وشخصيتى الواضحة ذات الفاعلية ، القدرة على الفحص والنقد ، والاخذ والعطاء لكل وافد ، وأن أكون قادرا على امتصاص ما فى الفكر الانسانى من قوى حيوية وايجابية ، وعندئذ لا ضير على أن أفتح نوافذى لكل التيارات التى لن يقتلعنى أى تيار منها .

١٢ ـ تقدم عقل الانسانية وتوقف ضميرها وروحها ، نشأ ذلك نتيجة لتقدم علوم المادة وتاخر علوم الفكر والروح ، وبذلك كبر عقل العالم وصغر قلبه ، مصدر هذا الفكر الغربى القادم على المادة وحدها ، ومن هنا جاءت الدعوة الى أن يتطور الفكر الانسانى فى ثلاثة ابعاد فى وقت واحد : الابعاد المادية والروحية والثقافية . ولما كان الفكر أوثق اتصالا بالنفس الانسانية واشد ارتباطا بالعواطف والأخلاق والاداب وكان لكل أمة خصائصها وطوابعها ، فليس من اليسير أن ينقل الفكر الغربى من الفكر العربى الاسلامى ما يمده بحل هذه الأزمة ومن هنا ظلت مسافة الخلف بين العقل والروح ، هى مصدر الاضطراب ومصدر القلق وبعد أن سخر الانسان الارض والماء والهواء عجز عن حل مشكلة نفسه ومن هنا ظهرت مذاهب القلق والضياع فى أدب يونسكو وسارتر وكامو.

ان الغرب قد انفصل عن الدين ممثلا فى المسيحية الحقيقة السمحة ، وكون مسيحيته الغربية ممتزجة بالوثنية اليونانية ومن هنا كان تناقضه ولن يستطيع أن يحل أزمة الانسانية غير الفكر العربى الاسلامى الذى يحمل المزيج بين العقل والنفس ، والمادة والروح ، والعلم والدين .

وقد افلت الدولة العربية الاسلامية ، وزال النفوذ السياسى والدولى للاسلام ، ومع ذلك فما يزال الفكر العربى الاسلامى قوة ذات فاعلية ، تقاوم حملات القضاء عليها ، وما زالت تؤثر ، وما زالت حية تتفاعل ، متالقة تصارع وتتحرك ، وهذا ما لم يحدث للفكر اليونانى او الرومانى أو الفارسى .

١٣ ـ لابد أن نستكشف ذاتنا ونتعرف الى مقوماتنا ونهتدى الى القيم الأساسية التى كونتنا وعلى ضوء ذلك نأخذ من الفكر الانسانى وندع ، ولن يؤدى ترابط اللغة والدين والتاريخ والتراث والأدب فى مقومات فكرنا الى الجمود ، أو الضغط على حرية الفكر ، فالعرب على حد تعبير جوستاف لوبون هم أول من علم العالم الجمع بين حرية الفكر واستقامة الدين .

الدعوة الإسلامية عند الفيلسوف محمد اقبال

الأستاذ
اسماعيل كشميري

لم يكن محمد اقبال فيلسوفا وشاعرا وحسب والا لكان شعره من نوع الشعر الذى يترنم به الناس بوصفه كلاما موزونا مقفى ، وانما كان شعر اقبال يتضمن روحا جديدة وفكرة طيبة أراد أن يحل من طريقها كثير من مشكلات الانسان .

وسحر اقبال لا يكمن فى مواهبه الشعرية بقدر ما يكمن فى الموضوعات التى يختارها لشعره . وقد كان تمجيدا لذات الانسانية هو الموضوع الذى ملك عليه نفسه ، الامر الذى جعل من الشاعر رجلا من فئة وطراز خاصين . واقبال - الى ذلك - يحتل مكانة أخرى مرموقة بين المفكرين ، وان كان يختلف عنهم فى كثير من الأمور ، وذلك فى أن ابحاثه الروحية وأشعاره كانت تستلهم آيات الله البينات التى كان يؤمن بانه منبع الحكمة والشعلة التى تنير الطريق امام النفس الصافية .

ومع أن اقبال قضى معظم وقته يدرس الفلسفة الغربية حتى أصبحت جزءا من نفسه ومن طبيعته الا انه لم يهمل دراسة حقائق الاسلام وطفق يقارن بين فلسفة الغرب وفلسفة الشرق وخرج من هذه المقارنة بالقولة المشهورة : « ليست الجمهورية الغربية الا قيثارة عتيقة لا يرتفع من أوتارها الا أصوات هرقل وكسرى . وهذه الملابس المزركشة التى يرتدونها هناك ليس فيها الا شيطان الاستبداد يمرح فيها ويختال . وهذه المجالس التى اقاموها للتشريع واصدار قوانين الاصلاح ما هى الا أدوية حلوة المذاق ركبها الصيادلة الافرنج بقصد التخدير والتنويم » .

ويمكن أن يقال ان فلسفة اقبال التى جعلت منه مصلحا اسلاميا له مكانته فى الشرق الاسلامى تدور حول نقطة واحدة هى : « ان الشرق لا يستطيع أن يتخلص من براثن الاستعمار الا اذا اتحد مسلموه وجمعوا كلمتهم . ان أهل آسيا لا يزالون يتجاهلون تلك الحكمة . ولكن حذار أن تلهيك النظريات السياسية الباطلة عن الحقيقة .. أدخل حمى الدين من جديد .. فان المملكة ليست الا ثمرة من ثمرات الدفاع عن الدين ... ليتحد المسلمون وليكونوا فيما بينهم كتلة متضامنة للذود عن بيت الله من شاطىء النيل حتى أرض كشغر »

حاول اقبال بما أثر عنه من نظرة ايجابية نحو الحياة القيام بحركة فكرية تقوم على أساس قوة محركة هى الذات ، وبذلك نجح فى تعبئة المجتمع الاسلامى الذى لم يلبث أن ثار بما يشبه المد الجارف .

كان اقبال يضع حرية الفرد وتطوره فى المجتمع المقام الأول من اعتباره ، فهو يرى أن الحياة كلها انما تتركز فى الفرد ، وانه لا يمكن اعتبار الخالق ذاتا مطلقة أو مجموع الذوات الفردية ، ولذا فقد حرص على الاحتفاظ بفردية الذات التى بنى المغزى الاجتماعى للوحدة القومية على أساسها ، وهذا ما كان يعبر عنه بقوله « المواطن أنا » . وكان اقبال يبشر بحق الفرد الشرعى فى أن يعيش كفرد حر فى المجتمع . وكان من رأيه أن قوة هؤلاء الافراد تتوقف على العمل والنظام اللذين يجب ان تخضع لهما الحياة فى بحثها عن القيم الاخلاقية والفكرية ، على أن يصحب ذلك نضال متواصل لتحقيق الاهداف المطلوبة .

وفى سبيل هذا طالب اقبال بحب الانسان لاخيه الانسان ، ونبذ الحدود الضيقة ، سواء ما تعلق منها بالجنس أو اللون أو العقيدة ، لأن حب الانسان لاخيه الانسان هو العامل القوى فى تحويل البشرية كلها الى نظام اجتماعى واحد . كان يطلب من الراغبين فى الحياة

الشريفة أن يتخذوا الشاهين « النسر » مثلا لهم فيحيون حياة التقشف التى يحياها ويكتسبون قوته التى تشبه الماس فى صلابتها ، أى أنه كان يريد من المرء أن يواجه الحياة كما هى ويكون فى الوقت نفسه سيدا لمصيره .

ومن هذا نرى أن فلسفة اقبال تنبذ الحدود الجغرافية التى قسمت البشرية الى جماعات صغيرة عرقلت تقدم البشرية بما أقامته من حدود مصطنعة على يد الانسان . ومن الجلى أن اقبال كان يستمد الهامه من المفاهيم الواسعة التى وضعها الاسلام عن الوجود والفرد ليقود بها خطوات اتباعه . وكانت أشعاره الملتهبة التى تركت من الاثر ما لم تتركه جيوش أمراء الهند وثرواتهم تخاطب « احترام الذات » فى المواطنين وتحثهم على التشبه بجدودهم الذين خلفوا مآثر وأعمالا وتقاليد مجيدة عظيمة فى ميادين الفنون والعلوم ، وشيدوا الامبراطوريات العظيمة فى أواسط آسيا والهند وجنوب غرب آسيا . كان يرى أن التركى والأفغانى والايرانى والعربى كلهم أعضاء فى أسرة واحدة . كان يؤمن بالوحدة الاسلامية ايمانا قلبيا كما كان يرغب فى رؤية مختلف أقطار العالم الاسلامى وقد أصبحت أعضاء فى مجتمع متحد فيما يشبه رابطة الشعوب الاسلامية . كما كان من رأيه دائما أن هذه الأقطار لابد وأن تلعب دورا هاما فى مجريات الأحداث العالمية الهامة فى المستقبل ، وان هذا لن يتسنى لها الا اذا بدأت بتنظيم بيتها واتحدت اتحادا منظما علميا ، وهى الفكرة التى طالما رددها فى ديوان « بيام مشرق » أو « زابور عجم » . فقد كان اقبال مفكرا عصريا وشاعرا أخذ على عاتقه مهمة وضع قيم جديدة للافكار والمفاهيم القديمة عن النظام الاجتماعى المتداعى .

وفى خلال الفترة التى قضاها اقبال فى أوربا أدرك أن الحضارة الغربية التى تقوم على أساس المادية تمادت فى ماديتها كما أن العقل الغربى تغاضى عن بعض القيم الجوهرية التى وان لم تكن مثالية فى طبيعتها الا أنها ذات أثر كبير فى حياة الانسان الاجتماعية . فأوربا الحديثة مثلا تتخلى بسرعة فائقة عما تطلق عليه القيم الروحية القديمة التى حافظت علىوحدة البشرية وأشاعت الشعور بالعطف . ومما أدركه هناك كذلك أن المادية الأوربية قد شعبت البشرية وأحالتها الى معسكرات مختلفة الأمر الذى ظهر جليا خلال الحرب العالمية الأولى حين هب المفكرون المحدثون من أمثال شبنجلر وبرجسون يحذرون أوربا من خطر تداعى النظام الاجتماعى بأسره . وان المرء ليجد فى الصورة التى قدمها لنا اقبال عن العالم الجديد تشابها فى وجهات النظر بينه وبين المعاصرين له من المفكرين الغربيين . والواقع أن العقل الأسيوى لم يتقدم فى ميادين البحث العلمى والفنى بل تخلف عن ركب الغربيين وهم يضعون أسس العالم الحديث هذا فى الوقت الذى كانت فيه أوربا تتطور بالأفكار الجديدة عن الحياة الفردية والاجتماعية على السواء فضلا عن الحلول الجديدة التى وضعتها للمعضلات ذات الطابع الاقتصادى أو السياسى ، ومع ذلك فقد اعتمدت على أسلوب فكرى ورثته عن الاغريق مباشرة ، وهذا صبغها بثنائية فى التفكير زادعليها بعض الفلاسفة كديكارت وفرانس ، وقد احتج اقبال على هذه الثنائية ، وأخذ ينادى باعتباره مسلما مخلصا بمفهوم واحد للحياة وفكرة موحدة تصحبها وسيلة من وسائل البحث العلمى تعالج الحياة على أنها تطور وتقدم. فقد منح الانسان بوصفه فردا حرا الارادة لتكييف حياته وتشكيلها فى الصورة التى تحقق له أهدافه المحددة وبما يتمشى مع ما يتكشف له من أمر مصيره ، وبذا يكتسب القدرة على قهر الطبيعة . ومعنى هذا أن اقبال لا يقترح على الانسان تكييف نفسه بما يتمشى مع ظروفه ، وانما عليه أن يتغلب على المقاومة بجهوده المتزايدة المتواصلة وبالقدر الذى تتطلبه طبيعة الانسان بل وعقله . هذه المبادئ الجميلة نجدها كثيرة فى أشعاره باللغتين الأوردية والفارسية .

كان اقبال ـ الشاعر الفيلسوف ـ مزيجا من الشرق والغرب كما كانت مبادؤه همزة الوصل بين التطرف فى وسيلتى المعالجة الاجتماعية والسياسية رغم انه كان فيلسوفا مثاليا .

ويقوم نظام الحياة الفردى أو الاجتماعى عنده على أساس من نوع الوجود تعلن الذاتية فيه « أنا موجود لاننى كائن » وهذا هو جوهر شعر اقبال الذى يشر بشروق فجر زاهر فى آسيا .

بدأ اقبال بقرض الشعر حين كان لا يزال شابا يافعا يتلقى العلم فى احدى كليات لاهور فى أواخر القرن التاسع عشر . وكان المجتمع يعرفه آنذاك بالشاب العصرى . وقد كان لتلقيه العلم بالطرق الاوربية أكبر الأثر فى أن يغدو بعد ذلك أفضل ناقد لكل من الشرق والغرب على السواء. ولقد كانت نشأته وسط التقاليد الاسلامية سببا فى أن يبدى اهتماما شديدا بالمسائل الاجتماعية والسياسية والمسائل الجوهرية التى تتناول القيم الانسانية التى يستسيغها العلماء ومن كانت لهم تقاليد دينية معقولة من رجال السياسة .

ولقد كان يحز فى نفسه أن يرى تدهور المجتمع الاسلامى بهذه السرعة ، وهو المجتمع الذى تمكن فى فجره، حين كان قوة دولية كبيرة ، من تشييد الامبراطوريات الواسعة وتقديم رجال عظام زودوا العالم بأفكارهم الجديدة وأدهشوه بجبروتهم . وقد بدت الأحوال الراهنة لاقبال متناقضة تناقضا تاما يبعث على خيبة الأمل ، ولذلك فقد كان اهتمامه بمصير بنى وطنه ومستقبلهم ، ونعنى بهم مسلمى الهند ، أمرا طبيعيا ، لانه احساس يقبع فى زوايا قلبه . واذا شئنا استخدام تعبير حديث عن الرابطة الثقافية التى تربط بين مسلمى العالم فانا نقول انه كان داعية من دعاة الوحدة الاسلامية.

ولا يكمن سحر اقبال وأثره على العقل الحديث فى مواهبه الشعرية العظيمة بقدر ما يكمن فى موضوع قصائده . فلولا اهتمامه الزائد بسمو الذات البشرية التى ملكت عليه بوصفها أعظم معجزات الطبيعة وأكبر أعجوبة من أعاجيبها ولولا حرصه على الكشف عن طاقتها الواسعة لأضحى اقبال مجرد شاعر من شعراء الدولة الأولى ، وهو الدور الذى وصفه بازدراء فى يوم من الأيام بأنه « دور أقل شأنا من أن يقوم به » .

وقد تغنى اقبال بقدسية الحياة البشرية وعظمتها وعظمة الذات البشرية فى عصر كانت الحياة البشريةتعتبر فيه أقل قيمة من حياة أحقر الديدان شأنا .

وكان يرى أن الشخصية الانسانية ، وهى صورة من الله ، يجب أن تتطور لتدلل على جدارتها بأن تكون صورة لخالقها . ونحن نستخلص من الصورة التى رسمها اقبال للشخصية الانسانية فكرة عن العلاقات البشرية ومستوى القيم فى الحياة الانسانية . فالخير هو الذى يقوى هذه الشخصية والشر هو الذى يضعفها . أما الفن والدين والأخلاق فيجب أن يحكم عليها من وجهة نظر الشخصية . يقول اقبال :

« ليس الخير فعلا اجباريا ، وانما هو تطوع الذات بأن تجرى وراء المثل العليا الأخلاقية بمحض ارادتها ، وهو

ينشأ عن التعاون الاختيارى فى العصور الحرة . ان الكائن الذى تحدد له حركاته كما تحدد حركات الآلة لا يستطيع عمل الخير ، ولذلك فان الحرية شرط لازم من شروط الخير » .

ويستطيع المفكر الغربى أن يجد فى فلسفة اقبال فى الدين لا نظرة فكرية عن الحياة والوجود والله فحسب ، وانما يستطيع أن يجد فيها شيئا أكثر من هذا انه يجد فيها مقترحات ملموسة لتغير اتجاه بناء علم المستقبل على أساس جديد يقوم على القيم التى لخصها بقوله : « ان الاسلام كدولة ما هو الا وسيلة عملية لتحويل مبدأ التوحيد الى عامل حى فى الحياة البشرية الفكرية والعاطفية . انه يطالب بعبادة الله لا عبادة العروش . وطالما كان الله هو الاساس الروحى المطلق للحياة فان عبادته تعنى عبادة الانسان لطبيعته المثلى . ان الاساس الروحى المطلق ، كما يراه الاسلام ، أساس أبدى ، وهو يتبدى فى أشكال جديدة » .

فالاسلام عند اقبال ديموقراطية ومبدأ روحى يعتبر كل كائن مركزا لقوة يمكن التطور بها بفضائل معينة .

ان النظم الاسلامية تناهض فكرة التمييز الضيق التى تجافى أغراض النظم السياسية . فالحياة الطائفية تغدو ضيقة اذا ما اكتفت الطائفة بالاهتمام بمصالحها الضيقة ونسيت ربطها بمصالح البشرية بأسرها . ولا يريد اقبال من أى طائفة أن تصبح عبدا للمصالح القومية العابرة . فاذا كان الفرد لا يستطيع السمو بمستواه الا اذا جمع بين أهدافه والاهداف اجتماعية الأوسع فان على الأمم والطوائف أن تسعى لتحقيق مصالح البشرية الأوسع بوجه عام وتشكل حياتها الجماعية بما يتمشى مع أساس القيم الانسانية والعمالية حتى تحصل على نصيب اسمى من التطور الروحى والاخلاقى .

ويقول اقبال ان الكائن الآلهى لا يعرف حدود الزمن أو المسافة . فالخالق لم يلد ولم يولد ، واذا كانت الحياة تستوجب تكييفها بما يتمشى مع صفات الله كما يريد الاسلام فان على المسلمين أن يحرروا أنفسهم من النظرة المحلية الضيقة التى تتبعها الأمم الحديثة ، كما يجب الا تقوم المصالح البشرية على أساس من الجنس أو اللون أو الأسرة أو القبيلة أو السلالة ، وانما يجب أن يقوم المجتمع على أساس مراعاة البشرية بوجه عام . وهذا التدويل ، أو هذه النظرة الاسلامية العالمية ، هى التى وجدت أكبر صدى لها فى نفس اقبال . وليس انتصار اقبال للاسلام وليد الرغبة فى تحقيق الرخاء المادى للطائفة الاسلامية ، وانما هو نتيجة لشعوره بان المثل العليا الاسلامية عن الاخوة العالمة والمساواة البشرية التى لم يمكن تحقيقها فى شبه جزيرة العرب فى القرن السابع الميلادى الا تحقيقا جزئيا يمكن أن تتحقق بصورة أكمل فى عالم اليوم الذى يزخر بالقدرة العلمية والصناعية والفنية وطرق أفضل للمواصلات . انه لا يدافع عن حقوق الأمة الاسلامية أو الشعوب الاسلامية ورخائها وانما نجد أن أهدافه أوسع من ذلك وأعم . كما أن عواطفه أكثر اتساعا وشمولا . ولكن نظرا لشعوره بان المسلمين لا يؤمنون بالتمييز على أساس العنصر أو اللون أو نظرا لأن تاريخهم هو أفضل تاريخ يبشر باتخاذ نظرة المساواة الدولية ، فانه يرى أن تعبئتهم لبذل الجهود العامة لاعادة بناء المجتمع الانسانى بما يتمشى مع مبادىء الاسلام العالمية الواسعة أمر يسير .

ويؤمن اقبال بان الاله الحى الحق هو الذى يقدم الهداية والارشاد فى أهم شئون الحياة وفى الشئون الهامة التى تتعلق بالكيان الجامعى والقضايا الهامة التى تؤثر فى سعادة الملايين ورخائهم . انه لا يؤمن بالاله العاجز الضعيف الذى يمكن استثناؤه من أى مظهر من مظاهر الوجود أو الذى يحس معه المرء بأن تدخله يعوقه عن سعيه وراء تحقيق رغباته ومصالحه . ولما كان الكائن الآلهى غير محدد بالزمن أو المسافة فان رسالته الروحية لا يمكن تحديدها ضمن الشئون الفردية أو العبادة الشكلية . ولكن يكون الدين دينا فعالا يجب أن ينص على شكل المجتمع وعلى تشييد أركان الدولة والا فانه يغدو مجرد دين طقوس فارغة وعبادة قد تتحول الى ادارة لتحقيق الانسانية البشرية التى لا تلبث أن تتشبث ببعض الكلمات السحرية ووساطة القديسين الذين يقبلون الرشوة ترددها أو تستخدمها لتقويم ما أعوج من شئون الأفراد مهما كانت نتائج ذلك على رفاهة البشرية وسعادتها بوجه عام . وهذا هو الجوهر الذى قامت عليه مثله العليا عن الوحدة الاسلامية .

ومهمة اقبال تشبه مهمة المغفور لهما جمال الدين الافغانى والشيخ محمد عبده . كانت محاولاته لبعث النهضة الاسلامية تقوم على نفس الأسس التى قامت عليها محاولاتهما من قبل ، اذا ما أخذنا بعين الاعتبار تنديده بالتقليد والقدرية وتأكيده كمال الانسان فى أعماله . وقد كانوا جميعا يعتبرون الاجتهاد ضرورة انسانية دينية تقتضى من المسلم العصرى أن يعيد النظر فى النظام الاسلامى بأسره دون الانفصال عن الماضى انفصالا تاما .

وحين يشير اقبال الى الكيان الاجتماعى والسياسى فى أول عصور الاسلام على أنه المثل الأعلى الذى يمكن أن نبنى حياتنا الجماعية على أساسه انه لا يريد بذلك احياء الماضى ، ولا يعنى أن على المجتمع أن يعود ادراجه الى حالة البدائية ويتمسك بنفس العادات والتقاليد البسيطة ، وانما كل ما يعنيه هو أن نعود نفس المثل العليا الخاصة بالسلوك الانسانى الى هداية البشر فى حياتهم لمتطورة .

الأسس الدينية للمجتمع الجديد

الدكتور القطب محمد طبلية

فى العصر الذى نعيشه ، والذى الغى المسافات ــ او كاد ــ بين اقطار الارض ، لم يعد فى استطاعة دولة ان تغلق الابواب على ذاتها ، منعزلة عما يجرى حولها ، والا اصابها تخلف ممقوت لايمكن تصوره .

وفى العالم من حولنا فتوح علمية باهرة ، وتجارب بشرية غنية بالدرس والعبرة .

ونحن نؤمن بالخير والعلم . ولا نرفض شيئا من ذلك لمجرد انه بضاعة غيرنا .

ان العلم لاوطن له . وهو ميراث الانسانية كلها .

واننا نفتح حواسنا وملكاتنا على التجارب الانسانية محاولين ــ بكل طاقاتنا الاستفادة من كل مايحقق المصلحة لمجتمعنا .

اننا نعلم انه حيثما تكون المصلحة يكون شرع الله ، وتقدير المصلحة لايكون بالجموح والهوى والغرض « ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن » ــ المؤمنون ــ ٧١ ــ وفى هذه المرحلة التى تمر بها امتنا نتجه بكل امكانياتنا نحو بناء المجتمع الجديد :

مجتمع الشورى والحرية ، والكفاية والعدل ، والمساواة فى الفرصة .

ونحن فى تحركنا نحو صنع مستقبلنا لاننطلق من فراغ ، ولا نبدأ من لاشىء . اننا نحدد طريقنا بزاد مستمد من تراثنا وآلامنا وآمالنا .

واننا نقتبس من غيرنا مالا يتعارض مع مقدساتنا .

والقول بالحل الاشتراكى كطريق للتقدم يسود اليوم فى كثير من بقاع الارض . والاشتراكية انماط مختلفة .. فما كان منها يعنى تحديد الملكية الكبيرة ، وتشجيع الملكية الصغيرة ، والكفاية فى الانتاج ، والعدالة فى التوزيع ، والتكافؤ فى الفرصة ، فهذا نفسه هو ماجاء به ديننا .

ولقد اختار ميثاق الجمهورية العربية المتحدة الحل الاشتراكى كمخرج الى التقدم الاقتصادى الاجتماعى وقرر الوصول الى ذلك « بخلق قطاع عام قادر على ان يقود التقدم فى جميع المجالات ، ويتحمل المسئولية الرئيسية فى خطة التنمية » وكذلك « بوجود قطاع خاص يشارك فى التنمية فى اطار الخطة الشاملة لها من غير استغلال »

فلدينا الآن قطاعان : قطاع عام نعتمد عليه اساسا فى قيادة التقدم ، وقطاع خاص يشارك ويعاون .

واذا كانت المشروعات الخاصة تعتمد فى النجاح على الباعث الشخصى ، فعلام يعتمد القطاع العام فى تحقيق اهدافه ؟

توجد تجارب ــ كما يقول الميثاق ــ « حققت أهدافها على حساب زيادة شقاء الشعب العامل واستغلاله .. تحت ضغط تطبيقات مذهبية مضت الى حد التضحية الكاملة بأجيال حية فى سبيل اجيال لم تطرق بعد ابواب الحياة »

وقد رفض شعبنا هذه التجربة ، لانه يرفض التقدم عن طريق السخرة .

ان الشعب الذى يتلو قوله تعالى « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » ــ الاسراء ــ ٧٠ ــ ان الشعب الذى يتلو هذه الآية ويعيها لن يقبل الهوان وقد كرمه الله .

واذا كان الارهاب يجافى مقدساتنا ، فكيف نحمى قطاعنا العام وندفعه نحو الازدهار ؟

ليس لنا من سبيل الى ذلك سوى التمسك بديننا وبحق شعبنا فى الحياة الحرة الكريمة .

ان المال العام هو مال كل الشعب . انه مال الله . ان حياته ونماءه يعنيان ــ مع عدالة التوزيع ــ الرغد لكل الناس .

وان القوانين وحدها لاتصنع المستقبل ، وانما يصنعه الايمان الذى ياتى بالمعجزات .

وهذا يحتاج الى توعية وتربية . واحسن تربية هى التربية الدينية .

وخير الهدى هدى الله « فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة اعمى »

طه - ١٢٣ و ١٢٤

سعادة المجتمع

ان سعادة المجتمع هى مطلبنا ، ولا سعادة الا مع الحرية والكرامة والعدل .

فلابد من العمل باخلاص لزيادة الدخل بنسبة اعلى من زيادة السكان .

ولابد من الاقتصاد فى النفقة وتجنب الاسراف .

ولا بد من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وتبادل النصح وممارسة النقد .

ولابد من العدل فى توزيع « عائد العمل على كل احاطة كل الشعب طبقا لمبدا تكافؤ الفرص »

ولا بد من احاطة كل هذه الاسس بتقوى الله .

فنحن مطالبون - دينا - بالعمل والاخلاص فيه :

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون، وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » - التوبة - ١٠٥ -

« انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء مانوى » « حديث شريف »

ومع ذلك فاننا قد نعمل ، وقد ننتج ، وقد نحصل على عائد كبير . لكن هذا سيذهب هباء اذ لم نحصنه بالاعتدال فى الانفاق .

ولذلك فنحن مطالبون دينا بالتوسط وتجنب الاسراف .

« وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا . » - البقرة - ١٤٣ -

« ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك . ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » - الاسراء - ٢٩ -

« ثم لتسألن يومئذ عن النعيم » - التكاثر - ٨ -

« وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لايحب المسرفين » - الاعراف - ٣١ -

« ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين .. » - الاسراء - ٢٧ -

« الاقتصاد فى النفقة نصف المعيشة .. » - حديث شريف -

والناس فيهم الطيب وفيهم الخبيث ، وفيهم المستقيم وفيهم المنحرف وفيهم المعتدل وفيهم المسرف وفيهم المجد البذال ، وفيهم أكال السحت .

وفى مرحلة التغيرات والانتقال بالذات . تظهر امراض اجتماعية معينة كالاسراف فى مصاريف الانتاج ، وعدم تقدير المسئولية فى دراسة المشروعات الجديدة ، والاهمال فى التنفيذ .. الخ .

« ولكن السيطرة عليها والحد من تاثيرها ممكن بممارسة الحرية » ولن يحرس المكاسب الا الشعب .. من هنا وجب تكوين راى عام فاضل مستنير . واداتنا فى ذلك هى الدعوة الى الخير ومقاومة الانحراف .

يجب افساح المجال للنقد مادام واعيا ومخلصا وبناء .

ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وتبادل النصح وممارسة النقد فرض . والحاكم والمحكوم كلاهما ماموران بذلك :

اننا مامورون بالارشاد الى الخير ، وتغيير المنكر ، وتكوين راى عام واع مهذب .

« كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » - آل عمران - ١١٠ .

« ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون - آل عمران - ١٠٤ -

« وامرهم شورى بينهم » - الشورى - ٣٨ -

« الدين النصيحة .. » - حديث شريف -

« من راى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك اضعف الايمان » - حديث شريف -

واذا كان الجميع مطالبين بالعمل ، فليس ذلك لكى تستفيد القلة على حساب الكثرة . ومن هنا وجب العدل فى توزيع العائد .

« ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون » - النحل - ٩٠ -

« ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها ، واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل » - النساء - ٥٨ -

وعلينا ان نحصن هذا كله وان نحيطه بتقوى الله .

علينا بالتقوى فى كل تصرفاتنا : فى ممارسة الاختصاص والسلطة ، فى تقدير المصلحة العامة ، فى الاقتباس من غيرنا ، فى العمل ، فى الانفاق ، فى التوزيع ، فى الحرية والتعليم وتبادل النصح وممارسة النقد .. الخ

والله جل شانه يامرنا بالتقوى فى صياغات كثيرة متنوعة وفى مئات من آى الذكر الحكيم .

« واتوا البيوت من ابوابها ، واتقوا الله لعلكم تفلحون » - البقرة - ١٨٩ -

« بلى من أوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين » - آل عمران - ٧٦

« للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم » - آل عمران - ١٧٢ -

« ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ، ثم اتقوا وآمنوا ، ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين » - المائدة - ٩٣

« فليؤد الذى اؤتمن امانته وليتق الله ربه » - البقرة - ٢٨٣ -

« انه من يتق ويصبر فان الله لايضيع اجر المحسنين» - يوسف - ٩٠

عبد الناصر

صانع السلام

الأستاذ كامل عبد المجيد

« يتعين علينا فى المرحلة القادمة ، ان نمكن لقيم المجتمع الاشتراكى من أن تستقر فى الارض وترسخ ، وتصل بجذورها الى أعماق حياتنا .. حتى يستطيع ما نزرعه الان أن يصمد للرياح بغير انحراف أو عوج »

« جمال عبد الناصر »

ان المجتمع الجديد ، مجتمع الثورة ، قد تميز بقيم واخلاقيات جديدة ، تتلاءم مع هذا المجتمع الجديد الذى مهدت له وتعهدته ثورة ٢٣ يوليو ، « شريعته هى شريعة العدل شريعة الله » ، وجوهره السعى الى اقامة عدل اجتماعى يستهدف ازالة الفوارق بين الطبقات

كلها وتوحيد ابناء الأمة ، فقد عملت الثورة على تصفية الامتيازات الطبقية وفى نفس الوقت لم تعمل على تصفية الافراد . ان الثورة كما قال قائدها فى العيد الثالث عشر لقيامها « فى بنائها لهذا المجتمع الجديد قد احترمت انسانية الانسان وحقه فى الحياة ، ولم تنظر بأى حال من الاحوال الى الانسان كآلة تجرد من الفكر ، ولم تمس الدوافع الروحية والفكرية والثقافية التى تبقى الانسان انسانا فى هذا المجتمع الجديد.. وذلك لان الانسان اذا تجرد من انسانيته لا يمكن بأى حال من الاحوال أن يخلص لروحه أو لبلده أو لوطنه.. فالانسان الذى يحتفظ بحريته الفكرية والروحية هو الانسان الذى يشعر بامكانياته وبقيمته .. وهو الذى يعمل دائما على تركيز وتدعيم الاستقلال والحرية والعدل والكفاية » .

ومن قيم المجتمع الجديد أيضا تأكيد الثورة ، وانها - وهى ارادة الشعب - تستهدف مصلحة كل الشعب ، ولذلك فليس أمامها طريق مسدودة ، بل ان جميع السبل مفتحة امامها ، ويجب أن تكون جميع الوسائل والامكانيات تحت تصرفها وفى متناول يدها . فالايمان العميق والقوى بها هو من أهم مبادىء مجتمع الثورة ، تلك المبادىء التى يجب أن تستقر وترسخ فى الاذهان والقلوب لتستطيع الامة أن ترسى دعائم البناء الجديد .

والثورة - سمة المجتمع الجديد - تتطلب فعلا ثوريا وعملا ثوريا .. وهذا العمل أو الفعل الثورى يحتاج الى الثوريين الذين تسابقون الى ادائه .. وهو حق لكل القادرين منهم دون ادعاء أو مكابرة . ولكى يتم بناء هذا المجتمع الجديد ، يجب على جميع أبنائه وأفراده ان يعمقوا ايمانهم بثورتهم وان يكونوا مخلصين لها ، متفانين فى خدمتها ، لانهم أبناء مجتمع الثورة ، ويجب ان تكون أعمالهم جميعا نابعة من واقع وعيهم وايمانهم الثورى وحاجة مجتمعهم الى هذا العمل ، يقينا منهم بانهم بذلك يؤدون لوطنهم - المجتمع الكبير - حقه لديهم وواجبهم قبله .. فالثورة والثورية صفات لا بد أن تتسم بها جميع أعمالهم وتصرفاتهم وسلوكهم لتتواءم مع هذا المجتمع ، كما يجب عليهم ان يغرسوها فى قلوب ونفوس أبنائهم .. أفراد الجيل الجديد .. الذى سوف يتسلم علم القيادة بعدهم .. ليشبوا مؤمنين بمجتمعهم الذى نشأوا فى ظلاله وترعرعوا بين احضانه .

ومجتمع الثورة وأفراده الثوريين يتطلب اخلاصا وتفانيا فى اداء الواجب قبل هذا المجتمع ، ولكن .. ما هو مقياس ذلك الاخلاص ؟ انه الاخلاص الثورى .. ومقياسه هو الاداء المسئول للواجب ، بمعنى الارتفاع الى مستوى مسئولية اداء الواجب على الوجه الاكمل ، ايمانا ويقينا بوجوب ادائه ، وذلك لانهم أعضاء فى أسرة هذا المجتمع الكبير ، وأيضا لأحقية هذا المجتمع فى هذه الواجبات ، فليست السلطة هى مسعاهم أو ما يتوقعون الى الوصول اليه ، وانما هى سبيل ووسيلة لادائهم الكامل لهذا الواجب المقدس الذى يقومون به باخلاص ثورى ويشرفون - من خلال سلطتهم هذه - على تنفيذه الامين بواسطة سائر الاعضاء الاخرين العاملين فى نطاق هذا المجتمع على الوجه الاكمل .

والانسان الثورى .. فى ظل المجتمع الثورى .. هو الرقيب الاول والاخير على سلوكه وعلى نفسه بما يتمشى وقيم المجتمع واهدافه ، لا يحيد عنها قيد انملة ولايخشى شيئا فى سبيل تحقيق هذه الاهداف.. فكل أمله وهدفه هو افساح المجال لكل طاقاته وملكاته أن تنمو وتتفتح ليتقدم بنفسه وبمجتمعه الى الامام لكى يرسى دعائم هذا المجتمع ويقوى أركانه لتحقيق التقدم والنمو والرفاهية لهذا المجتمع . وسبيل عمل الافراد فى مجتمعهم الثورى ، هو دوام التطلع الى الآفاق الجديدة الرحبة السعيدة ، دون النظر الى الخلف أو حتى مجرد الالتفات اليه .

ولتحقيق هذا التقدم لا يجب على العاملين الثوريين أن يخشوا - فى مجتمع الثورة - الوقوع فى الخطأ ، وذلك لان الخطأ والصواب معا هما جناحا التجربة ، والخطأ هو السبيل لتحقيق الصواب . فحينما نقع فى الخطأ أو نرتكبه - دون قصد - يكون ذلك مدعاة لتجنبه فى المرات التالية ، وبذلك يستوى العمل الثورى ويسير فى الطريق الصحيح .. ولكن ما يجب أن نخشاه حقا - وأن نحرص على الا نقع فيه - هو الانحراف .. فليس الخطأ هو عدم التقدم .. وهو الثورى ، وانما الانحراف هو عدو التقدم .. وهو القذى الذى يغشى عين العامل والعاملين .. وعلى هذا فعلى أعضاء مجتمع الثورة أن يحرصوا اشد الحرص على المحافظة على طهارة عملهم دون أن تشوبه اية شائبة قد تلوث نصاعة هذا العمل وصفحته ، وهم بذلك يحفظون لمجتمعهم ولعملهم الثورى التقدمى جلاله وهيبته وكرامته ، وبذلك يؤدون رسالتهم على أكمل وجه .

وكذلك فان العمل الثورى كما أنه غاية فى حد ذاته ، فانه أيضا وسيلة ، أى انه غاية ووسيلة فى وقت واحد ، بمعنى ان وسائل العمل الثورى جزء لا يتجزأ من غاياته وبنفس القياس .. فان سلوك كل انسان خارج نطاق مسئوليته - ليس منفصلا تماما عن هذه المسئولية - وانما يصدر كلاهما عن نفس الشخصية دون انفصام أو ازدواج .. ان العمل الثورى الناضج والصالح .. هو غاية المجتمع الجديد .. وهو ايضا وسيلة وغاية لتحقيق سائر قيم وأخلاقيات هذا المجتمع .. بالاضافة الى أنه يكون أساسا واقعا وقويا لرسوخ ومتانة البناء الجديد .

ومن علامات الضوء الجديد فى طريق البناء الحديث شعار الحرية والاشتراكية والوحدة .. هذه الكلمات الثلاث التى تكون مسارا واحدا ومعنى متصلا لقيم المجتمع الجديد .. المجتمع الاشتراكى .. أو مجتمع الثورة الذى تحدد اطاره هذه المعانى الثلاث .. الحرية والاشتراكية والوحدة .. التى تمثل طريقا جديدة وغاية ثورية حققتها ولم تزل بسبيل تحقيقها ثورتنا المباركة.. فمن المعروف أنه لا يمكن فصل هذه الاهداف عن بعضها البعض ، فالحرية طريق للاشتراكية والوحدة ، والاشتراكية تأكيد للحرية وطريق للوحدة ايضا .. والوحدة ما هى الا تثبيت لدعائم الحرية وامكانيات هائلة امام طريق الاشتراكية .

ان قيمة المجتمع الجديد وأخلاقياته لايمكن حصرها ولن تنتهى أبدا .. وتنبعث كلها من واقع واحد .. وبيئة ثورية .. ومتطلبات فرضتها باستمرار احتياجات المجتمع الجديد .. واكثر هذه القيم والاخلاقيات اهمية .. هو تأكيدها .. تأكيد كل هذه القيم الجديدة .. والتبشير بها .. والدفاع عنها دائما وأبدا .. وغرسها فى النفوس والقلوب .. حتى تصمد الى الابد لجميع الهزات والعواصف وترسى دعائم البناء الجديد .. المجتمع الجديد .

العمل وتكافؤ الفرص

الدكتور غريب الجمال

أضحى العمل عنصرا فعالا ورئيسيا للانتاج ولذا زادت أهميته وتعدلت فى الوقت ذاته النظرة اليه فأصبح حقا لكل مواطن وشرفا له وسارعت الهيئات الدولية الى تشكيل اجهزتها على المستوى الدولى تهتم بحماية العاملين فى كل مكان ورفع مستواهم الاجتماعى والصحى .

وأكثر الدول اهتماما بالعمل والعاملين هى الدول الاشتراكية فقد جعل بعضها من العاملين شركاء فى المنشآت الانتاجية أما البعض الآخر فقد عهد بادارة تلك المنشآت كلية الى العاملين وهو ما يطلق عليه نظام الادارة العمالية الكاملة أو طريقة التسيير الذاتى .

والشرائع الدينية تمجد العمل والعاملين وتعتبر الشريعة الاسلامية العمل عنصرا فعالا فى كل طرق الكسب بل تعتبره أبرك تلك الطرق جميعا . وهذا يخالف تماما النهج الذى تسير عليه الدول الاستعمارية المستغلة . فهى تنظر الى العمل كأنه أمر مهين وكأن العاملين يعتبرون طبقة أدنى ليست لها حقوق ولا تستحق عناية سواء من قبل الدولة أو من قبل رب العمل الذى يتصرف مع العاملين لديه على أساس انتمائه الى طبقة أعلى مرتبة من طبقة العاملين .

واذا ألقينا نظرة على أغلب مجموعات القوانين التى صدرت بالدول الراسمالية خلال القرن الماضى وأوائل القرن الحالى نجد أن خطوطها المميزة تنحصر فى معالجة الملكية والمعاملات المتعلقة بها ولا تولى الاهتمام الكافى للنشاط البشرى . فازدادت تبعا لذلك الهوة بين قوانين تلك الدول وبين حقيقة الواقع السياسى والاقتصادى ومن ثم تتكرر الاصطدامات بين تكتلات العاملين وبين حكومات تلك الدول . فالحكومات الرأسمالية تسعى لأن يظل عمل الانسان بمثابة سلعة خاضعة للعرض والطلب فى سوق غير متكافئة القوى من شأنها أن تحقق للطالب - أى المشترى صاحب الصناعات الضخمة - قوة كاسحة جارفة تستمد سيطرتها من تجميع رؤوس الأموال فى منشآت ضخمة رهيبة بينما ظروف العارض - أى البائع وهو العامل - سيئة مقترنة بالمهانة والضعف . هذا هو هدف تلك الحكومات بينما العمال فى تجمعاتهم يسعون الى وقف هذه المظالم والحد من آثار ونتائج هذه السوق غير المتكافئة . ومن هنا الاصطدامات العنيفة التى غالبا ما تكون دموية فى نطاق تلك الدول والتى نسمع عنها بين وقت وآخر .

أما فى ظل الأنظمة الاشتراكية فقد أصبح التشريع العمالى وتطويره برنامجا أساسيا للدولة . ويتغير رب العمل فى المنشآت التجارية والصناعية الكبيرة . فبعد أن كان رب العمل مجموعة من الاستغلاليين أصبح رب العمل فى منشآت القطاع الخاص هو الجماعة بأكملها . فزالت بذلك التفرقة بين المصالح المتعارضة ، مصالح رب العمل الرأسمالى ومصالح العاملين لأن العاملين فى ذات الوقت من أعضاء المجتمع وهذا الأخير هو رب العمل فى منشآت القطاع العام وبذلك أصبح العاملون فى تلك المنشآت هم فى حقيقة الامر رب العمل ذاته .

وفى جمهورية الاشتراكية أكد الميثاق حق كل مواطن فى عمل يتناسب مع كفايته واستعداده ومع العلم الذى تحصل عليه كما قرر الميثاق أن العمل فضلا عن أهميته الاقتصادية فى حياة الانسان فانه تاكيد للوجود الانسانى ذاته وأن الآلات ملك للعامل وليس العامل ملكا للآلات وعلى ذلك فالعامل هو سيد الآلة وليس ترسا من التروس فى جها زالتسجيل كما تبقى الدول الرأسمالية ان يكون مصيره المهين . وعلى ذلك فالميثاق يكفل الكرامة للانسان العامل . كما أن الاعلان الدستورى الصادر فى ٢٣ مارس ١٩٦٤ أعلن بأن العمل حق وواجب وشرف لكل مواطن قادر . وان الدولة تكفل للمواطنين معاملة عادلة بحسب ما يؤدونه من أعمال كما تؤمنهم اجتماعيا وتقرر لهم المعونة فى حالة الشيخوخة والمرض والعجز عن العمل .

ولا شك أن هذه القواعد السامية فى معاملة العاملين تتفق مع الشريعة الغراء . فالعمل عنصر فعال فى كل طرق الكسب التى أباحها الاسلام . وكل مسلم مكلف مباشرة عمل نافع لنفسه وللمجتمع وتتجه الوصايا النبوية الى الحض على العمل وان الله تعالى سخر الكون للانسان ليعمل فيه فقال تعالى « هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » .

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم « ان من الذنوب ما لايكفره الا السعى فى طلب الرزق » . ويقول عليه السلام « أفضل الكسب ما كان من عمل اليد » ويقول أيضا « ما أكل ابن آدم طعاما خير من عمل يده . وان نبى الله داود كان يأكل من عمل يده » .

والشريعة الغراء فى حضها على العمل تصون مصالح المجتمع . فالعمل مطلوب لأن فائدته لا تعود على العامل وحده وانما فائدته على الجماعة كلها . والعامل فى كل باب من أبواب النفع يقوم بفرض كفاية يجب تحققه . ولو ترك العامل ما أنيط به من عمل كان على الجماعة كلها مغبة تركه لهذا العمل وعليها الاثم أمام الله اذا قصرت فى اقامة فرض كفاية برفع الاثم عنها جميعا بالقيام به .

ويقر فقهاء الشريعة الحرية لكل مسلم فى اختيار العمل الذى يريد أن يباشره بما يتفق مع قدراته ومواهبه ويدعون الى تقرير هذه الحرية له بحيث لا يرد عليها أى قيد يستند الى عدم انتسابه لطبقة معينة أو عدم حيازته لمركز اجتماعى معين . وبهذه الروح السمحة يعالج الاسلام مشكلة العمل . فالكفاية وحدها والمقدرة وحدها هما معيار أهلية الفرد . وبهذا أيضا يكفل الاسلام تحقيق مبدأ مساواة الفرص بين الكافة مبدأ أساسه تحريم أى امتياز يستمده مدعيه من سيطرة ذوى السلطان ، وهدفه ضمان حرية العمل وتحرير السعى المشروع من كل عقبة تعوق نطاقه .

وفقهاء الاسلام مع تقديرهم تكافؤ الفرص بين الكافة فى السعى المشروع لا يحتمون وجوب المساواة فى ثمار هذا السعى . فيقرون بالتفاوت الفطرى بين الافراد فى الملكات والمواهب والجهد . ومثل هذا التفاوت ـ ما دامت الفرص متكافئة فى اتاحتها للكافة ـ لا يمس تماسك المجتمع .

واستنادا لهذا النظر المنطقى يتفاوت مقدار الوجوب فى الفروض الكفائية فى الاسلام . فالاخصائى تبعته فى التقصير فى اداء واجب العمل الذى تخصص فيه اكبر من تبعة العامل العادى .

وقد ذكر الشاطبى أن التربية الاسلامية يجب أن تقوم على تمكين كل ذى موهبة من القيام بالفرض الكفائى الذى يناسب موهبته . ولقد سمى الشافعى رضى الله عنه هذا النوع من الواجبات تسمية تتفق مع معناه فقال انه واجب عام أريد به التخلص . فالامة كلها مطالبة بمقتضى قانون التكافل الاجتماعى بتحقيق ذلك الواجب وتمكين كل ذى موهبة وكل متخصص فى فن أن يؤدى ما هو قادر على ادائه . وبهذا يتحقق تكافؤ الفرص أمام الجميع كل حسب استعداده وقدراته .

وفى الوقت الذى تقرر فيه الشريعة تكافؤ الفرص أمام المواطنين تحيط هذه الفريزة الفطرية بسياج من دستور سلوكها الاقتصادى . فتحمى المسلم من تجاوز الحد المرسوم فى ابتغاء الرزق وتضبط من غلواء الحافز الذاتى نحو المزيد من الكسب مشروعا كان أو غير مشروع . وقد حقق الاسلام هذه الغاية بتقريره أن كل عمل عبادة وأضفى على كل عمل صبغة تعبيرية . ذلك ان العبادة فى الاسلام ليست مقصورة على الصلاة والصوم والحج وغيرها مما تكون العلاقة فيما بين العبد وربه بل العبادة فى الاسلام أعم وأشمل ومنها العمل النافع . كما أن الصدقة فى الاسلام ليست فى اعطاء الفقير فقط بل الصدقة عامة شاملة لكل أمر فيه نفع للانسانية . وأبلغ الصدقات اتقان العمل . ومن أحب ما يقرب العبد الى ربه العمل المتقن الجيد فقد قال صلى الله عليه وسلم « ان الله يحب من العامل اذا عمل أن يحسن » وفى رواية أخرى « ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » كما قال عليه السلام « احب الاعمال الى الله أدومها وان قل » .

وخلاصة القول ان الحافز الذاتى لتحقيق الكسب عن طريق العمل يقوم فى الشريعة على أساس خلقى يدعمه ما يفرضه الاسلام من عبادات ويغرسه من توجيهات تخلق فى البيئة استجابة للعمل المستمر المشروع وتنميها تنمية مستمرة . كما يدعو الاسلام الى التنافس فى العمل مع اجادته . لكنه يحيط ذلك التنافس بنواة خلقية تنأى به عن الكيد للغير أو تعميد ايذائه عن طريق الغش فى العمل فيكون التسابق فى اجادة العمل مقترنا دائما بالتعاون المثمر أهم أركان الاقتصاد الاسلامى .

واذا قارنا هذه المبادىء التى تحقق النفع للبشرية ، بما يجرى عليه الاقتصاد الرأسمالى الجامح الذى يطلق التصادم والصراع فى سوق العمل من كل قيد ومن أية تكاليف خلقية أو اجتماعية لتبين لنا ان الاقتصاد الرأسمالى يقرر أن حافز الكسب وحده ـ أى الكسب المادى البحت ـ هو التبرير الكافى لكل أنواع النشاط الانسانى بصرف النظر عن أى اعتبار خلقى أو اجتماعى الأمر الذى يؤدى بهذا النشاط وينحدر به الى صراع قتال والى سباق مزيف لا يكتب السبق منه لأحد المتنافسين به .

ما قرره دستورنا وميثاقنا اذا من تعاليم ومبادىء يتفق مع ما تدعو اليه الشريعة من تمجيد للعمل والعاملين وحض على رعاية هؤلاء العاملين واحاطتهم بسياج من الضمانات تكفل لهم حياة شريفة مؤمنة ضد العجز والشيخوخة ، حياة لا عبودية فيها لجماعة مستغلة تستغل العاملين وتمتص دماءهم . كما يتضمن الاسلام قواعد سامية لتحقيق تكافؤ الفرص أمام العاملين دون زيف كما يدعو لتربية لا تخضع لنزعات النفس البشرية فى جموحها الى طلب المال بأى ثمن ومن أى وجه وانما هى تربية توقظ فى وجدان الانسان قوة باطنية تستند الى وعى دينى حى وتدفعه دائما لأن يعمل وينتج بما يحقق للبشرية مع اجادة هذا العمل واتقانه على أعلى مستوى يقدر عليه . كل ذلك فى اطار من المحبة والتعاون الصادق بعيدا كل البعد عن التطاحن والتصادم الطبقى وانما احساس وايمان بالتكافل والتضامن الاجتماعى .

اشتراكيتنا اذا اشتراكية نابعة من واقع ظروفنا ومجتمعنا وتراثنا الروحى .

من توجيهات النبوة

فضيلة الشيخ
عبد الحميد بليع

قد تناول الكلام فى مقالى السابق بيان الحكم الشرعى فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ـ هل هو فرض عين أو فرض كفاية وتبين مما دار من النقاش حول تعيين هذا الحكم أنه فرض كفاية لافرض عين لأنه لايستطيع القيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كل مكلف ، وشرط التكليف الاستطاعة ، والحق الذى لا محيص عنه أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تشريع حكيم وخطير لما فيه من تنبيه للشعور وايقاظ الضمير ، ولما فيه من الرقابة العامة على سلوك الفرد والجماعة، وحفظ هذا السلوك من الانحراف عن الجادة ، والأخذ به الى معالم الفضيلة ، والبعد به عن مسارب الرذيلة ، فالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مناعة الفرد ، وحماية المجتمع ، وهو الذى يخلص المؤمن من نزعات النفس وينقذه من مضلات الهوى ، ويحميه من الانزلاق الى مكانس الشهوة ، ويعيد اليه ماسلبه الطيش من الحياة الروحية الفاضلة التى قوامها هدى الله سبحانه الذى أنزله فى كتبه وعلى ألسنة رسله هدى للناس وشفاء لما فى الصدور ، وذلك غذاء الروح ولا ريب فيه قوام حياتها ، ولا حياة لها فى غيره ، والروح أحد جزئى الانسان والجزء الثانى الجسم وغذاؤه مادى هو قوام حياته ، ولا حياة له بغيره كذلك ، فللانسان غذاءان ـ أحدهما روحى ، والآخر مادى وعليهما حياته الروحية وحياته الجسمية ، ومهمة الآمر بالمعروف الناهى عن المنكر أن يقدم للفرد طرق الوقاية من الانزلاق فى مواطن الفتن كما يقدم للفرد المنحرف فى سلوكه العلاج الروحى ، يعالج به سقطته فى مهاوى الرذيلة ، ويحفظ عليه حياة العزة والكرامة ومرقف الآمر بالمعروف الناهى عن المنكر من الفرد الذى يأمره وينهاه يتجلى فيما رواه الامام احمد عن أبى هريرة رضى الله

عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: **« مثلى ومثلكم كمثل رجل استوقد نارا فكلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التى يقعن فى النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها ـ قال ـ فذلك مثلى ومثلكم ، أنا آخذ بحجزكم عن النار ، هلم عن النار فتغلبونى فتقتحمون فيها »** أخرجه فى أخرجه فى الصحيحين ، وهو موقف دقيق كما ترون يحتاج الداعى فيه الى مايعنيه فى مهمته حتى يحقق أمرين هامين لابد لنجاح الداعى فى دعوته منهما :

أولهما : القدرة على اقناع الشخص المنحرف بان مايقارف من نزعات النفس وما يعاقر من مغريات ـ الشهوة انما هو انتكاس نفسى ظاهره اللذة والمتعة وواقعه الانحطاط الاجتماعى والذلة ، ثم هو لا يدول بعد ، بل لايلبث أن ينتهى وينتهى بانتهائه أعز شىء يحرص عليه انسان هو الشرف الانسانى والمركز الاجتماعى والحياة الروحية الكريمة ، فضلا عن قطع صلة الانسان بربه .

ثانيهما : القدرة على انتزاع هذا المنحرف من براثن الفساد وانتشاله من هوة الرذيلة ، والأخذ به الى معالم الفضيلة ، بأن ينير له الطريق لحياة أفضل ، وسلوك أكرم ، ولعلكم تقولون معى أن هذا ليس هينا بل هو شاق ومرير ، فانه لا شىء أصعب من اقتلاع عادات مرنت عليها النفوس ولا أقسى من هدم تقاليد ورثها الأبناء عن الآباء والجدود ، ولا أشق من حمل النفس على فعل ما لم تألف ، ومزاولة ما لم تتعود ، ولا نجد لهذا مثلا أوضح من حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بدء دعوته اذ كان يدعو قريشا لعبادة الله وحده لاشريك له والتخلى عما ورثوا عن آبائهم من عبادة الأوثان والأصنام فقد كان كلما أمعن فى دعوتهم الى ذلك لايسمع منهم الا أن يقولوا انا وجدنا آباءنا على أمة ، وانا على آثارهم مقتدون ، فكم قاسى رسول الله منهم ، وكم حاربوه مصممين على موقفهم هذا .

من أجل هذا قلت فى المقال السابق وأكرر هنا ماقلته هناك ، أنه لايصلح للقيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، الا العلماء المخلصون الأقوياء الأفذاذ ، الذين تتوافر فيهم صفات خاصة ، ذكرها العلماء فى مواضعها وأرجو التوفيق لذكر شىء منها .

لاجرم أن الدعاة الى الله والآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر ، نواب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القيام بمهام هذه الشئون كلها ـ ولنا جميعا فى رسول الله أحسن الأسوة وأطيب القدوة فهو الداعى الأول ، وهو المعلم الاول ، الذى استطاع ببديع حكمته وقوة حجته وسعة أفقه وأسلوبه السهل وكلامه العذب أن يطهر نفوسا من رجس الوثنية ، أن يفتح قلوبا غلفا فتستجيب لدعوة الحق وتعبد الها واحدا جلت قدرته ووسعت رحمته وترفض عبادة آلهة مرنت عليها ، وعاشت حقبا من الزمن فى أحضانها ، وذلك كله فى زمن وجيز بالقياس لدقة المهمة وصعوبة تحقيق المطلب وبعد الغاية ، ومع ذلك كانت النتيجة سريعة حيث استجابوا لدعوة الرسول وعبدوا الله وحده ورفضوا عبادة ماسواه ، وما كان سلاحه فى هذه المعركة الا قوته المعنوية ، قوته فى العلم ، قوته فى البيان ، قوته فى الخلق ومن هنا استطاع العلماء أن يستنتجوا الصفات التى يجب توافرها فى الداعى وكان منها ما يأتى :

الصفة الأولى : العلم بالأحكام الشرعية والوقوف على مكان العبرة والعظة من الكتاب والسنة وما صح من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم بحيث يستطيع الداعى أن يرشد الضال الى الصراط المستقيم ويدله على ما به يحيا حياة طيبة فى الدنيا ، ويسعده سعادة وارفة فى الدار الآخرة ، فاذا لم يكن الداعى على علم بهذا فلا ينتظر منه نفع للفرد المنحرف بل قد يكون خطرا عليه فانه يكون بمثابة مريض أسلم نفسه لشخص لايعرف فى الطب شيئا ليتولى علاجه فهذا المريض يكون للموت أقرب منه الى الشفاء لذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم

« **من سئل فأفتى بغير علم فقد ضل وأضل** » وفي الحكم « من سلك طريقا بغير دليل ضل ومن تمسك بغير أصل زل » وأحب أن أنبه الى أنه لايلزم أن يحيط الداعى علما بكل شيء فان هذا غير ممكن « **وما أوتيتم من العلم الا قليلا** » فاذا سئل الداعى عن شيء يجهله فلا يتورط ويخبط خبط عشواء ويقول كلاما صوابا أو غير صواب في الموضوع أو خارج الموضوع حرصا على مكانته في نفوس السامعين وأوكد النصح بأن لايضيق ولا يألم ولا يتحرج أن يقول لسائله « الله أعلم » .

فهذه هي أمانة العلم ، وهذه صفة العالم ، وهذه تزيده رفعة وقداسة في نفوس الناس روى أن رجلا قال يارسول الله ، أى البقاع خير وأى البقاع شر ، فقال : لاأدرى حتى أسأل جبريل » وروى البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه « من علم شيئا فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم » وقال ابن عباس رضى الله عنهما « اذا ترك العالم قول لا أدرى فقد أصيبت مقاتله » .

الصفة الثانية : أن يكون عمل الداعى صورة منتزعة من معلوماته الدينية بحيث يعمل كل ما استطاع من الأوامر ويجتنب كل ما نهى عنه من النواهى حتى يكون قوله مطابقا لعمله فيحمل بذلك سامعه على طاعته يمتثل أمره ويجتنب نهيه ويتمثله في كل ما يأتى وما يذر وهكذا يكون حال الدعاة ليكونوا قدوة يهدون بسلوكهم كما يهدون بقولهم ، والقول المجرد عن العمل لايكفى بل قد يكون مانعا من الامتثال

ويكفى دليلا على ذلك ما كان من الصحابة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية فانه أمرهم بالحلق أو التقصير ليتحللوا من الأحرام بعد ان أبرم الرسول الصلح مع القرشيين فتوقف الصحابه شيئا من التوقف لامخالفة لأمر رسول الله ولكن حمية منهم لانجاز ما اعتزموه من العمل الدينى الذى منعهم عنه أهل مكة ، وهو دخولهم مكة معتمرين ، ولكنهم لما رأوا رسول الله حلق وتحلل من الاحرام فعلا اقتدوا به وحلقوا وتحللوا كذلك ، فكلما كان عمل الداعى مطابقا قوله كان أدعى لامتثال سامعه ، أما اذا كان قوالا فقط لايجد من يسمع له فضلا عمن يمتثل قوله لذا وبخ الله أحبار اليهود على طريقتهم مع قومهم حيث كانوا يحثون الناس على عمل الخير ولا يأتون بابا واحدا من الخير فقال لهم « **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون** » وقال الله في آية أخرى « **يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لاتفعلون** » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « **يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى فيجتمع اليه أهل النار فيقولون يافلان مالك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتية وأنهى عن المنكر وآتيه** » لذا كان بعض الوعاظ يتحرج من الحث على عمل شيء من الخير وهو لم يعمله ، بل كان ينتظر بالحث عليه حتى يعمله ثم يحث الناس عليه . وقد روى عن الحسن رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « **ما من عبد يخطب خطبة الا الله سائله عنها يوم القيامة ماأردت بها ، قال فكان مالك ابن دينار اذا حدث بهذا بكى ثم يقول أتحسبون أن عينى تقر بكلامى عليكم وأنا أعلم أن الله سائلى عنه يوم القيامة** »

الصفة الثالثة : حسن البيان والأداء بحيث يكون الداعى لله الآمر بالمعروف الناهى عن المنكر سهل الأسلوب واضح العبارة لاتنبو عبارته عن أذهان العامة ولا تنحط عن مستوى الخاصة ، ولا يستطرد في بيانه الا بما يعزز رأيه في موضوعه على أن لايكثر في هذا الاستطراد حتى ينسى السامعين أصل موضوعه بل يكون استطراده بقدر مرتبا معلوماته ترتيبا يصل به الى الغاية التى يهدف اليها بحيث تكون هذه المعلومات التى يدلى بها في شرح موضوعه متماسكة مترابطة تسلم السامع الى معلومات أخرى تقربه من الغاية وهكذا

يتدرج الداعى بسامعه فى مدارج الموضوع حتى يصل به الى طريق النجاة ، بهذا اللون من التخاطب والتفاهم يستطيع الداعى أن يؤثر فى القلوب ، ويملك النفوس ، ويخرج بسامعه من حماة الرذيلة الى رحابة الفضيلة ، لذا فانى أنصح أن لاينصب نفسه للقيام بهذه المهمة الا كل من يأنس من نفسه القدرة على الافصاح والبيان فى سهولة ويسر وعلى تصوير الموضوع للسامع تصويرا يملك عليه مشاعره وأحاسيسه ويشعره بانحرافه فيما اقترف وبخطأه مع نفسه ودينه وبتعديه على المجتمع والوطن ويحمله على الامتثال فيما يؤمر به ، فحسن البيان وجمال الأداء عامل قوى فى نجاح الدعوه وسلاح معنوى فى يد الداعى يفحم به خصمه ويلجم به عدوه . واسمع أيها القارىء الى سيدنا موسى عليه السلام لما تفضل الله عليه بالرسالة الى قومه ، وكان موسى يشعر بثقل فى لسانه عند نطقه بالكلام وكان يعلم كذلك أن مهمة الرسول تحتاج الى قوة فى الحجة ، والى حسن فى البيان والأداء خصوصا وفى القوم فرعون وهو عدو لدود سليط اللسان عنيد ، لذا طلب موسى من ربه أمرين **أولهما** أن يزيل عنه مايشعر به من ثقل اللسان عند الكلام فقال « **رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى** » **ثانيهما** : أن يرسل معه أخاه هارون عونا له على أداء رسالته حيث يقول « **وأخى هارون هو أفصح منى لسانا فارسله معى ردءا يصدقنى انى أخاف أن يكذبون** » .

الصفة الرابعة : أن يكون الداعى مخلصا لله فى دعوته لايبعثه على القيام بها الا حبه الخير لاخوانه ومجتمعه ورغبته فى نشر مبادىء الدين الاسلامى الحنيف وأخلاقه فى أمته فيعمل جاهدا لارشاد الناس الى معالم الهداية والحيلولة بينهم وبين مضلات الهوى ومسارب الغواية ، جادا فى اقناعهم بأن أقوم الطرق لسعادة الحياتين انما هى تقوى الله وحسن الخلق ، ولا جرم أن هذا يستدعى من الداعى جهدا متواصلا وعملا دائبا لايشعر معه بسأم ولا ملل ، فانه عمل الله ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ، وهذه درجة لاينالها الداعى اذا كان باعثه على القيام بدعوته شيئا غير وجه الله تعالى كحبه أن يسمع الحمد والثناء عليه من الناس لجمال أسلوبه وحسن بيانه أو وفرة علمه وقوة حجته ، وكفرحه وسروره بالتفاف الناس حوله وكثرة السامعين لدعوته فان كان الداعى موظفا للقيام بهذه الدعوة ولا يبعثه على الدعوة لله الا أداء هذه الوظيفة فقط ، ولولا الوظيفة ما قام داعيا ولا آمرا بمعروف ولا ناهيا عن منكر ، فأمثال هؤلاء الدعاة الذين يقصدون بعملهم الحصول على غرض دنيوى لاثواب لهم فى القيام بهذه الدعوة ، وقد لاتؤثر دعوته فى نفوس السامعين يبين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث طويل رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه استهله بقوله : « **سمعت رسول الله** صلى الله عليه وسلم يقول « ان أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه عليه فعرفها قال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جرىء فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به وعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال قارىء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه وألقى فى النار الخ . الحديث .

هذه بعض الصفات التى يجب توافرها فى الداعى الى الله حتى يثمر فى مجتمعه ، ويؤدى رسالته كانسان يشعر بمسئوليته بين يدى الله وكل مانرجوه أن يوجه الله المسلمين فى بقاع الأرض لاحياء هذه السنة العظيمة وأن يوفق ولاتهم للعناية بهذا المبدأ الاسلامى الخطير حتى تحيا الروح الدينية فى البيئة الاسلامية ويتم بينهم معنى الاخاء فيحب المؤمن لاخيه ما يحب لنفسه حقيقة ويكره له ما يكره لنفسه وتشيع هذه المعانى السامية بين المسلمين كى يعيدوا مجد السابقين ويجددوا عزة الأولين والله ولى التوفيق .

عبد الناصر والشخصية المصرية

الأستاذ ابراهيم مصباح

استطاعت الامم بكفاحها وعملها واسهامها في تقدم الحضارة الانسانية ان تكون شخصيتها المتميزة · ولكن هذه الأمم احيانا تصاب بالذبول وانحسار مدها المتدفق بالنمو وهناك تبدا عوامل التحلل في التحكم والسيطرة حتى تنمحى الشخصية المميزة لتلك الأمة أو ذاك .

ولقد أتى على الأمة العربية حين من الدهر كانت ذات سياسة واضحة مرسومة فى الداخل والخارج وفى كافة المعاملات وسبل الحياة .

ولكن منذ تغلب العنصر المملوكى والعنصر التركى على العرب وعوامل التفكك والانحلال تدب وتصول وتجول ، وكانت فترة الاحتلال العثمانى فترة ركود طويلة استمرت طيلة خمسة قرون واستطاعت السلطنة العثمانية أن تتسلط على الحضارة العربية وأن تحد من جلاء شخصيتها وأن توقف ذلك المد العربى الذى ظل مهيمنا ومؤثرا فى الحضارة الانسانية امدا طويلا .. على أن هذا الرماد كان يحمل جمرة متقدة فى احشائه · ونستطيع ان نقول ان اللغة العربية لعبت دورا ضخما فى الحفاظ على هذه الشعلة فالعثمانيون كانوا يدينون بالاسلام ولكنهم ارادوا أن ينشروا لغتهم أيضا وذلك واضح فى محاولتهم انشاء الجامعة الطورانية والتى كان الرد الحاسم عليها من شباب العرب وشيوخهم انشاء الجمعيات المختلفة التى ترفض رفضا باتا تغليب اى لغة على اللغة العربية .

ولقد ابتليت العروبة بهذا الاحتلال العثمانى اللعين واذا اجتزانا ميدان البحث واقتصرنا على مصر فى ذلك الحين فسنجد ان الشخصية المصرية فى ذلك الوقت لم تكن مميزة القسمات لانها تحت سيطرة نظم متضاربة فى الحكم . ان لم تكن فى التقنين والتشريع فالتضارب واضح فى الذين يقومون بتنفيذ القوانين فالعثمانيون كانوا لا ينفكون يتصارعون مع المماليك الذين استطاعوا فعلا أن يتغلبوا علي العثمانيين وأن تكون لهم السلطة الفعلية وأن يصبح العثمانيون متمتعين بالسلطة المظهرية فقط .. غير ان المماليك كانوا منقسمين على أنفسهم وكانوا دائما فى نزاع وتطاحن .. فكيف يمكن أن تنمو الشخصية المصرية وتترعرع فى هذا المجال .

ومع ذلك نستطيع ان نقول دون أن نخشى التورط فى جموح العاطفة الوطنية أن الشخصية المصرية قد أثرت فى مجريات الحوادث عندما اقدم نابليون بفيالقه كما أنها حفرت أخدودا فى مجريات الامور ابان ازمة محمد على مع السلطان حتى استتب الأمر لمحمد على فقلب للمصريين وجهه الاخر . واستخدم محمد على اساليب القسوة ليمنع الشخصية المصرية من الظهور على مسرح الحوادث لتأخذ دورها وتباشر فعاليتها فى ايجابية يؤهلها لها تاريخها الطويل العريض .

ومن محمد على الى ابراهيم وعباس ثم سعيد واسماعيل حتى فؤاد وخلفه .. ومن الأحزاب المختلفة الى التحكمات الرجعية المؤيدة من قوات الاحتلال أصبحت الشخصية المصرية غير واضحة غير محددة الملامح .. فالقادة انفسهم لا يعرفون ماذا يريدون . هذا من ناحية .. وكان هذا سر تخبطهم بين السلطان العثمانى والقوى

لدولية التي كانت تسيطر على مسرح الحوادث سواء كانت فرنسا او انجلترا او الروسيا فى بعض الأحيان ..

ومن جهة اخرى لم يكن يهم الحكومات المتعاقبة ان تكون لمصر سياسة واضحة وشخصية محددة .. كانت هذه الحكومات بعد ان تورطت فى المنافسة الحزبية وحادت عن طريق النضال الثوى الوطنى لا تحمل من المسئولية الا ما يبقيها فى أماكنها من دست الحكم ..

وكيف يمكن لبلد تحالف عليه الاقطاع والرجعية والرأسمالية المستغلة وقوى الاحتلال ان يكون صاحب شخصية فى المجال الدولي ..؟ وكيف يمكن لانسان هزمه المرض ان يصيح بأعلى صوته ليقول هانذا موجود بينكم فاستمعوا الى ..؟

ان أى أمة لا تصبح ذات فعالية فى المجال الدولى الا اذا كانت أصلا قوية فى الداخل وهذا مـا لم يتح لمصر طيلة مئات من السنين .

ماذا كان موقفنا من قضايا الحرب ؟ لقد قامت الثورة عام ١٩٥٢ وكان قد انقضى سبعة أعوام على انتهاء الحرب العالمية الثانية .. وكانت الحرب الباردة على اشدها فى الفترة التى أعقبت الحرب . وبين عام ١٩٤٥ ، ١٩٥٢ وقعت الحرب الكورية التى كادت تؤدى الى اشعال حرب عالمية ثالثة .. وفى عام ١٩٤٥ فجرت الولايات المتحدة الامريكية قنبلتيها الذريتين فوق نجازاكى وهيروشيما .

كذلك كانت قضية التعصب الجنسى مستعرة الاوار كما هى الحال الان .. وكانت أنباء الشعوب المكافحة التى تسعى جاهدة للتخلص من الاستعمار تدور حول العالم تقرع الأسماع . ماذا كان موقف مصر فى ذلك الحين ؟ ماذا فعلت للحد من الحرب الباردة .. بماذا اسهمت فى خدمة قضية السلام ؟ ما هى أوجه نشاطها الدولى لنزع السلاح وتحريم استخدام القنابل الذرية ؟ لا شىء ، اللهم الا بضعة تصريحات يتفوه بهـا وزير او سفير وغالبا ما يوحى الى هذا الوزير او السفير بما يقول .. لماذا ؟

لأن مصر كانت لا تتكلم بصـوتها .. وان تكلمت اسكتتها رشاشات الطغاة وفتحت الكبارى لاغراق شبابها .. وروى الاسفلت بدمائهم الطاهرة .

هذا فى المجـال الخارجى .. أما المجـال الداخلى .. فالاقطاع والانتهازية بكافة صورها والاستغلال بأشنع اساليبه كانا يحدان من فرصة انطلاق الشعب الى صنع مصر الجديدة ذات الرخاء والاستفادة من الامكانيات الهائلة للصناعة والزراعة والتجارة .

والعجيب فى الأمر كذلك ان المذاهب الاقتصادية لا تستطيع ان تحدد اتجاها واحدا كان سائدا قبل الثورة بل اختلطت كل المذاهب والنظم اختلاطا عجيبا قلما يجتمع فى بلد واحد .. حتى انك تجد الاقطاعى هو أيضا الرأسمالى المستغل وهو الوزير فى الوزارة . وهو شريك لمستر فلان أو علان من الأجانب الوافدين لنهب ثرواتنا ..

ماذا قدمت ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ..؟

لقد حددت الشخصية المصرية تحديدا واضحا قويا بارز السمات ..

ان مصر بلد عريق ذو اصالة تاريخية عريقة .. وهو جزء لا يتجزأ من الأمة العربية .

ان مصر بحكم موقعها الجغرافى جزء من افريقيا ولذلك فهى لا تستطيع ان تقطع وشائج الصلة بينها وبين الدول الافريقية كما كان المجال فى الماضى بل ان مجال التعاون بين الثورة وبين بلدان افريقيا النامية قد اصبح مفتوحا على مصراعيه .

وبالنسبة للصراع بين الشرق والغرب أو ما يسمى بالحرب الباردة فقد رفضت مصر الانضمام الى أى حلف من الاحلاف بل انها من بادىء الأمر وفى مؤتمر الشعوب العظيمة فى باندونج ١٩٥٥ اسست قواعد الحياد الايجابى وعدم الانحياز .. وبذلك أصبحت قوة فعالة فى المجال الدولى لها وزنها ولها كلمتها المسموعة .

ان قوة عدم الانحياز والحياد الايجابى قد اصبحت الآن ذات أثر بارز فى مجريات الأمور الدولية .. ولكن معلوما أن عدد الدول الممثلة فى مؤتمر القاهرة الذى عقد عام ١٩٦٤ يعادل نصف الدول الأعضـــاء فى الأمم المتحدة ..

فاذا نظرنا الى قضية نزع السلاح نجد ان الدول الصغرى كانت تطالب الدول الكبرى بنزع السلاح اما الآن فان الأمر قد تغير حيث حدث تشكيل جديد للجنة نزع السلاح وأصبحت تتكون من ١٨ عضوا بينهم ثمانى دول من دول عدم الانحياز وهى الجمهورية العربية المتحدة ونيجيريا وأثيوبيا والهند وبورما والمكسيك والبرازيل والسويد .. وذلك بعد ان اتخذت الأمم المتحدة هذا القرار فى عام ١٩٦١ .

ولقد دعا الرئيس جمال عبد الناصر فى عام ١٩٦٠ الى قيام الدول غير المنحازة بالعمل على تلطيف الجو بين الكتلتين وذلك من أجل استئناف مفاوضات نزع السلاح التى أصيبت بالتوقف عام ١٩٦٠ فى شهر يونيو .. والتى أعقبت فشل مؤتمر القمة الذى عقد فى باريس فى مايو عام ١٩٦٠ ، ونتيجة لاحتمالات التهور والتورط فى حرب ساخنة عقب هذا الموقف المتدهور عقد أول مؤتمر لرؤساء الدول غير المنحازة فى بلغراد فى سبتمبر عام ١٩٦١ . ثم عقد مؤتمر دول عدم الانحياز الثانى فى القاهرة خلال شهر اكتوبر عام ١٩٦٤ والنظرة الى عدد الدول المشتركة فى المؤتمرين تؤكد انتشار الفكرة ونجاحها حيث اشترك فى مؤتمر (١٩٦١) ٢٨ دولة بينما اشترك عام (١٩٦٤) ٥٧ دولة .

اصبح لمصر اذن شخصية قوية فى المجال الدولى .. وصارت تؤثر فى الاحداث وتمارس ارادتها وتفرض كيانها .. بعد أن كانت كما مهملا لا حساب له ولا وزن ولا قيمة واذا تحدث الرئيس جمال عبد الناصر وتعرض للسياسة الدولية فان اذاعات العالم وصحفها تنقل الخطاب ويأخذ المحللون السياسيون والمعلقون فى تدبيج المقـالات التفسيرية والتحليلية واستكناه النتـائج والتنبؤ بالخطوات الجديدة التى قد يتخذها الرئيس .. والى هذا الحد اصبحت لمصر شخصيتها فى المجال الدولى ..

أما فى المجال العربى فالحديث يطول .. ولكن مما لا شك فيه أن الثورة قد أخذت درسا من فشل ثورة ١٩١٩ حتى لا تقع فى نفس الخطأ .. ان الميثاق يتعرض لفشل ثورة ١٩١٩ من حيث انها لم تستطع ان تربط نفسها بالجذور العربية وبنضال الشعب العربي فى المشرق والمغرب .. وقد بادرت ثورة ٢٣ يوليو الى تصويب الامور والتهب نضال القومية العربية والتزمت الثورة بمساندة الحركات التحررية فى كل مكان فى العالم ومن

باب لولى في البلاد العربية حتي يجلو كل مستعمر غاصب وتتطهر البلاد العربية من كل رجس .. وليس هذا فقط بل آمنت بالوحدة العربية هدفا مصيريا تسعى اليه وتعمل له بكل قواها .. والتجـــربة الوحدوية الرائدة لازالت ماثلة فى الأذهان قريبة العهد .

والذى نحب ان نؤكده ان السياسة العربية للجمهورية العربية المتحدة سياسة ثابتة واضحة محددة الملامح .. تعمل وفق عقيدة تنبع من طبيعة الأمور ولا تجافيها فنحن العرب امة واحدة .. ولابد ان نقضى على كل التناقضات والمعوقات التى تحول دون تجميع شملنا ..

والمطلع على السياسة العربية فى ابان الحرب العالمية الاولى سيرى المساومات التى كانت تدور بين الانجليز وبين بعض العرب الذين كانوا يتوقون الى الســلطان الشخصى وقد أسفرت هذه المساومات عن احتلال الأرض العربية وعن وعد بلفور وضياع فلسطين فيما بعد .. وعلى ذلك يمكن القول بأن السياسة العربية ظلت فى بعض الأحيان مرتبطة بالمصالح الشخصية والأهـــواء والضغط من جانب الاستعمار ..

أما الان فللجمهورية العربية المتحدة دســتور عربى لاتحيد عنه .. فالوحدة الكاملة هى الهدف المنشود وفى الطريق الى بناء الوحدة لابد من ازالة اسرائيل واعادة الأرض السليبة الى العروبة .

ولننظر الان الى الشخصية الافريقية .. ان هنـــاك اكثر من وجه شبه بين الجمهورية العربية المتحدة وبين كثير من البلدان الافريقية . فهناك اولا علاقة الجوار الوثيقة وهناك ثانيا علاقات انسانية وحضارية موغلة فى القدم مع بعض هذه البلاد الافريقية أما العلاقة الثالثة فهى ظهور الدول الافريقية المستقلة فى نفس الوقت وفى نفس الظروف تقريبا ولذلك كان على هذه الدول الافريقية ان تتكاتف لكى تحافظ على استقلالها وتســاعد الدول الأخرى التى لم تستكمل بعد استقلالها وكذلك أن تتعاون اقتصاديا باعتبارها من الدول النامية للاســـتفادة من ظروف كل بلد وامكانياته .. سواء بالخبرة او بالمواد الخام او بالبعثات الدراسية ..

وقد احتفلت منظمة الوحدة الافريقية فى شهر مايو الماضى بمرور ثلاثة اعوام على انشائها عام ١٩٦٣ الذى يعتبر بحق عام الوحدة الافريقية كما ظهر واضـــحا فى اجتماعات مؤتمر اديس ابابا وميثاق اديس ابابا الذى تمخض عنه .. والأمل معقود على هذه المنظمـــة وعلى اللقاءات المتكررة لزعماء افريقيا سواء على مســتوى الرؤساء او وزراء الخارجية او غيرهم للوصـــول الى افريقيا الموحدة المتحررة المنتصرة على جميع مشاكلها .. وهكذا تتضح سياسة الجمهورية العربية تجاه افريقيا فهى سياسة تعاون وتآخى .. سياسة واضحة لا يخالف مظهرها مخبرها وانما كل حركة لنا هى تطبيق لسياستنا الافريقية الواضحة ..

ان ثورة ٢٣ يوليو قد خلصت الشخصية من التمييع الذى فرض عليها وأصبحت هذه الشخصية المصرية كما اسلفنا واضحة فعالة ذات أثر بين فى كافة المجـــالات العربية والافريقية والدولية العالمية ..

وفى مقال قادم باذن الله سنناقش اهم التطورات التى طرأت على الشـــخصية المصرية من الداخل والملامح النفسية التى تميز هذا التطور .

عمار بن ياسر

الأستاذ عبد المنعم الأدفوى

فى كل زمان ومكان نحن المسلمين محتاجون ، لكى نتغلب على اعدائنا ، ونمكن لعقيدتنا فى الارض ، الى الرجال الذين يؤمنون بالعقيدة الاسلامية ، كما آمن بها السلف الصالح فى مطلع الدعوة .. يقدســـونها ، ويتفانون فيها وفى سبيل اعلانها ويسترخصون دماءهم وارواحهم من اجل انتصارها ويضربون اروع الامثال على ان الانسانية لا تخلو ابدا من شهداء العقيـــدة المتجردة .

ان شبابنا فى الوطن الاسلامى فى اشد الحاجة الى التعرف الى المسلمين الذين أرسوا قواعد الدين الحنيف على أسس خالدة ، قائمة على توحيـــد الله والايمان بتفرده فى ذاته وصفاته وأفعاله مما يؤدى حتما الى فتح البركات « ولو أن اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من الســماء والارض » وقد كان - ولذا استطاعوا بالعقيدة السليمة من الشرك ان يمكنوا لدينهم فى زمن وجيز

من اجل هذا نقدم للشباب الاسلامى شخصية من اسمى الشخصيات ، آمنت بالحق ايمانا مطلقا متجردا من مظاهر الاثرة وحب النفس والاستسلام للمغريات .

وكم كانت هذه الشخصية عظيمة فى ايمانها وصبرها ورجولتها وشهامتها .. قدست الحق وتحملت فى سبيله ما لا تستطيع حمله الجبال من ألوان التنكيل والبطش والعذاب ، اذا صح هذا التعبير .

وكم كانت هذه الشخصية كبيرة وعظيمة وخالدة ، تتعالى على الصغائر وتعلو فوق عرض الدنيا ومفاتنها ، وقد غرت كثيرا ممن يتباهون ويتعالون بأحسابهم وانسابهم فى مجتمع يقدس الاحساب والانســاب بل يتخذها الها من دون الله ، وتظل هذه الشخصية على ايمانها بالحق وحده طيلة حياتها ٧٣ أو ٩٣ عاما .

وكم انت قوية أيتها الشخصية لا تبالين بالموت فى سبيل العقيدة ، حتى بعد أن استقرت العقيدة .. ولو كنت من الذين يستحبون العافية والسلامة لغرقت فى

جلدة ما بين عينى وأنف رسول الله

بحور من الذهب وتمتعت بكل ما تشتهين من مظاهر الحياة ، كما غرق غيرك ، وأنت يومئذ لا مطعن عليك فى دينك .

ان هذه الشخصية تتمثل فى عمار بن ياسر الذى كان يحمل تقريبا الرقم الخامس والخمسين فى سجل الذين استجابوا قبل غيرهم لدعوة الاسلام يوم أشرق نوره فى ربى مكة .

ولا عجب فأبوه أسلم وعذب ، وأمه سمية قتلها أبو جهل ، لانها ثابت على محاولاته للارتداد عن الاسلام . كان عمار مولى فى بنى مخزوم تعرض بيته كله لاذى قريش ، حتى كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه يمر بهم ، وهم يعذبون فيقول لهم : صبرا آل ياسر فان موعدكم الجنة .

قال عمار رأيت رسول الله ، وما معه الا خمسة أعبد وامراتان وأبوبكر .. وذكر سفيان بن عينية عن زكريا عن الشعبى قال ان أول من بنى مسجدا عمار بن ياسر .

وحين بنى الرسول مسجده فى مربد سهل وسهيل بالمدينة ، كان عمار يعمل فيه ، وجاء الى الرسول يقول له : قتلونى يحملون على ما لا يحملون .. قالت أم سلمه زوج الرسول ، فرأيت رسول الله ينفض وفرته بيده ، وكان رجلا جعدا ، وهو يقول : « ويح ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك .. انما تقتلك الفئة الباغية » .

وارتجز على بن أبى طالب :

لايستوى من يعمر المساجد   يدأب فيها قائما وقاعدا
ومن يرى عن الغبار حائدا

فأخذها عمار فجعل يرتجز بها ، فلما أكثر ظن عثمان بن عفان أنه انما يعرض به .. قال عثمان : قد سمعت منذ اليوم يا ابن سمية ، والله انى لارانى سأعرض هذه العصا لانفك ، وكانت فى يده عصا ، فغضب رسول الله ثم قال « مالهم ولعمار يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار .. ان عمارا جلدة ما بين عينى وأنفى » .

وقد آخى الرسول حين آخى بين المهاجرين والانصار ، بعد وصوله الى المدينة ، بين عمار وحذيفة بن اليمان أخى عبس حليف بنى عبد الاشهل ، أخوين ، ويقال ثابت بن قيس بن الشماس أخو الحارث بن الخزرج ، خطيب رسول الله ، وعمار بن ياسر أخوين .

وشهد عمار بدرا من بنى مخزوم ، وظل بعد وفاة الرسول وأبى بكر وعمر فى الجانب الذى يؤمن بالمثل العليا ، فقد كان من الذين يعيبون عثمان ، على تصرفاته ، وحين بويع عثمان بالخلافة ، بلغه قول أبى سفيان بن صخر بن حرب فى دار عثمان عقيب الوقت الذى بويع فيه ، ومعه بنو أمية .. قال أبو سفيان : أفيكم أحد من غيركم ، وكان عمى قالوا : لا.. قال : يابنى أمية تلقفوها - يعنى الخلافة - تلقف الكرة ، فوالذى يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ، ولتصيرن الى صبيانكم وراثة ، فانتهره عثمان ، وساءه ما قال ، ونمى هذا القول الى المهاجرين والانصار ، فقام عمار فى المسجد فقال : يا معشر قريش أما اذا صرفتم هذا الامر عن أهل بيت نبيكم ، ها هنا مرة ، وها هنا مرة ، فما أنا بآمن أن ينزعه الله فيضعه فى غيركم كما نزعتموه من أهله ، ووضعتموه فى غير أهله .

وهنا قال المقداد بن عمرو : ما رأيت مثل ما أوذى به أهل هذا البيت ، بعد نبيهم فقال له عبد الرحمن ابن عوف : وما أنت وذاك يامقداد بن عمرو ، فقال : انى والله لاحبهم بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان الحق معهم وفيهم يا عبد الرحمن . أعجب من قريش وأنت ، تطولهم على الناس .. أهل هذا البيت «الامويون» قد اجتمعوا على نزع سلطان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعده من أيديهم .. أما وايم الله يا عبد الرحمن لو أجد على قريش أنصارا لقاتلتهم كقتالى اياهم مع رسول الله يوم بدر .

وفى وقعة الجمل بالبصرة وقف عمار بن حبش ، على جيش طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعائشة وقال : أيها الناس ما أنصفتم نبيكم حيث كففتم عقائل تلك الخدور وأبرزتم عقيلته للسيوف ، وعائشة على جمل فى هودج من الخشب قد ألبسوه المسوح وجلود البقر ، وجعلوا دونه اللبود قد غشى على ذلك بالدروع فدنا عمار من موضعها فنادى : الى ماذا تدعيننى ؟ .. قالت الى الطلب بدم عثمان فقال : قتل الله فى هذا اليوم الباغى ، والطالب بغير الحق ، ثم قال : أيها الناس أينا الممالىء فى قتل عثمان ؟ ثم أنشأ يقول وقد رشقوه بالنبل :

فمنك البكاء ومنك العويل
ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الامام
وقاتله عندنا من أمر

وتواتر عليه الرمى بالنبل واتصل ، فحرك فرسه ؟ وزال عن موضعه فقال : ماذا تنتظر يا أمير المؤمنين ، وليس لك عند القوم الا الحرب ؟

وفى صفين اخرج على فى اليوم الثالث لبدء القتال ضد معاوية ، أبا اليقظان عمار بن ياسر فى عدة من البدريين وغيرهم من المهاجرين والانصار ، واخرج اليه معاوية عمرو بن العاص فى تنوخ وغيرها من اهل الشام ، وكانت الحرب بين الفريقين سجالا الى الظهر ، ثم حمل عمار فيمن معه ، فازال عمرا عن موضعه والحقه بمعسكر معاوية ، وأسفرت المعركة عن قتلى كثيرين من أهل الشام ، ودونهم من أهل العراق .

وقال عمار : انى لارى وجوه قوم لا يزالون يقاتلون حتى يرتاب المبطلون .. والله لو هزمونا ، حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لكنا على الحق ، وكانوا على الباطل .

وتقدم عمار فقاتل ثم رجع الى موضعه ، فاستسقى فاتته امراة من نساء بنى شيبان من مصافهم بعس فيه لبن ، فدفعته اليه فقال : الله أكبر ، الله أكبر . اليوم القى الاحبة تحت الاسنة .. صدق الصادق ، وبذلك خبر الناطق ، وهو اليوم الذى وعدت فيه .. ثم قال : أيها الناس؟ هل من رايح الى الله تحت العوالى ؟ والذى نفسى بيده لنقاتلنكم على تاويله ، كما قاتلناكم على تنزيله وتقدم هو يقول :

نحن ضربناكم على تنزيله
فاليوم نضربكم على تاويله
ضربا يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله
أو يرجع الحق الى سبيله

فتوسط القوم ، واشتبكت عليه الاسنة فقتله ابو الهادية العاملى وابو حواء السكسكى ، واختلفا فى سلبه ، فاحتكما الى عبد الله بن عمرو بن العاص فقال لهما : اخرجا عنى فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أوقال رسول الله « وبغت قريش بعمار يدعوهم الى الجنة ، ويدعونه الى النار ، ودفن بصفين وصلى عليه على رضى الله عنه ، ولم يغسله .

وفى قتله يقول الحجاج بن عربه الانصارى :

يا للرجال لعين دمعها جارى
قد هاج حزنى ابو اليقظان عمار
أهدى اليه ابو حوا فوارسه
يدعو السكون وللجيش اعصار
فاختل صدر أبى اليقظان معترضا
للرمح قد وجبت فينا له النار
الله عن جمعهم لا شك كان عفا
أتت بذلك آيات وآثار
من ينزع الله غلا من صدورهم
على الاسرة لم تمسسهم النار
قال النبى له : تقتلك شرذمة
سيطت لحومهم بالفجار فجار
فاليوم يعرف أهل الشام أنهم
أصحاب تلك وفيها النار والعار

ان عمار بن ياسر جمع بين شجاعة القلب والنفس وقوة اليقين ، فلم يرهب فى سبيل دينه اية قوة ، مهما تكن هذه القوة ، وذلك يتضح مما اسلفنا من مواقفه ، كما يتضح من توديعه لابى ذر الغفارى حينما نفاه عثمان ابن عفان رغم أوامر عثمان بألا يصحب ابا ذر احد فى سيره وتشييعه .

رحم الله عمارا ورضى عنه بقدر ما بذل لدينه من جهد ودم وروح وحب للنبى صلى الله عليه وآل بيته .

ايديال تغزو الاسواق العالمية
بتصدير ثلاجاتها الكهربائية
ايديال
IDEAL
ايديال تصدر ثلاجاتها الى :-
العراق تشيكوسلوفاكيا يوغوسلافيا
عدن السودان الكويت
البحرين قطر السعوديه
الاردن ،
غزة

العقاد يكشف نفسه قبل أن يموت

الدكتور جمال الدين الرمادي

فى الايام الاخيرة قبل ان يودع الاديب الكبير عباس محمود العقاد الحياة ، دفع الى المطبعة احد كتبه التى كشف فيها نفسه وجلا فيها سره ، واعنى به كتاب « انا » .

وهو مجموعة من المقالات التى كتبها عن حياته النفسية والشخصية ، وفى هذا الكتاب تتراءى لنا صورة هذا الاديب العملاق تبهر العين وتسلب العقل وتختلب الفؤاد .

ومن بين دفتى هذا الكتاب النفيس نستطيع ان نستشف روح هذا الاديب الاسلامى الكبير التى قلما يجود بمثله الزمان . وهو الضنين بالرجال كما تجود الصخرة بالماء الزلال !.

ومما نحمد الله عليه ان اساتذته جميعا قد اختارهم بنفسه ، ولم يفرضهم عليه احد يملك سلطة التعيين والفصل لانهم كانوا جميعا مؤلفين مشهود لهم برسوخ القدم فى صناعة التاليف يقرا منهم مايشاء ويعرض عمن يشاء ، ويطلبهم حين يريد وحيث يريد

والعقاد ظل طوال حياته لاينكر فضل اساتذته الذين اختارهم عليه ، ومنهم الامام محمد عبده الذى يعتقد انه اعظم رجل ظهر فى مصر وما جاورها منذ خمسة قرون

وقد راقه ان يقتدى به فى غيرته على الحق ونجدته للضعيف وقلة اكتراثه للقيل والقال ، وقد اطلع على معظم ماكتب فى شئون الدين والدنيا .

غير ان العقاد اعجب بخلقه فوق اعجابه بعلمه - فان الاقتداء بخلقه نافع على حد تعبيره لكل انسان كائنا ماكان مذهبه فى الدراسة والتفكير .

وهو مدين بخطته فى السياسة الوطنية لاعجابه بالشيخ محمد عبده ومريديه .

وكان والد العقاد قد اختار له استاذا يتتلمذ عليه قبل ان يملك العقاد الحرية فى اختيار اساتذته لتكوين ثقافته وتكوين افكاره .

وهو الشيخ احمد الجداوى ، وكان احد ابناء اسوان وحضر العلم فى الازهر وزامل الامام محمد عبده على ايام السيد جمال الدين ففتح بيته الواسع لالقاء الدروس الدينية والادبية .

وكان من اوسع العلماء محفوظا فى الشعر والنثر ، ويطارح وحده خمسة او ستة من القضاة والمدرسين والادباء .

كما كان يحفظ مقامات الحريرى والهمذانى ويلقيها احيانا موقعة مفسرة ، ولم يكن مجلسه كله مقامات ودروسا ومطارحات بل كان من طرائفه أنه يعرف العاب الحواة ، ويبتدع الملح والنكات .

وكان الشيخ الجداوى مولعا بشيخ معمر جاوز الثمانين اسمه « علوب » لايفتا يناوشه ويستثيره ويحرك غيظه ليستمع الى ردوده الساذجة التى لايبالى فيها بكبير ولا صغير

وكان استاذ عباس العقاد فى اللغة العربية هوالشيخ فخر الدين محمد الدسناوى وكان يعرض كراساته التى يكتب فيها موضوعات الانشاء على كبار الزوار لمدرسة اسوان .

وكان كبار الزوار لهذه المدرسة اكثر عددا واعظم شانا من كبار الزوار لمدارس القطر كله - لان اسوان كانت قبلة العظماء والكبراء من جميع الارجاء فى موسم الشتاء

واطلع الاستاذ الشيخ محمد عبده على احدى هذه الكراسات فقال : « ما اجدر هذا ان يكون كاتبا »

وقد عبر عباس محمود العقاد عن ايمانه فقال انه يؤمن بالله وراثة وشعورا وبعد تفكير طويل

اما الوراثة فلانه قد نشا بين ابوين شديدين فى الدين لايتركان فريضة من الفرائض اليومية وفتح عينيه على الدنيا وهو يرى اباه يستيقظ قبل الفجر

ليؤدى الصلاة ويبتهل الى الله بالدعاء ولا يزال على مصلاه الى مابعد طلوع الشمس ، فلا يتناول طعام الافطار حتى يفرغ من اداء الفرض والنافلة وتلاوة الاوراد

كما راى والدته فى عنفوان شبابها تؤدى الصلوات الخمس وتصوم وتطعم المساكين ، وقلما ترى النساء مصليات او صائمات قبل الاربعين .

وندر من اقاربه من لايسمى باسم من اسماء النبى وآله سواء منهم الرجال والنساء او من اسماء الانبياء على العموم .

اما الايمان بالشعور فذاك ان مزاج التدين ومزاج الفن يلتقيان فى الحس والتصور والشعور بالغيب وربما كان وحى الحياة شعبة من وعى الكون او من الوعى الكونى الذى يتعلق به كل شعور بعظمة العالم وعظمة خالق العالم .

اما الايمان بالله بعد تفكير طويل فخلاصته ان تفسير الخليقة بمشيئة الخالق العالم المريد اوضح من كل تفسير يقول به الماديون .

وما من مذهب اطلع عليه من مذهب الماديين الا وهو يوقع العقل فى تناقض لاينتهى الى توفيق او يلجئه الى زعم لايقوم عليه دليل .

وقد يهون معه تصديق اسخف الخرافات والاساطير فضلا عن تصديق العقائد الدينية وتصديق الرسل والدعاة .

فالقول بالتطور فى عالم لا اول له خرافة تعرض عنها العقول لان ابتداء التطور يحتاج الى شىء جديد فى العالم وحدوث التطور بغير ابتداء تناقض لايسوغ فى اللسان فضلا عن الفكر او الخيال .

والقول بالارتقاء الدائم من طريق المصادفة زعم يهون معه التصديق بالخرافات وخوارق العادات فى تركيب الاجسام او الاحياء .

وقد ذكر العقاد انه الف كتابا عن الانبياء فكتب عبقرية محمد وعبقرية المسيح وابى الانبياء ابراهيم

وقد تبين من دراسة تاريخ النبوات ان انبياء الاديان الثلاثة الكبرى وهى الموسوية والمسيحية والاسلام قد ظهروا فى الشرق الاوسط بين الامم السامية .

وتفسيره لذلك ان النبوة لم تكن لتظهر فى بلاد الدول المتسلطة لانها تخضع فى شرائعها وآدابها لقوانين السلطان وعرف الكهان ، ولم تكن لتظهر فى الصحراء لانها تخضع لقوانين الثار والعصبية ولكنها تخضع لبيئة تجمع بين احوال الدولة واحوال البادية وهى مدينة القوافل .

وان مدينة القوافل تعرف المعاملات العامة والمصالح المختلفة والشرائع التى تقوم على حقوق المتقاتلين غير مقيدين بسياسة لسلطان ولا بعصبية لقرابة .

وفى هذه البيئة تتهيا الاحوال النفسية والاجتماعيه لظهور هذه الاديان ودعاة الاصلاح والانصاف من الرسل والانبياء .

ولهذا ظهر ابراهيم فى مدينة القوافل بين « اور » فى الفرات وبعلبك فى سوريا وبيت المقدس فى فلسطين

وظهر موسى فى مدين وما حولها وظهر المسيح فى الجليل ثم فى بيت المقدس

وظهر نبى الاسلام محمد الرسول صلى الله عليه وسلم فى مكة بعد ان ظهر انبياء العرب حيث تقوم العلاقات وسطا بين شريعة الدولة وشريعة البادية .

وقد عشق اديبنا الراحل القراءة عشقا عظيما ، وترك لنا مكتبة ادبية ضخمة تعتبر من انفس المكتبات الخاصة فى العصر الحديث ، اذ انفق على اقتنائها كل ثروته ولم يكن يضمن بحال فى سبيل الحصول على احدث ثمار المطابع العربية والغربية حتى ان ايراده كان ينفقه فى هذا السبيل

ويقول العقاد ان الشاعر القديم قال فى شعره .

ومن وعى التاريخ فى صدره
اضاف اعمارا الى عمره

بيد ان اضافة اعمار الى العمر فى نظر العقاد ليست بالشىء المهم الا على اعتبار واحد وهو ان يكون العمر المضاف مقدارا من الحياة لا مقدارا من السنين اومقدارا من مادة الحس والفكر والخيال لا مقدارا من اخبار الوقائع وعدد السنين التى وقعت فيها ، فان ساعة من الحس والفكر والخيال تساوى مائة سنة او مئات السنين ، ليس فيها الا انها شريط تسجيل لطائفة من الاخبار وطائفة من الارقام .

فالعقاد يحب الكتب لان حياة واحدة لاتكفيه . ومهما اكل الانسان فانه لن ياكل باكثر من معدة واحدة . ومهما يلبس فانه لن يلبس على غير جسد واحد ، ومهما يتنقل فى البلاد ، فانه لن يستطيع ان يحل فى مكانين .

ولكنه بزاد الفكر والشعور والخيال يستطيع ان يجمع الحيوات فى عمر واحد ويستطيع ان يضاعف فكره وشعوره وخياله كما يتضاعف الشعور بالحب المتبادل وتتضاعف الصورة مرآتين .

وقد عاش العقاد منطويا على نفسه عاكفا على كتبه ، وورث طبيعة الانطواء من ابيه وامه فلم يمل الوحدة وان طالت بغير قراءة او تسلية . كان يقضى الايام على حدة حيث يتعذر على الآخرين قضاء الساعات واللحظات ولم يخلف له هذا الانطواء عقدا نفسية كما يدعى البعض لان كل انطواء ليس كبتا للنفس او كتمانا لسر من الاسرار الخفية .

وهناك فارق بين السكوت خشية من الكلام ، السكوت لانك لاترى حاجة الى الكلام !

وقد عاش العقاد لايحس التناقض بين الانطواء الاستراحة من آفات الكتب والعقد النفسية .

ويغلب على المنطوين انهم لا يالفون الناس بسهولة ، وكان العقاد واحدا من المنطوين فى هذه الخصلة بيد ان الالفة التى كانت تصح بينه وبين احد من اخوانه لم تكن تنقطع فالحلاق الذى عرفه منذ ثلاثين عاما ظل هو الحلاق الذى عرفه حتى توفى ، والطاهى الذى عمل عنده فى سنة خمس وعشرين ونحوها هو الطاهى الذى كان يعمل عنده فى سنة خمسين او احدى وخمسين

بل انه ظل فى مسكنه منذ اربع وعشرين سنة حتى فاضت روحه الى بارئها بين جدرانه وهو يحمل له ذكرى كفاحه ، وايام سرائه وضرائه .

الأزهر بين القديم والحديث

أو بين الحلقة والمدرج

فضيلة الشيخ أبو الوفا المراغي

لم تأخذ جامعة فى الدنيا حظا من الشهرة والخلود كما اخذ الازهر ، فقد طبقت شهرته الآفاق شرقا وغربا وطوى من العمر أكثر من ألف عام وحظي تعليمه ومتعلموه بثقة المسلمين فى أنحاء العالم ، وهو دون معاهد التعليم الاسلامى فى جميع البلدان الاسلامية قبلتهم في شئونهم الدينية ، ورأيه القول الفصل فيما ينوبهم من نوازل واحداث .

ولم يأخذ الازهر هذه الشهرة وتلك الثقة اعتباطا ومصادفة بل اخذها بتجاربه العلمية ونظمه الدراسية التقليدية ، فللأزهر نظم دراسية خاصة يمارسها التعليم وما زال يمارسها فى تحوير خفيف ، وقد كان نظام الحلقات اساس التعليم فى الأزهر وهو أن يجلس الاستاذ بجوار عمود من أعمدته ويجلس الطلاب أمامه فى حقلة حسب ترتيب حضورهم يستمعون ما يلقى اليهم من المواد فى حرية كاملة في المناقشة وفى الزمن لاينقلون من مسألة الى اخرى الا اذا وعاها الطلاب وفهموها واقتنع الاستاذ بفهمهم اياها لايقيدهم فى ذلك وقت ، وقد تستغرق المسألة ساعة أو أكثر فلايضيق الاستاذ بطلابه ولا يضيقون به، وكان مكان كل منهم من شيخه حسب نشاطه العلمى وسلوكه الخلقى ، وكان الاستاذ يستصحب معه كتابه الذى يلقي منه الدرس وكان الطلاب يستصحبون كتبهم كالاستاذ أيضا يقابلون عليه فى قراءته لمراجعة ما انتهى بحثه من المسائل ، وكان عدم استصحاب الطالب للكتاب أمارة التهاون بالطلب والانصراف عن التحصيل وكثيرا ما كانت تقع الجفوة بين الاستاذ والطالب لهذا السبب ، ولم تكن هناك نظم تربط الطالب باستاذ خاص فى المادة بل كانت الشهرة العلمية للاستاذ هى التى تربطهم به ، وكان من المناهج الدراسية التقليدية الا يحضر الطالب لحلقة الدرس الا اذا ذاكر فى المساء الدرس لذى سيلقيه المدرس فى الصباح ليستبين مواطن التوقف والصعوبة فيه حتى يكون التقاؤه بالمدرس فرصة لحل الغامض وتفسير المشكل وتستقر المعلومات واضحة فى اذهان الطلاب .

وكانت الدراسة فى الأزهر علي مراحل تقليدية توحى بها طبيعة العلوم وتصنيف الكتب فالطالب فى مراحل دراسته الاولى يقرا الكتب المختصرة والمبسطة التى تتضمن المواد الأولية فى المادة ثم ينتقل منها الى ما فوقها تدريجيا حتى يبلغ المرحلة العالية وكذلك كان الطالب يدرس المواد على مراحل فيبدأ بدراسة المواد السهلة ثم ينتقل الي المواد الصعبة التى تحتاج الى جهود عقلية أكثر من سابقتها ، فكان لا يبدأ بدراسة التفسير مثلا الا فى المراحل المتوسطة او الثانوية ولا يبدا بدراسة علم الأصول الا فى المرحلة العالية نظرا الى ما يحتاج اليه هذا العلم من دراسات تمهيدية فى المنطق والفقه والحديث والتفسير ، فاذا تم الطالب دراسته على هذا النهج وآنس فى نفسه الكفاية العلمية جلس فى حلقة التدريس للطلاب فاذا فهموا منه وصمد لهم فيما ناقشوه من المسائل فى اقناع ورضى عنه الطلاب ومن حضر من العلماء كان ذلك بمثابة النجاح ومنحه شهادة علمية يصبح بعدها عالما يتصدى للتدريس والافتاء ويأخذ

مكانه بين العلماء وإذا انفضوا من حوله وانصرفوا عنه الى غيره كان ذلك حكما عليه بالفشل والاخفاق هكذا كان نظام الدراسة فى الأزهر ، حرية الطالب فى التلقى على من يشاء من العلماء ، وحريتـه فى المناقشـة مع الاستاذ فى حدود التقدير والاحترام ، ورغبة الطالب الملحه فى تحصيل العلوم ، وصبره على مشاق الطلب وشظف العيش أحيانا ، وعلى هذا المنهج العلمي خرج الأزهر افذاذا من العلمـاء قامت على كواهلهم مسئولية الحفاظ على التراث العلمى ومسئولية نشر الرسـالة الاسلامية واسهموا بحظوظ موفورة فى النشاط الفكرى والادبى والوطنى ، وفى كل مجال من هذه المجالات نجد أعلاما من الازهر اخذوا مكان الصدارة منـه ولا نحاول ان نعد منهم ، فكل أديب وكل مفكر وكل وطنى فى مصر وغيرها يعرف لهؤلاء آثارهم ومناقبهم .

وقد عرف الأزهر قبل أن تعرف الجامعات نظـام الاستاذ الزائر واستقبل فى رحابه علمـاء من المشرق والمغرب قضوا به فترات يحاضرون طلابه وينقلون اليهم ألوانا من معـارفهم وتجاربهم . استقبل الفارابى ويقال انه درس به الموسيقى واستقبل ابن خلدون ودرس به مواد مختلفة واستقبل عبـد اللطيف البغدادى وكان يدرس به صباحا ومساء واستقبل ابن خلكان ودرس به واستقبل الشنقيطى ودرس به اللغة والحديث واستقبل غيرهم وأفاد من ثقافاتهم وتجـاربهم ، واتخـذ طابع الجامعات العالمية فاجتذب اليه الطلاب من كل صوب لا يفرق بين لون ولون ولا بين جنس وجنس واستتم الازهر كيانه كجامعة منذ عهد قديم فكان له الي جانب الحلقات الدراسـية المختلفة مكتبة حافلة بشتى أنواع الكتب تسد حاجة العلماء والطلاب من المراجع فى وقت كانت الكتب فيه ذات قيمة علمية ومادية لندرتهما واعتمادها على الكتابة والنسخ قبل ان تعرف الطباعة كما استكمل مظاهر الجامعات شاروقته التى اعـدها لطـلابه يسـكنون فيها بالمجان وتقدم لهم فيها المعونات العلمية والمـادية قبل أن تعرف الجامعات المدن الجامعية .

هذه صورة مصغرة لحال الأزهر القـديم واسلوب التعليم فيه ، وقد خضع الازهر لتيـارات التطـور فى أواخر القرن الماضى وأثناء هذا القرن وظلت تتـوالي عليه قوانين التطور فتطور على غير رضـا من أرباب النظر والتجربة من علمائه احيانا وتنقلت الدراسة فيه من الحلقة الى الفصل ثم الى المدرج وهجر الطـلاب ساحته الى المبانى الجديدة التى انشئت له وقسمت الدراسة العالية فيه بمقتضى قانون سـنة ١٩٣٠ الى كليات ثلاث تابعة لمشيخة الجامع الأزهر ثم كانت نهاية التطور بقانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ وأصبح التعليم العالي بالأزهر جامعةمستقلة لها مدير خاص بهاوانشئت الى جانب الكليـات الثلاث كليـات للطب والهندسة والزراعة والتجارة وكلية خاصة بالبنات وفى القـانون ما يسمح بانشاء كليات اخرى غير هذه .

والذى يتحدث عن التعليم فى الأزهر قديما وحديثـا ويحاول أن يعقد المقارنة بين التعليمين فيه ينبغى أن يضع فى الاعتبار ان المقارنة انما تكون بيين التعليم القـديم في الأزهر والتعليم الحديث فى كلياته الثـلاث التى يعرف بها الأزهر وتقوم عليها رسـالته ، وهى كلية الشريعة وكلية أصول الدين وكلية اللغة العربية ، اما كليات الطب والهندسة والزراعة فلا مجـال لهما فى المقارنة والمقارنة بين مناهج هذه الكليات الثـلاث هى المواد العقلية والدينية واللغوية التى تقوم عليهـا رسالة الأزهر والتى يكون خروجه عنها خروجا به عن رسالتهوكل ما يمكن أن تخضع له هذه المناهج من تغيير هو اضافة بعض المواد التى تدعو اليها ضرورة الدعوة الاسلامية تبعا لروح العصر ، وتهذيب مايمكن تهذيبه من الكتب ، وتطويل او تقصير فترات الدراسة ، وتهذيب أسلوب التدريس ونحو ذلك مما لا يمس مواد الدراسة وجوهر التعليم ، والتطوير الذى نال الأزهر فى كلياته الثلاث تطوير شكلي لا خطر منه على المواد الاساسية التي تقوم عليها رسالة الأزهر .

ورغم ذلك توجس المسلمون خيفة من هـذا التطور واستغل اعداؤنا فى الخارج صدور قانون الازهر الاخير وأخذوا يصورونه تصـويرا خاطئا يتفق واهدافهم الخبيثة . وكانت لفتة حكيمة من السيد جمال عبد الناصر رئيس الجمهوريه ان يتفق بانشاء القسم العالى فقد افسد بهذه الفكرة خططهم واغلق عليهم طـريق الارجاف والدعاية الكاذبة وأعاد الى النفوس المشفقةعلى الأزهر فى مصر وغيرها الرضا والاطمئنان . والحق أن الأزهريين والمسلمين عامة غمرهم شعور الغبطة والفرح بانشاء القسم العالى وخاصة حين قضى قرار انشائه ان يكون امتدادا للازهر القديم فى صورته المألوفة لديهم في المواد الدراسية وفى طـريق دراستها وفى مكان الدراسة ، حيث جعـل الأزهر مكان الدراسة لهـذا القسم مقرالأزهر بالعلمـاء والطـلاب وعادت اليه حلقاته بعد أن انفرطت عقودها فترة كانت مثار الاسى والحسرة لكثير ممن يتردد على الازهر من المصريين والاجانب . ولقـد عبر السيد مدير جامعة الازهر بما كان يساور نفوس المسلمين من قلق على مصير الأزهر وعن فرحتهم بعودة الدراسة فى كلمـة الاحتفـال بافتتـاحه فقـال : « انه ليسرني ان أعلن اليـوم انه من طـلائع اليمن بين يـدى انتخـاب الرئيس جمـال عبد الناصر رئيسـا لجمهوريتنا العزيزة ان يؤذن بعودة الدراسة العربيةالاسلامية فى الجامع الازهر الشريف بعد أن كان هذا الجامع قـد اقفر من حلق الدراسة زمنا كان اثقل علي صدور المسلمين من الليل الطويل على صدر الخائف المكروب ، ولقد تجلت من قبل ان الجامع الأزهر هو ابو جامعة الأزهر والجامعة بغير الجامع جامعة يتيمـة ، فأما اليوم وقد أذن لابيها أن يحيا من جديد واننا بلا ريب نجد ريح السعادة من كل مكان » وكان من المزايا التي تضمنها قرار انشـائه فى مادته الخامسة أن يقبل فى هـذا القسـم الطلبة الحاصلون على الشهادة الثانوية الأزهرية او ما يعادلها من الشهادات الثانوية الأزهرية وغيرهـا وكذلك من يستطيعون متابعة الدراسة فيه من مبعوثى الـدول الاسلامية بعد امتحان خاص بجربه القسم » وبهذا النص اتيحت فرصة الالتحـاق به لمن يرغب فى التزود من العلوم الدينية ، وقد أقبل عليه كثير من ابناء المعاهد غير الأزهرية وانخرطوا فى حلقاته الدراسية يضمون الى معارفهم الدنوية الوانا من المعارف الدينية - يستكملون بها شخصياتهم ويشبعون رغباتهم وتهيىء الكثير منهم أن يكونوا روادا ومرشدين فى مصر وغيـرها من البلدان الاسلامية .

وانشاء هذا القسم على هذا الوجه تجـربة علمية جديدة يرقب المسلمون ثمارها ويستشرفون الى نتائجها وان تجربة علمية دينية تحوطها عناية السيد احمد عبده الشرباصى نائب رئيس الوزراء لشئون الأزهر الـذى يفيض قلبه ايمانا وغيرة على الاسلام وتحظى باهتمام السيد أحمد الباقورى مدير جامعة الازهر وابن الازهر ستبلغ غايتها من النجاح ان شاء الله .

الأزهر بين القديم والحديث

الأستاذ
عطية صقر

من اول يوم افتتحت فيه الدراسه بالازهر فى القرن الرابع الهجرى بدرس القاه ابو الحسن بن النعمان فى فقه الشيعة الى ان صدر قانون تطوير الازهر سنة ١٩٦١ والقوانين المتتابعة تتناول هذا المعهد بالتعديل والتطوير ، فى المناهج والكتب والامتحانات والوظائف والادارة وغيرها . وهو فى كل طور من اطوار التاريخ التي مرت به عبر القرون العشرة كان يؤدي دوره فى حقل الثقافة الدينية والعربية وفى حقل الثقافة الدينية والعربية وفى حقل السياسة الوطنية ، ولم يتوان عن اداء هذه الرسالة طوال حياته الا فى فترة الضعف التى عانت منها كل المرافق فى ايام الحكم العثمانى لمصر ،

ان المقياس الصحيح الذى يقاس به اى معهد فى قيامه بواجبه يجب ان يعتبر فيه معالجته للقضايا العلمية ومشاكل الساعة ، واستعمال الاسلوب المناسب للعصر المتطور مع تطور الفكر ليكون فى مجال المجتمع يعيش مع احداثه ويفكر باسلوبه ، وينعكس تفكيره على منهج الحياة ، ويحفظ للمستقبل تراث الماضى . ويسلمه اليه مع خبرة الحاضر فى امانة ودقة واخلاص .

والازهر حين اسس لم يكن الغرض منه فقط اداء الشعائر الدينية واقامة الاحتفالات الرسمية ، بل ليكون مع ذلك مدرسة تثقيف للشعب ونشر لمذهب الدولة الحاكمة ، وقد كانت الدولة المؤسسة له شيعية فى عقيدتها وفكرها واسلوبها فى الحياة . وقد وفدت بذلك على ارض مصر التى كانت تدرس فيها الثقافة الاسلامية الاولى فى مسجد عمرو بن العاص واحمد بن طولون ، ويقوم بهما خيرة العلماء من التابعين وتابعى التابعين .

وقد استطاعت الدولة الفاطمية بنفوذها الرسمى وباغداقه النعم على رواد الازهر ان تشجع الطلاب على الاقامة فيه وتلقى العلم على شيوخه . وقد امكنها ان تصنع فى عينها جماعة كانوا هم الطليعة والرواد لنشر المذهب الاسماعيلى ، كان ذلك فى سنة ٣٧٨ وعددهم ٣٧ تحت اشراف يعقوب بن كلس .

والازهر وان كان قد انشئ لهذا الغرض الا انه بعد انقضاء عهد الفاطميين تطور التعليم فيه ودرست العلوم والمذاهب الاخرى ، فعندما جاء الايوبيون بذلوا جهودا جبارة فى محو آثارهم والقضاء على مذهبهم لعلمهم ان العقيدة هى التى توجه السلوك وتنظم المجتمعات ، فانشاوا المدارس المختلفة لدراسة عقيدة اهل السنة والمذاهب الفقهية المختلفة ، وكانت اول مدرسة انشئت لدراسة الفقه الشافعى سنة ٥٦٦ بجوار جامع عمرو ، وعلى مقربة منها انشئت المدرسة القمحية لدراسة الفقه المالكى . غير ان هذه الجهود لم تصرف الناس عن الدراسة فى الازهر ، وكان العلماء الوافدون الى مصر يتشرفون بالقاء الدروس فيه كما فعل موسى بن ميمون الذى قدم الى مصر ايام صلاح الدين ودرس فى الازهر الرياضة والفلك والطب ، وكما فعل ايضا الخطيب البغدادى الذى القى فيه دروسا فى الكلام والمنطق والطب .

لقد استطاع الازهر ان يثبت وجوده رغم هذه المعارضات القوية ، وذلك لثقة الناس به لقدم عهده ، ولخروجه عن الدائرة الضيقة والغرض المحدد الذى انشئت من اجله المدارس الحديثة ، القائم منهجها على التخصص فى الوقت الذى سمح الازهر فيه بدراسة كل العلوم وجميع المذاهب ومناقشتها بحرية كاملة . وكذلك لوفود الطلاب اليه من الاقطار المجاورة ومن الريف وتهيئة المساكن وتوفير اسباب الراحة لهم ، وذلك الى جانب الناحية الدينية والروحية التى يوحى بها المسجد والجامع ولا تتوفر فى المدارس .

لقد استطاع الازهر ان يثبت وجوده رغم هذه لهجرى . وبلغ ذروته فى القرن التاسع . وكان ذلك على اثر الحوادث العالمية وبخاصة ماكان يدور منها فى الاقطار الاسلامية . فكان زحف التتار على بغداد ، وحملات الصليبيين على دول الشرق واضطهاد الاسبان للمسلمين فى الأندلس ، عاملا من أهم العوامل لفرار الناس بدينهم ، يبتغون مأوى آمنا يجدون فيه العيش ويتمكنون فيه من اداء العبادة وتلقى العلم . وكانت مصر بأزهرها هى افضل مكان تحقق فيه هذه الرغبات وقد برز من العلماء فى هذين القرنين كثيرون منهم ابن دقيق العيد - ٧٠٢ هـ - والنويرى صاحب نهاية الادب - ٧٣٢ - وابن فضل الله العمرى صاحب مسالك الابصار ٧٤٨ - وتقى الدين السبكى - ٧٥٦ - والبلقينى - ٨٠٥ - والدميرى صاحب موسوعة حياة الحيوان ٨٠٨ - والقلقشندى صاحب صبح الاعشى - ٨٢١ - والمقريزى ٨٤٥ - وابن حجر - ٨٥٢ - وغيرهم

لقد كان الازهر فى هذا الوقت يدرس ثقافة العصر ويلم علماؤه بجميع العلوم الدينية والعربية وما يعيش معها من علوم الرياضة والفلك والطب والموسيقى ، وكان اتساع صدره لجميع العلوم والفنون يرجع الى طبيعة الدين الاسلامى فى حثه على تحصيل العلم ايا كان نوعه مادام يفيد المجتمع فى دينه ودنياه سواء ماكان منه متصلا اتصالا مباشرا بالكتاب والسنة فى العقيدة

والاحكام والاخلاق ام ماكان موصلا الى معرفة هذه الامور او معينا على تحصيلها وفهمها ، ولعل من الخير ان اذكر هنا آية سورة فاطر التى تقول « الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك ، انما يخشى الله من عباده العلماء » .

ولحث الاسلام على العلم بكل الوانه كان العالم اذا الف كتابا ضم فيه ما استطاع من انواع العلوم ، واذا تصدى للتدريس استطاع ان يبرز فى كل علم ، ذلك الى حرصهم على جمع شتات العلوم بعد النكبة الشاملة التى ضاعت بها الكتب الثمينة فى هجوم التتار على بغداد .

ان اسلوب الدراسة فى تلك الايام كان يقوم على نظام الحلقات ، يجلس الاستاذ بجانب عمود بين الطلاب المتحلقين حوله ، وقد يعد له كرسى يجلس عليه ليشرف على الحلقة ، ثم يبدا درسه متبركا بالبسملة وحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله وقراءة بعض الآيات او الاحاديث ، وكان اول امره هو الاملاء الذى يدونه الطلاب ثم يراجع بعد ذلك لاعتماده ، ثم جاء نظام القراءة من الكتب ومناقشة مسائله بين الاستاذ والطلاب فى حرية ورحابة صدر ، مع استعداد الطلاب قبل حضور الدرس بمطالعته وفهمه بقدر المستطاع ليكون دور الاستاذ هو توضيح ماغمض وحسم النزاع فيما يختلف فيه . كان الطالب حرا طليقا يختار من المشايخ من يانس اليه ويثق فيه ، ومن الكتب مايوافق اتجاهه ويرضى طموحه ، وكانت هذه فرصة تحفز الاستاذ على الاجادة ليكسب ثقة الطلاب وتكبر حلقته ، وتمكن الطالب من الافادة من قدرات المشايخ وكفاياتهم المختلفة . لم تكن هناك سنوات محددة ينتهى فيها التحصيل فالعلم لا حدود له ، غير أن من كان من الطلاب يانس فى نفسه الكفاية ويتوق الى الجلوس مجلس المعلم يعلن ذلك بين اصحابه واخوانه وبين الشيوخ فتعقد الحلقة ويتصدى هو للتدريس مع المناقشة الحامية فى المسائل التى تطرح اليه ، فان ثبتت جدارته منح حق التصدر للتدريس . وكان يجاز بذلك من الشيوخ بعد الاطمئنان الى كفايته .

وجد العلم ارضا خصبة فى الازهر ايام المماليك خصوصا بعد ضعف المدارس وتدهور الفكر وقلة الاقبال على العلوم غير الدينية والعربية ، غير انه فى اواخر القرن التاسع الهجرى حدث بين جدرانه ركود علمى لانصراف الناس عن العلوم العقلية والفلسفية على اثر فتوى لبعض العلماء - كابن الصلاح - بتحريم الاشتغال بها وفى هذا الوقت الذى قلت فيه كمية العلوم ، واصبح الازهر وحده هو المأوى الذى تأرز اليه الثقافة ، ولتوفر الوقت الكافى للدراسة وتهيئة وسائل العيش والاقامة وجد ميل كبير للتدقيق فى كل مايقرا ويدرس ، فيصرف الوقت الكبير لفهم مسألة واحدة او حل معنى لفظ او كشف السر عن حرف بين كلمتين ، كما وضعت الفروض واقترحت الاجابات ، وسبح الخيال بالمتعلم والمعلم على السواء الى آفاق واسعة بعيدة للبحث فى مسائل لاتمت الى الواقع بصلة . فى الوقت الذى كان الغرب فيه يسير بخطا واسعة نحو النهوض بالكشف والاختراع والعمران . ومصر تغط فى نوم عميق ومعها العالم الاسلامى الذى لم يشا أن يلاحق ركب النهضة الاوربية نظرا للعداء التقليدى بينه وبين الغرب وعدم ثقته بحضارته وعلومه ، لقلة وسائل الاتصال فى العالم اذ ذاك . ومن هنا بقى الازهر بعيدا عن مجال التطور ، حتى قام بعض من احرار الفكر ينعون عليه هذا الجمود ويدعون الى الاخذ بالثقافات الاخرى لحاجة الدين والعصر اليها ، فبدا التفكير فى تطويره ووضعت القوانين المتلاحقة التى كان آخرها ماصدر فى عهد الثورة سنة ١٩٦١ .

لقد خرج الازهر من عزلته ، وزادت كمية العلوم التى تدرس فيه ، وقد راى اولو الامر ان ذلك قد يقطع صلته بالماضى ويؤثر على الكتب القديمة التى تحمل نفائس الفكر الاسلامى ، ويقضى على الاسلوب التقليدى الذى عرف به منذ نشاته والذى اخذت به كبريات الجامعات فى العالم ومازالت تحافظ عليه فقرروا انشاء قسم للدراسات الاسلامية والعربية على النظام الازهرى القديم فى علومه وكتبه واسلوبه .

والحق ان المجتمع اذا كان محتاجا الى كميات وافرة من العلوم المعاصرة فهو فى حاجة ايضا الى الاحتفاظ بتراثه القديم واسلوبه التقليدى . والحاضر مبنى على اساس الماضى ، وبينهما علاقة وثيقة ، وللحلقات التى اعيدت الى الازهر فوائدها الضخمة ، فهى تهيء للدارسين جوا روحيا عظيما فى رحاب المسجد يوحى بالاقبال على العلم والاخلاص فى طلبه والحرص على الافادة كاستجابة لامر الله وتقرب اليه ، وهى تعين الطالب على تادية الشعائر الدينية وعلى الربط بين العلم والعمل والنظرية والتطبيق والمعرفة والسلوك . وتعود الطالب دقة البحث وعمق الفهم ، التى تظهر بالتالى على منطقه وكتابته ومعالجته للامور . فيها حفاظ على التراث الاسلامى الاول الذى يزخر بالكنوز العلمية الثمينة ، ومن المؤسف ان المستشرقين توافروا على كتبنا التى زهدنا فيها وخرجوا منها بدراسات قيمة ناخذها عنهم وكنا اجدر بان نصدرها اليهم ، ومن المؤلم ان بعض كتابنا يشيدون بهؤلاء العلماء ويقدرون بحوثهم فى الوقت الذى يرمون فيه بالجمود والتاخر من يعنى من المسلمين بدراستها والحرص عليها ان المستشرقون - وبخاصة المغرضون منهم - يخرجون من دراساتهم لتراثنا بافكار خاطئة يشوهون بها ديننا وثقافتنا ونحن ازاء جهلنا بها لانستطيع ان نصحح اخطاءهم ولا نرد على افتراءاتهم لانقطاع الصلة بيننا وبين الكتب التى لايفهمها الا من تخرجوا فى مثل هذه الحلقات الازهرية ، ومن هنا كانت هذه الدراسات من الفروض الحتمية على المسلمين

وبعد فان هذا اللون من الدراسة يضمن لمصر بقاء زعامتها للعالم العربى والاسلامى ، وتجعل الازهر قبلة انظار طلاب المعرفة الدينية الصحيحة ، فالعلوم الاخرى قدر مشترك بين جميع الاقطار ويمكن الحصول عليها فى اى بلد من البلاد ، اما هذه الدراسة الازهرية التقليدية فهى التى تجذب المسلمين اليها ، وسيبقى بها الازهر مقرا لهيئة امم متحدة اسلامية تضم وفودا يمثلون الجنسيات المختلفة يحملون من مصر الى بلادهم مشاعل النور والمعرفة ورسالة الوحدة والاخوة الاسلامية الجامعة ، ويا حبذا لو اقبل الطلاب على هذه الدراسة بدافع المعرفة لا بدافع الكسب المادى ، ويا حبذا لو اعادوا لنا الصورة الاولى لحلقات العلم بالزى العربى الجميل الذى يضفى عليهم مهابة وجلالا تجعلهم موضع التقديس والاحترام وتحملهم على التزام الجادة والاخلاص فى العلم والعمل ، بارك الله هذا العمل الجليل واثاب كل من اسهم فى نجاحه اجزل الثواب آمين

الأزهر بين ماضيه وحاضره

الدكتور أبو بكر محمد ذكري

قد يتراءى لغير المدققين فى وقائع التاريخ ان اعداد المساجد لغير العبادة والتعاليم الخاصة انما هو من مقتضيات العصور الحديثة التي يضطرها التوسع فى نشر الدعوات السياسية والاجتماعية الى استخدام كل ما يمكن استخدامه من المرافق والمؤسسات .

والواقع ان أول مسجد - جامع - عرف فى الاسلام هو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فى المدينة كان يجمع من الاغراض الاجتماعية مالا يكاد يعرف فى مسجد من مساجد هذه العصور .

كان مكانا للعبادة ، وكان مؤسسة للتعليم . وكان ملجأ للفقراء والمعوزين الذين لا دار لهم فى المدينة ولا مهنة يتعيشون منها ، كانوا يدعون اهل الصفة ينامون وياكلون فى المسجد ، وكان دارا للقضاء تعرض فيه القضايا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مالم يكن لها من السرية مايستدعى عرضها فى مكان خاص ، وكان دارا للتشاور فى شئون الحرب وجمع المعونات لتمويلها والنظر فى كافة شئونها ، وكان مكانا لندوات الشعر والادب والانشاد ، كان دارا للشورى هى الشئون العامة كما تعرف اليوم فى مجلس الامة وكان دار استقبال الوفود الوافدة لاعلان الاسلام او للمناظرات الدينية أو للمفاخرات او لطلب المعونات المالية عند اشتداد الازمات كما هو الشان فى وزارة التموين فى هذه الايام . وكان خزانة لجمع الاموال من الزكاة والخراج والتبرعات وتوزيعها على مستحقيها والوجوه التى هى بحاجة اليها .

ولما كانت الدولة الاسلامية اذ ذاك لاتزال نواة لم تنفصم فروعها ولم تتشابك غصونها ، ولم تتعقد مصالحها فقد كان هذا المسجد المحدود كافيا لجميع هذه الاغراض .

اما عندما تضخمت الدولة الاسلامية فى عهد الامويين والعباسيين والدول التى تفرعت حول دولهم فقد اخذت المجتمعات الاسلامية صورا اخرى وكثرت المؤسسات الخاصة لكثير من الشئون العامة .

ومع ذلك لم تفقد المساجد فى الاسلام على مر العصور ما لها من أهمية وأسبقية فى هذا المضمار لانها كانت ولا تزال اكثر المؤسسات ورادا وادومها عمرانا واحفلها بالالف والاقبال .

ومن اجل هذا قضت ضرورات الصراع السياسى أن تسارع الدولة الفاطمية بعد أن تاسست فى شمال افريقية ونقلت عاصمتها الى مصر ، الى تاسيس هذا المسجد العظيم ليكون مظهرا لسلطانها الدينى والسياسى والاجتماعى فبدأت العمل فيه سنة ٣٥٩ هـ سنة ٩٧١ م وفرغت من بعد عامين على التقريب ، واتخذت منه دارا عامة جامعة لنشر العلم والتعليم .

اما سبب تسميته « الجامع الازهر » فقيل : نسبة الى السيدة فاطمة الزهراء التى ينتسب اليها الفاطميون أصحاب الدولة التى شيدته . وقيل نسبة الى ازدهار المكان الذى يحيط به لروائه وجمال ابنيته .

واذا كان اصحاب الدولة قد ارادوا من الازهر كمقصد أولى وأساسى أن يكون مهدا لنشر دعوتهم التشريعية مابين تعاليم علنية واخرى سرية ورمزية فقد كان ذلك سببا فى أن يمر الازهر بأزمات مختلفة فى عصور مختلفة

على كل حال جد ولاة الامور فى جعل الازهر أهم مكان لنشر التعاليم الشيعية الاسماعيلية وأقاموا للاشراف على توجيهها من كبار العلماء من يسمونه داعى الدعاة واحيانا كانوا يسندون اليه منصب قاضى القضاة فضلا عن منصبه الاساسى مع العلم بان منصب قاضى القضاة كان ارفع مناصب الدولة بعد الوزارة

وكان لداعى الدعاة مجالس خاصة بالنساء يحاضرهن فيها ويعلمهن اصول المذاهب الاسماعيلى . ولعل فيما رواه ثقاة المؤرخين ، فى ذلك ردا على بعض دعاة الجمود فى هذه العصور اذ يعتقدون ان تعليم المراة فى المؤسسات العامة خروجا على تعاليم الاسلام . وانه « فرنجة » مستحدثة لم يسبق لها مثال فى الاسلام . وليتهم كانوا من اهل العلم ليعلموا ان ذلك كان سابقة معروفة حتى من عهد النبى صلى الله عليه وسلم .

اما تمويل هذه المؤسسة الضخمة للقيام باغراضها العظيمة المتعددة فقد كان الركن الاكبر فيه ياتى من الاحباس الكبيرة التى يقفها عليه الخلفاء الفاطميون ، واهل البر من الاثرياء والكبراء . وكانت هذه الموارد الضخمة تنفق فى مرتبات المشرفين والخطباء والائمة والمدرسين وعلى فرش المسجد وانارته وصيانته ونظافته وحاجاته من المياه وفى غير ذلك من وجوه النفقات .

من طرائف هذه الموارد المالية حصيلة كبيرة كانت تسمى « مال النجوى » كان الاسماعيلية يسخون فى بذلها كلما تجمعوا السماع المحاضرات التى تلقى فى مجالس الدعوة ، ومع انها كانت تدفع تطوعا وبلا تحديد كالقروش التى يتبرع بها بعض المعلمين فى زماننا لصندوق المسجد فقد كان بعض الاسماعيلية يصل تبرعه الى ثلاثة وثلاثين دينارا . وعندئذ كان الخليفة يشرفه باعطائه رقعة مذيلة بتوقيعه وفيها يدعو الخليفة له بان يبارك الله فيه وفى ماله وولده ودينه ولعل تسمية هذه التبرعات بمال « النجوى » يبدو غريبا عند كثير من الناس . ولكن الغرابة تزول عندما نرجع الى نص قرآنى كان معمولا به ايام الرسول صلى الله عليه وسلم ثم

نسخ : « ياايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم » - الآية ١٢ من سورة « المجادلة »

وقد اهتم كثير من خلفاء الفاطميين بتطوير عمارة الازهر والحاق المؤسسات به لينهض بحاجات الناس اليه على اختلاف العصور كما اهتموا بتشكيل المجامع العلمية والدراسية والقرآنية واجروا على اهلها من العلماء والطلاب ارزاقا ومرتبات تتيح لهم التفرغ لوظائفهم .
ولم يلبث الازهر ان لقى اقبال المجتمع الاسلامى كله فى تعاون وتضحية وجهاد لرفع شانه وجعله القاعدة الاولى لحفظ تراب الاسلام الدينى والثقافى والاخلاقى
وأصبح مما يزيد فى مجد الحكام أن ينسب اليهم اصلاح يقومون به نحو الازهر حتى تطور من مسجد للعبادة وللدعوة الفاطمية الى اكبر جامعة علمية فى الشرق تدرس فيها العلوم الانسانية كلها مما عرف فى كافة الامم وجميع العصور .

وتبعا لتعاقب العصور اصبح الازهر الجامعة الاسلامية الاولى والقبلة الثانية بعد الكعبة ووارث امجاد جامعات العراق الاسلامية مابين بغداد والبصرة والكوفة وجامعات الاندلس التى لمعت فى العالم وانارت ظلماته عددا من القرون .

ثم شاء الله ان تنكمش النهضة الاسلامية الكبرى تحت تاثير عوامل ومؤثرات اجتماعية لايتسع المجال لتفصيلها ، وان يرجع الازهر القهقهرى ليصبح مجرد مسجد للعبادة والدراسات المحدودة الضيقة الافق فى العلوم الدينية واللغوية ، وان تتركز فيه هذه العادات والميول الى حد الحرص عليها واعتبارها ذات طابع قدسى لايسوغ مسه ولا اضافة اى تجديد اليه .

ولعل من انصاف الحقيقة ان نقرر ان الازهر حتى مع كل ما اصابه من تراجع ونكسات بقى الحصن الذى يحمى أصول الدين واللغة العربية والمثل الاسلامية العليا ويجاهد فى سبيل صيانة المقررات الاسلامية بكل مايملك من حول وطول وتتحطم حول بنائه هجمات الاستعمار وما معه من أسلحة الكفر والالحاد وأخلاق الانحلال .

وعلى الرغم من تطاول العصور على الازهر وهو يمارس مهمته التثقيفية الكبرى فقد سار على نظام الحلقات مايزيد على تسعمائة عام .

ولعل سر ذلك اولا هو أن نظام الحلقة كان النظام
رابعا : لاننا درجنا عصورا طويلة على اعتبار أن
المأثور من عهد معلم الاسلام الاعظم محمد صلى الله عليه
القديم يكتسب تقدمه وتطاول الزمان عليه نوعا من
ثالثا : لان نظام الحلقة هو الذى كان يناسب المساجد
حيث كان المسجد يعود الى حالته المعتادة بمجرد قيام
الاستاذ والطلبة وانصرافهم فتؤدى الفروض والصلوات
بلا عائق . من مقاعد او ادراج او شبهها . مما لايناسبه
الا بناء خاص مثل المعاهد والكليات .
وسلم على فارق ضئيل هو أن الحلقة فى عهده صلى الله
عليه وسلم لم يكن الاستاذ يجلس فيها على كرسى . ولا
بجوار عامود كما كان الشان فى الازهر بعد ذلك .
ثانيا : ان نظام الحلقة قليل التكاليف لايحتاج الى
أكثر من اختيار مكان من أرض المسجد الفسيحة وفوق
فرشه المعتاد دون اى تكلف .
نظام أعظم الجامعات وارقاها منهجا وافسحها ميدانا

القدسية والاحترام فى نفوسنا دون شعور منا بسبب ذلك ولا بعلته .

على كل حال كان العلماء المدرسون يختارون اماكن يجلسون فيها على كراسى من جريد أو الواح خشبية قليلة التكاليف ثم يحف بهم الطلبة فى شكل حلقات حسبما يختار كل استاذ لنظام حلقته . كذلك كان أسلوب المدرس في حلقته يقوم على الطريقة التى يختارها ويعتقد انها اوفى بالفائدة المطلوبة . فاحيانا يقرأ هو من الكتاب المقرر ثم يعقب بشرحه حسب النص ثم يعقب بمناقشة ماقد يكون فى المتن او الشرح من اخطاء ينبه الطلبة اليها ويناقشهم فيها حتى يتاكد له انهم او ان اكثرهم قد حصلوا على القواعد العلمية المطلوبة وفهموها حق الفهم . واحيانا يختار الاستاذ من بين الطلبة من يقرأ الدرس ملاحظا على قراءته مصححا ما قد يخطىء منه . ثم يقوم بالشرح وابداء الملاحظات ثم يختار من يعيد على الطلبة مايكون قد فهمه ليتناقش الجميع فى محصول الدرس .

ولما كثر الطلبة في الازهر والمساجد الملحقة به واصبحت المساجد لاتفى بحاجة العبادة والدراسة معها رؤى ان الاحفظ للنظام والاضمن للفائدة هو ان تخلى المساجد للعبادة وتاسس للدراسة معاهد خاصة على النظام الحديث وبالفعل بدىء بنظام الكليات على طريقة المقاعد والادراج وعمم النظام بالتدريج واصبح على احدث الطرق .

ولكن كان من اثر هذا النظام ان يتناسى الازهر الى حد أن اصبح على وشك ان ينسى تاريخه الحافل لولا قوافل الوافدين الى ربوعه الوفا من شتى اقطار العالم

ولعل من اظهر حسنات وزير شئون الازهر الحالى السيد أحمد عبده الشرباصى وحسنات مدير جامعة الازهر السيد أحمد حسن الباقورى تلك اللفتة الطيبة نحو الازهر وتاريخه حيث قرر ان تعاد صورة واضحة لذلك النظام التاريخى العتيد الحافل بالمآثر الخالدة فى صور محدودة تتجلى فى قسم دراسى خاص يسميه « القسم العالى للازهر » افتتح سنة ١٩٦٤ - سنة ١٩٦٥ دراسية واسند التدريس فيه الى كبار الاساتذة كما اسندت رياسته الى عالم كفء هو الاستاذ عبد الله المشد .

وسننتظر لهذا المعهد المبارك ان شاء الله نجاحا وتوفيقا ونعده من محاسن عهدنا الثورى العظيم .
ولقد شاء الله أن تنهض الامة العربية نهضتها المباركة بقيادة زعيم العروبة المظفر الرئيس جمال عبد الناصر منتصف هذا القرن وان يعرف للازهر مآثره ومفاخره ويتحدث عنها فى « الميثاق الوطنى » حديث المناضل العبقرى الذى لاتفوته شاردة ولا واردة ، وان يخصص له الاموال والاوقات والجهود الموجهة المنظمة ليبلغ به

كليات جديدة ماكان يخطر على البال ان تكون لكى تلمع بعلمها واساتذتها وطلابها فى الادارة والتجارة والطب والهندسة والعلوم كما لمعت من قبلها اخوانها فى اصول الدين والشريعة واللغة العربية . والله نسأل ان ينفع بجامعة الازهر امتنا العربية كما نفع بها من قبل طلاب العلوم الاسلامية من كافة امم الارض التى تدين بالاسلام ، ويوجد فيها مسلمون فطالما تلقت ابناءهم طلابا ناشئين واعادتهم اليها علماء مبرزين وان يجعل جهودنا بقيادة قائدنا العربى العظيم مصدر خير ومنار هداية للانسانية جمعاء .
لدراسة كافة العلوم الكونية العالمية ، وان تضاف اليه

أخبار خرافة

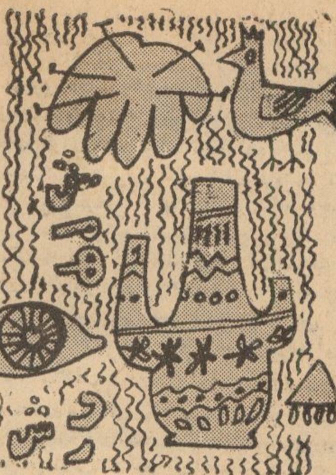

الأستاذ علي الجندي

هل تنقل الجن الأخبار ؟

فى صحيح مسلم « ان الشيطان ليتمثل فى صورة الرجل ، فيأتى القوم ، فيحدثهم بالحديث الكذب ، فيتفرقون فيقول الرجل منهم سمعت رجلا أعرف وجهه ولا أدرى من هو » .

وعن عبد الله عمرو بن العاص « ان فى البحر شياطين مسجونة أوثقها سليمان - عليه السلام - توشك أن تخرج ، فتقرأ على الناس قرآنا » .

ويقول مجاهد : ان من أولاد « ابليس » من اسمه « مطومر » - وهو صاحب الأخبار - يأتى بها فيلقيها فى أفواه الناس ، ولا يكون لها أصل ولا حقيقة !.

وعن عبد الله بن خنظب : أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - ذكر امرأة فى نفسه ولم يبح بها لأحد - أى فكر فى الزواج بها - فأتاه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ذكرت فلانة !! انها لحسناء شريفة فى بيت صدق !! قال: من حدثك بهذا ؟ قال : قال : الناس يتحدثون !! قال عمر فوالله ما بحت به لأحد فمن أين ؟

ثم قال : بلى . قد عرفت، خرج به « الخناس » !! أى الشيطان الذى يوسوس فى الصدور .

وعن ابن الجوزاء قال : طلقت امراتى يوم الجمعة ، ثم حدثت نفسى أن أراجعها يوم الجمعة الأخرى !! - ولم أخبر بذلك احدا - فقالت امراتى : أنت تريد أن تراجعنى ! فقلت : ان هذا لشىء ما حدثت به احدا حتى ذكرته !

وروى أن الحجاج بن يوسف اتى برجل يرمى بالسحر فقال له : أساحر انت ؟ قال : لا .. ثم اخذ الحجاج كفا من الحصى فعده ، وقال للرجل : كم من الحصى فى يدى ؟ فقال : كذا وكذا !! فطرح الحجاج الحصى ، ثم أخذ كفا آخر ولم يعده ، ثم قال له : كم يدى ؟ قال : لا أدرى .

قال : كيف دريت الأول ولم تدر الثانى ؟ قال ان ذلك عرفته انت فعرفه وسواسك - الشيطان الذى يوسوس - فاخبر وسواسك وسواسى !! وهذا لم تعرفه فلم يعرفه وسواسك ، فلم يخبر وسواسى فلم أعرفه !!

وهذا مايعرف فى عصرنا بقراءة مافى النفس ، وبعض الناس رزق هذه الموهبة ، وقد جربت ذلك فظهر لى صدقه !!.

بريد الجن !!

روى الطبرى فى تاريخه : أن عمر - رضى الله عنه - كان يخرج الى ظاهر المدينة المنورة عقب موقعه «نهاوند» بالفرس ، يتلمس الأخبار - وهو متململ اشفاقا على المسلمين - فاتفق ان كان احد المسلمين راجعا الى المدينة ليلا من أحد أسفاره ، فمر به راكب فى الليلة الثالثة يريد المدينة مثله ، فسأله : من اين اقبلت ياعبد الله ؟

قال : من نهاوند ! قال : ما الخبر ؟ قال خير .. فتح الله على المسلمين !! واستشهد قائدهم « النعمان بن مقرن » ! واقتسم المسلمون الفىء ، فأصاب الفارس ستة آلاف !! .

قال : فنمى الخبر الي عمر - رضى الله عنه - فارسل الى الرجل فسأله ، فاخبره بحديثه مع الراكب الوافد الى المدينة .

فقال عمر - رضى الله عنه - : صدق وصدقت ! هذا « عيثم » بريد الجن ، وقد رأى بريد الانس !! وفى بعض الروايات « أبو الهيثم » .

ثم قدم بعد ذلك رسول يدعى « طريف » بالفتح على الخليفة ، فكان الامر كما أخبر الرجل !

وعن معاوية بن ابى سفيان : انه امر كاتبه أن يكتب كتابا فى السر ، فبينما هو يكتب اذ وقع ذباب على حرف من الكتاب فضربه الكاتب بالقلم فانقطعت بعض قوائمه !

ثم خرج الكاتب فاستقبله النـــاس على باب القصر ، يقولون له : كتب أمير المؤمنين بكذا وكذا !!

قال : وما علمكم بذلك ؟ قالوا : خرج علينا حبشي أقطع فاخبرنا به !!

فرجع الكاتب مذعورا الى معاوية وقال له : يا امير المؤمنين ، الذى أمرتني ان اكتبه سرا ، استقبلني بـه الناس !!

قال : وما علمهم ؟ قال : ذكروا لى ان حبشيا اقطع خرج عليهم فاخبرهم !!

قال معاوية : والذى نفسي بيده ان الشيطان هـو الذباب الذى ضربته بالقلم !!

وأورد صاحب « النجوم الزاهرة » قصة سارية على هذا النحو التالى : قال : وفى قصة سارية بن زنيم : انه اجتمع جموع من الفـــرس والاكراد عظيمة ، ودهم المسلمين منهم أمر عظيم !! ورأى عمر - رضى الله عنه - فى تلك الليلة - فيما يرى النائم - موكبهم وعددهم فى وقت من نهار ، وانهم فى صحراء هناك ، وبقربهم جبل ان استندوا اليه ، لم يؤتوا الا من جهة واحدة !! فنادى من الغداة : الصلاة جامعة ، حتى اذا كانت الســاعة التى كان رأى انهم اجتمعوا فيها ، خرج الي النـــاس فصعد المنبر ، فخطب الناس وأخبرهم بما رأى !! ثم قال: يا سارية الجبل الجبل !!

وعقب على ذلك بقوله : ان لله جنودا ، ولعـــل بعضها ان يبلغهم !

قال : ففعلوا ما أمرهم به فنصرهم الله على عدوهم وفتحوا البلد

وفى رواية اخرى ان عمر كان فى خطبة الجمعة . وعلى هذه الرواية يكون عمر - رضى الله عنه - قـــد كشف عنه الحجاب ، فرآهم فى هذا الموقف الحـــرج ، فنادى سارية ، فسمعه فعمــــل بقوله ، وهي الرواية المشهورة .

وفى الطبرى : سال اهل المدينة رسول سارية حين قدم علي الخليفة بالفتح : هل سمعتم شيئا يوم الوقعة ؟

فقال : نعم !! سمعنا : يا سارية الجبل وقد كدنا نهلك فلجأنا اليه ، ففتح الله علينا !!

ولا غرابة فى ذلك فالعلم الحديث يؤيده ، وقد وقع الكشف ان من هم اقل من عمر بمراحل فما الظن بابىحفص الذى يقول فيه الصادق المصدوق : « ان فيكم محدثين وان منهم عمر » .

والمحدث - بفتح الدال المشدودة - الملهم .

وفى هذه القصة كرامتان للخليفة الثاني : رؤيتـه جند المسلمين على هذا المدى السحيق !! وسريان صوته اليهم !!

وفى المستطرف : حكى عمرو بن العلاء قال : خرجنا حجاجا ، فصاحبنا رجل جمل يقول فى طريقه :

ياليت شعرى هل بغت عليه

عليه : اسم زوجته .

قال : فلما انصرفنا من مكة المكرمة ، قالها فى بعض الطريق ، فاجابه صوت فى الظلام :

نعم . نعم وزارها حجيه .

وهو رجل ضخم فى قفاه كيه .

قال : فسكت الرجل . فلما سرنا الي البصرة اخبرنا الرجل زوج تلك المراة : ان جيرانى دخلوا على يسلمون فاذا فيهم رجل احمر ضخم فى قفاه كيه !! فقلت لأهلي: من هذا ؟ فقالت : رجل كان الطف جيراننا بنا ، فجزاه الله خيرا !!

قال : فسالت عن اسمه ، فقالت : حجية !

فقلت لها : الحقى باهلك !!

وروى الطبرى عن بعض شـــيوخ غسان قال : انا لبثنيه العقاب - ثنية العقاب بدمشق والعقاب - بضم العين - اذ نحن برجل يشبه الفيوج ، معه عصـــا وحراب !! - الفيوج بوزن فلوس : جمع فيج كقمح ، وهو رسول السلطان .

وفى القاموس : الفيج : معرب بيك ، والجماعة من الناس ، أو الفيوج : الذين يدخلون السجن ويخرجون ويحرسون -

فقلنا : من اين اقبلت ؟ قال : من خراسان .

فقلنا : هل كان بها من خبر ؟ قال : نعم . قتــل قتيبة بن مسلم أمس !

قال : فتعجبنا لقوله ! فلما رأى انكارنا ذلك . قال : أين تروننى الليلة من افريقية ؟

قال : فمضى ، واتبعناه على خيولنا ، فاذا شىء يسبق الطرف !!.

- قتيبة بن مسلم الباهلى : أحـــد قواد العرب المذكورين فى الدولة الاموية ، وفاتح التركستان ، وبهذا الفتح دخلت الشعوب التركية فى الاسلام .

وفى خزانةالأدب للبغدادى : ان جريرا لما هجا الراعي النمرى بقصيدته المشهورة التي كان يسميها الدامغة « والدماغة » - بتشديد الميـــــم - ويسمى قافيتها « المنصورة » لأن كل ما قاله من قصائده على هـــذا الروى كلهن اجاد فيها ، وأولها :

اقلى اللوم عاذل والعتابا
وقولى ان أصبت لقد اصابا

ومنها البيت المشهور :

فغض الطرف انك من نمير
فلا كعبـــا بلغت ولا كلابا

فحين سمعها الراعي النمرى ، قال لابنه : يا غلام ، بئسما ما كسبنا قومنا !

ثم قام من ساعته ، وقال لاصحابه : ركابكم ! فليس لكم ههنا مقام !! فضحكم جرير !!.

ثم سار الى أهله ، حتى اذا وصل اليهم سمع عند قدومه من يقول :

ففض الطرف انك من غير

فاقسم الراعي بالله : ما بلغها انسى ، وان لجـرير لأشياعا من الجن !!

فتشاءمت به بنو نمير ، وسبوه وسبوا ابنه !!

وفى معجم الادباء لياقوت : حدث على بن « الجهم » ،

قال : دخلت على المتوكل العباسي - وهو جالس وحده - فحانت مني التفاتة ، فرأيت « الفتح بن خاقان » - وزير المتوكل وأحب رجاله اليه - واقفا في غير رتبته التي كان يقوم فيها ، متكئا على سيفه مطرقا !

قال : فانكرت حالته !!
فقال المتوكل : يا علي ، هل أنكرت شيئا ؟
قلت : نعم !!.
قال : ما هو ؟
قال : وقوف « الفتح » فى رتبته التى كان يقوم فيها !!.

فقال المتوكل : سوء اختياره اقامه ذلك المقام !!

قلت : ما السبب يا امير المؤمنين ؟

قال : خرجت من عند « قبيحة » آنفا - زوجته وام ولده المعتز ، وأجمل أهل عصرها :

- سميت قبيحة من اسماء الاضداد - فاسررت الى الفتح سرا ، فما عدانى السر اذ عاد الى !! أى شاع فسمعته من الناس !!.
قلت : لعلك - يا أمير المؤمنين - أسررته الى غيره !!
قال : ما كان هذا !!
قلت : فلعل مستمعا استمع عليكما !!
قال : ولا هذا ايضا !!
قال ابن الجهم . فأطرقت مليـا !! ثم رفعت رأسى فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد وجدت له مخرجا مما هو فيه !!

قال المتوكل : ما هو ؟

قلت حدثنا ابو نعيم الفضل بن دكين ، حدثنـا المستمر بن سليمان ، عن أبى الجوزاء ، قال : طلقت امرأتى فى نفسى وأنا بالمسجد ، ثم انصرفت الى منزلى ، فقالت لي امرأتى : أطلقتني يا أبا الجوزاء ؟!!
قلت : من أين لك هذا ؟
قالت : خبرتنى جارتى الانصارية !
قلت : ومن خبرها بذلك ؟
قالت : ذكرت : ان زوجها خبرها بذلك !
قال أبو الجوزاء : فغدوت على ابن عبـاس - رضى الله عنهما - فقصصت عليه القصة ، فقال :

علمت : أن وسواس الرجل يحدث وسواس الرجل ، فمن ههنا يفشو الخبر !!.

يريد ابن عباس : ان وسواس الرجل - بفتح الواو - اى شيطانه الذى يوسوس له ، يحدث وسواس الرجل الآخر . وهو أيضا شيطانه الموكل بوسوسته ، قال - تعالى - : « من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس » .

وبذلك يذيع الخبر ويشيع !!

قال : فاستغرب المتوكل ضحكا !! وقال : الى يا فتح !!

فصب عليه خلعا - ثيابا نفيسة - وحمله على شيء من الظهر - الدواب . وأمر له بمال وامر لى بمال اقل منه .

فشاطرنى الفتح نصيبه !! فانصرفت الى منزلى وانصرف الفتح الي منزله ، وقد صار الأقل له والأكثر لى !!

كلمات قرآنية

التقوى والمتقون

فضيلة الشيخ
عبد الرحيم فودة

كلمة التقوى مأخوذة من الوقاية بمعنى حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره ، ولهذا عرفها الراغب الأصفهانى فى كتـابه « المفردات فى غريب القرآن بأنها (جعل النفس فى وقاية مما يخاف) ولا شك أن الدافع الى ذلك هو الخوف . ولهذا تطلق ويراد بها الخـوف ، ويطلق الخوف ويراد به التقوى على سـبيل المجاز ، من اطلاق المسبب عـلى السبب واطلاق السبب على المسبب .

ولتقريب معنى التقوى لكى يتصوره عامة القراء نذكر أن كل انسان يخاف المـرض ويجتهد فى أن يجد له وقاء أو دواء يحفظه منه ، كما يخاف نوازل البرد ويجتهد فى أن يجـد له كساد او غطاء [illegible] ومضارها فخوفه من المرض [illegible] عمله لحفظ نفسه منه هو التقوى بمعناها اللغوى . اما

الشرعى فهو حفظ النفس عما يوقعها فى الاثم وذلك بترك ما نهى الله عنه وفعل ما أمر به ، بل يدخل فى معنى التقوى ترك بعض المشتبهات التى يتنازعها دليلا الحل والحرمة بدافع الورع والاحتياط كما يفهم من قول النبى صلى الله عليه وسلم فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه » .

فالجانب الايجابى فى معنى التقوى هو امتثال ما يأمر الله به . والاقبال على مايدعو اليه ، وعمل ما يرضيه ويعود بالثواب على فاعله ، والجانب السلبى فيه هو اجتناب ما نهى عنه . والورع الذى يحجز المؤمن عن المحارم والشبهات ، أما الباعث الأصيل على التقوى بهذين الجانبين فهو الشعور بالخوف من الله نتيجة للايمان بانه جل شانه القوى القاهر الذى لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء . ولا يظلم مثقال ذرة ، فان المؤمن اذا تذكر هذه المعانى واستحضرها وامتلأت بها نفسه تصرف على هداها بما يحقق فيه معنى التقوى ، ويحقق له الخير والحياة الطيبة فى الدنيا والآخرة ، والمتقون من الناس هم الذين يصدرون فى كل ما ياتون ويذرون عن هذا الاحساس وعلى هذا الأساس .

وقد وصف الله المتقين باوصاف تجتمع فيها كل أصول الدين ، وذلك حيث يقول سبحانه « الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون » ثم أشار سبحانه الى أنهم من أجل هذه الصفات حقيقون بالفوز والفلاح فقال « أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » ، كما جعل الله التقوى الغاية التى ترجى من الصيام حيث يقول جل شأنه : يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » وجعلها الباعث على تعظيم شعائر الله حيث يقول سبحانه « ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب » ثم هى مع هذا خير ما يتزود به الانسان من هذه الحياة كما يفهم من قوله تعالى : وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب » .

فاذا ذكرنا مع ذلك أنها المقياس الذى يتفاضل به الناس أمام الله كما يفهم من قوله تعالى : « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » عرفنا أنها قمة القمم بين القيم التى يأمر بها الدين ويدعو اليها الاسلام ، وقد أكد ذلك النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال : ليس لعربى على عجمى ولا لابيض على أسود ولا لأسود على أبيض فضل الا بالتقوى .

أما آثار التقوى وثمارها فى حياة الفرد والمجتمع فيمكن أن نشير اليها بقول الله « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » وقوله : « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا » وقوله « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض » . وقد بين الله مصير المتقين حيث يقول سبحانه « وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » وحيث يقول : « وأزلفت الجنة للمتقين » « والعاقبة للتقوى » « وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا » .

ومعنى ذلك أن التقوى تجمع كل خير وبر وتدفع كل شر ومكروه ، ولهذا أمر الله بالتعاون عليها حيث قال : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » وقد كان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انى أسالك الهدى والتقى والعفاف والغنى » .

واذا كانت التقوى بهذه المنزلة وهذه المثابة . فيجب أن نشير الى أنها ضمير المؤمن الحاكم عليه . الموجه له . المتنبه لكل ما يقبل عليه ، أو يعرض عنه . فهى كالحاسة المرهفة يعرف بها ما ينفعه . وما يضره ، وما يسوءه وما يسره ، أو هى كيفية نفسية ترتفع بصاحبها الى مرتبة لايرقى الى تصويرها غير قول الله « ان أولياؤه الا المتقون » وقوله : « انما يتقبل الله من المتقين » .

وهكذا نجد معنى التقوى يتسع لكل هذه المعانى التى ذكرناها ويقترن بكل هذه الآثار التى أشرنا اليها ، ويكفى فى بيان عظم قدرها واجرها أن نذكر قول الله فيها « واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين » وقوله فيها : « ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » وقوله تعالى « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما » فهى الوسيلة لصلاح الأعمال . وحسن الحال والمآل ، وهى زينة المؤمن فى حياته ، وزاده لما بعد مماته ، كما يفهم من قوله تعالى « وتزودوا فان خير الزاد التقوى » وقوله سبحانه « يابنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير » .

وبعد فان التقوى تخلية للنفس من الرذائل والسيئات ، وتحلية لها بالفضائل والحسنات ثم هى بعد ذلك نهاية ما تصل اليه القلوب من النضج والطهر بعد امتحانها بضروب المحن والتكاليف ، وتمحيصها وتخليصها من كل ما يشوبها أو يعيبها كما يفهم من قول الله « أولئك الذين امتحن الله قلوبهن للتقوى » .

والصلاة والسلام على امام المتقين وخاتم النبيين ورحمة الله الى الناس أجمعين محمد وعلى آله وصحبه وجميع الأنبياء .

حياة العمرى الشهابى

ابن فضل الله العمرى

مؤلف أكبر موسوعة عربية إسلامية فى الجغرافيا والتاريخ والأدب

للأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعى

(١٧)

(تتمة مضامين وموضوعات الجزء الأول)

قال ابن فضل الله العمرى .

« وأما الانهار المعروفة فنحن نذكر هنا ما فى لوح الرسم من الانهار ، ونقسمه على أربعة اقسام تتجزى بهـا المعمورة طولا وعرضـا ، كما ذكرناه فيمـا تقـدم قبل ذكر الجبال . وبالله التوفيق » :

من هذه الارباع المقسومة الآن (عصر ابن فضل الله) هو الربع الشرقى الآخذ الى الجنوب .

« أنهـار الربع الاول »

	صفحة
وبه من الأنهار ما يذكر ...	٦٦
فمن ذلك فى جزيرة القمر العظمى ثلاثة أنهار ...	٦٦
أنهـار الربع الثـانى ...	٦٧
وصف نهر النيل لابن فضـل الله ...	٦٧
وصف نهر النيل للقاضى الفاضل ...	٦٧
أصول النيـــل ...	٦٨
وصول آخر سلاطين بنى عبد المؤمن الى منبع النيل ...	٦٨
وصف البحيرة التى يخرج منها النيل ...	٦٨
ذراعا النيل عند منبعه ...	٦٩
مرور النيل ببلاد السودان ...	٦٩
بحر يوسف بمصـر ...	٦٩
مشاهدة لابن فضل الله فى بحر يوسف ...	٦٩
عمود النيل فى الصعيد ...	٧٠
عالم غربى أقام بالسودان ٣٥ سنة وأخبر ابن فضل الله عن أصل النيل ...	٧٠
توغل هذا العالم فى الاسفار لمعرفة منبع النيل ...	٧٠
اختلاف الأقوال فى أصل النيل ...	٧١
روايات عن بحث ملوك مصر الاقدمين عن أصل النيل ...	٧١
رأى ابن فضل الله فى أن هذه الأقوال مبنية على النظريات العلمية لا على المشاهدة ...	٧٢

صفحة

كتب استاذنا العالم الباحث المحقق المدقق المرحوم احمد زكي باشا ـ رحمه الله ـ تعليقا عن الباحثين عن منبع النيل فقال : « مما يجب ذكره في هذا المقام ان سلطان مصر الملك الصالح نجم الدين الأيوبي كان يشتهي أن يعرف أصل النيل فرسم بشراء عبيد صغار زنوج ، وما شاكلهم ، جلب لم يستعربوا . وسلمهم لصيادي السمك والبحارة ليعلموهم صنعة البحر وصيد الأسماك ، وأن يكون قوتهم من السمك لا غير . فاذا مهروا في ذلك تصنع لهم مراكب صغار ليركبوا فيها ويأتوه بخبر النيل (انظر مطالع البدور في منازل السرور ، ج ٢ ص ٧٤ ، ٧٥) . والظاهر أن هذا المشروع لم يتم نظرا للاضطرابات التي كانت حاصلة في مصر في ذلك الوقت أولا بهجوم الصليبيين ، وثانيا بانقراض السلالة الأيوبية . وهذا المشروع قد تم بفضل خديو مصر الكبير في هذا العهد الجديد ٧٢

بقية انهار الربع الثاني ٧٢

انهار الربع الثالث ٧٤

وصف نهر اشبيلية أو الوادي الكبير وما قيل في نزهات اللهو والطرب في زواريقه من اشعار ... ... ٧٤ ـ ٧٦

وصف نهر سرقسطة وما قيل في نزهات اللهو والطرب في زواريقه من أشعار ... ... ٧٦ ـ ٧٧

بقية انهار الاندلس ٧٨

انهار اخرى ٧٨

انهار آسيا ٧٨

نهر دجلة ٧٩

نهر الفرات ٨٠

نهر الساجور ٨٠

نهر قويق ٨٠

النهر العاصي ٨١

نهر بَرَدَى ٨١

نهر الأرْدُن ٨٢

انهار الربع الرابع ٨٣

نهر النيل ٨٣

نهر الطيب ٨٤

نهر جيحون ٨٤

نهر سيحون ٨٤

نهر السغد ٨٤

نهر مَكران ٨٤

نهر عماس ٨٤

نهر حمدان الأعظم بالصين ٨٥

نهر الكر ونهر الرس ٨٥

نهر قره صو ٨٥

البحيرات المشهورة في معمورة الأرض ٨٧

بحيرة كيماما ، بجزيرة القمر الخارجة عن خط الاستواء ، (عذبة) ، بحيرة اطراغا بالصين (عذبة) ، بحيرة سرنك بالهند (عذبة) ، بحيرة السوكران ببلاد الهياطلة (عذبة) ، بحيرة بخارا (عذبة) ، بحيرة خوارزم (ملح) ، بحيرة تهامة ، يصب بها نهر اتكش في بلاد الترك ، بحيرة ذرة ببلاد سجستان (ملح) ، بحيرات النيل الثلاثة ـ ٨٧

بحيرة الفيوم وهي غير التي في أرض مصر (وهي بحيرة في نيل السودان المعروف الآن بنهر النيجر . ويكون الفيوم حينئذ اسما لموضع غير المشهور بالجمهورية العربية المتحدة) ٨٨

بحيرة الفيوم بمصر (عذبة) ، بحيرة زاقون ، بحيرة بين قصر عيسى وبين كوكورة ، بحيرة بين كوكورة ومجالات جاي ، بحيرتان عند بنزرت من بلاد افريقية ، احداهما (ملح) والاخرى (عذبة) ، بحيرتان باقصى المغرب : احداهما على مقربة من قصر ابن عبد الكريم في غاية الاتساع ، بوسطها جزيرة تسمى : بأبي سلهام ٨٨

والاخرى بازغان شمالي مكناسة ، بحيرة ابزو (ملح) ، بحيرة الاسكندرية (ملح) بحيرة تنيس

(بالقرب من دمياط) (ملح) بحيرة جارشي (عذبة) ، بحيرة طبرية (عذبة) . « وبها
الحمة المعروفة بحمام طبرية . وللناس فيها أكاذيب . وهى صورة تنور مثل تنور الكلس
تكون سمته نحو عشرة أذرع تقريبا . يخرج منه ماء يدير حجرى رحى . مهما وضع
وضع فيه احترق لافراط حرارته . قد استخرج منه جدول فى عرض الجبل يمتد نحو
الف ذراع تقريبا ، لتقل ببعد المدى حرارته . ثم يأتى بيتين مسقوفين - وسقفهما
بالحجر - احدهما لاستحمام الرجال ، والآخر لاستحمام النساء . والحمة ماؤها مملوح
صفحة
مكبـرت » ٨٩

بحيرات أخرى : بحيرة زغر (منتنة) ، بحيرة دمشق (عذبة) ، بحيرة حمص (عذبة) بحيرة
افامية (عذبة) ، بحيرة أنطاكية (عذبة) وتعرف ببحيرة يغرا ٨٩

بطائح العراق : اثنتان بالبصرة ، وواحدة بالكوفة . الثلاثة بحيرات (عذبة) ٨٩

بحيرة خلاط (ملح) ، بحيرة أيودان (ملح) ٩٠

رمل الهبير : طوله ومقدار امتداده فى الأرض والبلاد التى يمر بهـا . وفيه منه جبال عظام
لا تتوقل ولا ترتقى ، وبعضه فى أرض سهلة ينتقل من مكان الى مكان . ومنـه اصفر
لين اللمس ، وأحمر قانىء وازرق سماوى ، وأسود حالك ، وأكحل مشبع كالنيل (أى
نبات النيلج المعروف فى مصر باسم النيلة ، وابيض كالثلج ، وبعضـه يحكى الغبـار
نعومة ، وبعضه خشن جريش اللمس ٩٠

الآثار المعظمة البينة فى أقطار الأرض ٩١

المساجد الثلاثة : المسجد الحرام ، مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ، المسجد
الاقصـى ٩١

ذكر الكعبة : البيت الحرام وفضائله ومدلولاته ٩٢

بناء ابراهيم الكعبة ، هدمها وتجديدها أيام ابن الزبير ٩٤
بناء الحجاج بن يوسف الثقفى لها ، تواريخ بنائها : على يد الملائكة ، على يد ابراهيم ،
على يد قريش ، على يد عبد الله بن الزبير ... ... ٩٥ - ٩٦

اعادة عبد الملك بن مروان بنائهـا على ما كانت عليه فى عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، بناء العمالقة بعد ابراهيم ، بناء جرهم بعد العمالقة . ترميم الكعبة ٩٧
أول من اتخذ للكعبة غلقا (بابا من حديد) ، تحليتها بالذهب فى الجاهلية ، تحليتهـا
بالذهب فى الاسلام ٩٨

تجديد باب الكعبة فى زمن الناصر محمد بن قلاوون ، ترخيم الكعبة فى ايام الوليد بن عبد
الملك ، ترخيمها وما فيها حتى زمن ابن فضل الله من آثار المظفر يوسف بن عمر بن
رسول صاحب اليمن ، واسـمه منقوش فى الرخام داخل الكعبة ، كسوة الكعبة فى
الجاهلية والاسلام ٩٩

كسوة الخليفة المأمون العباسى للكعبة ثلاث مرات ، فكان يكسوها الديباج الأحمر يوم التروية :
والقباطى يوم هلال رجب ، والديباج الأبيض يوم سبع وعشرين من رمضان .
والديباج الأبيض ابتـداءه المأمون سنة ست ومائتين حين قالوا له : الديباج الأحمر
يتخرق قبل الكسوة الثانية . فسأل عن أحسن ما تكون فيه الكعبة . فقالوا : الديباج
الأبيض . ففعله ١٠٠

كسوتها فى أيام ابن فضل الله . كانت تكسى فى العـام مرة واحدة فى وقت الموسم ، وتحمـل
اليهـا من الخزانة السلطانية بالديار المصرية ، صحبة الركب ، فيتولى ذلك أمراء
الركب . ويحضرون بانفسهم فتكسى ، وياخذ الاشراف وبنو شيبة الكسوة العتيقة
ويقتسمونها . ويأخذون فى كل قطعة منها أوفر الاعواض . وتحمـل الى سائر البلاد
البركة

كسوة اليمن لها فى أيام ابن فضل الله . فكان صاحب اليمن يبعث اليها كسوة ، فتلبس
تحت الكسوة المصرية . وهما سوداوان من الحرير الاسود ، بكتابة بيضاء ، فيها آيات
جاءت فى القرآن فى ذكر الكعبة . مباشرة ابن فضل الله لكسوتها بيده . وما رآه ابن
فضل الله سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة على سطح الكعبة ، حين صعد هو وأمراء الركب
المصرى ، لتلبيس الكعبة الشريفة ، فرآه مبلطا بالمرمر والرخام الابيض . ومن جوانبه
جدر قصار فيها حلق لمرابط الستور ، تجر فيها الكسوة بحبـال ، ثم تربط فى تلك
الحلق . قال ابن فضل الله : « وأنا أحمد الله ، اذ بيدى توليت خلع الكسوة العتيقة
عنها وتلبيسها الكسوة الجديدة » ١٠٠

هدية سلطان مصر لملك المغرب . وحملت الكسوة العتيقة فى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة الى
السلطان بمصر ، لتجهز الى السلطان أبى الحسن المرينى مع ما يجهز عوض هدية بعثها
فى هذه السنة ، صحبة مريم زوجة أبيه وعريف السويدى وجماعة من أكابر دولته ،
وعوض بنو شيبة والاشراف عنها من بيت المال بمصر ١٠١

صفحة

غسل الكعبة (وصف ذلك لابن فضل الله) ... ١٠١
التبابعة وكسوة الكعبة ... ١٠١
كسوة النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ... ١٠١
قول تبع عند كسوة الكعبة . وصف الكعبة وذرعها ... ١٠٢
الحجر الاسود . باب الكعبة . موضع الخلوق ومقام ابراهيم ... ١٠٣
الحطيم . المستجار ... ١٠٤
وصف المسجد الحرام . عمر بن الخطاب ينزع الملكية لتوسيع المسجد . عثمان بن عفان يقتدى به . عبد الله بن الزبير يقتدى بهما . تعمير عبد الملك بن مروان للمسجد . توسيع الوليد بن عبد الملك للمسجد ... ١٠٥
زيادة الخليفة المنصور العباسى ، واعمدة الرخام . زيادتا الخليفة المهدى . رواق المسجد الحرام وسقفاه . أساطينه . شراء النبى صلى الله عليه وسلم لاسطوانة وزنها ذهبا ... ١٠٦
حنايا المسجد الحرام . مساحته ... ١٠٧
ارتفاع جداره فى السماء . شرفاته . المسجد قد يراد به الكعبة كلها . المسجد الحرام قد يراد به المسجد المحيط بالكعبة فقط ... ١٠٨
المسجد الحرام قد يراد به مكة أو الحرم باكمله . بئر زمزم ... ١٠٩
أصل التسمية بزمزم . طم الحارث بن مضاض لها وتجديد عبد المطلب حفرها . ما ذكره الزهيرى فى سيره . (بعد كلام الزهيرى بياض بالاصل مقداره عشرة سطور) ... ١١٠ - ١١١
الصفا والمروة . وصف الصفا . وصف المروة . المسعى . موضع الهرولة ... ١١٢
مبدأ ظهور قريش بمكة . دار الندوة ... ١١٣
دخول دار الندوة فى المسجد الحرام وموضعها منه ... ١١٤
منى (وصف ابن فضل الله لها) فيها مسجد الخيف . موضعه . تجديد بنائه فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون ملك مصر . وفيها مسجد اسماعيل المسمى بمسجد الكبش . موضعه . نزول المصريين منه الى منى . ونزول المكيين منه الى معرف ... ١١٤ - ١١٥
جمع (أى المزدلفة) ورودها فى القرآن الكريم . مسجد المزدلفة ، موضعه ، ورود المزدلفة فى شعر الشريف الرضى ، والابيات التى ذكرت فيها ، المشعر الحرام ، وروده فى القرآن الكريم . سبب تسمية المزدلفة وجمعا ... ١١٦ - ١١٧
انصاب الحرم (هى العلامات المبنية على حدود الحرم) . أول من بناها ، تجديد النبى صلى الله عليه وسلم لها ثم الصحابة ، بقاؤها لزمن ابن فضل الله . حد الحرم ... ١١٧ - ١١٨
تعظيم الحرم وتحريمه ، تعظيمه فى الجاهلية والاسلام ، اجتناب قطع شجرة ، تحذير قصى لقريش قطعه ، وخوفهم العقوبة فى ذلك . قطع شجرة ومقدار دية كل شجرة ... ١١٨ - ١١٩
عرفات (وصف ابن فضل الله له) . قبة آدم على قنة هذا الجبل ، سبب تسمية عرفات . مسجد نمرة ، ويسمى مسجد ابراهيم ، موضعه ، وصفه ، الخطابة به فى زمن ابن فضل الله لامام الطائفة المالكية بمكة المعظمة ... ١٢٠
مسجد عائشة رضى الله عنها بالتنعيم ، سبب تسميته بهذا الاسم . مسجد ميمونة رضى الله عنها ، حيث دفن الخليفة أبى جعفر المنصور محرما . ميمونة هى بنت الحارث احدى ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم . المواقيت (أى مواضع الاحرام) ... ١٢١
ذو الحليفة (ميقات أهل الشام فى زمن ابن فضل الله) موضعه . آبار هذا الطريق ، وتسمى آبار على . الجحفة . (اسمها القديم مهيعة) . سبب تسميتها بهذا الاسم . رابغ (موضع احرام الركب المصرى فى عهد ابن فضل الله . قرن المنازل (موضعه) . نقد ابن فضل الله للجوهرى صاحب الصحاح وتغليطه فى ضبط (قرن ونسبة أويس القرنى اليها) يلملم . ويقال : ألملم (بالهمزة عوضا عن الياء) ، موضعه . ذات عرق . موضعه (هنا بياض بآخر الصفحة بالاصل مقداره أربعة أسطر) ... ١٢٢
المسجد النبوى على صاحبه أفضل الصلاة والسلام . موضع منبره ، وجواره مقبره ، ومقام مصلاه ، ودار آخرته وأولاه . الروضة الشريفة . قدوم النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومصلاه فيها . شعر لاعرابى أتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فزاره وجلس بحذائه ، ثم قال : « يا خير الرسل ، ان الله أنزل عليك كتابا صادقا قال فيه : (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) وقد جئتك مستغفرا من ذنبى ، مستشفعا بك الى ربى ، وأنشأ يقول :

يا خير من دفنت فى القاع أعظمه
فطاب من طيبهن القاع والاكم !

نفسي الفداء لقبر انت ساكنه
فيه العفاف وفيه الجود والكرم !

صفحة

بناء النبي صلى الله عليه وسلم لمسجده بالمدينة . طلبه الى ملأ بني النجار ، فجاءوا ، فقال : « يا بني النجار ، ثامنوني بحائطكم هذا » . فقالوا : لا والله ! ما نطلب ثمنه الا الى الله تعالى . وصف المسجد : سقف بالجريد وجعلت قبلته من اللبن . ويقال : بل من حجارة منضودة بعضها على بعض ، وحيطانه باللبن ، وجعلت عمده من جذوع النخل . فنخرت في خلافة عمر ، فجددها . زيادة عمر فيه وبنيانه . زيادة عثمان بن عفان ... ... ١٢٤ - ١٢٥

وصف بناء المسجد . قال ابو سعيد الخدري : « كنا نحمل لبنة لبنة ، وعمار لبنتين لبنتين . فرآه النبي (صلى الله عليه وسلم) فجعل ينفض التراب ويقول : ويح عمار ! تقتله الفئة الباغية ، يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار ! قال : يقول عمار ! أعوذ بالله من الفتن ! » ١٢٥

مساحة الحرم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم . الزيادات المتوالية فيه . زيادة الخليفة الوليد بن عبد الملك ١٢٥

زيادات العباسيين : زيادة الخليفة المهدي سنة ستين ومائة من جهة الشام فقط دون الجهات الثلاث . زيادة الخليفة المأمون سنة اثنتين ومائتين ، وأتقن بنيانه ونقش فيه : « هذا ما أمر به عبد الله المأمون » (هنا بياض بأسفل الصحيفة في الاصل مقداره سبعة أسطر) ... ... ١٢٥ - ١٢٦

المسافة بين المنبر ومصلى النبي صلى الله عليه وسلم وقبره ١٢٦

بيوت النبي صلى الله عليه وسلم : كانت تسعة : بعضها من جريد مطين بالطين وسقفها جريد ، وبعضها من حجارة مرضومة بعضها على بعض مسقفة بالجريد أيضا . بناها في أوقات مختلفة . قال الحسن بن ابي الحسن : « كنت ادخل بيوت النبي صلى الله عليه وسلم وانا غلام مراهق فأنال السقف بيدي . وكان لكل بيت حجرة . وكانت حجره (عليه السلام) أكسية من شعر مربوطة في خشب عرعر » وكان بابه صلى الله عليه وسلم يقرع بالاظافر . اي لا حلق له ... ... ١٢٦ - ١٢٧

تداخل بيوته في المسجد ، ايام عبد الملك بن مروان . فلما ورد كتابه بذلك ، ضج أهل المدينة بالبكاء ، كيوم وفاته ١٢٧

مسجد قباء (وهو أول مسجد بني في الاسلام) . كيفية تأسيسه . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بنى هذا المسجد يأتي بالحجر قد صهره (أي أدناه) الى بطنه ، فيضعه ، فيأتي الرجل يريد أن يقله ، فلا يستطيع حتى يأمره أن يدعه ويأخذ غيره . وفي أهل هذا المسجد نزلت : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا » فهو على هذا المسجد الذي « أسس على التقوى » ... ... ١٢٧ - ١٢٩

مسجد الضرار . بناه بنو غنم بن عوف لحسدهم اخوتهم بنو عمرو بن عوف لما بنو مسجد قباء - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيهم ويصلي فيه - وقالوا : نبني مسجدا ونرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيه ، ويصلي فيه أبو عامر الراهب ، اذا قدم من الشام . ليثبت لهم الفضل والزيادة على اخوتهم ، زعموا . وابو عامر هو الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم : الفاسق . وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لا أجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم . فلم يزل يقاتله الى يوم حنين . فلما انهزمت هوازن ، خرج هاربا الى الشام . وأرسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح ، فاني ذاهب الى قيصر ، وآت بجنود ، ومخرج محمدا وأصحابه من المدينة . وهذا المسجد هو الذي نزل فيه قوله : « والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا » الى قوله : « لا تقم فيه أبدا » الآيات . فدعا الرسول صلى الله عليه وسلم بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي ، قاتل حمزة ، فقال لهم : « انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله ، فاهدموه واحرقوه » . ففعلوا . وامر أن يجعل مكانه كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة .
وقيل : كل مسجد بني مباهاة ، أو رياء وسمعة ، أو لغرض سوى ابتغاء وجه الله ، أو بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار ... ... ١٢٩ - ١٣٠

مساجد المدينة : كانت تسعة ، سوى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم . كلهم يصلون بأذان بلال (رضى الله عنه) .
فمنها مسجد راتج ، ومسجد بني عبد الاشهل ، ومسجد بني عمرو بن مبذول ، ومسجد جهينة ومسجد بني سلمة . وسائرها مذكور في السنن ١٣١

بقيع الغرقد . وهو مدفن أهل المدينة النبوية ، وفيه تدافن أكثر أهل المدينة . فيه قبة العباس بن عبد المطلب ، عم النبي صلى الله عليه وسلم . وفيها معه الحسن بن علي . وكان الحسن أوصى أن يدفن مع النبي صلى الله عليه وسلم الا ان يخاف أن يراق في ذلك

محجم دم . فمنعه مروان . وكادت الفتنة أن تقع . وأبى الحسن ابنه الا أن يدفن مع جده . فكلمه عبد الله بن جعفر ، ومسود بن مخرمة . فدفن بالبقيع فى قبة العباس . وفيها أيضا زين العابدين ، وابنه محمد الباقر ، وابنه جعفر الصادق .

وفى البقيع أيضا قبة أمير المؤمنين عثمان بن عفان . وكان موضع القبة وما حوله بستانا لرجل من الانصار اسمه : كوكب . وكان يقال : حش كوكب . والحش : البستان . فاشتراه عثمان رضى الله عنه وزاده فى البقيع . وكان يقول : انه يدفن ها هنا رجل صالح . فكان أول من دفن بهذه الزيادة .

وفى البقيع أيضا قبة ابراهيم بن النبى صلى الله عليه وسلم . وقبة فاطمة الزهراء .
وفى البقيع أيضا جماعة من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وعمته صفية . وفيه
خلائق من الصحابة والتابعين . وفيه قبة مالك بن انس ، امام دار الهجرة ١٣٢

اول من دفن بالبقيع . وأول من دفن بالبقيع عثمان بن مظعون . قال المطلب بن عبد الله بن حنطب . أول من دفنه النبى صلى الله عليه وسلم بالبقيع ، عثمان بن مظعون ، ثم قال لرجل عنده : « اذهب الى تلك الصخرة ، فاتنى بها حتى أضعها عند قبره . فمن مات من أهلنا دفناه عنده » . رواه ابن أبى شيبة .

قال على بن أبى طالب : ثم أتبعه ابراهيم بن النبى صلى الله عليه وسلم . رواه ابن أبى
شيبة أيضا ١٣٢

سبب تسميته بالفرقد . قال الاصمعى : قطعت غرقدات فى هذا الموضع ، حين دفن فيه ... ...
عثمان بن مظعون . فسمى بقيع الفرقد لهذا ١٣٤

معنى الفرقد . وقال الخليل : « البقيع من الارض : موضع فيه أروم شجر . وبه سمى بقيع
الفرقد . والفرقد : شجر كان ينبت هناك ١٣٤

موضعه . والبقيع يلى باب المدينة الذى فى جهة الشرق ، الذى وراء دار عثمان بن عفان . ومنه
يخرج الى البقيع (هنا بياض بالاصل مقداره ستة سطور) ١٣٤

« للترجمة بقية »

بذل الجهد في أداء الواجب

فضيلة الشيخ عبد الله المشد

من الناس من اذا كلف بمهمة من المهمات أداها فى أدنى صورها وأقل أشكالها وأضعف أحوالها ، لا يبذل جهدا يذكر ، ولا يرهق بدنه أو عقله فيما هو بسبيله . ومنهم من يقبل على عمله بهمة ونشاط ، ويؤديه فى جد واجتهاد ، محاولا أن يكون انتاجه فى أرقى صوره وأفضل أحواله وأتم أشكاله .

والسبب فى تباين الناس في اقبالهم على العمل وأدائه يرجع الى عوامل داخلية وأخرى خارجية ، أى عوامل نابعة من النفس متأثرة بموروثات أو صدى لعواطف أو عقائد انعقد عليها قلبه وتكيف بها حسه ووجدانه ، وعوامل تمليها ظروف البيئة المحيطة به ، والجو الذى يعمل فيه ونظام المجتمع الذى يعيش فيه .

ولا يخفى على أى انسان أن الأيمان بالله الذى يحصى كل ما يصدر عنه ، ويعلم السر وأخفى منه ، ويقدر الجزاء العادل الذى لا حيف فيه بغمط حق أو ظلم أو اجحاف ، وأن الايمان بالوطن وحقه على المواطن ، وتقدير المسئولية والأحساس بالواجب نحو المجتمع ،

وان الاطمئنان الى الجزاء العادل والتقدير الكافى والتشجيع المناسب ، وتأمين المستقبل ورعاية الظروف ، كل ذلك يشرح الصدر ويدفع الى بذل الجهد ومضاعفة النشاط فى أداء الواجب . كما أن استقرار النظام الذى يحكم الجماعة ، ونزاهة المسؤولين واخلاصهم للوطن ، وتقديرهم للعاملين ومكافاتهم على مقدار ما يقدمون من خدمات، ومحاربة المحسوبية والاستثناء ، وتعاون الزملاء فى العمل وانسجام الرفقة ، وحسن القيادة والتوجيه من المشرفين على المؤسسات والمرافق والأجهزة ، كل ذلك ايضا من العوامل الهامة التى تغرى العامل بمضاعفة الجهد ، وتهون عليه ما يلاقيه من آلام فى سبيل تحسين انتاجه واتقان عمله .

ان أداء الواجب فى ظل هذه العوامل المشجعة يؤدى حتما الى وفرة الانتاج واتقان العمل ، والى قلة التكاليف وتقليل المدة التى يستغرقها تنفيذ المشروعات ، وتقصير المسافة وتقريب الغاية ، كما أن فيه راحة للضمير واطمئنانا لابراء الذمة ، وفيه كسب العامل لاحترام الناس له وتقديرهم لجهوده ، وفيه بعد ذلك عظم المثوبة وتهيئة الفرصة لبلوغ ما يريد .

والذى ينظر الى المجتمعات فى جميع ادوار التاريخ يرى أن تقدمها ورقيها قام على اكتاف الفئة المخلصة من المواطنين ، الذين آمنوا بمجتمعهم وأحسوا بمسئوليتهم ، فبذلوا جهودا جبارة فى ميادين العلم والكشف والاختراع ، وفى مجالات الاقتصاد والعمران وابلوا بلاء حسنا فى السياسة والحروب .

والاسلام - وهو دين القوة المادية والروحية ، ودين الحضارة والعمران - لا يرضى للمسلم أن يؤدى واجبه فى أدنى الصور واضعف الأحوال ، بل يدعوه الى طلب الكمال فى كل شىء ، ويدفعه الى بذل الجهد ومضاعفة النشاط ليصل الى اقصى غاية يستطيعها ، ويهيىء له الجو الصالح الذى يغريه بحب العمل والكفاح ، ويطمئنه الى التقدير العادل والجزاء المناسب .

فالاسلام يحث على اتقان العمل واجادته ، ففى حديث شريف رواه البيهقى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » وهو يطمئن العامل على نتيجة عمله فيقول الله سبحانه « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا » ، وهو حين يقرر هذا المبدأ الذى يغرى باحسان العمل ، يقرر أن هناك تفاوتا فى تقدير الحسن ، وان العاملين درجات فى قيمة ما يحسنون ، فلكل منهم مكافاة بقدر ما أنتج وأحسن ، لايغمط حق المجتهد حتى ينشرح صدره ، وحتى يبعث الهمة فى نفس غيره ليلاحقه فى الأجادة والأتقان ، قال تعالى « ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم اعمالهم وهم لا يظلمون » وقال « ويؤت كل ذى فضل فضله » .

والاسلام يامر بالحرص على كل مايفيد الانسان فى نفسه ومجتمعه ، وبالاستهانة بكل العقبات التى تعترض طريقه ، فالحياة ليست كلها حلوة ميسرة ، والغايات ليست كلها قريبة المنال سهلة المرتقى ، ففى الحديث الذى يرويه مسلم عن أبى هريرة يقول النبى صلى الله عليه وسلم « أحرص على ماينفعك واستعن بالله ولا تعجز » ، وهو ينهى عن الاستسلام للأمانى والتفكير الطويل فى الماضى ، ويأمر بالنظر الى المستقبل محاولا اصلاح ما فرط من خطأ ، وبالايمان بالقدر الذى غلبه فحول طريقه أو أثر على جهده ، فيقول الحديث الشريف « وان أصابك شىء فلا تقل : لو أنى فعلت كذا كان كذا أو كذا ، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل ، فان لو تفتح عمل الشيطان »

والاسلام ينص على المتكاسلين الذى يقومون الى اعمالهم بفتور وتثاقل ، ويجعل ذلك من صفات المنافقين ، الذين لا يصدرون فى اعمالهم عن عقيدة قوية وايمان راسخ ، بل يؤدون اعمالهم رياء وتغطية ، يؤدونها بدون روح اداء شكليا تسد به الخانات والرسميات لا غير ، ان هؤلاء ، يقول الله فيهم « ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ، واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا »

ويجازيهم على نفاقهم بعدم قبول أعمالهم واحباط ثوابها ، خسروا بذلك دنياهم وآخرتهم فيقول « وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله وبرسوله ، ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون » .

والاسلام يحب من العامل أن ينساق الى عمله بوازع من ضميره ، ويفرغ جهده لاتقانه واجادته دون حاجة الى قوة ترهبه أو عين ساهرة ترقبه ، فيكون فى أكمل أحواله النفسية وفى قمة صفائه الروحى والخلقى ، وذلك هو مقام الاحسان ، الذى يصوره الحديث الشريف بقوله « أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » .

والاسلام يضن بالصحة أن تستخدم فى الشر ، وبالوقت أن يضيع دون فائدة فيقول النبى صلى الله عليه وسلم « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ » .

ان المسلمين الأولين اندفعوا فى ظل هذه التعاليم الى ميادين العمل بهمة ونشاط ، باذلين فى ذلك أقصى مايستطيعون من جهد ، متطلعين الى المثل العليا طامحين الى المجد والكمال ، لاينسون حق الله عليهم ، ولا حق الوطن لديهم ، فكانوا رهبانا بالليل فرسانا بالنهار اذا وكل اليهم عمل أتقنوه أيما اتقان ، مقدرين للمسئولية وثقل التبعة ، عاملين على أن يكون مجتمعهم أقوى مجتمع ، ودولتهم أعظم دولة .

ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ضرب المثل الأعلى للموظف والعامل فى احساسه بخطر مهمته ، وفى تحمله كل الصعاب لارضاء ضميره وابراء ذمته مقتديا فى ذلك برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنفذا لارشاداته ، فكان رضى الله عنه لاينام بالنهار - وهو أمير المؤمنين - ولا ينام بالليل الا قليلا ، جاءه معاوية بن حديج يبشره بفتح الاسكندرية فوجده بالمسجد فى وقت القيلولة التى يستريح فيها الناس ويأوون الى بيوتهم من شدة الحر فقال له معاوية ظننتك يا أمير المؤمنين فى بيتك فى هذه الساعة نائما ، فرد عليه عمر المقدر للمسئولية الضخمة الملقاة على عاتقه ، وقال له : اذا نمت بالنهار ضيعت حق الرعية ، واذا نمت بالليل ضيعت حق الله فكيف أنام بين هذين الحقين ؟ .

ان عاملا لعمر بن عبد العزيز على بعض الولايات شكا اليه مايعانيه من السهر لانجاز أعماله ، فليس لديه عدد من العاملين يساعدونه ، فكتب اليه عمر : اذكر من أهل النار فى النار يهن عليك سهرك فى الدنيا ويطرد بك الى الآخرة .

لقد سافر العلماء الأجلاء الى أقاصى البلاد ، وقطعوا الفيافى والقفار على قلة الزاد وبعد الشقة وصعوبة المواصلات ليحصلوا العلوم والمعارف ، أو ينشروها بين الناس ، وكم سهروا الليالى الطوال فى تحقيق المسائل واستنباط الاحكام وترجمة الكتب ، فتركوا لنا تراثا ضخما من الثقافة كان نواة للنهضات الحديثة فى الشرق والغرب .

ان السلف الصالح ماكانوا يقنعون بالقليل وهم يستطيعون الكثير ولا يرضون بالدون وهم قادرون على الكمال ، رائدهم فى ذلك ايمان بالله ورجاء ثوابهم وحبهم لأمتهم واخلاصهم لوطنهم ، مقتدين فى هذا بعمل النبى عليه الصلاة والسلام ، الذى كان يقوم الليل فى العبادة حتى تتورم قدماه مع أن الله قد غفر له ما تقدم وما تأخر ، واذا سئل عن سر هذا التفانى فى الطاعة قال : أفلا أكون عبدا شكورا ؟ انه هو النبى صلى الله عليه وسلم الذى يصف المؤمن الصادق بقوله « لن يشبع المؤمن من خير حتى يكون منتهاه الجنة » .

وبعد ، فان وطننا فى حاجة الى مضاعفة الجهد ، والاخلاص فى أداء الواجب ، وان له علينا حقوقا كثيرة ، ونعما لاتعد ولا تحصى فلنشكر الله على هذه النعم ، ولنؤد للوطن ما فرضه علينا الدين من حقوق ، ولنثق فى معونة الله للعاملين ومكافأته للمخلصين ، قال تعالى « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » .

مقارنة الأديان

اليهود

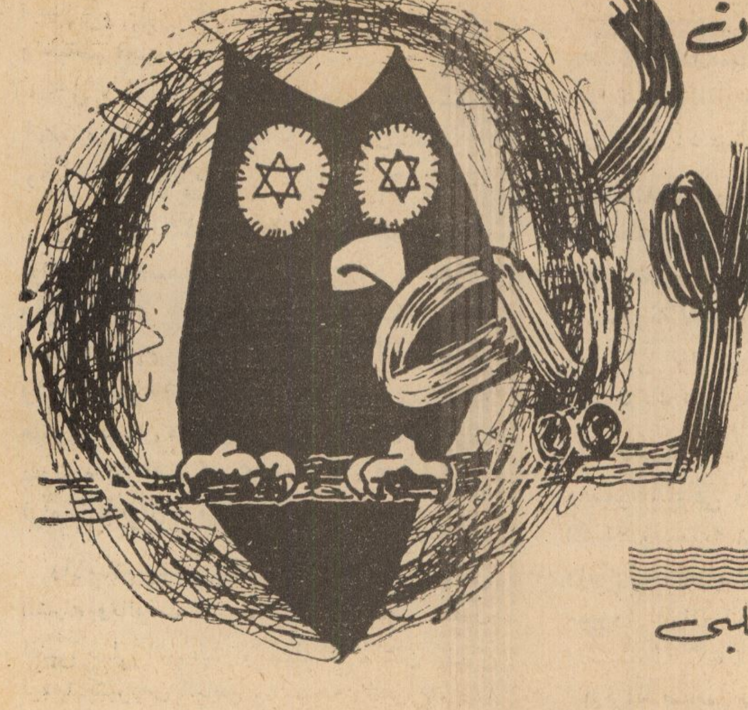

الدكتور أحمد شلبى

مقدمة :

فى سلسلة أبحاثنا السابقة تحدثنا عن « اليهود فى التاريخ » فسرنا معهم فى مختلف العصور منذ بدء تحركات العبرانيين حتى العهد الحاضر ، وننتقل بالقارىء الى موضوع جديد فى هذا البحث وفى الابحاث التالية ، وخطة الدراسة التى وضعناها للكلام عن « اليهودية » تضع بعد الحديث عن « اليهود فى التاريخ » فصلا ثانيا يدور البحث فيه عن « أنبياء بنى اسرائيل وعقيدتهم من القرآن الكريم » حيث ابرزنا أن القرآن الكريم تحدث عن أنبياء بنى اسرائيل أو أكثرهم ، فصورهم فى صورة كريمة ، وأبرزهم ينطبق عليهم القانون الالهى فى اختيار الرسل ، ذلك القانون الذى عبرت عنه الآية الكريمة « الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس » فانبياء بنى اسرائيل ككل الانبياء صفوة « أخيار » ، وعندما تحدث الفكر الاسلامى عن صفات الرسل أثبت لهم جميعا علو الفطرة ، وصحة العقول ، والصدق فى القول والامانة فى تبليغ ما عهد اليهم أن يبلغوه ، والعصمة من كل ما يشوه السيرة النبوية ، والزم أن يعتقد الناس أن الرسل ممدودة ارواحهم بمدد من الجلال الالهى ، لا يمكن معه لنفس انسانية أن تسطو عليهم سطوة روحانية .

فاذا جئنا للعقيدة عند بنى اسرائيل نجد أن القرآن الكريم صورها سليمة صادقة صافية ، لا تختلف عن عقيدة المسلمين قال تعالى : « انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط » .

فالعقيدة الاصيلة لبنى اسرائيل كانت الايمان بالله الواحد الاحد الفرد الصمد ، اله الناس جميعا ، خالقهم وراعيهم ، العالم بكل شىء والقادر على كل شىء ، والايمان بالملائكة والرسل والكتب واليوم الاخر ، وما يتصل بذلك من الحساب والثواب أو العقاب .

بيد أن هذه الدراسة ليست غريبة على القارىء المسلم ولذلك آثرنا أن نكتفى بهذا الموجز ، وأن ننتقل بالقارىء الى الفصل الثالث من هذه الدراسة وهو « انبياء بنى اسرائيل وعقيدتهم من غير القرآن الكريم » .

ويتحتم علينا أن نخصص مكانا فى مطلع هذا البحث لنذكر فيه مقدمة ضرورية له ، فنحن المسلمين نجل كل الانبياء ونعظمهم ، بيد أنا فى دراستنا العلمية نجد عن بعضهم آراء لا تتفق مع عقيدتنا عنهم ، ولكنا مع هذا نلتزم بذكرها لنتمكن من اعطاء صورة متكاملة عن كل منهم تمثل كل الجوانب وألوان التفكير ، فما ذكره المستشرقون من غمزات عن نبينا محمد صلوات الله عليه فى تعدد زوجاته وموقفه من القبلة ومن اليهود .. ذكرناه وناقشناه .

وانبياء بنى اسرائيل صورهم القرآن تلك الصورة الطيبة التى سبق أن أشرنا اليها ، ولكن البحث لا تكتمل عناصره حتى نورد عنهم ما ذكرته التوراة وما ذكرته المراجع الاخرى على نمط ما فعلنا مع الرسولين العظيمين محمد وعيسى ، ولن نحتاج فى العرض الذى سنقوم به الى مناقشة ما سنورده من آراء ، لأن الرأى الاسلامى قد أوردناه بادىء ذى بدء وهو الرأى الذى نرتضيه ، فنحن نسرد آراء الاخرين حتى لا يكون البحث مبتورا ، وبخاصة أن أكثر ما سنورده مقتبس من الكتاب المقدس لدى اليهود ، والمسلمون يرون أنه محرف ، وليت شعرى لقد حرفه اليهود لا ليرفعوا من مكانة انبيائهم وعقيدتهم ، بل ليطعنوا الانبياء ، وينحطوا بالعقيدة ، وهذا هو الذى دعا كثيرا من الباحثين الى الاخذ بما ورد فى التوراة ، متبعين المبدأ العام الذى يرى أن التحريف يكون لصالح من حرف ولا يكون لادانته ، فاذا كان رجل مدينا لرجل بعشرة جنيهات وحرف الدائن صك الدين فان الطبيعى أن يزيد الدين وليس طبيعيا أن يحرفه بالنقص ليجلب الخسارة لنفسه .

على أى حال فان هذا البحث يشمل صورتين متناقضتين ، احداهما مقتبسة من الذكر الحكيم تمثل رأى المسلمين والاخرى مقتبسة من التوراة ومن المراجع الاخرى نذكرها على مسئولية كتابها استكمالا لعناصر

الدراسة دون أن نؤيدها أو نوافق عليها ، وحسبنا هذا التقديم الضرورى عن هذا الفصل بوجه خاص وعن المواقف المماثلة بالبحث كله بوجه عام .

وقبل أن ناخذ فى هذا ينبغى لنا أن نوضح أن تاريخ العبريين يذكر عددا كبيرا من الانبياء قاموا بين الناس بدور الوعاظ وظهروا بعد انقسام مملكة سليمان ، وكان ظهور هؤلاء رد فعل للنظام الطبقى الذى اتسع مداه بين اليهود ، فقد كانت جماعة منهم تنعم بالغنى الفاحش ، وكان آخرون يتساقطون جوعا ، وكان كذلك رد فعل لانشغال الكهنة بالمال والتقاليد والمظاهر عن الروح الدينية الحقيقية ومن أجل هذا كثر فى هذا العصر من أطلقوا على أنفسهم انبياء وهم كما يقول Wella ينتمون الى أصول وطبقات متباينة الى أقصى حد ، فكان حزقيال مثلا من طائفة الكهنة وكان ذا عواطف كاهنية ، وكان عاموس راعيا ، على أنهم يشتركون فى كونهم يبثون فى الحياة قوة دينية خارج نطاق القرابين والشكليات المرعية ، لدى الكهانات والمعبد .. فظلوا بعيدا عن الخطة الدينية الرسمية ، ولم يبرح الكهان يتبرمون بالانبياء تبرما يتفاوت قدره ، اذ انهم اصبحوا الناصحين غير الرسميين للناس فى الشئون العامة ، والناعين عليهم الخطايا والتصرفات الغريبة ، وهم قوم « نصبوا انفسهم بانفسهم » ولم يكن لهم من سند يستندون اليه الا ما يحسونه من نور باطنى ، وفى الكتاب المقدس صيغة ثابتة هى : وعند ذلك جاءت كلمة الرب الى فلان ، ويروى عن عاموس فى محاربة الكهنة والاغنياء قوله : انكم تدوسون المسكين وتاخذون منه هدية قمح ، بنيتم بيوتا من حجارة منحوتة ، ولا تسكنون فيها ، وغرستم كروما شهية ولا تشربون خمرها ، لانى علمت أن ذنوبكم كثيرة وخطاياكم وافرة ، أيها المضايقون البار الاخذون الرشوة ، الصادون البائسين خلف الباب ، لذلك يصمت العاقل فى ذلك الزمان لانه زمان ردىء .

يقول حزقيال : قل للذين هم انبياء من تلقاء ذواتهم اسمعوا كلمة الرب ، هكذا قال السيد الرب : ويل للانبياء الحمقى الذاهبين وراء روحهم ، ولم يروا شيئا ، انبياؤك يا اسرائيل صاروا كالثعالب فى الخرب .. رأوا باطلا وعرافة كاذبة ، القائلون وحى الرب ، والرب لم يرسلهم ..

واذا ضربنا صفحا عن المتنبئين والمتهوسين ، فاننا يجدر بنا أن نذكر كلمة عن الانبياء الاربعة الكبار فى هذا العهد وهم :

اشعيا (القرن الثامن ق. م) وكان من مستشارى الملك حزقيا ملك يهوذا (٨٢٩–٦٨٨ ق م) الذى حاصر سنحريب ملك آشور أورشليم فى عهده ، ولاشعيا نبوءة امتازت بشدة لهجتها ، فقد كان يحمل على من يتظاهرون بالورع ، مع جمع الاموال والسيطرة على الاقوات وحرمان الفقراء .

وعن أشعيا يقول Weech : كان أشعيا من سكان أورشليم ، وهو ينتمى الى الطبقات العليا بين السكان ويحتمل انتسابه للاسرة المالكة ، وقد بدأ نبوءته بالرؤيا التى قصها فى السفر المنسوب اليه ، ومن تنبوءاته التى تحققت الوحدة بين سوريا والقسم الشمالى من المملكة اليهودية ، وسقوط السامرية ، وهجوم سنحريب ، وهو أول من وضح أن يهوه اله عالمى وأن الممالك كلها أدوات فى يده ، وهو يدفع احداها لتقتص من الاخرى على ذنب وقعت فيه ، واشعيا أول من تنبأ بمجىء المسيح .

ارميا (٦٥٠–٥٩٠ ق. م) تنبأ بسقوط أورشليم ، ونادى بالخضوع لملوك بابل ، فاضطهده الملوك واعتدوا عليه ، ولما سقطت المدينة فى أيدى نبوخذ نصر لم يؤخذ مع الاسرى الى بابل ، وهرب الى مصر حيث مات ، وله نبوءة تملاها عواطف الاسى . وكان أرميا شديد الحقد على قومه يدافع عن بابل ويعلن فى الملا أنها صوت عذاب فى يد الله ، ويتهم حكام يهوذا بانهم بلهاء معاندون ، وينصحهم بأن يسلموا أمرهم الى بنوخذ نصر ، حتى ليكاد من يقرأ أقواله أن يتهمه بالخيانة الوطنية ، وأن يظن أنه من صنائع بابل المأجورين ، استمع اليه يقول على لسان ربه انى أنا صنعت الارض والانسان والحيوان الذى على وجه الارض بقوتى العظيمة وبذراعى المحدودة وأعطيتها لمن حسن فى عينى ، والان وقد دفعت كل هذه الاراضى ليد بنوخذ نصر ملك بابل عبدى وأعطيته أيضا حيوان الحقل ليخدمه ، وتخدمه كل الشعوب .. والامة أو المملكة التى لا تخدم بنوخذ نصر ملك بابل والتى لا تجعل عنقها تحت نيره ، انى اعاقب تلك الامة بالسيف والجوع والوباء يقول الرب : حتى افنيها بيده ، فلا تسمعوا أنتم لانبيائكم وعرافيكم وحالميكم وعائفيكم وسحرتكم الذين يكلمونكم قائلين لا تخدموا ملك بابل لانهم انما يتنبأون لكم بالكذب . وكلام ارميا أبلغ وصف لانبياء هذا العهد .

ويقول : Weech عن أرميا انه كان رجلا مثقفا فصيحا شديد التاثر بما كتبه هوشع ، وقد ندد باخطاء قومه ، وأنذرهم بالعقوبة ، وقال أرميا بأن الدين مسألة عقيدة ، وليست مسألة طقوس ، وخلال حصار أورشليم صاح بأنه لا أمل ، ودعا للاستسلام وعندما سقطت المدينة أخذ أسيرا ، ولكن سرعان ما أطلق آسروه حريته وأعادوه الى اورشليم ، ليستغلوا فيه اتجاهه لتهدئة قومه ، ودعوته لهم بالخضوع للفاتحين الجدد ، ثم هاجر الى مصر مع من هاجروا اليها ، وهناك لم يسمع له ذكر بعد ذلك .

حزقيال (٥٨٦ ق. م) عاصر فترة انحلال مملكة اسرائيل ، وكان يشجع قومه على احتمال المتاعب والمحن ، ويعلمهم ان ما نزل بهم انما هو من القصاص العادل الذى أوقعه الرب عليهم ، وكان يحذرهم من مخاطر رخاء العيش ، وعبادة الاوثان فى البلدان التى ساروا اليها بعد سقوط بلادهم .

وكان حزقيال من رجال الدين وقد أبعد الى بابل بعد الاستسلام الاول لاورشليم ويبدو أنه هناك منح قدرا كبيرا من الحرية ، وكان يلجأ له كثير من الناس ليعرفوا منه أمر المستقبل ، اذ كان شائعا أنه يوحى اليه وأن نبوءاته صحيحة ، وكانت تنبؤاته كئيبة توحى بالتشاؤم من المستقبل ، ولم يهتم الناس بها فى بادىء أمره ، ولكن سرعان ما تحققت نبوءته عن تدمير أورشليم فالتف حوله الناس وآمنوا بما يقول ، وأصبح حزقيال بينهم وكأنه يتمتع بما يمكن أن يسمى الحاسة الزائدة ، وكثيرا ما كان يسقط فى غيبوبة أو يشمله الذهول ، وينسب له أنه نقل الفكر اليهودى من عهد يهوه الى ما هو عليه الان ، ورد القول بأن الابناء يؤخذون بذنوب آبائهم ، وأعلن أن كل انسان يؤخذ بذنبه فقط ، واهتم حزقيال بالطقوس الدينية ، وقال بالبعث والحساب وبالمسيح الذى سيجىء من نسل داود ويصبح ملكا لليهود .

دانيال : ويشتهر سفره بالمنامات والرؤى الرمزية التى اعلنت مستقبل الشعب الاسرائيلى ، لا سيما من الضربات الحالة عليهم ، ووعدهم بالخلاص على يد المسيح .

وسنعود فى المقال القادم لنتحدث عن الانبياء الذين ورد ذكرهم فى القرآن الكريم لنروى عنهم بعض الاحداث التى وردت فى غير القرآن الكريم منسوبة لهم .

(للحديث بقية)

عرفنا مما سبق الاثر الذى تركه عالمان مصلحان مجاهدان – الامام شاه ولى الله الدهلوى ، والشيخ احمد السرهندى – فى تاريخ دعوة الاسلام وتطوراتها فى شبه القارة الهندية . وان الامام ولى الله الدهلوى قد سقى شجرة الاصلاح والتجديد التى غرسها الشيخ السرهندى فى علمه وفكره الناضج . وقد انحصرت مساعيهما فى تنقيح الافكار وتذليل العقبات للحركة الدينية الشاملة وتمهيد السبيل لاقامة شعائر الدين واعلاء كلمة الله . وكانت أهدافهما الاولى تنوير الاذهان وصقل الافكار وتهيئة القلوب لقبول الدعوة ، واعداد النفوس للبذل والتضحية فى سبيل الله ، وتحرير العقول من الجمود والتقليد الاعمى ، وتخليص نفوسهم من الخوف والجبن .

وقد ظهرت فعلا أمارات الاصلاح والتجديد ، وتباشير اليقظة الفكرية ،والنهضة الاسلامية فى طول الهند وعرضها ، بفضل جهودها . وظهر من بعدهما مصلحان كبيران قاما بالحركة الدينية العظيمة الشاملة ، والدعوة الاسلامية الجامعة ، واضطلعا بهذه الاعباء الخطيرة حتى ماتا شهيدين فى سبيل تبيين معالم الاسلام ، واحياء نظمه البيضاء ، بعد أن رسما الخطوات العملية للمصلحين وأنارا الطريق أمامهم للبذل والتضحية بكل رخيص وغال فى سبيل تحقيق أهداف نبيلة ، وغاية منشودة .

والامامان المصلحان ، هما السيد احمد بن عرفان ، والشيخ اسماعيل بن عبد الغنى بن ولى الله الدهلوى .

وقد ولد السيد احمد عرفان فى عام ١٨٠٥ هـ فى بيت علم وورع وتقى ، وتتلمذ على الشيخ المفضال عبد العزيز ابن ولى الله الدهلوى ، وقام السيد احمد بن عرفان بالدعوة الاصلاحية بين اصحابه ومريديه الرجوع الى كنف الشريعة الخالصة واجتناب البدع والخرافات ، والابتعاد عن جميع أنواع شوائب الشرك المتغلغلة فى حياتهم الاجتماعية كحديث عهدهم بالاسلام ، أو بشديد اختلاطهم بالمجتمع الوثنى . وقام الشيخ وأصحابه فى خلال الفترة من ١٢٣١–١٢٣٦ هـ بجولات واسعة فى أنحاء الهند . وكان الناس يقبلون على الاستماع الى مواعظهم وارشاداتهم ، وهرعوا لاستقبالهم والترحيب بهم فى كل مدينة أو قرية نزلوا بها .

وفى أواخر عام ١٢٣٦ هـ سافروا الى الحجاز لتادية فريضة الحج ، والقيام بدعوة شاملة الى الاسلام والاصلاح الدينى فى ربوع القارة الهندية وغيرها بقدر ما تتاح لهم الفرص ، وتسمح لهم الظروف . وقاموا بغرس نواة صالحة للدعوة الاسلامية فى أثناء الطريق فى الحدود الشمالية الغربية للهند ، حيث استفحل الانحلال ، وعم الفساد فى اخلاق الناس وعقائدهم واعمالهم . وتشرف الوف من الناس بصحبتهم ، واستفادوا من معارفهم ومكارم اخلاقهم . غير أن مئات الالوف من الناس قد اسلموا بفضل هذه الرحلة الميمونة .

وفى تلك الايام قد أفتى بعض العلماء من ضعاف النفوس بسقوط فريضة الحج لعدم الامن وخوف الفتن

ضريح الداعية الاسلامي الكبير الشيخ عبد القادر بمدينة دلهي بالهند

فى الطريق ، وجاءت رحلة الشيخ احمد بن عرفان وصحبه الى بيت الله الحرام ، وعودتهم سالمين غانمين بعد ما أثمرت وآتت أكلها دليلا حيا على خطأ رأى هؤلاء العلماء ، وفاتحة عهد جديد فى تاريخ الدعوة الاسلامية الشاملة . وما كان هدف السيد احمد بن عرفان والعلماء المجاهدين الذين انخرطوا فى سلكه نشر الدعوة الاسلامية بطريق الوعظ والارشاد فقط ، بل وحملوا راية الجهاد ولبوا داعى الكفاح فى سبيل اعلاء كلمة الله ، ومساعدة المضطهدين والمستضعفين . ولما نشبت الحرب وانتشرت الفوضى والفتن ، وانتهكت حرمات الشعائر الاسلامية وقيدت حرية الدين فى الحدود الشمالية الغربية للهند واستجابوا لنداء الحق ، وطاروا الى الميدان وتبعهم المجاهدون جماعات وفرادى ، وفى مقدمتهم الشيخ اسماعيل بن عبد الغنى ابن ولى الله الدهلوى ، والشيخ عبد الحى وامثالهما ونشبت المعارك الدامية بين المسلمين والمشركين واستمرت هذه المعارك زهاء أربع سنوات وكان النصر فيها حليف المجاهدين مع قلة عددهم وعددهم ، واستولوا على مدينة بشاور المشهورة وأقاموا فيها دولة اسلامية وعادت الى القلوب هيبة الاسلام وفرح المؤمنون بنصر الله .

ومما هو جدير بالذكر فى هذه المناسبة ، وفاء لحق التاريخ ، وتذكرة لكل من له قلب او ألقى السمع ، فكانت دعوة هؤلاء المصلحين قائمة على احياء السنة النبوية الخالصة والاعتصام بحبل الله المتين ، وتنقية الدين الحنيف من شوائب البدع والخرافات وتصحيح العقائد الدينية من أدران الشرك ، ونشر التوحيد النقى فى الامة المحمدية . ولكن علماء السوء ، واصحاب البدع لم تعجبهم هذه الدعوة السمحاء ، وخافوا على فوات منافعهم الخاصة ، وضياع نفوذهم الزائف فى عامة الناس . وأثار هؤلاء العلماء الاوهام والشكوك فى اذهان البسطاء لكى يثوروا عليهم بدافع الحرص على التقاليد الموروثة من آبائهم وأجدادهم . ودب الخلاف والتفرق فى صفوف المسلمين ، وكادت تذهب ريح هذه النهضة المباركة ، والفتوح الباهرة ، وتبوء مساعيهم الجميلة بالفشل ، ولكن السيد احمد بن عرفان ومن معه من المصلحين الكبار ، لما رأوا اشتداد مقاومة علماء البدع ، وتحريضهم لرجال القبائل ضد هؤلاء الدعاة المخلصين ، بحجة أنهم خارجون على ما وجدنا عليه آباءنا الاولين ، غادروا البلاد الواقعة فى الحدود الشمالية الغربية للقارة الهندية الى بلاد كشمير وفى أثناء الطريق نشبت حرب دامية فى موضع بين كشمير والحدود الشمالية بين هؤلاء المجاهدين وأعدائهم . واستشهد فيها العالمان الجليلان ، والمصلحان العظيمان السيد احمد بن عرفان والشيخ اسماعيل بن عبد الغنى وذلك فى عام ١٢٤٦ هـ بعد أن أيقظا قلوب الملايين ، وأرسلا النور والعرفان الى نفوسهم . وشحذا للهمم والعزائم للجهاد والنضال فى سبيل الدعوة الاسلامية ، ومهدا الطريق بدمائهما الطاهرة لحركة اسلامية شاملة فى تلك البقاع الشاسعة .

ويرجع الفضل الاكبر فى النهضة الدينية الاصلاحية التى نراها اليوم فى بلاد الهند الى الحركة المباركة التى قام بها هذان الشهيدان المصلحان ، وزملاؤهما .. وبذلوا

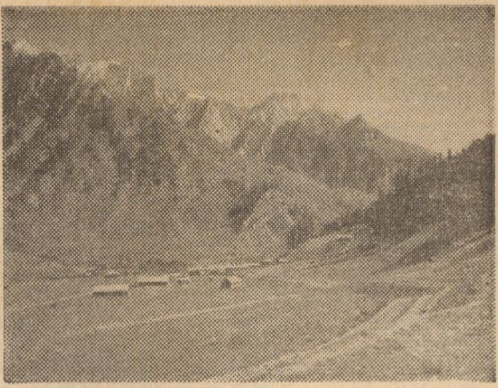

منظر لوادى كشمير - احدى القلاع الاولى للدعـوة الاسلامية فى القارة الهندية

كل الجهود لنشر المبادىء الدينية الحقة والسنة النبوية الخالصة ، ومحاربة البدع والمنكرات وان الكتاب القيم « تقوية الايمان » الذى الفه الشيخ اسماعيل الشهيد ، فى التوحيد ، كان بمثابة مرجع عام للداعين الى التوحيد الخالص ، وتطهير عقـائد المسلمين من ادران الشرك والالحاد . وترك هو وشيخه السيد أحمـد الشهيد ، مؤلفات قيمة ، ورسائل نافعة للاسلام والمسلمين ، لتكون قبسا للمصلحين ، ورمزا للعاملين .

وكان الامام الشهيد اسماعيل بن‌عبد الغنى بن ولى الله الدهلوى يعد حقا خليفة ابيه وجده ، ووارث علومهما . وهو بمثابة درة التاج لبيت الدهلوى ، وخرج هذا البيت ستة من أعلام العلم والفضل والتقى والجهاد فى تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند ، وأصبحوا جزء لا يتجزأ من حياة الامة الاسلامية وكيانهـا ، ونهضتها الدينيـة والاصلاحية فى ربوع البلاد ، وهم : الشاه عبد العزيز ابن ولى الله الدهلوى ، ورفيع الدين بن الدهـلوى وعبد القادر بن الدهلوى ، وعبـد الغنى بن الدهلوى والشاه محمد اسحاق سبط الامام الدهلوى ، والشيخ اسماعيل ابن عبد الغنى الدهلوى .

ونجحت الحركة الاصـلاحية التى قام بها هـذان المصلحان فى ايقـاف الحمية الاسـلامية ، واذكاء قلوب المسلمين وبعث الهمم الغافلة . وكانت اهدافهما المنشودة هى احياء نظام الاسـلام الكامل وتنفيذه فى البلاد .

وبين السيد احمد الشهيد ، والشيخ اسـماعيل الشهيد هذه الاهداف فى رسائلهما ومؤلفاتهما . بعـد ان مهد لهما ولى الله الدهلوى بتنقيح الافكار ، وتطهير النفوس ، وتنوير العقول بأنوار الكتاب والسنة . فكان الطريق ممهدا للقيام بحركة اسلامية شاملة ، ودعوة اصلاحية جامعة .

وعلى رغـم احراز هذه الحركة نجاحا ملحـوظا فى الاصلاح الدينى واحيا تعاليم الاسلامية واحياء التعاليم الاسلامية الصحيحه ، ونشر السنة ومحاربـة البدع ، لم تحرز انتصارا فى اقامة حكم اسلامى عام ، وتنفيذ شريعته فى تلك البقاع ، وبينمـا كانت آثار هذه الحركة الاصلاحية تستمر بايدى العلماء المصلحين المكافحين فى داخل الهند وخارجها ، قامت فى الهنـد الثورة الكبرى ضد الانجليز المستعمرين ، وذلك فى‌عام ١٢٧٣ هـ ١٨٥٧ م . وكان المسلمون فى طليعة الثوار وثار الجيش الهندى ايضا ضد الحكم الانجلـيزى الغاشم وارادوا القضاء على سلطة بريطانيا فى البلاد . ودامت الثورة بضعة اشهر ، ولكن القدر لم يسمح لها بالنجاح ، والظروف لم تتح لها الانتصار ، واستطاع الانجليز بواسـطة جيشهم وبعض عملائهم من الهنود ان يقضوا على الثورة ، ويفتكوا بالثوار المجـاهدين . ومنذ هذه الثورة تعرض المواطنون المخلصون لانواع من الاضطهادات والمضايقات من جانب الحكومة البريطانية فى الهند .

وصار المسـلمون عرضة لتنكيب الانجليز ، ونصب اعينهم ، للانتقام منهم لمساهمتهم الرئيسية فى الثـورة ضدهم ونظرا لمقـاومة الحكام المسـلمين الشديدة للمستعمرين .

واستخدم الانجليز سلاحهم الشهير « فرق تسد » واستعملوه فى الهند ذى حدين : للتفريق بين المواطنين عامة ، باسم الهندوس والمسلمين ، والسيخ والمسيحيين وما الى ذلك من الطوائف التى تتـكون منها القارة الهندية . وللتفريق بين المسلمين خاصة بايجاد الفتن فى صفوفهم ، كهذا سنى وذاك شيعى وان فلانا وهابى ، وآخر من اهل الحديث ، وهكذا .. ثم كانوا يحرضون العامة الجهلة من اتباع كل جماعة ضد الجماعة الاخرى ، وبهذه الوسيلة نجح الانجليز فى بث سموم الفرقة بين المسلمين ، واشعال نار الفتن والتعصب الطـائفى فى البلاد ، وانتشر نوع من الخوف والياس فى قلوب ضعاف النفوس من المسلمين .

وعنـدما أصبح امر المسلمين كما ذكرنا من حالة سيئة بسبب اضطهاد الانجليـز ، وتفرق الكلمة بين المسلمين انفسهم ، والجبن والفزع ، واليـاس الذى انتشر فى الامة بايدى علمـاء السوء وضعـاف الهمم ، قامت فى البلاد حركات ثلاث لها اعظم الاثر فى الدعوة الاسلامية فى الهند ، قبيل الاستقلال وبعـده . وهى بمثابة مدارس فكرية ثلاث بالنسبة الى مسلمين الهنـد اليوم .

وهذه الحركات الثلاث تستهدف ، اولا وقبل كـل شىء ، الى النهضة التعليمية ، كل فى دائرة افكارها . ولها صـفحات مجيدة فى ميدان نشر العلوم الاسلامية والثقـافة العربيـة بين المسلمين فى شبه القـارة . وساعت على تكوين جيل من أبناء الاسـلام . وقد حملوا لواء هذه الدعوة فى ربوعها ، وعملوا لاعادة الشجاعة الفكرية وايقاظ الهمم الراكدة ، وايقـاد شعلة النور والعرفان فى قلوب الملايين ، وسنقف وقفة قصيرة عند هذه الحركات الثلاث وبعض رجالاتها البارزين ليكون القارى على المام بتطوير الدعوة الاسـلامية فى الهنـد قبيل الاستقلال من الحكم الانجليزى .

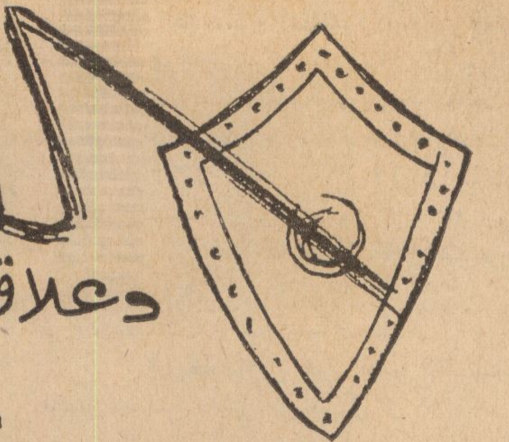

الفتوة

وعلاقتها بالجهاد والفروسية

الأستاذ محمود الجرسى

لقد اتسمت الفتوة أيام الحروب الصليبية بسمات جديدة ، فأصبحت نوعا من الفروسية التى طبعت العصور الوسطى بطابعها ، وخاض الفرسان غمار هذه الحرب الضروس بنفس التقاليد التى اشتهرت بها فروسية تلك العصور . وكان طابعها البارز - كما قدمنا - هو الشجاعة والاقدام والكرم ، واحترام المواثيق والمعاهدات ، وحسن معاملة الاعداء ، وتقدير شجاعة الخصم ، والعفو عند المقدرة وكانت هذه الصفات أبرز ما تكون فى فرسان المجاهدين من المسلمين . وقد قدمنا مثلا لهذه الفروسية فى شخص صلاح الدين الايوبى ابان حروبه فى الشام ومصر ضد الصليبيين ، ووعدنا بان نقدم للقراء مثلا آخر للفروسية العربية فى ذلك العهد ، فى شخص فارس آخر اشاد المؤرخون بمواقفه الخالدة - حتى الخصوم من كتاب الفرنجة - واعتبروه المثل الأعلى لفروسية تلك الأيام : هذا الفارس هو أسامة بن منقذ .

ولقد عاصر أسامة الحروب الصليبية زهاء تسعين عاما ، وهى الفترة التى درج فيها على اديم هذه الأرض ، التى كانت مهد البطولات أيام تلك الحروب . فقد ولد أسامة فى حصن شيزر سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، وتوفى ليلة الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة أربع وثمانين وخمسمائة ، فيكون قد قطع مرحلة الحياة فى ست وتسعين سنة ، وعاصر أهم الحملات الصليبية التى تدفقت على الشرق فى هذه الحقبة الدامية من تاريخ الصراع الدينى .

وقد وصف مؤرخو تلك الحروب ما كان لأسامة فيها من بطولة وشهامة واقدام ، وما تحلى به من فضل وعلم وأدب ، حتى عز أن تجتمع صفات أسامة لأمير من أمراء تلك الأيام . وهذا ما دعا العلماء المستشرقين الى تتبع أخبار أسامة والعناية بالتنقيب عن أعماله وآثاره ، ودراسة الكثير من مؤلفاته واشعاره التى لم يزح عنها الستار الا أخيرا .

وأسامة هو أبو المظفر اسامة بن مرشد بن على بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى الكلبى الشيزرى ، الملقب بمؤيد الدولة ، وهو من أمراء حصن شيزر وآلت امارة الحصن الى أبيه مرشد ، ولكنه عزف عنها لانشغاله بالصلاة والقيام ، ونسخ القرآن الكريم وكتابته ، وتركها لأخيه الصغير سلطان بن على وعكف على ما هو فيه من عبادة ، وكان على عبادته مغرما بالصيد فى بعض الأحيان ، وقد أورث هذه الهواية ابنه أسامة على ما سيجىء

وشيزر التى ولد فيها أسامة قلعة غربى حماه ، قال عنها ياقوت الحموى : « قلعة تشتمل على كدرة بالشام قرب المعرة ، بينها وبين حماه يوم ، فى وسطها نهر عليه قنطرة فى وسط المدينة » . وقد جاءت فى شعر امرىء القيس حيث يقول :

تقطع أسباب اللبانة والهوى
عشية جاوزنا حماة وشيزرا

بكى صاحبى لما رأى الدرب دونه
وأيقن أنا لا حقان بقيصرا

فقلت له لاتبك عينك ، انمـــا
نحاول ملـــكا أو نموت فنعذرا

وقد فتحها أبو عبيدة بن الجراح فى صدر الفتوحات الاسلامية صلحا ، حيث تلقـــاه أهلها ، وسالوه الصلح على مثل صلح حمـاه ففعل ، وذلك سنة ١٧ هجرية . واستوطنها الامراء من آل منقذ ، بعد أن استولى عليها من الروم أبو الحسن على بن مقلد بن نصربن منقذ الملقب بسديد الملك ، وهو جد أسامة ، وذلك سنة أربع وسبعين وأربعمائة ، وظلت فى يده وبد أولاده الامراء من بعــده الى ان دمرها الزلزال ، ومحا كل معالمها من الوجود سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة ، فلم يبق من آثارها شيئا ، وتهدمت القلعة على آل منقذ فلم ينج منهم أحد ، وكان أسامة بعيدا عن شيزر حين حدث بها الزلزال لجفوة بينه وبين عمه سلطان بن على أمير الحصن ، فلمـا علم أمر النكبة عاد اليها ، ووقف على أطلالها يبكى أهله بقصيدته التى يقول فيها :

ما استدرج الموت قومى فى هلاكهم
ولا تحـزمهم مثنى ووحـدانا
فكنت أصبر عنهم صبر محتسب
وأحمد الخطب فيهم عـز او هانا
واقتدى بالدرى قبلى ، فكم فقدوا
اخا ، وكم فارقوا اهـلا وجيرانا
لكن سقبت المنايا وسـط جمعهم
رغما فخروا عـ ـى الأذقان ادعانا
وفاجانهم من الايام قارعـــــة
سقتهم بـكئوس المـــوت ألوانا

وهى قصيدة طـــويلة مملوءة بالزفرات والأسى واللوعة .

وآل منقذ كلهم أصحاب سيف وعنان . وأدب وبيان ، قل منهم الخامل : ولذلك ذاع صيتهم فى الآفاق ، وتناقل الرواة أخبـارهم ومواقعهم مع الفرنجة والروم ، وبلغـوا من المجد شأوا حسدهم عليه بقية امراء الشام ، وكان أسامة ابعدهم شانا ، واكثرهم اقداما ، وابرزهم علما وادبا خاض كثيرا من الحروب الصليبية ضد الاعداء مع نور الدين وغيره من الأمراء . ومما يؤثر عنه -كما يقول عن نفسه- انه باشر الحرب وهو ابن خمس عشرة سـنة الى أن بلغ التسعين من عمره ، فاقعـــده الشيخوخة عن الجهاد ، ولكنه لم يضن بالرأى على صلاح الدين حين استدعاه اليه ، وجعله مستشاره فى أمور حربه ، فلازمه زمنا طويلا ، وكثيرا ما كان يندب حظه حين قعد به السن عن خوض المعـــارك ، ويتحسر على أيامــه الخاليات . وكان يتمنى لو أنه قتل فى ساحة الجهاد استشهادا ، ولم تمتـد به الأيام الى أرذل العمر . ويبدو ذلك واضحا فى شعره الذى يقول فيه :

كم قد شهدت من الحروب فليتنى
فى بعضها من قبل نكسى اقتـل
فالقتل احسن بالفتى من قبـل ان
يفنى ويبليـــه الزمان واجمـل
وابيك ما احجمت عن خوض الردى
فى الحرب . يشهد لى بذاك المنصل
لكن قضــــــاء الله أخرنى الى
اجلى الموقت لى فماذا افعـل ؟

ورحل أسامة الى مصر أيام الظــافر بن الحافظ ، والوزير يومئذ العادل بن السلار ، وقد اتهم أثناء مقامه بمصر باشتراكه فى بعض الفتن ، فنفى من البلاد بمفرده ، ثم حمل اليه الصالح طلائع بن رزيك أهـله ، وألحقهم به بالشام .

وكان أسامة مولعا بالصيد والقنص كابيه ، بل اكثر ، شأن فرسان تلك العصور .

وكان له متصيدان متصـــيد للعجل والارانب فى الجبل من جنوبى البلد ، ومتصيد لطير الماء والدارج والغزلان على النهـر فى الأزوار من غربى البلد . وكان فى صدد جبانا مقداما تتجلى فيه كل صفات الفروسية «فلقد بلغه أن هناك أسدا على شاطىء الفرات يمنع الناس من المرور ، ولم يستطع احد انيتعرض لقتله ، وانقاذ الناس من شره ، فما كان منه الا أن هب ذات يوم متقلدا سيفه ورمحه ، دون أن يعلم احد من أهله ، ومضى الى الفرات حيث مقر الأسد . وما هى الا بضع دقائق على منازلته اياه حتى حطم القنا فى لبته ، فخـر الأسد صريعا ، ثم حمله الى شيزر ، فاكبـر اهلها عمله ، وكان يوما مشهودا » .

هذا هو أسامة بن منقذ الفارس الشجاع ، الأديب الشاعر ، الكاتب المؤلف ، الذى يعتبر عنوانا صادقا للفرسان فى عصر الفروسية .

الأم في شعر المرأة

الأستاذة روحية القليني

مما لاشك فيه أن المرأة اقدر على تصوير عاطفة الأمومة والتعبير عن دور الأم فى حياة الأبناء بصورة خاصة والمجتمع بصورة عامة .

والشاعرة العربية حينما تتكلم عن الام فهى تتكلم عن الصورة المثالية فى خيالها والحنان الوارف فى واقعها ، والشعر الجميل هو الصدق فى التعبير والايمان بما يعبر عنه الانسان ومن اولى بالأم فى التعبير عن أجمل المشاعر نحوها حينما تتناول هذا التعبير شاعرة موهوبة .

وهى كمسلمة تعرف كيف كرم الله سبحانه وتعالى الأم فى كثير من آياته البينات ، قال جل شأنه « ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله فى عامين»

وقال تعالى « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » صدق الله العظيم

وعن الرسول صلى الله عليه وسلم حين جاء من يسأله « من اولى الناس بحسن صحابتى ؟ فرد قائلا امك قال ثم من ؟ قال امك ، قال ثم من ؟ قال امك ، قال ثم من قال ابوك » فالرسول الكريم يكرد ويؤكد ان اولى الناس بالرعاية هى الام فهى القلب الرحيم الذى يحمل كل معانى العطف والحب والحنان .

وقد لاحظت ان الشاعرة العربية المعاصرة قد اشارت الى أمها فى كثير من اشعارها ، وبهذه المناسبة فانا الاحظ تنوع أشعار الشاعرة المعاصرة فهى تكتب فى ألوان متعددة

فالشاعرة العراقية عاتكه الخزرجى كان لأمها دور كبير فى حياتها ولذلك فهى دائما تذكرها فى كثير من اشعارها .

تقول فى قصيدة « أنت ياأماه » من ديوانها « انفاس السحر »

أنت معنى الحب بل معنى الحياة
انت نور فاض من نور الاله
أنت يا أماه من قلبى مناه
أيعيش المرء دون الأمل
انت يا اماه سر سرمد
ضل فيه الفكر منذ الازل
فيك يا اماه شتى الصور
وبها الكون جميلا ينجلى
آنت يا أماه فقت الأمهات
فيك يا أم يحلو غزلى
انت يا اماه هل أنت أنا
أم ترى لغزك لما يحلل
انت لى الصحب اذا ما أنكروا
والأحباء اذا ما غدروا
انت يا أماه ما أدخر
ليس لى فى الكون الا أنت لى

فعاتكه ترى فى أمها النور المستمد من الاله وترى معها الآمال التى تعيش عليها بل ترى فيها صور الوجود

الجميلة جميعها ، وتختم قصيدتها فتقول ليس لى يا ام الا انت فى هذى الحياة .

فمانكه ام وتقدر معنى الامومة ، وحتى لو قالت هذه الاشعار قبل ان تكون اما فهى تفهم بغريزتها مكانة الام فى حياة الابناء .

وفى قصيدة اخرى بعنوان بعد الرحيل تقولها فى باريس حنينا الى أمها الغالية وتشوقا الى رؤيتها ...

اواه لو تدرين ما اقسى الحياة على الغريب
كاداه موحشة يشيع بجوفها الصمت الرهيب
كم قد فزعت مع الظلام لوجهك الحلو الحبيب
اماه انت هواى انت هداى انت لى النصيب
فى حجرك القدسى لقنت المحبة والنسيب

ثم تقول :

اماه من لى ان اراك وبيننا هذى الربوع
رباه هل من ملتقى ؟ رباه هل لى من رجوع
اراك يا اماه مقبلة ببشر من دموع
وتضمنى منك اليدان لراعشى بين الضلوع
ويؤلف الشمل الشتيت ويهدأ القلب المروع

فالغربة قد ارهفت حسها فتغنت باكية مشوقة لصدر أمها وحنانها وتتمنى لو تعود ولكنه الطموح وتحقيق الآمال يعزيها فى تحمل آلام الغربة .

اما الشاعرة الاردنية الموهوبة فدوى طوقان فتصور حنان الأم فى صورة فريدة هى صورة طفل فقد اباه فكانت امه اما وأبا معا تقول بعد أن تصف حالة الطفل بعد موت أبيه :

واحتناناه لأم أيم
طوت النفس على خوف وغم
فنضت عنها الثياب السود لا
لا تظنوا جرحها الدامى التأم
بل لدفع الشؤم عن واحدها
يا لقلب الأم ان اشعرهم
وبدت فى البيض من اثوابها
من راى احدى حمامات الحرم

الى ان تقول فى اروع بيت فى القصيدة :

عطفت من رحمة تحضنه
انما دنيا اليتامى حضن أم

فهذا البيت وحده يصور ما للأم من قيمة فى حياة الابناء فاليتيم الذى فقد أباه لايرى فى الدنيا من يعوضه عطف ابيه غير قلب امه وصدر امه وحنان امه .

وجليلة رضا الشاعرة المصرية المبدعة تتغنى بالام فى صورة قاتمة حزينة لانها فقدت امها ولكنها فى كل لحظة تحس بها وتحس بحاجتها اليها فتقول فى قصيدة من ديوانها « انا والليل » :

آه ما أقسى شعور المرء فى هذا الوجود
حينما يرتفق الشرفة فى مشرق عيد
فاذا الدنيا بعينيه صفاء وحنان
واذا الفرحة والزينة فى كل مكان

وهو يرنو وبجنبيه قبور وعويل
وطريق ملتوى السحنة جهم وطويل
انه قلبى الذى عاش يغنى للظلام
علمته الام ان يجهل معنى الابتسام
آه حتى بعد ان ولت وغابت عن عيونه
مثلما كان يعانى لم يزل طى سجونه
كم تمنى كلما عانق حبا وحبيب
لو يذوق العطف من أم وتنساه القلوب

وهذا البيت الاخير من أروع أبياتها فهى لا تحفل بالقلوب حولها مادام ليس بينها قلب امها الحانى بل وكانت تتمنى ان تنساها كل القلوب الا قلب امها .

فالام هى هى فى حياتها وفى مماتها ، الصورة المثلى المقدسة فى حياة الابناء .

وجليلة رضا تكتب عن أمها التى فقدتها وتكتب كأم لابنها المريض الذى جعل حياتها ظلاما وحطم سعادتها ، تقول :

بنى جعلتنى أهوى بقاتى
فعشت لغصنك الغض النضير
وجرعنى الزمان كئوس هم
وضن على بالعيش القرير
ولكنى سقيتك ماء قلبى
وجدت عليك بالحب الوفير
وكان الشوك فى الدنيا نصيبى
وكان لك الزهور مع العبير
اخاف على خطاك حصاة أرض
وقد أعلو الهضاب مع الصخور
وللموج يلطمنى فأرضى
واخشى فيك لمسات الحرير
واجزع اذ أراك مرضت يوما
فيحوينى ظلام من قبور

وهكذا تمضى جليلة فى شعور ينساب رقة وحنانا نحو ابنها الوحيد الغالى ، ابنها المريض فتصور عاطفة الامومة وشعور الام الحقيقى ، نحو أبنائها ونحو ابن تتمنى أن تعيش من أجله ومن أجل رعايته .

والشاعرة المصرية روحية القلينى تصور عاطفتها نحو أمها فى قصيدة تشبه الصلوات فهى تؤمن بالله ايمانا قويا وتقول بانه لولا ايمانها بالله لعبدت امها ، تقول :

من وحى قلبى من تألق ذاتى
من نبع ايمانى سرت دعواتى
ووقفت فى المحراب خاشعة وفى
نجوى الفداء همست فى السجدات
يارب صن أمى وسر سعادتى
يا رب واحفظها بحو صلاتى
هى بسمتى هى عالمى هى مؤنسى
وهدايتى فى أحلك الظلمات
فى قلبها عطف الوجود بأسره
كم ذللت برضائها عقباتى
وبساعدين من الحنان تضمنى
فأكاد اسمع لهفة الخفقات
ان غبت عنها تحسب الخطو الذى
يجرى وراء جدارها خطواتى
وتظل تحسب بالدقيقة عودتى
فى حيرة مشبوبة اللهفات
حتى اعود لها فتغمر جبهتى قبلا
كأنى غبت من سنوات
ودموعها تنهل من فرح اللقا
والدمع يسبح فى سنا الضحكات

الى ان تقول :

لو لم تكن ربى وسر هدايتى
لعبدت امى فهى نور حياتى
لكننى يارب مؤمنة بمن
خلق الحياة وانزل الآيات

فالشاعرة ترى فى امها صورة الحنان كله والعطف كله وتصور مشاعر الأم نحو ابنتها فى كل سانحة من اللحظات

وهى كما قلت لولا ايمانها بالله ايمانا قويا متينا لعبدت أمها لقدسيتها وصورتها المثلى فى خيالها .

وهكذا تمضى الشاعرة المعاصرة تترجم مشاعرها الحلوة نحو أمها فى صورة غنائية صادقة لا اثر للصنعة ولا للافتعال فيها ، صورة من اروع مايخطه الشاعر لحنا على الورق ونغما يرسله القلم من منبع الشعور والوجدان

دعوة الميثاق الوطنى من دعوة الإسلام

الأستاذ حسنى عبد المجيد

فتح جديد بدأ بنوره يشع على العالم الأسلامى فيزيده قوة وترابطا فى مواجهة كافة التحديات التى تربصت بعالمنا المسلم قرونا طويلة من الزمان فى صور مختلفة من الاستعمار التركى الذى سلم الأمة الاسلامية • لاستعمار غربى صليبى • وهذا بدوره مكن لاسرائيل فى جزء من أرضنا العربية فى فلسطين وأقام قاعدة عدوانية تحمى مؤمراته ومصالحه واستغلاله واذا كان الاستعمار القديم أو الحديث قد نجح فى عزل الدول العربية عن بعضها وأقام حولها الأسوار • وعمق بينها الخنادق واذا كان الاستعمار قد نجح أيضا — والى حدود — فى أن يجعل مفهوم الاقليمية يسود فى كل دولة عربية حيث تختفى القومية العربية • فأن ثورة ٢٣ يوليو التى تعتبر مشعل القومية العربية تفجرت لتولد طاقة عربية كبرى فى كل العالم الاسلامى التى بدأ يترابط ويتواد ويتراحم بالرغم من كل التحديات • والاستعمار وهو فى النزع الاخير — فى كل العالم العربى — مازال يحاول محاولته الأخيرة فى بذر شقاق الفتنة بين الدول الاسلامية ••• ليدخل من كل فرجة بينها آملا أن يعيد بناء مواقعه• وقد وجد فى مشكلة اليمن صيدا ثمينا يغذى بها حقده على الأمة العربية وبعد ما يقرب من ثلاث سنوات • يتطلع العالم الاسلامى كله لهذا الفتح الجديد فتح الالتقاء بين الأشقاء العرب فى الجمهورية العربية المتحدة والسعودية تحت راية واحده • وهدف واحد هو أضافة شعب عربى مسلم الى حصيلة التحرر العربى لمواجهة المستعمر ومؤامراته • وبذلك تتناجى الدول — العربية الأسلامية دائما بالبر والتقوى حيث يقول تبارك وتعالى فى سورة (المجادلة) يأيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى

واتقوا الله الذى اليه تحشرون ›› ويضرب القرآن الكريم لنا الأمثال الحية التى تبين لنا كل اساليب حياتنا فيقول تبارك وتعالى فى سورة (آل عمران) واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون . وفى (الحجرات) انما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون »

وهذه الآيات البينات تفتح أمامنا ابواب وحدة الشعوب العربية المسلمة . على مصراعيها والتى اذا ما اعتصمت بحبل الله ... وكان رائدها دائما التناجى بالبر والتقوى . لأصبح العالم المسلم قوة لا يستهان بها . قادرة على الوقوف فى مواجهة كل التحديات . ويكفى أن الأمة العربية تملك وحدة اللغة التى تصنع وحدة الفكر والعقل كما يقول الميثاق – وهى أيضا تملك وحدة التاريخ التى تصنع وحدة الضمير والوجدان كما تملك وحدة الأمل التى تصنع وحدة المستقبل والمصير . فكأن التقاء القوى الاسلامية النامية فى العالم العربى . يسجل دائما نقطة انتصار ويبنى دائما موقعا جديدا محصنا يمكن للقوى الاسلامية فى العالم العربى . ان تغير منه على البقية الباقية من حصون المستعمر المتداعية فالوحدة العربية . أو الاتحاد . أو الالتقاء كلها صور تعبر عن حقيقة الوجود العربى ذاته هذه الحقيقة التى فرضت نفسها . على التاريخ قرونا طويلة . أمة عربية واحدة متماسكة يحكمها كتاب واحد . وهو كتاب الله تبارك وتعالى . وسنة رسوله العظيم .

واليوم . أصبح عالمنا الاسلامى العربى المعاصر . لا يحتمل اى حواجز مصطنعة أو سدود قائمة . وبدأت الشعوب والجماهير العربية تعبر عن كلمتها فى ثورات وانتفاضات كلها كانت ولا تزال ترجمة لآمال هذه الجماهير . حتى تعبر عن وحدتها . فى نظام انسانى أساسه الاسلام وقوامه الحرية والكفاية . والعدل ولم يعد خافيا على أحد اليوم أن واقع العالم العربى كما يقول

الميثاق . قد أصبح قادرا على تحمل مرحلة الثورة الاجتماعية بعد ان صلب عوده ووضحت وحريته وآماله فى العيش الكريم والعمل باهدافه وآمن بالانطلاقة التى بلورت طريق النضال تجاه نصرة الانسان العربى الكريم ».

وكان للقرآن الكريم السبق كل السبق فى توجيهنا . وجهة الوحدة للتمسك بها ففيها خلاصنا وملاذنا من كل ما ومن يتربص بنا حيث يقول تعالى « وأن هذه أمتكم أمة واحدة وانا ربكم فاتقون – المؤمنون – ويقول تبارك وتعالى فى سورة الأنبياء « وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فأعبدون » وفى سور النور « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم » . وأخيرا وليس آخرا . يفيض علينا نور القرآن بقوله تعالى فى آل عمران .. كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » وأمتنا الأمة العربية . هى أفضل الأمم . وأجلها . متى أمرت بالمعروف ونهت عن المنكر وآمنت بالله تبارك وتعالى . فنحن أمة العرب فى يدنا مفتاح الصلاح والتقوى . وفينا نور الهداية . وأمامنا طريق البناء والقوة . والقرآن الكريم علمنا ويعلمنا المبادىء الانسانية الاسلامية التى ان تمسكنا بها . لوضحت صورتنا أمام العالم أجمع ولأصبحت المنطقة العربية منطقة جذب واستقطاب لكل القوى العالمية المتحررة . على احسن مايكون – عدلا وكفاية . وتحررا وتضامنا .. واذا ما تفرقت هذه القوى الكامنة فينا لشتت قوانا المادية ولاندثرت قوانا المعنوية .. وفى هذا يقول الميثاق « كانت الجمهورية العربية المتحدة ترى فى رسالتها العمل من أجل الوحدة فان الوصول الى الهدف ليساعد عليه وضوح الوسائل التى لابد من تحديدها تحديدا قاطعا وملزما فى هذه المرحلة من النضال العربى .

وملزما فى هذه المرحلة من النضال العربى ». ان الدعوة السلمية هى المقدمة والتطبيق العلمى لكل ما تتضمنه الدعوة من مفاهيم

تقدميه للوحدة هى الخطوة الثانية للوصول الى نتيجة محققة .

وهكذا يوضح لنا الميثاق منهج امالنا فى الوحدة العربية . فسبيلها الأول هو الدعوة السلمية ولن تكون هده الدعوة . الا بالمبادىء والأخلاقيات التى قامت عليها اشتراكيتنا العربية والتى نبعت كلها من تعاليم الاسلام . ثم يأتى الأسلوب التالى . وهو العلم وآفاقه وتطبيقاته وهو الذى يحرره الانسان العربى تجاه ثورات متعددة فى مجالات حياته من ثورة اقتصادية تقوم على العلم والتخطيط . الى ثورة اجتماعية هدفها انسانية الانسان العربى . الى ثورة عالمية رائدها أثراء الانسان العربى .

فالدعوة السلمية ـ للوحدة العربية ـ بما تحوى من اخلاقيات وقيم . ثم التطبيق العلمى الخلاق لكل ما تتضمنه الدعوة هو الذى يحرك الوحدة العربية فى اتجاه الثورة الحضارية للانسان العربى المسلم الذى آن الأوان أن يتصدر ركب الأنسانية . وكفاه فخرا أنه بيمينه كتاب الله تبارك وتعالى وفى شماله سنة الرسول العظيم وتعاليمه الانسانية البناءة .

فالوحدة اذن . كما أوردها الله لنا فى كتابه العزيز هى ضرورة انسانية . وضرورة اسلامية وعالمنا العربى الاسلامى هو فى تاريخه مهد للوحدة الروحية فالأديان السماوية كلها . شاءت أرادة الخالق الواحد . أن تتنزل الأديان السماوية فى بقاع الوطن العربى . ووحدتنا القومية ممثلة فى القومية العربية . حقيقة تاريخه واقعة . وهى تمتاز وتنفرد عن غيرها من القوميات الأخرى بالروابط والوشائج الأساسية التى ربطت المائة مليون عربى برباط قومى وثيق . رباط قديم سيطر على ماضينا وعلى حضارتنا وتراثنا . وأذا كان الله تبارك وتعالى قد قال فى عظيم كتابه فى سورة البقرة « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهدا » واذا قال فى سورة الحج « وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج »

فأنما جاءت تعاليم الله لنا تنبهنا أن الأمة العربية قد حازت شرف « الوسطية » بين الأمم جميعا ولا يمكن للأمة الاسلامية أن تحوز هذا الشرف مالم تتمسك بأهداب الوحدة القومية بين شعوبها ولا نجد أروع ولا أحلى من قوله تعالى فى سورة الأنفال « وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين » وفى هذا المجال ورد فى الميثاق فى الباب التاسع (أن جهودا عظيمة وواعية يجب أن تتجه الى فتح الطريق أمام التيارات الفكرية الجديدة حتى تستطيع أن تحدث أثرها فى محاولات التمزيق وتتغلب على بقايا التشتت الفكرى الذى أحدثه ضغط ظروف القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين وما تركتها دسائسها ومناوراتها من رواسب تحجب الرؤية الصافية فى بعض الظروف » ويستطرد الميثاق وكله اصرار على حتمية الوحدة العربية مدركا كافة التحديات والتصديات التى يدأب الاستعمار على أثارتها فى مواجهة الوحدة . يستطرد الميثاق وهو يدفع مبادىء ودعوة ج.ع.م التى اكتشفت نفسها وشاء القدر أن تحمل لواء الثورة فى عام ١٩٥٢ لتعبر عن مضمون الثورة العربية الشاملة . يستطرد الميثاق ويقول «ان ج.ع.م وهى تؤمن بأنها جزء من الأمة العربية لابد لها أن تنقل دعوتها والمبادىء التى تتضمنها لتكون تحت تصرف كل مواطن عربى ولا ينبغى الوقوف لحظة أمام الحجة البالية القديمة التى قد تعتبر ذلك تدخلا منها فى شئون غيرها » ولعله يجدر بنا أن نبرز جوهر الدعوة والمبادىء التى آمنت بها جمهوريتنا منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو . ويقول الميثاق (أن عهودا طويلة من العذاب والأمل بلورت فى نهاية المطاف أهداف النضال العربى واضحة صادقة فى تعبيرها عن الضمير الوطنى للأمة وهى . الحرية . الاشتراكية والوحدة . والحرية فى مضمونها وجوهرها هى حرية الوطن والمواطن . والحرية هى ضمان حقوق . حقوق اجتماعية كاملة لكل مواطن حر . والحقوق الاجتماعية لاتخرج ـ كما أوضحها الميثاق ـ عن حق المواطن فى الرعاية الصحية

والدواء • وحقه فى العلم • وحقه فى العمل • وحقه فى التأمينات وهكذا • من خلال هذه الحقوق الانسانية نلمح رفعة الوطن والنظرة الحقيقية اليه التى هو جدير بها والتى أوضحها لنا دائما الميثاق • الذى ما أن توغلت فيه للمست الأبعاد الانسانية الحقه التى تنبع كلها من ديننا الاسلامى الحنيف • واذا كان الميثاق قد حرص على هذه الحقوق بصورة ملفتة للنظر فأن القرآن الكريم قد وردت فيه ما يربو على ٣٦٠ آية تتحدث عن العمل وما يربو على ١٠٩ آية تتحدث عن الفعل • وليس يريد الاسلام الا أن يهدى للبشرية أمة اسلامية عاملة واعية نابضة • فالعمل الأنسانى الخلاق هو الوسيلة الوحيدة أمام المجتمع لكى يحقق أهدافه • والعمل شرف • والعمل حق والعمل واجب والعمل حياة • كما أن العمل الانسانى ـ كما أورد الميثاق هو المفتاح الوحيد للتقدم أن طبيعة العصر لم تعد تقبل وسيلة الأمل غير العمل الانسانى ، أى أن العمل الانسانى الخلاق هو سبيل قوة الأمة الاسلامية • وسبيل حريتها • ويقول تبارك وتعالى فى سورة النساء (ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم • قالوا كنا مستضعفين فى الأرض • قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا) فالمتقاعسون عن انتزاع حرياتهم • انما يظلمون أنفسهم ويظلمون الدين الأسلامى • وتوعدهم الله بالعذاب وسوء المصير وفى سورة النساء ايضا (وما لكم لاتقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان) ومن هذا نستخلص أن الدولة العربية الحرة • لابد لها أن تهب لنجدة المستضعفين لتدفع عنهم العبودية ولتعيد اليهم حرياتهم • وكرامتهم وحقهم فى الحياة والحرية •

والاشتراكية فى مضمونها تكافل اجتماعى وقد أولى الأسلام ظاهرة التكافل الاجتماعى عناية فائقة منذ أربعة عشر قرنا فكأن الاسلام هو الذى له السبق والسبق الأول فى صيانة كرامة الانسان فى كل زمان ومكان يقول تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان » ـ المائدة ـ كما ورد فى سورة التوبة أمرا واضحا صريحا للمؤمنين أن ينفروا للدفاع عن الوطن بأنفسهم وأموالهم (انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله) والتشريع الاسلامى لم يقتصر على نوع معين من التكافل بل شمل كافة أنواعه فى كل مجالات الحياة المختلفة اقتصادية واجتماعية وسياسية • والأهم أن الاسلام لم يدع الموارد المالية الا ونظمها تنظيما دقيقا بعد أن خلق لكل منها وظائف اجتماعية تهدف كلها الى التكافل والتراحم الاجتماعى •

وتأتى الوحدة لهدف من أهداف نضالنا الوطنى • لتعيد أمجاد الأمة العربية • بعدان أصبح طريق الوحدة هو الدعوة الجماهيرية لعودة الأمر الطبيعى لأمة واحدة مزقها اعداؤها ضد ارادتها وضد مصالحها والواقع ان هذه الأهداف • هى نداءات مستمرة الحث دائما على الوجود العربى الأسلامى لتحمل النضال العربى • الى مرحلة جديدة من مراحل العمل الايجابى من أجل الوحدة أو تقريب يوم هذه الوحدة تتويجا للعمل والوحدة • التى تبنتها الجمهورية العربية المتحدة •

ماذا تعرف عن العالم الإسلامى دوله وشعوبه ؟

دولة اندونيسيا

الدكتورة عنايات الطحاوى

تقع اندونيسيا فى جنوب شرقى آسيا بين خطى عرض ٦ شمالا ، ١٦ جنوبا وخطى طول ٩٥ ، ١٤١ شرقا . وتمتد حوالى ٣٣٠٠ ميل بين آسيا واستراليا من جهة كما تمتد حوالى ١٣٠٠ ميل بين المحيط الهادى والمحيط الاندونيسى من جهة أخرى .

وتبلغ مساحتها ٧٣٥ر٣٤٠ ميلا مربعا وهى عبارة عن آلاف من الجزر شبهت بقطع من الماس ترصع خط الاستواء وأهم هذه الجزر وأكبرها مساحة هى سومطرا وكاليمانتان وجاوا وسولاويس وايريان الغربية هذا الى جانب جزر بالى ولومبوك وغيرها .

ويبلغ عدد سكان اندونيسيا حسب آخر احصاء ١٠٣ مليون نسمة وبذلك تعتبر خامس دولة فى العالم من حيث عدد السكان بعد الصين والهند والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة .

والدين الرسمى هو الدين الاسلامى والمسلمون يمثلون ٩٣٪ من العدد الكلى للسكان هذا الى جانب المسيحية والهندوكية ـ البالية والبوذية والكونفوشية ـ التاوية

الجغرافيا الطبيعية لأندونيسيا .

تقسم هذه الجزر جغرافيا الى قسمين

١ ـ قسم يتبع الجانب الأسيوى ويشمل سومطرة وجاوة وبالى وبورنيو (كاليمانتان)

٢ ـ قسم تابع لاستراليا ويشمل لمبوك وسولاديس وملقا وايريان الغربية

وتعتبر جزيرة كاليمانتان أكبر الجزر مساحة فتبلغ مساحة الجزء الاندونيسى منها حوالى ٢١٣ر٦٣٩ ميلا مربعا ثم تليها سومطره ومساحتها ١٦٢ر٣٦٨ ميلا مربعا ثم أيريان الغربية وتبلغ مساحتها ١٦٣ر٣٢١ ميلا مربعا وجزر سلبيز (سولاويس) ومساحتها ٧١ر٧٦٣ ميلا مربعا وغير ذلك

الاف من الجزر الأخرى المتناثرة على جانبي خط الاستواء ·

ا ـ البنية والتضاريس

تتعاقب السهول والمرتفعات في جزر اندونيسيا ، أما من حيث الصخور فهى تحتوى على الصخور الجرانيتية القديمة والصخور الرسوبية التى أرسبتها الانهار ثم الصخور البركانية وهذه تشمل مساحة واسعة وتعتبر من الظواهر الطبيعية الهامة في اندونيسيا وهى السبب الرئيسى فى خصوبة التربة وهذه البراكين منها الثائر ومنها الخامد ومن أشهر هذه البراكين بركان كاراكاتوا في جزيرة كاراكاتوا بين سومطرة وجاوا ـ كذلك نجد البراكين فى جاوا وسومطرة وكاليمانتان وتحيط أيضا بأيريان الغربية

ب ـ الأحوال المناخية

يتمثل فى اندونيسيا المناخ الاستوائى البحرى فحرارتها معتدلة نظرا لتأثير البحار التى تحيط بها ولوجود الجبال التى تسودها ولذلك أطلق على الجهات المرتفعة بها اسم المصحات ·

أما الجهات الساحليه المنخفضة فحرارتها شديدة ورطوبتها عالية ولذلك تركت لسكنى الوطنيين بينما احتل الأوربى الجهات العالية المعتدلة المناخ ·

والأمطار استوائية فى اندونيسيا قد اجتثت وحلت محلها الزراعة · ولانجد اثرا للغابة الاستوائية اللهم الا فى بعض الجهات المحدودة المنخفضة ذات المستنقعات وكلما تدرجنا فى الارتفاع على سفوح الجبال يتغير المظهر النباتى تبعا لانخفاض درجة الحرارة حتى نصل الى القمم الجبلية .

اقتصاديات اندونيسيا

المظهر الزراعى : تعتبر اندونيسيا مستودعا هائلا للمحاصيل المدارية ذات الأهمية العظمى فى العالم وخاصة فى التوابل فهى تنتج ٩٠٪ من الكينا فى العالم ، ٨٠٪ من البهار ٧٦ فى المائة من الكابوك ، ٩٠ فى المائة من التنباك ، ٨٤ فى المائة من الكانور ، ٨٠ فى المائة من الفلفل ، ٤٦ فى المائة من المطاط ، ٣٢ فى المائة من القصدير ، ١١٫ فى المائة من الشاى ، ٩ فى المائة من قصب السكر ٧٫ فى المائة من البن ·

وتعتبر جزيرة جاوا أهم جزر اندونيسيا فى زراعة الحاصلات الغذائية والتجارية فتربتها من أخصب الاراضى فى العالم وتبلغ المساحة المزروعة فيها سنويا حوالى ٢٠ مليون فدان ويزرع ثلثى هذه المساحة أرزا وذرة وهما الغذاء الأساسى للسكان .

والزراعة فى جزيرة جاوة تتبع نظام الزراعة الكثيفة وقد اتسعت زراعة الأرز وامتدت على سفوح الجبال فى المدرجات وهو يزرع فى غرب جاوة مرتين أو ثلاثة فى العام حيث المطر طول العام · كذلك يزرع القمح فى المناطق الاقل خصبا ·

أما الغلات التجارية فأهمها قصب السكر وتوجد معظم مزارعه فى وسط وشرق جاوة وكذلك الشاى فيزرع معظمه أيضا فى جاوة ثم الكاكاو والبن والكاسافا والكنيين والتبغ والفلفل · وأخيرا المطاط فقد زادت مساحته فى جاوة وفاقت جزر اندونيسيا جميعها ·

وتلى جزيرة سومطرة جزيرة جاوة من حيث الأهمية الزراعية ومن أهم زراعاتها المطاط على ساحلها الشرقى ·

هذا وتعتبر جزيرة كاليمانتان صورة مصغرة لأفريقيا فهى اكبر الجزر الأندونيسية مساحة ويقطعها خط الاستواء ومناخها حار رطب طول السنة وتغطيها الغابات الاستوائية الكثيفة التى مازالت تحول دون الاستغلال الاقتصادى وتربتها رديئة تمارس عليها الزراعة البدائية المتنقلة ـ ويتناثر السكان على سواحلها وعلى بعد مائة كيلو متر من هذه السواحل لا يعيش فيها سوى اعداد قليلة من الجماعات البدائية ومن المحاصيل الغذائية التى تنتجها جزر اندونيسيا عامة : وأشجار الفاكهة والخضروات .

وقد وجه الهولنديون المستعمرون عنايتهم الى استثمار الغلات التى يناسبها المناخ الاستوائى كالمطاط وجوز الهند وقصب السكر وكان رائدهم فى ذلك المصلحة الذاتية ·

وتقوم الزراعة فى جميع جزر اندونيسيا فى المزارع الواسعة ماعدا جزيرة جاوة فتكاد تنعدم فيها المزارع الكبيرة وذلك نظرا للكثافة العالية جدا للسكان فيها بالنسبة لبقية الجزر الأخرى ولذلك تسودها ظاهرة المزارع الصغيرة .

الثروة المعدنية واهم الصناعات

من حيث الثروة المعدنية فان اندونيسيا من الدول الفقيرة فى هذه الناحية وخصوصا فى المواد الخام التى تعتمد عليها الصناعة كالفحم والحديد . أما زيت البترول فهو يوجد بها ولكنه قليل الاهمية بالنسبة للانتاج العالمى . وأهم حقول البترول نجدها فى سومطرة وفى كاليمانتان وبعض الحقول الصغيرة فى جاوة وفى جزيرة كارام واقصى ما وصل اليه انتاج اندونسيا من زيت البترول هو ١٦ مليون طن مترى .

أما الفحم فهو قليل القيمة ويوجد فى غرب سومطرة وفى بورنيو (كاليمانتان) ويصل انتاجه الى ٢مليون طن يستهلك جميعه محليا فى ادارة القاطرات والسكك الحديدية .

فيما عدا هذا ينتج القصدير من جزر بنكا بيلتون ويبلغ انتاجهما ثلث الانتاج الاسيوى هذا الى جانب انتاج الكبريت والمنجنيز والنيكل من جزر سلبيس (سولاويس)

وأهم الصناعات فى اندونيسيا صناعة المنسوجات القطنية وتستورد القطن اللازم لها من الخارج .

سكان اندونيسيا ومشكلاتهم المختلفة

يبلغ عدد سكان اندونيسيا ١٠٣ مليون نسمة ومعظمهم من الجنس الملاوى والصينى وتتفاوت كثافة السكان تفاوتا كبيرا فى جزر اندونيسيا فبينما تصل هذه الكيافة الى ١٠٠٠ نسمة فى الميل المربع فى جزيرتى جاوة وما ديرا نجدها أقل من ذلك بكثير فى بقية الجزر الاخرى . وعلى العموم فان كثافة السكان فى اندونيسيا عامة تبلغ ١٥ نسمة فى الميل المربع .

ومن الأسباب التى أدت الى تزايد كثافة السكان فى جزيرة جاوة ومادىرا بحيث وصل عدد السكان فيهما الى حوالى نصف سكان اندونيسيا جميعها هو المناخ الجزرى والتربة البركانية الخصبة التى لاتزال محتفظة بخصوبتها وعدم تعقد التضاريس فى الجزيرة مما يسهل الحركة والأنتقال عبرها ويساعد على سهولة عمليات الرى وقيام الزراعة ونجاحها واتجاهها وجهة تجارية ناجحة . كذلك تمتاز جاوة بأن بها أعظم المدن الأندونيسية الكبرى التى يتكاثف فيها السكان بنسبة عالية جدا . ومن أهم هذه المدن

١ ـ جاكرتا : وهى العاصمة ويقدر سكانها حاليا بحوالى ٢ مليون نسمة وتقع على الساحل الشمالى لجزيرة جاوة وهى الى جانب كونها عاصمة اندونيسيا فهى تعتبر اكبر ميناء تجارى بها .

٢ ـ مدينة سورابايا : وهى ثانى ميناء من حيث الأهمية التجارية فى اندونيسيا وبخاصة تجارة السكر فيما عدا ذلك توجد بها مدن أخرى هامة كمدينة باندونج وميناء سمرنج وغيرها .

وفيما عدا جزيرة جاوة ومادىرا نجد أيضا جزيرة سلبيز (سولاويس) وهى من اكثر الجزر سكانا وعمرانا وحضارة .

أما جزيرة بورنيو (كاليمانتان) فهى قليلة السكان مع أنها أكبر الجزر الاندونيسية مساحة فمتوسط كثافة السكان فيها ١٧ شخصا للميل المربع

وجزيرة سومطرة تبلغ الكيافة فيها ٦٥ نسمة فى الميل المربع وترتفع هذه الكثافة نوعا فى الشمال الشرقى للجزيرة اذ تصل الى ٦٠٠ نسمة حيث يتركز السكان فى مدن وصلتها الحضارة الغربية اكثر من غيرها . كماترتفع الكثافة فى الجنوب الشرقى حيث تمارس الزراعة الكثيفة فى منطقة خصبة ويستخرج البترول من حقوله التى اكتشفت هناك .

كذلك ترتفع الكثافة نوعا فى جزيرة سولاويس اذ يبلغ متوسطها ٨٢ نسمة فى الميل المربع وتزيد هذه الكيافة فى شمال شرق الجزيرة حيث يتركز نحو ١ر٢ مليون نسمة من الملايين الستة التى تسكن الجزيرة.

ويرجع عدم التوازن فى توزيع السكان باندونيسيا عامة الى عامل التربة فالتربة

البركانية التى تمتاز بها جزيرة جاوة شديدة الخصوبة أما التربة فى سائر الجزر فهى من اللاتريت وهى تربة رديئة تنتشر فى الاقليم المطير طول العام وتتسبب هذه الامطار فى جرف التربة وغسلها •

والتربة الجيدة الخصبة تستخدم فى الزراعة ولاسيما زراعة الأرز أما التربة الرديئة فتسودها الغابات الاستوائية وعليه تتناسب كثافة السكان فى اندونيسيا تناسبا طرديا مع زراعة الأرز تناسبا عكسيا مع الغابات الاستوائية . وعلى العموم فان عدد سكان اندونيسيا جميعهم البالغ عددهم ١٠٣ مليون نسمة نجد منهم فى جزيرة جاوا ومادورا ٥٥ مليون نسمة وفى جزيرة سولاويس (سلبيز) ٦ مليون نسمة وفى سومطرة ١٦ مليون نسمة وفى كاليمانتان (بورنيو) ٥ مليون نسمة وفى ايريان ٢مليون نسمة والباقون موزعون فى بقية الجزر الأندونيسية •

اللغة فى اندونيسيا

اللغة الأندونيسية تتبع العائلة الملايووية والبولونيزية كذلك تدخل اللغة الجاوية واللغة السومطرية ولغة سلبيز فى هذه العائلة • والطبقة المثقفة تتكلم الهولاندية الى جانب الاندونيسية كما يتكلم البعض اللغة العربية حيث أن للعرب مراكز هامة تجارية وزراعية فى اندونيسيا • كما يوجد أيضا بعض الصينين الذين طاب لهم المقام فى اندونيسيا الا أن الاستعمار الهولندى كان دائما عقبة فى فى تقدمهم واستقرارهم •

مشاكل السكان فى اندونيسيا

١ ـ مشكلة سوء توزيع السكان • • •

من أهم مشاكل اندونيسيا تركز السكان فى جاوة مع صغر مساحتها وقلتهم فى الجزر الأخرى مع كبر مساحتهم ويعزى ذلك الى استفادة جاوة من الحضارة الاسلامية فى الرى والزراعة حيث برع العرب فيها • ويمكن حل هذه المشكلة بتشجيع الهجرة من جاوة الى بقية الجزر الأندونيسية والعمل على استصلاح الأراضى فيها لنجاح الزراعة حيث يتشابه المناخ تقريبا فى معظم جزر اندونيسيا • وقد واصلت الحكومة الاندونيسية بعد الاستقلال سياسة التهجير من جاوة الى الجزر الأخرى فوضعت مشروعا فى يناير سنة ١٩٥١ لتشجيع الهجرة الى سولاويس وكاليمانتان وهجرت عشرة الاف أسرة من الجهات المكتظة بالسكان ، فى وسط جاوة الى جنوب سومطرة ووسط سولاويزى قد ملكت كل أسرة خمسة أفدنة لزراعتها •

ومن مشاكل سوء توزيع السكان فى اندونيسيا أيضا النمو السريع للمدن فلم تكن المدن تضم سوى نسبة صغيرة من مجموع السكان حتى الحرب العالمية الثانية ولكنها بعد ذلك بدأت تستقبل سيولا من المهاجرين من اهل الريف ولم تستطع الخدمات الصحية أن تلاحق النمو السريع للسكان فتكدست الأحياء بالسكان الذين ارتفعت بينهم نسبة الوفيات وسادت بينهم الفوضى الاجتماعية •

وعلاجا لهذه المشاكل السكانية يجب الاهتمام بالتصنيع والاتجاه الى ضبط النسل وهذا يحتاج لجهود ضخمة فقد اعتاد الاندونيسيون الزواج المبكر الذى يتسبب فى زيادة النسل • وعليه فلابد من حدوث تغييرات جوهرية فى المجتمع الأندونيسى وأهم هذه التغييرات القضاء على الأمية وانتشار التعليم

٢ ـ المشكلة الاقتصادية

نظرا لتحرر اندونيسيا ونيلها استقلالها فعليها تغيير ميزانها التجارى فى مصلحتها فقد كانت تعتمد اعتمادا كليا على الزراعة وتصدير الغلات الزراعية كالمطاط والطباق والفلفل والكافور والشاى وقصب السكر والبن للدول الغربية كالولايات المتحدة وهولندة وبريطانيا والهند والصينى وغيرها •

وعليه فيجب ايقاظ الوعى القومى بحيث تتعادل الصادرات مع الواردات ويكون الاتجاه للانتاج الصناعى الى جانب الانتاج الزراعى فتقوم بصناعة المطاط بدلا من تصديره خاما للولايات المتحدة التى تقوم بتصنيعه وتتحكم فى اقتصاديات اندونيسيا وتهددها حيث انها المستوردة الأولى له وتمتلك معظم مصانع انتاجه •

٣ ـ مشكلة هجرة الهنود والصينيين

لم تنج اندونيسيا من هجرة الصينيين والهنود ويبلغ عددهم اكثر من مليونين . ويشتغل الصينيون بالتجارة وبعضهم بالصناعة والتعدين والزراعة . وتعمل الحكومة على الحد من نشاطهم الاقتصادى بتقييد هجرتهم من جهة وتقييد تراخيص التصدير والاستيراد التى تمنح لهم من جهة أخرى وفضلا عن ذلك فقد اصدرت قانونا يخيرهم بين الاحتفاظ بجنسيتهم أو الجنسية الاندونيسية .

ويعتبر الصينيون فى جاوة اكثر الجاليات الصينية انصهارا فى المجتمع الأندونيسى حيث أن ٨٠٪ منهم من مواليد الجزيرة .

أما الهنود فيتركزون فى جزيرتى جاوة وسومطرة ويشتغل معظمهم فى جاوة بتجارة الجملة أما فى سومطرة فيشتغل معظمهم عمالا فنيين وغير فنيين ، وقد تناقص عدد الهنود فى اندونيسيا منذ الحرب العالمية الثانية بسبب قيود الهجرة التى فرضتها حكومة اندونيسيا من جهة وعودة بعضهم الى وطنهم من جهة ثانية

٤ ـ مشكلة الوحدة القومية فى اندونيسيا

تملك اندونيسيا الكثير من عناصر الوحدة فهناك الوحدة العنصرية حيث أن غالبية السكان من عناصر ملايووية تنتمى الى الجنس المغولى هذا بالأضافة الى أقلية صغيرة صينية وأقلية عربية لاتكون مشكلة لقلة عددها .

كذلك نجد الأغلبية تدين بالدين الاسلامى على مذهب الامام الشافعى كما توجد أقلية مسيحية وهندوس الى جانب اقلية وثنية فى كاليمانتان وبالى ولمبوك .

ثم هناك أيضا الوحدة اللغوية ممثلة فى اللغة الأندونيسية ومع مظاهر هذه الوحدة المتعددة النواحى فاننا نجد بعض حوادث التمرد وخاصة فى جزيرة سومطرة التى لاتنال العناية الكافية التى تنالها جزيرة جاوة

واذا قارنا جزر اندونيسيا بعضها ببعض لوجدنا أن سومطرة والجزر الأخرى خارج جاوة لاتزال فى حاجة الى العناية بجميع المرافق فى النواحى الاقتصادية والعمرانية والاجتماعية حيث تحتاج الى جهود جبارة .. وتحاول الحكومة المستقلة الان أن تصلح ما أفسده عهد الاستعمار من ايجاد الفرقة بين الجزر بعضها وبعض .

٥ ـ المشكلة الخارجية

وهى مشكلة غينيا الجديدة والجزء الغربى منها . فقد تمسكت هولندة بهذه الجزر كجزء من ممتلكاتها فى جنوب شرق آسيا ولم تمنح هذه الجزيرة استقلالها كبقية الجزر الأخرى .

ففى سنة ١٩٤٩ نص على استقلال جزر اندونيسيا على ان يبت فى مصير غينيا الجديدة الغربية بعد سنة من تاريخ توقيع اتفاقية . ولكن هولاندة لم تبر بوعدها ولا يزال موضوع غينيا الجديدة الغربية معلق المصير بين اندونيسيا من جهة وهولندا من جهة أخرى .

الا أنه بحكم البيئة واللغة والدين والموقع فان غينيا الجديدة جزء من الارخبيل الاندونيسي ولا تزال اندونيسيا تطالب الأمم المتحدة بحل هذه المشكلة بينما تستعين هولندة بزميلاتها اعضاء حلف الاطلنطى فى البقاء فى هذه الجزيرة وتعقد المحالفات الثنائية مع استراليا ودول حلف جنوب شرق

آسيا ضد اندونيسيا ولاتزال هذه المشكلة قائمة ٠

الاسلام فى اندونيسيا

ان تاريخ دخول الاسلام فى جزر الهند الشرقية (اندونيسيا) غير معروف تماما ومن المحتمل أن الاسلام دخل بدخول تجار العرب الى هذه البلاد فى أوائل القرون الهجرية حيث كان العرب هم حاملى لواء التجارة بالشرق ففى بداية القرن السابع الميلادى زادت التجارة مع الصين عن طريق سيلان وكان أول من زار اندونيسيا من المسلمين تجارا من عرب القرن السابع الميلادى حطوا رحالهم فى سومطرة وهم فى طريقهم الى الهند ٠ وانه وان لم يذكر جغرافيو العرب هذه الجزر فى كتبهم قبل القرن التاسع الميلادى الا أنه فى كتب التقويم الصينية مذكورة انه فى سنة ٦٧٤ م كانت جالية عربية فى الشاطىء الغربى من سومطرة ٠

وما أن وافى عام سنه ١٢٩٠ حتى كان العرب قد انتشروا على طول سواحل الجزيرة وانتقلوا الى غيرها من الجزر يقيمون فى ثغورها ويتزوجون من بناتها ويتعرفون على لغتها وعاداتها ويتحالفون مع أشرافها ٠

وهكذا وجد ابن بطوطة سنه ١٣٤٥ م دولة اسلامية زاهرة يحكمها أمير سومطرى اسمه الملك الزاهر ٠ ولم تحل سنة ١٥٥٠ حتى كان أهل سومطرة جميعا قد أسلموا وكان انتشار الاسلام فى جاوة أبطأ منه فى سومطرة لأن مقاومة الهندوس فيها كانت مقاومة دائبة وعنيدة ٠

وقد أخذ المسلمون يبدلون جهدا منظما فى هداية اهل جاوة الى الأسلام فى الشطر الأخير من القرن الرابع عشر الميلادى ٠ كذلك دخل الملاويون فى الاسلام فى القرن الخامس عشر وما وافى سنة ١٤٣٠ م حتى كان الملاويون قد أسلموا كما اسلم راجوات برونى سنة ١٥١٠ م وأخضعوا معظم الجزء الشمالى الغربى من بورنيو قبيل عام سنة ١٥٢٠ م

وهكذا يرجع الى التجار العرب الفضل فى تأسيس أولى الجاليات الأسلامية من الأهالى وفى تحويلهم من عبادة الأصنام الى عبادة الله الواحد الرحمن فهم لم يدخلوا محاربين ولم يعلقوا السيوف فوق الرقاب لأكراه الناس فى الدين بل استخدموا الفكرة والمعرفة فى سبيل نشر الدين الأسلامى اكثر من استخدامهم اياها لطلب السعة فى الرزق والغنى فى المال ٠

وقد احتل العرب مكانة عالية بين الاهالى ولاسيما السادة الاشراف سلالة الحسن والحسين عليهما الصلاة والسلام فقد تباهى امراء الاهالى وملوكهم المسلمون بالتقرب اليهم بمصاهرتهم وبتزويج بناتهم منهم ٠

ومنذ القرن السابع عشر الميلادى كان اكثر مهاجرى العرب الى هذه الجزر حضارم وكانوا يتعيشون من التجارة ثم اضافوا حرفة اخرى هى الملاحة فكانت مراكبهم الشراعية تمخر عباب البحار كالأعلام وقد كانت هذه المراكب سببا فى زيادة عدد المهاجرين الحضارية الى هذه البلاد وفى زيادة ثروتهم وقد بلغوا ذروة المجد فى الملاحة بين سنتى سنة ١٨٤٥ م ، سنة ١٨٥٥ م وبعد ذلك أخذت مراكبهم تقل بسبب منافسة المراكب البخارية الأوربية ٠

واندونيسيا اليوم تعتبر ثانى دولة اسلامية فى العالم من حيث عدد المسلمين بها بعد دولة الباكستان

دخول الاستعمار الى اندونيسيا وقصة استقلالها

يعتبر البرتغاليون أول من وصل الى اندونيسيا بحثا عن البهارات والذهب والأحجار الكريمة وخلافها وذلك فى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى وبلغت تجارتهم مع جزر الهند الشرقية اقصاها بين سنتى سنة ١٥٩٠ م ، سنة ١٦١٠ م حيث بلغ عدد مراكبهم من ١٥٠ الى ٢٥٠ فى الرحلة الواحدة ٠
وفى أواخر القرن السادس عشر الميلادى كانت لشبونة أغنى ميناء فى أوربا ٠ وبينما

كانت لشبونة مركز التجارة كانت المــوانى الهولندية أماكن التوزيع لشمال أوربا

وفى سنة ١٥٩٤ م منع البرتغاليون دخول المراكب الهولندية ميناء لشبونة فسـدوا باب التجارة أمام الهولنديين الذين كانوا وسطاء بين البرتغال وشمال أوربا • لذلك اجتهـد الهولنديون فى الحصول على المعلومات اللازمة لمعرفة الطريق التجارى الذى يوصل الى جزر الهند الشرقية • وبذلك أسس تجار امستردام شركة للتجارة مع هذه الجزر ووصلوا فعلا الى جاوة فى سنة ١٥٩٦ م ولما رأى البرتغاليون نجاح الهولنديين فى الوصول الى جزر اندونيسيا حاربوهم ولكن الهولنديين انتصروا عـلى البرتغاليين وبذلك ماتت تجارتهم وأخرجهـم الهولنديون أخيرا من جزر الهند الشرقية • وفى سنة ١٦١٧ م عين جان بيترس كون حاكما عاما هولنديا فى جزر الهند الشرقية واتخذ بتافيا عاصمة لاندونيسيا • وهكذا استعمر الهولنديون جزر الهند الشرقية سياسيا واقتصاديا •

ولم يقف الشعب الأندونيسى مكتـوف الأيدى أمام هذا الاستعمار بل بدأ كفـاحه وبدأت ثورات التحرر تتفجر فى كل مكان فى اندونيسيا واتخذ النضال صفة الحـرب المكشوفة ضد الاستعمار الهولندى من ناحية وضد طغيان الملوك المحليين من جهة أخرى • وفى سنة ١٨٠٠ م كانت شركة (فـوك) الهولندية قد نجحت فى مد سيطرتها عـلى جميع انحاء اندونيسيا فقامت بتسليمها الى المملكة الهولندية كمستعمرة خاضعة لها • وقد كان هذا سببا فى زيادة الحروب والثـورات التحررية فى اندونيسيا •

وكان القرن التاسع عشر الميلادى من بدايته الى نهايته مخضبا بالدماء الذكية التى أريقت فى جميع أجزاء الوطن الأندونيسى • مما حدا باطبيب المتقاعد وحى الـدين سوديروهـو سودوا بتحريك شعور المتعلمين من أهل الوطن لتوحيد صفوفهم وليدركوا أنهم جـديرون بقيادة الشعب والنهوض به وللوصول الى هذا الهدف النبيل قام الدكتور وحى الـدين بتأسيس ضرب (بودى أوتومو) سنة ١٩٠٨م

ويعتبر هذا الحزب فاتحة عهد جديد من التكتل المنظم فى مجابهة العدو الجاثم على صـدر الامة •

وتتالى تكوين الاحزاب الوطنية بعد ذلك كحزب (شركة اسلام) سنة ١٩١١ م ، حزب (المحمدية) سنة ١٩١٢ ، الحزب الاجتماعى الديمقراطى) سنة ١٩١٤ ، (الحزب الوطنى) سنة ١٩١٩ م •

ولم يتخلف عنصر الشباب عن الركب فقد قامت منظمات الشبيبة فى معظم المناطـق وخاصة فى جزر سومطرة وجاوة وسولاويس وامبون وشعرت هذه المنظمـات بضرورة اتحادها فى وجه المستعمر وتم الاتفاق فعلا على ادماج جميع هذه المنظمات فى تكتل واحد • واتخذوا شعارهم انشودة (اندونيسيا العظمى) التى ألفها ولحنها رفيقهم (سوبر اثمان) ليكون نشيدا وطنيا لتكتلهم ولم يدر فى خلدهـم آنذاك أن نشيدهم هذا سيصبح النشيـد الوطنى الرسمى لجمهورية اندونيسيا المستقلة

وفى سنة ١٩٢٧ م كانت الثورات قد شملت كافة جزر اندونيسيا وبدأ الحاكم الهولندى يتخذ من معتقل (بوفى ديفول) الواقع فى القسم الجنوبى من جزيرة ايريان الغربية والملىء بالمستنقعات وبعوض الملاريا منفى للآلاف من الزعماء الوطنيين وابادتهم دون محاكمة وعلى الرغم من ذلك تطور الوعى القومى بسرعـة وازدادت حركات المقاومة قوة وضراوة مما هز اركان المستعمر وزعزع كيانه فبادرت الحكومة الهولندية باتخاذ الأجراءات التعسفيـة وضاعفت حملات الأعتقال والنفى وكان من ضحايا تعسف هولندا سوكارنو الرئيس الحالى لاندونيسيا الذى اعتقل مع زعيمين آخرين من الحزب الوطنى الأندونيسى فى سنة ١٩٢٩م بتهمة محاولة القيام بثورة وحكم عليه بالسجن أربع سنوات • الا ان جميع هذه الأعمـال التعسفية الهولندية لم تستطع أن تفل من عزيمة الثوار ولم تعق السـير الحتمى فى طريق الحرية والمجد •

وبعد الحرب العالمية الثانية حاولت الحكومة الهولندية اتباع سياسة جـديدة وذلك

بمحاولتها استمالة الحركات الوطنية الاندونيسية ولكنها لم تجد اندونيسيا واحدا يقف الى جانبها ـ ثم سقطت فى ايدى الالمان سنة ١٩٤٠ م وعليه فلم تستطع الصمود اكثر من سبعة أيام أمام الغزو اليابانى لأندونيسيا سنة ١٩٤٢ م

الاستعمار اليابانى لأندونيسيا

رحب الشعب الاندونيسى بقدوم الجيش اليابانى لطرد المستعمر الهولندى ظنا منه أن هذا الجيش سيكون عونا له فى طريق الاستقلال ولكن خاب امل الشعب الأندونيسى فقد جعل اليابانيون من اندونيسيا طوال سنوات الاحتلال الثلاث ونصف قاعدة لتغذية الحرب فى القارة الاسيوية • وسقط القناع عن وجه اليابانيين ورآهم الشعب الاندونيسى على حقيقتهم • رأى فيهم استعمارا شديدا قاسيا هان معه بلاء الاستعمار الهولندى الراحل فكانت اندونيسيا معزولة تماما عن أى اتصال بالعالم الخارجى •

وكان من الطبيعى أن يثور شعب اندونيسيا ويتابع نضاله وهب الشعب الأندونيسى يطلب من السلطات اليابانية السماح له بعقد اجتماع شعبى فى ميدان مرديكا فى جاكرتا وكان ذلك بعد القاء القنبلة الذرية على هيروشيما فى سنة ١٩٤٥ م وقد رفض المستعمرون عقد هذا الاجتماع ولكن الأندونيسيون اصروا على عقدة واقبلت سيارة تحمل علما أحمروأبيض (وهو العلم الذى يستظل به اليوم ١٠٣ مليونا من الاندونيسيين) وفيها أحمد سوكارنو الذى القى خطبه قصيرة فى هذا الاجتماع أعلن فيها استقلال بلاده وتحررها من الحكم الأجنبى • وبدأت بعد ذلك الاشتباكات المسلحة بين المناضلين من الشعب الاندونيسى وبين القوات اليابانية ولم تمض اسابيع قليلة حتى استطاع

الاندنيسيون أن يسيطروا سيطرة تامة على جزر جاوة وسومطرة ومادورا •

الا أن القتال عاد ونشب فى هذه الجزر عندما نزلت فيها جيوش الحلفاء التى ضمت الى صفوفها الجنود الهولنديون الذين كانوا يحكمون أندونيسيا فيما مضى وكانت وحشية هؤلاء الجنود تزداد يوما بعد يوم فكانوا يقتلون الشيوخ والنساء والأطفال •

وفى هذه المحنة كانت الأمة العربية أول من بادر بالاعتراف باستقلال اندونيسيا وتوالت بعد ذلك الاعترافات من جميع انحاء العالم • وجن جنون هولندا وهى ترى دول العالم تعترف باستقلال اندونيسيا فقامت جيوشها فى عام ١٩٤٧ م باعتداء صارخ شامل على الجمهورية لمحوها من الوجود ولكنها لم تفلح وعادت تشن الحرب ثانية سنة ١٩٤٨ ولكنها فشلت ايضا امام وحدة الشعب الاندونيسى وكان أن تدخل مجلس الأمن فأمر الفريقين بوقف اطلاق النار

وفى نهاية سنة ١٩٤٩ كان عدد الأندونيسيين الذين استشهدوا فى ساحة الشرف منذ اعلان الاستقلال فى ١٧ آب سنة ١٩٤٥ م قد تعدى النصف مليون •

وقبل أن ينتهى عام سنة ١٩٤٩ م انتهى امل هولندا فى العودة الى اندونيسيا واضطرت مرغمة الى الاعتراف باستقلالها وسيادتها على أراضيها • وهكذا صارت اندونيسيا جمهورية مستقلة عاصمتها جاكرتا وقد عقد فيها المؤتمر الاسلامى لشعوب افريقيا واسيا وذلك من ٢٦ محرم ـ ٤ صفر سنة ١٣٨٤ هـ الموافق ٦ ـ ١٤ حزيران سنة ١٩٦٤ م كما عقد فيها المؤتمر الاسيوى الافريقى الأول فى باندونج سنة ١٩٥٥ م وبذلك صارت قبلة المسلمين ووجهة الشعبين الأحرار وان ينصركم الله فلا غالب لكم •

بطل السلام

للشاعر عبد الله شمس الدين

سلاما أيّها العائدْ   رعاك الله من قائد
حملْتَ أمانة الشعب   وأنت أخوه والوالِدْ
وصُنْتَ العهد فى صدْقٍ   وكنتَ له السّنى الرائد
حييت زعيمنا الأوفى   ودمْتَ لنا ... «أبا خالِد»

* * *

وهبْتَ الروحَ للوطن   الّذى بالروح يفْدِيكا
رددْتَ اليه عزّتَهُ   وعاصرَ مجده فِيكا
ومن أجل الضمير الحُرِّ   قد سهرت لياليكا
وباسم كرامة الإنسان   قد كرّمْت واديكا

* * *

وأهل الحق أهل السِّلْمِ   شادوا فى الورى صرحه
وياويح الذى يطغى   على الضعفاءِ ياويحه

ومن أُجل السلام الحق   قد أَعلنتها صيحة
وعُدْتَ مبارَكَ الخطواتِ   تزرَعُ أُفقَنا فَرْحَهْ

* * *

« جمالُ » وأنتَ للنِّيلِ   وللعُرْبِ ... وللدُّنْيَا
سلكْتَ حيادك المشهود   فى « أَسيا » « وأَفريقْيا »
ووحَّدْتَ القُوى دِرْعًا   يصُدُّ الظُّلْمَ والبغْيَا
وتصبح كلْمة الأَحرار   فى الدنيا .. هى العُلْيَا

* * *

بكل مشاعرى يا « قا   ئدى » أَهدى تحيّاتى
وحسبك أَنك « المنصور »   مبعوث ... لغايات
فلا تحفل بِخَوّان   حقود مجرم عات
فأَهْلُ الشَّرِّ أَعداءُ   لأَصحاب الرسالاتِ

نسبح باسمه ربًّا عليًّا

الشاعر محمد هارون الحلو

غَدَا خَيْرُ البَرِيَّةِ باليقينِ ... بِدين للمهيمن ، خيرُ دينِ
وحَدَّثنا عن الرّحمنِ ربًّا .. ... وأرشدنا لنور مُسْتَبينِ
كتابٌ للورى فيه ضِيَاءُ ... يكادُ سَناه يَنْبِضُ بالوتينِ
تعالى اللهُ أودعَ فيه رُشْدًا ... وبَثَّ بِهِ الهداية للقُرونِ
تنزَّل بالهدى ، وسَرَى ضِياءً ... وشَفَّ عن الحقيقة ، واليقينِ
بَشِيرٌ للورى ، وبِهِ نَذِيرٌ ... وفيه مواكبُ الرُّوح الأَمينِ
وليس وراءَهُ للخَلْقِ دينٌ ... وليس سِوَاهُ من رُكْنٍ ركينِ
محمَّدُ ، يا رسولَ الحقِّ ، إنَّا ... لنَسْتَهْدِى بنورك كلَّ حينِ
ونحيا فى ضُحى دين قويم ... يَشعُ سناهُ كالفَلَقِ المبين
نُسَبِّحُ بِاسمه ربًّا عليًّا ... ونَسْجُدُ فى خُشُوعِ المستكينِ

يا ناصر العرب

الشاعر بسيم الذويب

دع ذكر سعدى جانبًا وسعاد　　واخشع لذكر السادة الأمجاد
الثائرين على الطغاة وحكمهم　　الصامدين بجرأة وعناد
الباذلين نفوسهم يوم الوغى　　الهازمين جحافل الأضداد
باسم العراق اليوم جئت مهنئًا　　أبطال (يوليو) من صميم فؤادى
خلفت فى بغداد شعبًا ثائرًا　　أبدًا يحن لشعب هذا الوادى
ويعيد ذكرى ثورة وطنية　　عربية أودت بحكم فساد
أكرمْ بها من ثورة يغشى الورى　　من نور ذكراها شعاع هادى
فكأنها والشوق يدفعنا لها　　يوم اللقاءِ وفرحة الميلاد
فى روعة الذكرى أطأطئ خاشعًا　　رأسى وأرسل فيكم انشادى
وأعود للماضى المجيد مقلبا　　صفحاته متسائلا فأُنادى
لمن المضارب فى ظلال الوادى　　ريانة الجنبات بالرواد
الله أكبر تلك أُمة يعرب　　نفرت من الأغوار والانجاد
سارت لتنشر دين أحمد فى الورى　　وتدك صرح الشرك والإلحاد
فتصدعت أصنام مكة وانحنت　　للمسلمين حواضر وبوادى
وتحطمت دول وقامت دولة　　عربية سادت على الأسياد

* * *

قل للألى اغتصبوا حقوق بلادى　　وبغوا وعاثوا بيننا بفساد
انا لقوم صامدون ودون ما　　تبغونه منا لخرط قتاد

لن نستكين لغاصب مستعمر مهما طغى بلجاجة وعناد
لن تستريح نفوسنا حتى نرا ها (وحدة) شملت بلاد الضاد

* * *

آمنت بالاسلام دينًا خالدًا آمنت بالعرب الأُباة إياد
آمنت منذ صباى أن عروبتى حقٌّ علىَّ لها مدى الآباد
سأذود عنها ما حييت مضحيًا بدم الفؤاد ، بطارفى ، بتلادى
آمنت بالنصر المبين يناله شعب الكنانة بعد طول جهاد
آمنت بالبطل المفدّى (ناصر) رمز الفدا ومحطم الأَقياد
يا ناصر العرب الأباة تحية لكِ من فؤاد عامر بوداد
ماذا أَقول وأَنت أَصلب ثائر ضد الطغاة وأكرم الروّاد
حلو الحديث بلغت بالحزم المدى بادى الرجولة كعبة القصاد
لك فى النفوس مهابة أُوتيتها لم تؤت للزعماءِ والقواد
يارافعاً رأس العروبة عاليا يا ساطعًا كالنيِّر الوقاد
يا منشئًا للسد حسبكَ انك البانى برغم مكائد الحساد
بلغ رسالتك العظيمة وانصر الوطن الكبير بحكمة وسداد
أزحف فخلفك أمة برجالها ونسائها وقفت على استعداد
حرر فلسطين السليبة انها بلد الكماة وموطن الأَجداد
واقذف باسرائيل بحرًا إنها للقيطة شوهاءُ ذات فساد
وأعدْ لنا الماضى المجيد وإن عدتْ يومًا عليه من الزمان عوادى
فسيطلع الفجر الجديد وينجلى ظلمات بغى خيَّمت ببلاد
ويضمنا الدين الحنيف وتمحى الـ لأَحقاد بين العرب - والأَكراد
وتتم وحدتنا برغم أُنوفهم من مغرب أقصى إلى بغداد

مختارات من شعر ابن عربي في التصوف

الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

من قافية الدال :

قول فصل

قال ابن عربى فى نفى القول بالوحدة والاتحاد اللذين قال بهما الملحدون وبعض الفلاسفة :

مالى واياك غير الله من سند
وفاز من يتخذ رب الورى سندا
هو المهيمن فوق العرش مسكنه
كما يليق به دينا ومعتقدا
ياتى وينزل والألباب تطلبه
كما روينا على المعنى الذى قصدا
ومن يكون على ماقلت فيه فقد
وفى بما كلف الانسان واقتصدا
ودع مقالة قول قال عالمهم
بأنه بالاله الواحد اتحدا
الاتحاد محال لا يقول به
الا جهول به عن عقله شردا
وعن حقيقته وعن شريعته
فاعبد الهك لا تشرك به أحدا
وانهض الى واهب الأسرار تحظ به
ولتتخذ عنده قبل القدوم يدا
عليه من دارك الدنيا ومن فكر
تظل من أجلها فى حيرة أبدا
وكن اماما ولا تسعى لمفسدة
بكل وجه وكن فى الحكم مجتهدا
ولا تغالط بتعطيل وأقيسة
وكن عن الرأى والتقليد منفردا
انى نصحتك والرحمن يشهد لى
كما أمرت وهذا كله وردا

ابن عربى فى قصيدته هذه سلفى متورع وهو يحدد الأمور تحديد الحنابلة لها ، وكأنه ابن القيم فى قصيدته النونية المشهورة ، وهو لايريد أن يدلى برأى فى المتشابه كأحد السلف يروى ما أنزل دون أن يكون له ادراك لمعنى مايرويه ، لأن أحدا من الناس لايعلم مايريده الله من معانى هذا المتشابه ، وذلك كقوله تعالى « الرحمن على العرش استوى » فالسلف يقولون انه استواء حقيقى يليق به دون أن يؤولوه أو يحددوه كأهل الكلام الذين قالوا ان الاستواء هو السيطرة والعرش هو الملك أو السلطان.

وفى الخلاف بين السلف وأهل الرأى والمعتزلة وغيرهم مقالات طويلة فى هذا الشأن ، وأسلم ماينجو به المرء أن يقف من المتشابه كالسلف الناجين لايبدى رأيا . وابن عربى يسلك مسلك أولئك الناجين .

ويبدأ ابن عربى هذه القصيدة بوجوب الاعتماد على الله وحده دون غيره ففى هذا الاعتماد والتوكل كل الخير . وقد جعل ابن عربى « من » فى الشطر الثانى من البيت الأول شرطية جازمة وهو احتمال بعيد وكان من حق الكلام أن تكون اسما موصولا فيرفع الفعل بعدها ولكنه جزمه وسكنه .

وفى البيت الثانى قال فى العرش ماقاله السلف وأشار الى أنه الدين الصحيح والمعتقد السليم وأشار فى البيت الرابع الى ان المكلف لايطلب منه غير الاعتقاد به من غير لجوء الى التأويل أو التحديد بمكان .

اما البيت الثالث فقد أشار فيه الى الحديث الذى يصف رب العزة بنزوله الى السماء الدنيا ، ولم يفسر النزول لانه اتجاه وانتقال من مكان الى مكان والله يجل عن الاتجاه والحلول فى مكان ، وكذلك رشح للبيت الخامس الذى هو أخطر مافى القصيدة من أهداف وأولاها بتحديد أفكار المسلمين .

وقد أشرنا فى مقدمة هذه المختارات لابن عربى الى الفرق بين الوحدة والاتحاد اللذين يقول بهما الملاحدة وتلاميذ الفرنجة وبين معناهما عند المتصوفة . أما عند الفرنجة والملاحدة فهو قول بوحدة الوجود واتحاد المخلوق بالخالق وهو قول باطل فى الاسلام ، ولكنهما عند متصوفة المسلمين بمعنى القرب من الله بالمحبة والزوال عن النفس والبقاء به ، واذا كانت قد وردت من بعض المتصوفة عبارات فى الوحدة والاتحاد فانهم لم يريدوا قط الا المحبة والقرب ولكن الناس أسرفوا عليهم فى الظن وهم أيضا تجاوزوا حد المجاز .

وقد ضرب ابن الدباغ مثلا رائعا للوحدة والقرب بأن نور السراج يزدهى بنفسه فى الليل ويظهر للعيون فاذا طلعت الشمس وعم ضوؤها ارجاء الكون غطى على ضوء

السراج فلا يرى نفسه ولا تراه العيون الا منطفئا مع وجوده غير متحد بالشمس الا أن ضوءه زال عن نفسه وبقى بها .

وقد أشرنا فى هذه المختارات أيضا الى شرط الامام الشعرانى لصحة نسبة الشعر لابن عربى من انه اذا لم يطابق الشريعة لم يكن له ، وقد كررنا هذه الاشارة مرات مختلفة ـ وفى البيت السادس من هذه القصيدة يظهر جوهر ابن عربى وقوله كما قالت الشريعة باستحالة الاتحاد اذ يرمى ابن عربى كل من قال به بشدة الجهل وذهاب العقل ، ويراه خروجا عن الحقيقة والشريعة ، ويوصى بعبادة الله وحده منفردا غير متحد بمخلوقاته لينجو العابد من الشرك بالله .

وفى الأبيات الأخيرة يوصى ابن عربى باللجوء الى الله الذى يجتبى من يشاء ، ويرى أن يتخذ العبد يدا عند الله بالاخلاص فى عبادته قبل أن يقدم عليه ، ومن الاخلاص أن لايشوب فكرة التوحيد بشائبة الوحدة والاتحاد .

ويوصى ان يتخلى المرء عن الشهوات ويتحلى بالفضائل ويصدق فى الحكم والاجتهاد ويبتعد عن القائلين بالتعطيل والقياس والرأى والتقليد الباطل ، ويختم قوله بانه بذل نصحه خالصا مستشهدا ربه الرحمن ، وكما أمره الله به ، ويشير الى أن هذه القيود فى النصيحة ، وردت نصوصا فى القرآن والحديث ، وليرجع اليها من شاء .

وجود الله

ومن قول ابن عربى فى وجود الله سبحانه وبقائه دون ماسواه :

هيهات هيهات لا مال ولا ولد
نعم ولا سبد يبقى ولا لبد
وليس ينفعنى اذا وردت على
رب السموات الا الواحد الصمد
سبحانه وتعالى أن يكيفه
عقل وأن يمترى فى كونه أحد

يستبعد ابن عربى ان ينفعه او ينفع انسانا مال او ولد ، ويقول ان كل مايمتلكه الانسان من قديم ومحدث او غال ورخيص مع أنه لاينفع فانه لايدوم ، فاجتمعت بذلك صفتان للنقص فى كل مايلجأ اليه الانسان غير الله وهما الضعف والزوال .

ويرى ابن عربى وكل صوفى بل كل متدين انه لن ينجيه اذا عرضت أعماله على الله الا رحمة الله وغفرانه ليس غير ، فاذا لم تسبق له الرحمة والغفران منه وحده فلا نجاة له .

وفى البيت الثالث ينفى ابن عربى الكيف عن الله مهما تصوره العقل أو الظن ، وهو مع عدم التكيف فى صورة واحد موجود لامحالة ، وهو سبحانه أجل واعظم من أن يشك فى وجوده موجود .
قافية الراء :

عصا موسى

وقال ابن عربى يذكر نبوة موسى عليه السلام وتجليه له فى الكلام :

يا ضاربا بعصاه صلد رابية
شمس وبدر وارض ذات أحجار
فاعجب الى شجر قاص على حجر
وانظر الى ضارب من خلف أستار
لقد ظهرت فما تخفى على احد
الا على أحد لايعرف البارى

ينادى ابن عربى موسى النبى الذى كانت معجزته العصا ، وكان من بعض مافعل بها ان ضرب الصخر فانفجر عيونا ، وهذا الصخر فى أرض صلبة بأرض سيناء وبعيد عن الظن أن ينبع بها الماء لأنها على قمم ورءوس ، وتبدو الطبيعة من حولها عريانة جرداء لايحتجب فيها شىء بظل من الشمس والقمر ليلا أو نهارا .

وينادى ابن عربى أن يتعجب المرء من هذا الضرب فى الصخر بالعصا حيث تبهر المعجزة العقول والظنون وتقهر العادات فينبع الماء ويستقى النبات ويخضر الشجر .

ولكن ابن عربى ينبه الى سر الضرب ويوجه الأفهام الى أن الضارب ليس هو موسى الذى يبدو أنه الضارب فى الظاهر وليست العصا كذلك هى الضاربة ، وانما الضارب يد الله المستورة فى خفاء عن العيون واستتار عن الظنون .

وهذا الكلام على قاعدة أهل التصوف اذ هم ينكرون الأسباب . وبذلك لايرون عصا موسى تفعل من ذاتها شيئا الا أنها مرافقة ظاهرة منها للمعجزة التى أرادها الله لينفلق البحر ويجود بالبر ويتشقق الصخر فيجود بالماء ويناجى ابن عربى ربه قائلا :

لقد ظهرت فما تخفى على احد من المؤمنين الذين يرونك فى كل شىء وينكرون ذواتهم ، وانما تخفى على من لايعرفك ولا يقر بوجودك ، ويكاد مثل ذلك ان لا يكون .

البدر والشمس

وقال فى ظهور البدر والشمس معا فى أول النهار :

يا هلال الدياج لح بالنهار
فلقد كنت نزهة الأبصار
انت محو وأنت فى العين بدر
بتجليك فى الضياء المعار
حكمة قد تحير الخلق فيها
وسراجان أسرجا بنهار
عجبا فى سناهما كيف لاحا
وسنا الشمس مذهب الأنوار
كل نور فى كل قلب معار
ما عدا قلب وارث المختار
فاشكر الله يا أخى على ما
وهبته نتائج الأذكار

لعل ابن عربى يشير بالبدر الى المخلوق المكتسب نوره من غيره والى الشمس بمعطية النور ، ويتعجب من أن يظهرا معا ويبدو البدر مضاهيا للشمس فى استدارته وتمامه ، الا أنه مجرد ظن من العين التى ترى والحقيقة أن البدر ممحو النور ، وان كان يظهر بنور ، وكذلك المخلوق مع الخالق يبدو كانه موجود ، ولكن لا وجود الا للحق وحده دون سواه .

أما الظاهرة الطبيعية التى يصفها ابن عربى فالشمس والبدر لايطلعان معا بهذه الصورة الا فى منتصف الشهر العربى وعند الصباح ، وذلك حين تشرق الشمس ويبدو البدر فى الغروب . وهى ظاهرة معروفة أكثر فيها الأدباء من القول ، وأقدر من وصف هذه الظاهرة ـ بل كل ظواهر الفلك والنجوم ـ ابن المعتز الشاعر العباسى حيث يقول :

حتى رايت الشمس تتـ
ـلو البدر فى أفق السما
فكانها وكانه
قدحان من خمر وما

ويقول ابن المعتز ايضا :

نظرت فى يوم لذة عجبا
وافى به للسعود مقدار
يقابل الشمس فيه بدر دجى
ياخذ من نورها ويمتار
كصيرفى يروح منتقدا
فى كفه درهم ودينار

هذا ، ولكن ابن عربى ينقل المنظر الى التصوف فينادى البدر ليطلع مع الشمس مع ظنة أنه ممحو النور اذ لايحق له ان يضىء اضاءة كاملة مع الشمس التى اكتسب ضياءه منها ، ولكنه يرى هذا المظهر حكمة من الله فى اظهار ما حقه أن يكون معدوما .

وينتقل ابن عربى الى أنوار القلوب فيجعل منها مايكون نوره كالشمس ومايكون نوره كالقمر ، ولا يضىء اضاءة قوية من هذين النوعين الا قلوب من ورثوا الشريعة المحمدية واستضاءوا بهداها وعملوا بتقواها ، ويهنىء من يكون قلبه كذلك ويراه مكتسبا من مداومة الذكر وطول الفكر .

رسالة اللسان

وقال فى رسالة الاقوال التى وكلت الى اللسان :

ان اللسان رسول القلب للبشر
بما قد أودعه الرحمن من درر
فيرتدى الصدق أحيانا على حذر
ويرتدى المين أحيانا على خطر
كلاهما علم فى رأسه لهب
لا يعقل الحكم فيه غير معتبر

يصف ابن عربى خطر الأقوال التى تنبىء عما فى قلوب المتكلمين كأنما اللسان رسول القلب بما أودعه الله من القدرة على اظهار المخبوء بصوغ العبارات التى تنحدر منه فى كلمات فتخدع كأنما هى درر غالية وجواهر ثمينة .

ويرى أن اللسان يرتدى أحيانا ثوب الصدق فيكون بصيرا حذرا حتى يطابق القول المعنى ، ويرتدى أحيانا ثوب الكذب فيكون على زلل وضلال .

ويقول ان الأمرين ثقيلان ثقل الجبل على الانسان: الصدق والكذب ، وقد كنى عن الثقل بما كنى العرب عن الجبل وذلك بقولهم : علم فى راسه نار — وهو من قول الخنساء الشاعرة المخضرمة فى اخيها صخر — ويقول ابن عربى انه لايعقل الحكم فى اللسان الا المتعظ الذى يرى مضايق الصدق ومخاطر الكذب فيسلك الأولى ويتجنب الثانية .

قلب الصوفى

ومدح ابن عربى قلب الصوفى المحقق قائلا :

قلب المحقق مرآة لمن نظرا
يرى الذى أوجد الأرواح والصورا
من شاهد الملأ الأعلى ففاته
النور وهو مقام القلب ان شكرا
ومن يشاهد صفات الحق فاعلة
لكل شىء يكن فى الوقت مفتكرا
وكيف يدرك قلب بات محتجبا
عن الوجود فما صلى وما اعتمرا

يفرق ابن عربى بين القلب المضىء والقلب المنطفىء فيرى الأول كالمرآة الصافية ، ويستطيع القلب المضىء أن يشاهد قدرة الخالق فيما رق ودق من خلقه وفيما كثف وتجسم فيه . والقلب الذى يرى ذلك لايتجه الى طمع ولا يلهج الا بالشكر على النور الذى سكب فيه ليرى به قدرة القدير .

ويرى ابن عربى — كالصوفية جميعا — أن أسماء الله الحسنى انما هى الصفات الفاعلة فى الأكوان وكل اسم بحسب معناه ، فالغنى يفعل الغنى والقهار يفعل القهر وهكذا — وقد سبقت الاشارة الى هذا فيما سبق من الكلام فى عرض هذا الشعر — ويقول الشاعر ان من يعرف ذلك يعرف الحقيقة .

أما القلب الذى حجب عن النور بالعصيان فانه لايدرى شيئا من سر الوجود ، وطريق النور والاضاءة للقلوب انما هو طريق الشريعة وتأدية فرائضها لاغير ، وقد أشار اليها ابن عربى بالصلاة والعمرة .

وطريق الصوفى الحق الى الوصول مقصود على الشريعة ، وهم يقولون : الاستقامة ولا الكرامة ، وليست استقامة الا باتباع الرسول الكريم ، والسير على سنته وانتهاج طريقته . وكل الاشارات تطير والشطحات تضيع ولا تبقى للمؤمن غير الركعات والسجدات .

باب
الرياضة
اعداد: ناصيف سليم
12

• الدوري العام .. يحتاج إلى مزيد من الأخلاق
• المراهنات .. تفسد النشء والمسابقات

قد يلفت نظرك هذه الايام ، عناوين ضخمة تملا الصفحات الرياضية فى الصحف ، تتحدث كلها وتعلن عن بدء مسابقة كبيرة : تسمى مسابقة الدورى العام لكرة القدم ٠٠ وتتحدث عن الاستعداد لها ، واهتمام الناس بها ٠

ولا تعجب لذلك ، فالصحافة تعطى الناس بقدر اهتماماتهم ٠٠ ومسابقة الدورى العام هذه قد شغلت الناس ، ليس فى بلدنا فقط ، بل فى كل بلاد الدنيا المتحضرة ٠

انها مسابقة فى لعبة قد بلغت شعبيتها الذروة واصبح يهتم بها الكبير والصغير ، يتتبعونها فى شوق واهتمام ٠

الزعامة بين اثنين

وتحتدم المناقشات دائما منذ بداية هذه المسابقة حتى نهايتها ، حول من يصبح زعيمها) وغالبا ماتنحصر البطولة بين زعيمين ، او يشتد التنافس بين ناديين كبيرين ، ليس شرطا ان يكونا معا ، او يكون احدهما مرشحا للبطولة ٠

ففى ايطاليا تنافس بين ميلانو الايطالى ، وانتر ناشيونال ، وفى انجلترا بين مانشستر وتوتنهام ، وفى امريكا الجنوبية صراع بين اندبندنتى وسانتوس الذى يلعب له بيليه احسن لاعبى العالم ٠

وفى السودان تنافس شديد بين الهلال والمريخ ، وفى الجمهورية العربية المتحدة صراع دائم بين الاهلى والزمالك ، كل منهما يتمنى ويعمل من احل ان تكون له الغلبة على الاخر ، او ان يكون سباقا فى ميدان الكرة بالذات ، بصرف النظر عن بقية اللعبات ٠

الاهتمام بالكرة

وهذا الذى يحدث فى كل بلاد الدنيا يعطينا صورة حقيقية عن المدى الطويل التى وصلت اليه شعبية الكرة، حتى اصبح لها جذور ، وبات مستحيلا ان تنافسها لعبات رياضية اخرى ٠ وفى اعتقادى ان سر اهتمام الناس بالكرة فى هذه الايام ، هو حاجة الناس الى الترفيه ، بسبب المشاكل الكثيرة ، فالمتفرج فى ساحة الكرة يخلو ذهنه من جميع مشاكله الخاصة ، واذا تتبعت مشاهدا من بداية المباراة حتى نهايتها ٠ لما وجدته منصرفا فى اية لحظة عن المباراة ٠٠ بل هو معها بكل حواسه ٠٠ لايفتر اهتمامه بها ، فى اى وقت ، واذا كانت له حركة فهى مسايرة تماما للحركات الكثيرة التى يراها فى الملعب ، قد يركل جاره بقدمه ، عندما يرى لاعبا يركل كرة ٠٠ وقد يضرب راسه بيده فى حركة - لاشعورية - عندما يرى لاعبا قد ضيع فرصة

ولا اغالى اذا قلت لك : انه قد بات الاهتمام بمباريات مسابقة الدورى العام لكرة القدم اكثر من الاهتمام بمباريات يلعبها المنتخب الذى يمثل الامة ، ويسعى فى سبيل رفع علمها ٠

مزيد من الاخلاق

وبالرغم من هذه الاهتمامات الكبيرة بمسابقة الدورى العام لكرة القدم ، فى الداخل والخارج فقد اصبح معروفا ان نجاح هذه المسابقة مرهون بارتباطها بالاخلاقيات ، هى فى اشد الحاجة الى دستور اخلاقى يمسك بزمامها ، حتى فى منتصف الطريق كما نرى احيانا ، ونقرا عن غيرنا ، وهذا الدستور الاخلاقى يجب ان يلتزم به ، كل من له صلة قريبة او بعيدة بالمسابقة ، من حكم ، الى لاعب ، الى متفرج ، الى مدرب ٠٠ كلهم فى حاجة الى ضبط النفس فى حالتى النصر والهزيمة ، وكلهم فى حاجة الى التمسك بالمبادىء القويمة ، حتى تؤتى ثمرتها التربوية الرياضية ٠

واجبات

الحكم

فالحكم دوره هام فى مسابقة الدورى العام ٠٠ لانه قاض ، يجب الا يحكم الا بالعدل ، ولا يتبع هوي النفس

ولا يتاثر بالجمهور الذى يناصر فريقا دون فريق ، ولا يعطى قرارا فيه شك ، ولا يضعف امام لاعب ، بل ينفذ قانون اللعبة ، والمسابقة حرفيا ، دون اية تاثيرات خارجية او من داخل الملعب .

اللاعب :

واللاعب عليه اكثر من واجب ، نحو ربه ونفسه ، والناس .. عليه نحو ربه ، ان يستقيم ، وان يتبع السلوك القويم ، لان هذا الطريق يصل به الى ارفع مستوى يبتغيه ، ويظهر امام الجماهير قويا ، لايضعف .. يلعب وقت المباراة كله بقدرة واحدة ، ولعل كل لاعب قد سمع وقرا نصيحة بيليه احسن واشهر لاعب كرة قدم فى العالم الان ، قالها صريحة : نصيحتى لكل لاعب ان يتجنب التدخين وشرب الخمر .. قال بيليه هذا وهو يعلم ان دينه لايحرم عليه الخمر ، ولكنه عرف ان اثمها كفيل بالقضاء على حيوية كل لاعب ونشاطه

وواجب اللاعب نحو نفسه الا يرهق جسمه بالسهر ، والا يفرط فى طعامه ، بل يكون معتدلا . وعليه امام الناس ان يتخذ كل الوسائل التى تظهره فى مظهر لائق ، من حيث المستوى ، والخلق .. فالجمهور الذى يملأ المدرجات فى الملاعب يتابع كل تحركاته ، ويحاسبه على كل صغيرة وكبيرة .

ولست مع الاداريين الذين يعتقدون ان يبدا رقابة سلوك اللاعب تجنبه كل المفاسد ، لاننا فى زحام المدنية لانجد وسيلة مجدية لخلق الشباب وتنشئته تنشئة رياضية الا التربية الاسلامية ، وكفى ان يعمل كل لاعب بهذا الحديث النبوى الشريف :

« اتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن »

امثلة كثيرة

وقد لمسنا امثلة كثيرة فى ملاعبنا .. راينا نماذج للاعبين الاتقياء .. وجدناهم فى غير حاجة الى رقابة ، وهم فى غنى عن كل مجهودات الاداريين من هذه الناحية لانهم ساروا فى الطريق المستقيم .. هداهم الله ، فكانوا موضع ثقة الجميع .. وفى مقدمة هؤلاء طه اسماعيل الذى يلقب « بالشيخ » .. لانه يسير فى طريق جنبه كل الشبهات ..

المتفرج :

والمتفرج فى مباريات كرة القدم ، واجبة ضبط النفس وترك الانفعال ، وعليه ان يعلم قبل كل شئ ان الهدف من مشاهداته للمباراة ترفيهى بحت ، فهو يقضى وقتا ممتعا فى جو ممتع .. فى الهواء الطلق ، وتحت شمسنا الدافئة ، ولا يجب ان يعكر هذا الجو تصرف عصبى ، تبرأ منه الرياضة .

وعليه ان يعلم ان الفرق لابد وان تتبادل النصر والهزيمة ، فلا يوجد فائز على طول الخط ولا مهزوم دائما .

المدرب :

وواجب المدرب ان يعد لاعبيه الاعداد اللائق ، فنيا وجسميا ، وان يكون قدوة صالحة لهم ، يجنبهم مواقع الزلل ، يرشدهم الى الصواب دائما ، ولا يفضل لاعبا على آخر ، لانه بذلك قد يمهد للغرور يتسرب الى نفس الذى فضله ، والى الياس يدب فى نفس المفضل عليه تنحسر لاعبين فى وقت واحد ، وكما هو معلوم لنا ـ فان انواع التفضيل كثيرة ، ومنها ان يقدمه على غيره . فى احتلال مركز لايناسبه ليلعب ثم يكافا اذا مافاز الفريق فى النهاية .

المراهنات .. فى المسابقة

ونظرا لاهمية مسابقة الكرة فى مختلف البلاد ، والتفاف الجمهور حولها ، بصورة لم يسبق لها مثيل فى اية مسابقة رياضية ، فان بعض الدول ، قد استغلت هذه الناحية ، فادخلت نظام المراهنات على المباريات لتبتز اموال الناس ، ولا شان لها بعد ذلك . اذا ما تركتهم صرعى فى الملاعب ، يتحسرون ، ويموت بعضهم بالسكتة القلبية ، ويرغى ويزبد الآخر ، لانه فقد كنزا لان ورقته قد جانبها الحظ بفارق رقم واحد .

وقد كانت مساوىء هذه المراهنات اكثر من محاسنها ـ اذا فرضنا ان تمويل الرياضة عن طريقها حماسى .

فقد عرف اللاعبون كيف يقامرون ، ليربحوا اموال غيرهم .. انهم قد يتعمدون خسارة المباراة فى مقابل مبالغ ضخمة او غير ضخمة ، ليربح مكتب المراهنات اللانى ، ويخسر الآخر .. وقد ثبت هذا التلاعب فى جميع البلاد التى ادخلت نظام المراهنات على نتائج المباريات .. وفى انجلترا حوكم سبعة لاعبين من فريق واحد ، لقبولهم الرشوة ، وتعمدهم خسارة المباراة امام منافسيهم . وبات من العسير ضبط هذه العملية ، لان اللاعب يستطيع ان يستفيد منها دون ان يدرى احد ، ويستطيع ان يتكلف الحركات الوهمية فى الملعب ، بل ويدعى الاصابة والالام ، فيخسر فريقه المباريات .. والجمهور لايدرى .

اصوات عربية .. تنادى

وللاسف .. سمعنا اصواتا هنا فى بلدنا الاسلامى ، ينادى علانية بدخول نظام المراهنات على نتائج المباريات وهذا شر يجب ان يتصدى له كل من يهمه الامر ، لان من شانه اذا ماأخذت به الدولة ، وهى لن تاخذ به ان يفسد الاسرة ، ويساعد على انحراف النشء ، ويجلب المرض للنفس والجسم معا .

وزير الشباب يرفض

وقد اعجبنى وسرنى فى اكثر من مناسبة ، اننى سمعت من السيد طلعت خيرى وزير الشباب استنكارا لهذه الفكرة ، لانه كرجل مسلم يعلم مدى الضرر الذى ينجم عن هذا النظام ، والدولة ليست فى حاجة الى اموال تبتز من جيوب متفرجين الكرة . فقد رصدت فى ميزانيتها للرياضة اكثر من مليونى جنيه .

وكان يكفى للرد على المنادين ، ان هذا النظام حرام .. والاسلام يرفضه ، ولكنهم وبرغم علمهم بهذا ، يستمرون فى مطالبتهم بنظام المراهنات ، ومبلغ علمى انهم لم يسمعوا بالشكاوى المرة التى انبعثت منجماهير المتفرجين فى الخارج ، نتيجة الانحراف الذى ادى اليه هذا النظام .. النظام الذى يبيح لفرد ، ان ياخذ مال غيره دون وجه حق .

قصة العدد

القادسية

بقلم عبد الحميد جودة السحار

« ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون »

احس سعد بالم شديد ، أن به عرق النساء ، ودمامل تمنعه من الجلوس ، انه لايستطيع أن يركب او ينزل الى أصحابه ، وجاءه رسول رستم يسأله ، اما أن يعبر لهم ، وأما أن يتركهم يعبرون ، فقال سعد له : بل اعبروا أنتم ، و خرج الرسول ، واحس سعد ضيقا ، انه لن يستطيع أن يشترك فى اول معركة بينه وبين الفرس ، انه ليود ان يقابل المشركين كما قابل مشركى مكة فى بدر واحد ، وأ ن يضرب بقوة ، ويصول ويجول كما ضرب وصال وجال فى تلك الايام الخوالى ، وعاد الخيال به القهقرى ، فتذكر يوم احد ، يوم ثبت مع النبى يذب عنه ، ويوم قال له النبى الحبيب : ارم ايها الغلام الحزور فداك ابى وامى . فثار الدم فى عروقه ، وداح يتململ فى مرقده ، ليته يستطيع ان يقف على قدميه ، اذن لنزل الى اصحابه ، ولحادثهم ولشاورهم فى الامر ، وارسل الى خالد بن عرفطة ، واستخلفه على الناس .

علم المسلمون أن سعدا لن يشترك فى المعركة ، فأخذوا يتندرون به ، واعلموا انه استخلف خالد بن عرفطة ، فاختلفوا عليه ، وبلغ سعد ان الناس يتغامزون عليه ، وأنهم يسخرون به ، وأن الناس اختلفوا على خالد ، فاستشاط غضبه ، وقال البعض من حوله احملونى واشرفوا بى على الناس ، فحملوه فاكب مطلعا عليهم من سطح القصر ، فلما رأى الناس مابه من وجع عذروه . قال :

ـ اما والله لولا أن عدوكم بحضرتكم لجعلتكم نكالا لغيركم .

فقال جرير :

ـ اما انى بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن أسمع وأطيع لمن ولاه الله الامر وان كان عبدا حبشيا ، قال سعد :

ـ والله لايعود أحد بعدها يحبس المسلمين عن عدوهم ويشاغلهم وهم بازائهم الا سننت به سنة يؤخذ بها من بعدى .

وقتلت الفتنة فى مهدها ، قبل أن تشتد وتقوى فيستفحل خطرها . وراح سعد يوصى القوم بعد ذلك ، فراح يخطبهم من قصره ، وهو مكب على وجهه :

ـ ان الله هو الحق لاشريك له فى الملك وليس لقوله خلف ، قال الله جل ثناؤه : « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر آن الارض يرثها عبادى الصالحون » . ان هذا ميراثكم وموعود ربكم ، وقد اباحها لكم منذ ثلاث حجج ، فأنتم تطعمون منها ، وتأكلون منها ، وتقتلون أهلها وتجبونهم ، وتسبونهم الى هذا اليوم بما نال أصحاب الايام منكم ، وقد جاءكم هذا الجمع وانتم وجوه العرب ، وخيار كل قبيلة ، وعز من وراءكم ، فان تزهدوا فى الدنيا ، وترغبوا فى الآخرة ، جمع الله لكم الدنيا والآخرة ، ولا يقرب ذلك احدا الى اجله ،وان تقعدوا وتهنوا وتضعفوا تذهب ريحكم وتوبقوا آخرتكم

وثارت حمية الرؤساء ، فقام عاصم بن عمرو يخطب القوم

ـ هذه بلاد قد احل الله لكم اهلها وانتم تنالون منهم

منذ ثلاث سنين مالا ينالون منكم ، وأنتم الاعلون ، والله معكم أن صبرتم وصدقتموهم الضرب والطعن ، فلكم اموالهم ونساؤهم وبلادهم ، وان خرتم وفشلتم ، والله لكم من ذلك جار وحافظ ، لم يبق هذا الجمع منكم باقيه ، مخافة أن تعودوا عليهم بعائدة هلاك . الله الله اذكروا الايام وما منحكم الله فيها ، أولا ترون أن الارض وراءكم بسابس قفاد ليس فيها خمر ولا وزر يعقل اليه ولا يمتنع به ، اجعلوا همكم الآخرة . وأرسل سعد الى ذوى الرأى والنجدة والشعر ، فوافاه المغيرة وحذيفة وعاصم ، وطليحة وغالب وعمرو بن معد يكرب والحطيئة الشاعر وغيرهم ، فلما دخلوا عليه ، قال لهم : انطلقوا، فقوموا فى الناس بما يحق عليكم ، ويحق عليهم عند مواطن الباس ، فانكم من العرب بالمكان الذى أنتم به ، وأنتم شعراء العرب وخطباؤهم ، وذوو رأيهم ونجدتهم وسادتهم ، فسيروا فى الناس فذكروهم وحرضوهم على القتال . فخرجوا من عنده وقد عزموا على اثارة حمية القوم ، وحثهم بأحسن مافيهم ، فلما بلغوا الناس ،وقف قيس بن هبيرة يخطب :

– أيها الناس ، احمدوا الله على ماهداكم له وأبلاكم يزدكم ، واذكروا آلاء الله ، وارغبوا اليه فى عاداته ، فان الجنة أو الغنيمة أمامكم ، وانه ليس وراء هذا القصر الا العراء ، والارض القفر ، والظراب الخشن والفلوات التى لا يقطعها الأدلة .

وتقدم غالب وقال :

– أيها الناس ، احمدوا الله على ما أبلاكم ، وسلوه يزدكم ، وادعوه يجبكم ، يا معشر معد ، ما علتكم اليوم، وأنتم فى حصونكم « خيلكم » ومعكم من لا يعصيكم « سيوفكم » اذكروا حديث الناس فى غد ، فانه بكم غد يبدأ عنده ، وبمن بعدكم يثنى .

وتقدم ابن الهزيل الاسدى وقال :

– يامعشر معد ، اجعلوا حصونكم السيوف ، وكونوا عليهم كاسود الاجم ، وتربضوا لهم تربض النمور ، وادرعوا العجاج ، وثقوا بالله وغضوا الابصار ،فاذاكلت السيوف فانها مامورة ، فارسلوا عليهم الجنادل ، فانها يؤذن فيما لا يؤذن للحديد فيه .

وتقدم آخر وقال :

– احمدوا الله ، وصدقوا قولكم بفعل ، فقد حمدتم الله على ما هداكم له ، ووحدتموه ولا اله غيره ،وكبرتموه وآمنتم بنبيه ورسله ، فلا تموتن الا وأنتم مسلمون ، ولا يكونن شىء أهون عليكم من الدنيا ، فانها تاتى من تهاون بها ، ولا تميلوا اليها ، فتهرب منكم لتميل بكم،انصروا الله ينصركم .

وقام عاصم بن عمرو :

– يامعشر العرب ، انكم أعيان العرب وقد صمدتم للاعيان من العجم ، وانما تخاطرون بالجنة ، ويخاطرون بالدنيا ، فلا يكونن على دنياهم أحوط منكم على آخرتكم، لا تحدثوا اليوم أمرا تكونون به شينا على العرب غدا .

اهتم يزد جرد بأمر هذه الوقعة اهتماما عظيما ، وما كان يطيق أن ينتظر الانباء حتى تصل اليه ، بل شاء أن تبلغه أولا بأول ، فوضع رجلا على باب ايوانه ووضع آخر خارج الدار ، ووضع ثالثا على بعد من الثانى بحيث يسمع ما يهتف به ، ووضع رابعا وخامسا وسادسا وهكذا حتى بلغ الرجال ميدان القتال ، فلما نزل رستم صاح من فى الميدان :

– نزل رستم .

فصاح من يليه :

– نزل رستم .

فصاح من بعده :

– نزل رستم .

واستمر هذا الخبر ينتقل من رجل الى آخر حتى بلغ مسامع يزدجرد ، وراح من فى الميدان يصف ما يحدث أمامه ، والرجال يتصايحون بما يصف ، راح يصيح :

– رستم يلبس درعين ومغفرا ، ومعه سلاحه ، انه يامر بفرسه ، قد أوتى بها ، رستم يقفز فاذا هو على فرسه لم يمسسها ، ولم يضع رجله فى الركاب ، رستم يتلفت الى من حوله ويقول :

– سندقهم دقا ..

رستم يتحرك الى ميدان القتال .. رستم يعبىء فى القلب ثمانية عشر فيلا عليها الصناديق والرجال .. وفى المجنبتين ثمانية وسبعة عليها الصناديق والرجال ، الجالينوس بينه وبين ميمنته ، والبيرزان بينه وبين ميسرته .. القنطرة بين خيلين من خيولنا وخيول المسلمين .. الاعداء ياخذون مصافهم ..

واستمر من فى الميدان يصف ما يحدث أمامه ، فتبلغ الانباء يزدجرد وهو فى ايوانه . راح سعد يطل على ساحة القتال من قصره ، وما كان بمستطيع التحرك ، فقد كان منكفئا على صدره ، وكان القصر مفتوحا لاباب له ، فلو أن المسلمين هزموا ، ودارت عليهم الدوائر لاخذ سعد أخذا ، ولكنه لم يقم لذلك وزنا ، وكان همه الاعظم ان يدير المعركة من مكانه ، وان يبذل مافى وسعه حتى ينتصر المسلمون فيعوض ما فاته من الاشتراك فى المعركة وصاح من مكانه :

– الزموا مواقفكم ، لا تحركوا شيئا حتى تصلوا الظهر ، فاذا صليتم الظهر فانى مكبر تكبيرة فكبروا واستعدوا ، واعلموا أن التكبير لم يعطه أحد غيركم واعلموا انما اعطيتموه تأييدا لكم ، ثم اذا سمعتم الثانية فكبروا ولتستتم عدتكم ، ثم اذا كبرت الثالثة فكبروا ولينشط فرسانكم الناس ليبرزوا وليطاردوا ، فاذاكبرت الرابعة ، فازحفوا جميعا حتى تخالطوا عدوكم وقولوا لا حول ولا قوة الا بالله .

وارسلت أم الى أبنائها الاربعة ، الذين كانوا فى جيش المسلمين فدخلوا عليها وسلموا فقالت لهم : – انكم أسلمتم فلم تبدلوا ، وهاجرتم فلم تثربوا ، ولم تنب بكم البلاد ، ولم تقحمكم السنة ، ثم جئتم بامكم عجوز كبيرة ، فوضعتموها بين أيدى أهل فارس ، والله انكم لبنو رجل واحد ، كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ما خنت أباكم ، ولا فضحت خالكم ، فانطلقوا فاشهدوا أول القتال وآخره . وارتفع صوت المؤذن يؤذن بالظهر ، فخرجوا من عندها لينضموا الى اخوانهم المصلين وليسالوا الله نصره وتاييده ، ولما غابوا عنها رفعت يديها الى السماء وقالت مبتهلة الى الله :

– اللهم ادفع عن بنى .

وقضيت الصلاة ، وسرى صوت سعد :

– الله اكبر .

فكبر الناس خلفه ، فارتج المكان ، واسرعوا الى صفوفهم ، ومرت مدة ثم هتف سعد :

– الله أكبر .

فتهيأ الرجال للنزال - واستتموا عدتهم ، وانتظروا سماع التكبيرة الثالثة ليبرز أهل النجدات ، ولم ينقض كبير وقت حتى كبر سعد التكبيرة الثالثة ، فكبر الناس خلفه ، وخرج غالب بن عبد الله يطلب الطعن والنزال ، فبرز له هرمز ، وكان متوجا ، عليه ثياب جياد ، فدارا كليثين كاسرين ، وتبادلا الضربات ، وكان كل يتقي ضربات خصمه ، واستمر القتال بينهما وكان غالب يشد على غريمه ، وبان على هرمز الاعياء ، وحام الموت فوقه ، واحس هرمز باقتراب الموت اليه فسلم ، فاسره غالب ، فارتفعت أصوات المسلمين بالتكبير ، وقاد غالب هرمز أمامه حتى بلغ القصر ، وسلمه الى سعد ، وعاد الى الميدان لاستئناف الضرب والقتال .

وخرج عاصم بن عمرو ، وخرج له رجل من أهل فارس ، وما كادا يتبادلان الضربات حتى فر الفارس فجد عاصم في أثره ، واختفى الرجل في صفوف الاعداء ولمح عاصم رجلا معه بغلة ، فمال نحوه ، فلما لمحه الرجل ورأى سيفه يطل منه المنون ، فر منزعجا تاركا البغلة وما عليها ، فاستلبها عاصم ، وعاد بها الى سعد ، ولما فحص ما تحمل وجد أطعمة فاخرة ، لقد كان الرجل خباز رستم ، فأمر سعد بتوزيعها على الجند . وبينما الناس في انتظار التكبيرة الرابعة ليشدوا النواجز على الاضراس ويحملوا على القوم ، كان عمر بن معد يكرب يحضض الناس بين الصفين ، وبرز رجل من الفرس وراح يسدد سهامه صوب المسلمين ، فما اخطأت قوسه وهو منتكبها ، وارتطم سهم من سهامه بدرع عمر بن معد يكرب ، فثار عمرو ، وخرج اليه ، وانقض عليه انقضاض وحش كاسر ، فاعتنقه ، ثم اخذ بمنطقته فاحتمله بين يديه وسار به حتى بلغ صفوف المسلمين ، فوضعه وكسر عنقه ، ثم وضع سيفه على حلقه فذبحه ، ثم ألقاه والتفت الى قومه وقال :

- هكذا فاصنعوا بهم .

فقال بعضهم :

- يا أبا ثور من يستطيع أن يصنع كما تصنع ؟

وقفت بجيلة تستعد للقتال ، وراح جرير بن عبد الله البجلي يحرض قومه ، ووجه رستم اليهم ستة عشر فيلا عليها التوابيت ، وكان على كل فيل عشرون راكبا ، وارتفع صوت سعد بالتكبيرة الرابعة ، ولما سمعوها كبروا خلفه وتزاحفوا ليقاتلوا في سبيل الله صفا كأنهم بنيان مرصوص .

حمل أصحاب الفيلة على بجيلة ففرقت بين الكتائب ، وذعرت الخيل فنفرت ، ودبت الفوضى بينهم ، فراح بعضهم يولي الدبر . وكان سعد يشرف على المعركة من سطح قصره ، وبجواره سلمى التي تزوجها بعد موت المثنى زوجها ، وأخذا يشاهدان ما أصاب بجيلة ، فتململ سعد وبان الضيق في وجهه ، ورأت سلمى فرار الخيل ، فصاحت :

- وامثنياه ولا مثنى للخيل اليوم .

فضاق سعد ذرعا ، واحس كأنها لطمته لطمة قاسية فما أقعده عن القتال الا ما به ، فلم يشعر الا وهو يلطم وجهها ، فظهر الحنق في وجهها ، وشاءت أن تقتص منه ، وأن تنال من كبريائه كما نال من كبريائها ، فقالت له :

- أغيرة وجبنا ؟؟ وتركته وانصرفت .

وراح سعد يتطلع الى القتال الدائر تحت بصره ، فرأى بجيلة تكاد أن تؤكل ، فارسل الى بني أسد :

- ذبوا عن بجيلة ومن لاقها من الناس .

فقام طليحة بن خويلد يستحث قومه ، فصاح :

- يا عشيرتاه ، ان المنوه باسمه الموثوق به ، وان هذا لو علم أن أحدا أحق باغاثة هؤلاء منكم استغاثهم ، ابتدءوهم الشدة واقدموا عليهم أقدام الليوث الحربة ، فانما سيتم أسدا لتفعلوا فعله ، شدوا ولا تصدوا ، وكروا ولا تفروا ، لله در ربيعة ، أي فرى يفرون أي قرن يعنون ، هل يوصل الى مواقفهم ، فاغنوا عن مواقفكم ، أعانكم الله ، شدوا عليهم باسم الله . فشد القوم وانطلقوا لشد أزر بجيلة وراحوا يطعنون الفيلة ، ولكن الفيلة كانت تشيع الفوضى بينهم ، وبرز فارس لطليحة فراحا يتقاتلان ودار بينهما قتال رهيب بين صهيل الخيل النافرة ، وتكبيرات المسلمين المدوية ، وسدد طليحة اليه ضربة قاضية ، فأرداه مجندلا يخبط في دمه وانضم الى اخوانه ليذب عنهم ، ولكن الفيلة راحت تمزق صفوف المسلمين تمزيقا .

رأى الأشعث بن قيس ما تفعل الفيلة ببجيلة وبني أسد ، فشاء تحريض قومه ليهبوا لنصرتهم ، فقام وقال :

- يامعشر كندة لله در بني أسد ، أي فرى يفرون ، وأي هذى يهذون عن موقفهم ، منذ اليوم أغنى كل قوم وما يليهم ، وأنتم تنظرون من يكفيكم البأس ، أشهد ما أحسنتم أسوة قومكم العرب منذ اليوم وانهم ليقتلون ويقاتلون ، وأنتم جثاة على الركب تنظرون . فثار الغضب فيهم ، ووثب اليه عدد منهم ، وقالوا مختنقين :

عثر الله جدك ، انك لتؤيسنا جاهدا ، ونحن أحسن الناس موقفا ، فمن أين خذلنا قومنا العرب وأسأنا أسوتهم فها نحن معك .

فانطلق وانطلقوا معه ، يهاجمون الفيلة ومن عليها ، ورأى الفرس ما تلقى الفيلة من المسلمين ، في هذه الناحية ، فانضم ذو الحاجب والجالينوس بمن معهم الى هذه الناحية ، فدارت معركة رهيبة . معركة لا شفقة فيها ولا لين ، فقد عزم المسلمون على اعلاء كلمة الله ، وأخذ الفرس يذبون عن الوطن الحبيب ، عن الأنفس والاهل والديار ، واستمرت المعركة قاسية ، واستمرت الفيلة تعمل عملها الرهيب فاحس سعد في مكانه بخطرها على أصحابه ، وراح يدور بعينيه في الميدان يبحث عمن يرسله اليها ليريحه منها ومن أهوالها ، فلم يجد الا بني تميم كفوا لها .

فأرسل الى عاصم بن عمرو يقول له أن يكفيه هذه الفيلة ، فوقف عمرو وقال :

- يا معشر بني تميم . ألستم أصحاب الابل والخيل ، أما عندكم لهذه الفيلة من حيلة ؟؟

- بلى والله .

ونادى قوما من الرماة وقال لهم :

- يامعشر الرماة ذبوا ركبان الفيلة عنهم بالنبل ؟

ونادى قوما آخرين وقال لهم :

- استدبروا الفيلة واقطعوا وضنها .

فشد الرماة قسيهم ، وأخذت السهام تتطاير في الجو وتثبت في صدور الرجال راكبي الفيلة ، وتسلل من انتدبهم عمرو حتى أصبحوا خلف الفيلة ، وراحوا يزحفون بحذر حتى اقتربوا منها ، فأخذوا بأذنابها ، وذباذب توابيتها فقطعوا وضنها ، فسقط من في التوابيت فارتفع صياحهم ، وراحت الفيلة تدوس فيمن وقع ، وفرت الفيلة ، وشاع الاضطراب في صفوف الفرس ، وخف الضغط على أسد وبجيلة ، وراح الناس يعتورون

القتال ، ويتبادلون الضرب والطعان ، ويصولون ويجولون وسعد فى قصره مشرف على القوم ، يدعو الله أن يؤيد دينه ويتم نصره .

مالت الشمس نحو الافق والمعركة دائرة على أشدها .. لم يظهر فريق على فريق ، وأخذت الشمس فى المغيب حتى اغمض الافق البعيد جفنه عليها ، وأخذت المعركة تخف شيئا فشيئا حتى توقف الفريقان ، وراحا يتأهبان لاستئنافها مع الصباح .

انتظرت الام العجوز أوبة أولادها الاربعة ، فلما عتمت الدنيا دخلوا عليها جميعا سالمين ، فحمدت الله وراحت تحثهم على استئناف القتال فى اليوم التالى أشد عزما وأوثق أملا ، واتجهواليناموا على أن يهبوا مع الصباح لاستئناف قتال المشركين .

ارتفعت الشمس فهب الاخوة الاربعة من نومهم ، وحملوا سلاحهم وخرجوا لينضموا الى اخوانهم وقبل أن ينطلقوا اخذت أمهم تذكرهم بأحسن ما فيهم ، وتدعوهم لقتال المشركين بعزم صادق وقلب ثابت فان ظهروا كان النصر المبين ، وان ماتوا فالى جنات النعيم ، مع الشهداء والقديسين ولما غابوا عن عينيها ، رفعت يديها الى السماء تبتهل الى الله الا يفجعها فيهم ، وأن يعيدهم اليها سالمين .

انطلق الاخوة الاربعة الى ميدان القتال ، فوجدوا المسلمين على تعبئة ، وكان بعض الرجال ينقلون الشهداء الى العذيب ، وبعضهم ينقلون الرثيث الى النساء يقمن عليهم ، فانضم الاخوة الى كتيبتهم واستعدوا لسماع الامر بالزحف ليتزاحفوا ، وبينما كان المسلمون يتأهبون للقتال ، اذ لمحوا فارسا يطوى الارض طيا ، وينهبها نهبا وينطلق كالشهاب نحوهم ، فتطلعوا اليه ، ولما اقترب منهم ترجل عن فرسه ، فصاح بعضهم :

ـ انه القعقاع بن عمرو .

وقال آخر :

ـ هذا من قال ابو بكر عنه : لاينهزم جيش فيهم مثل هذا .

وسلم القعقاع على الناس وسأل عن سعد ، فلما علم بمرضه وانه فى القصر ، اتجه اليه وصعد فالفى سعدا على بطنه ينظر الى ميدان القتال فسلم عليه ، وقال له :

ـ ارسل عمر الى ابى عبيدة كتابا بصرف اهل العراق أصحاب خالد مددا لك ، فسرح أبو عبيدة ستة آلاف ـ وأمر عليك ابن أخيك هاشم بن عتبة ، فأمرنى هاشم على مقدمته ، فرأيت أن أسرع لا بشركم بالمدد العظيم .

ـ انه النصر ان شاء الله .

ـ قد عهدت الى أصحابى الذين معى أن يتقطعوا أعشارا ، وهم الف ، فكلما بلغ عشرة مدى البصر سرحوا فى آثارهم عشرة ، وانى لآمل انه كلما وصلت جماعة الى القتال مكبرة ، زلزلت الاعداء زلزالا .

فبان البشر فى وجه سعد ، وسرى الامل الدفىء فى صدره وخرج القعقاع الى الناس زلزالا .

ـ يأيها الناس ـ انى قد جئتكم فى قوم الله ، لوكانوا مكانكم ثم احسوكم حسدوكم حظوتها ، وحاولوا أن يطيروا بها دونكم ، فاصنعوا كما أصنع وتقدم القعقاع للمبارزة ، وانتشت افئدة المسلمين ، ان المدد قريب وسينضم اليهم ويشد ازرهم ، وسينصرهم الله على عدوه وعدوهم وسينصرهم نصرا مؤزرا .

وتقدم القعقاع من صفوف الاعداء .

ـ من يبارز ؟؟

فخرج اليه فارس عليه ثياب موشاه ، تعلوه مهابة ، ويدل مظهره على أنه من وجوه القوم ، فساله القعقاع :

ـ من أنت ؟؟

ـ أنا بهمن جاذويه . فصاح القعقاع يا لثارات ابى عبيدة ، وسليط ، واصحاب يوم الجسر .

وانقض عليه ، وضربه ضربة ، اتقاها جاذويه ، وأخذا يحومان حول بعضهما ويتبادلان الضربات ويتفاديانها بحذق ومهارة ، وأخيرا سدد القعقاع ضربة قاتلة فسقط جاذويه قتيلا ، وبرز القعقاع ثانية وصاح :

ـ من يبارز ؟؟

فخرج البيرزان والبندوان ليقتصا لجاذويه ، وخرج الحارث بن ظبيان لينضم الى القعقاع ، واتجه القعقاع الى البيرزان ، والحارث الى البندوان ، وراح سعد يتطلع الى هذه المبارزة وكان اهتمامه بها عظيما ، فلو أن القعقاع والحارث انتصرا لخسر جيش الفرس قائدين عظيمين من قوادهم ، ودار القتال ، وثار النقع ، وأخذ صوت السيوف يقرع الآذان ، فيثير الحواس جميعا ، ويجعل الحماسة تفور فى الصدور ، وكتم سعد انفاسه فقد بلغت المبارزة أقصاها ، ها هو القعقاع يحمل على البيرزان حملة صادقة ، وهاهو سيفه يرتفع فى الهواء ثم يهوى على عدوه فيذرى رأسه ، وشد الحارث على غريمه وضربه ضربة انتهى بها كل شىء ، فأحس سعد راحة ، انها بداية طيبة ، ونظر الى معسكر الاعداء ، فلم يجد الفيلة ، فقد تكسرت توابيتها بالامس ولم يتم علاجها بعد ، فحمد سعد الله ، وامر الناس أن يستعدوا للزحف .

وأخذ جرير يحرض قومه ، وعاصم بن عمرو يحضهم بأحسن مافيهم ، وعمر بن معد يكرب يحثهم على قتال المشركين ، وقال القعقاع :

ـ يا معشر المسلمين باشروهم بالسيوف ، فانما يحصد الناس بها .

وارتفعت تكبيرة سعد تشق الفضاء فتزاحف الناس ، وراح المسلمون يضربون ويضربون ووردت الجماعة الاولى من خيل القعقاع مكبرة مهللة ، فكبر المسلمون خلفهم ، ودب النشاط فيهم وأخذوا يقاتلون وقدانتعشت نفوسهم ، ووردت الجماعة الثانية والثالثة والرابعة واستمر ورود الجماعات طوال اليوم ، فشد ذلك من أزر المسلمين ، وفت فى عضد الاعداء فاكثر المسلمون فيهم القتل .

بلغ أصحاب القعقاع الميدان وكانوا على ابل ، قد ألبسوها فهى مجللة مبرقعة ، وأطافت بهم خيولهم يحمونهم ، وأمرهم القعقاع أن يحملوا على خيلهم بين الصفين ، فحملوا عليهم فأخذت خيول الفرس تفر من الابل ، كما نفرت خيول المسلمين من الفيلة أمس ، فدبت الفوضى فى صفوف الفرس ، ورأى رجل ممن يحمى الابل رستم ، فشاء أن ينطلق اليه ، وراح يقتل كل من يقف فى طريقه ، واصبح على بعد خطوات منه ، ولكنه سقط قتيلا دونه .

انقضى النهار ، واقبل الليل ، ولكن المعركة لم يخب لها أوار ، فقد رأى المسلمون انتصارهم الباهر ، فشاءوا أن يستمر النزال ، حتى يقضى الله أمره ، واستمر سعد

مكبا من فوق القصر ينظر ، فرأى رجلا على فرس بحيال الميمنة يكبر ثم يحمل على ميسرة الاعداء يلعب برمحه وسلاحه بين الصفين ، ثم يرجع من خلف المسلمين الى الميسرة فيكبر ، ويحمل على ميمنة القوم يلعب بين الصفين برمحه وسلاحه ، وأخذ يقصف الاعداء قصفا منكرا ، فتعجب سعد من أمره ، وتفرس فى الفرس وغمغم :

انها فرس البلقاء ، ولولا محبس ابى محجن لقلت هذا أبو محجن .

وتطلع مدد القعقاع الى هذا الفارس المغوار ، وقال بعضهم :

– أوائل أصحاب هاشم .

وقال بعضهم :

– بل هاشم نفسه .

واستمر الفارس يصول ويجول ، ويلعب برمحه وسلاحه ، والناس به جد معجبون ، فقال أحدهم :

– ان كان الخضر يشهد الحروب لكان صاحب البلقاء الخضر نفسه .

وقال آخر :

– لولا أن الملائكة لاتباشر القتال لقلنا : ملك من السماء .

واستمرت المعركة رهيبة ، وانتصف الليل ورحاها دائرة ، وقصف السيوف يدوى فى الليل ، فيمزق سكونه وانتصبت الام العجوز فى خيمتها ، تبتهل الى الله أن يعيد اليها أبناءها سالمين ، واحست قلقا ، وشعرت بالخوف يهزها ، لقد انتصف الليل ولم يعودوا ، ترى مادهاهم ؟؟ هل استشهدوا جميعا ؟؟ أم امتدت المعركة دون توقف ؟؟ استمرت الهواجس تهجس فى صدرها وراح الشيطان يوسوس لها ويلعب بها كما يلعب القط بفريمه قبل أن يجهز عليه ، ولكنها لم تسترسل فى أحلامها ، ولم تترك نفسها فريسة طيعة لشيطانها ، بل تعوذت من الشيطان الرجيم ، ثم ذهبت وتوضأت وراحت تصلى لله فى هجعة الليل ، فشاعت الطمانينة فى نفسها ، وعاد اليها هدوؤها ودعتها ، وأتمت صلاها فجعلت تقرأ ما تيسر من القرآن وسمعت وقع أقدام فى الخارج فتطلعت نحو مدخل الخيمة فرأت أشباحا أربعة يتقدمون منهوكين متعبين فهزها السرور وبانت عليها الغبطة فاسرعت اليهم نشطة خفيفة ، كأنما قد عادت الى العشرين ، لقد عادوا اليها جميعا سالمين ، وناموا لياخذوا قسطهم من الراحة ليهبوا أكثر نشاطا ،وأقوى عزما ، لقتال المشركين .

نام الناس جميعا ، الا القعقاع ورجاله ، فانه لما رأى أن جيش هاشم لم يصل بعد ، خشى أن يفت ذلك فى عضد المسلمين ، فراح يسرب أصحابه الى المكان الذى فارقهم فيه من الامس ، ثم قال لهم :

– اذا طلعت لكم الشمس ، فاقبلوا مائة مائة ، كلما توارى عنكم مائة فليتبعها مائة ، فان جاء هاشم فذاك ، والا جددتم للناس رجاء وجدا .

وخرج رجال القعقاع ، واتجه هو ليهجع ويستريح حتى يستطيع أن يستأنف فى الغد قتاله ، وقد دارت نفس الفكرة فى رأس عاصم بن عمرو فأرسل رجاله فى الناحية الاخرى ، وأمرهم أن يغدوا الى ميدان القتال جماعات ، فيفت ذلك فى عضد الاعداء .

أستمر رجال القعقاع فى السير ، وقبل أن يبلغوا مكانهم المقصود ، قابلوا هاشما وأصحابه ، فاخبروه برأى القعقاع وما صنع ، فعبأ هاشم رجاله سبعين سبعين ، وأمرهم ان يجدوا فى السير ليشدوا ازر اخوانهم .

تجلى النهار ، فأخذ الناس مواقفهم ، وراح سعد يجول فى الميدان بنظره ، فرأى الفيلة قد ظهرت فأوجس خيفه ، وخشى أن تفعل بالمسلمين كما فعلت بهم يوم أرمات ، فراح يفكر فيم يفعل ليؤمن المسلمين خطر الفيلة القاتل ، وفيما هو يفكر ، أخذت زوجته سلمى تقترب منه ، وقد عزمت على مصالحته ، فقد أساءت اليه ، وهى أعلم الناس أنه ليس بجبان ولا هياب ، وأنه لولا عذره ، لكان بطل الحلبة ، بلا جدال وجلست بجواره ، وظلت صامتة برهة ، ثم أخذت تحادثه عن الناس وما فعلوا فى أمسهم ، فالتفت سعد اليها وقال :

– رأيت بالامس شيئا عجيبا ، رأيت فارسا على البلقاء كأنه مارد أو شيطان ، يضرب كأحسن ما يكون الضرب ، ولولا محبس ابى محجن لقلت هذا أبو محجن

فقالت سلمى :

صعد اليك أبو محجن أمس حين أمسى ، وطلب منك العفو ، فرفضت ونزل فأتانى وقال لى : « ياسلمى يابنت آل حفصة . هل لك الى خير ؟ » . قلت : « وماذاك ؟ » قال : « تخلين عنى وتعيرننى البلقاء ، فلله على أن سلمنى الله أن أرجع اليك حتى أضع رجلى فى قيدى » فقلت له : « وما أنا وذاك » فرجع يرسف فى قيوده ، وراح يقول :

كفى حزنا أن تردى الخيل بالقنا
وأترك مشدودا على وثاقيا
اذا قمت عنانى الحديد واغلقت
مصاريع دونى قد تصم المناديا
وقد كنت ذا مال كثير واخوة
فقد تركونى واحدا لا أخاليا
ولله عهد لا أخيس بعهده
لئن فرجت ألا أزور الحوانيا

فاخذت أفكر فى اطلاقه ، ونزلت اليه وقلت له : « اننى استخرت الله ورضيت بعهدك » وأطلقته ،فسألنى أن أعيره الفرس ، فقلت له : « أما الفرس فلا أعيرها » ولكنه اخذ الفرس واخرجها من باب القصر الذى يلى الخندق ، فركبها ثم دب عليها ، ولما انتهى من قتاله أقبل ودخل من حيث خرج ، وأعاد رجليه فى قيديه وقال :

لقد علمت ثقيف غير فخر
بأنا نحن أكرمهم سيوفا
وأكثرهم دروعا سابغات
وأصبرهم اذا كرهوا الوقوفا
وأنا وفدهم فى كل يوم
فان عميسوا فسل بهم عريفا
وليلة قادس لم يشعروا بى
ولم أشعر بمخرجى الزحوفا
فان أحبس فذلكم بلائى
وان أترك أذيقهم الحتوفا

فنزلت اليه وسألته : « يا أبا محجن فى أى شىء حبسك ؟؟ » قال :

« والله ما حبسنى بحرام ، أكلته ولا شربته ، ولكننى كنت صاحب شراب فى الجاهلية ، وأنا امرؤ شاعر

يدب الشعر على لساني يبعثه على شفتي أحيانا ، فساء ذلك ثنائي ، ولذلك حبسني ، قلت :

اذا مت فادفني الى أصل كرمة
تروى عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني بالفلاة فانني
أخاف اذا ما مت الا أذوقها
وتروى بخمر الحصى لحدى فانني
أسير لها من بعد ما قد أسوقها

واقتربت من سعد وقالت :

- واني أرى انه ما قال هذا الا ليرضى شيطان شعره فهلا عفوت عنه ؟؟

فاطرق سعد هنيهة ، ثم قال :

- على به ..

وجاء أبو محجن ، فقال له سعد :

- اذهب فما أنا مؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله .

فقال أبو محجن :

- لاجرم والله ولا اجيب لساني الى صفة قبيح ابدا ..

طلعت نواصي الخيل ، فحسب الناس ان مدد هاشم قد وافى : ففرحوا ، وكبر سعد ، وكبر القعقاع خلفه ، وكبر الناس ، وقالوا :

- جاء المدد .

وتقدم الفرسان : وتكتبت الكتائب ، فاختلف الفريقان الضرب والطعن ، واستمر مدد المسلمين متواصلا ، وبلغت المعركة ذروتها ، ووصل هاشم الميدان ، فاتجه الى القلب ، ولما رآه المسلمون كبروا ، فارتج المكان ، وأخذ المسلمون مصافهم ، وقال هاشم :

- أول القتال المطاردة ، ثم الرماة .

فاخذ قوسه ، فوضع سهما على كبدها ، ثم نزع فيها ، فرفعت فرسه رأسها ، فاصاب سهمه أذنها ، فلم ينطلق وضحك من حوله ، والتفت هاشم اليهم وقال:

- واسوأتاه من رمية رجل كل من رأى ينتظره ، أين ترون سهمي كان بالغا ؟؟

- العتيق ..

فمشى هاشم وسيفه في يده ، وقد عزم على أن يبلغ ما لم يبلغه سهمه .

أقبلت الفيلة معها الرجالة يحمونها ومع الرجالة فرسان يحمونهم ، اذا ارادوا كتيبة دلفوا لها بفيل وأتباعه لينفروا خيل المسلمين ولكن لم يحدث ماحدث يوم أرماث ، لان الفيل اذا كان وحده ليس معه أحد ، كان أوحش ، واذا احاطوا به كان آنس ، فلم تنفر خيل المسلمين ، واستمرت المعركة متعادلة فلم يظهر فريق على فريق ، ولما رأى رجل يزدجرد الذى فى الميدان وصول المدد الى المسلمين ، راح يصيح بوصولهم :

- وصل مدد المسلمين .

فصاح الثاني :

- وصل مدد للمسلمين ..

فصاح الثالث والرابع وهكذا حتى بلغ الخبر يزدجرد فى ايوانه . فبعث الى جيشه هل النجدات ممن بقى عنده .

راح هاشم يلعب برمحه وسلاحه ، ويخترق الصفوف ويتقدم لا يلوى على شيء ، حتى بلغ العتيق ، ذلك المكان الذى لم يبلغه سهمه ، ثم عاد الى موقفه الاول ، وهو يصول ويجول كأسد ضرغام كشر عن أنيابه ، لايرضى لفريسته الا المنون .

وراح سعد يتطلع الى القتال الدائر أمامه فى قلق انه لا يطيق رؤية هذه الفيلة فعلى الرغم من انها لا تعمل ما عملته فى اليوم الاول الا أنها لا زالت تفرق كتائب المسلمين ، فارسل الى بعض الفرس الذين أسلموا ، فلما دخلوا عليه سألهم

- هذه الفيلة هل لها مقاتل ؟؟

- نعم المشافر والعيون ، لا ينتفع بها بعدها .

فارسل سعد الى القعقاع وعاصم .

- أكفياني الفيل الابيض .

وكانت الفيلة الاخرى تتبعه ، وكان فى القلب ، وكان بازائها ، وأرسل الى اثنين آخرين .

- أكفياني الفيل الاجرب .

وعلم المسلمون ما يفعلون بالفيلة ، فدعا عاصم والقعقاع بعض أعوانهما وقالا لهما :

- اكتنفوا الفيل لتحيروه .

وتناولا رمحين اصمين لينين ، وانطلق الجميع نحو الفيل الابيض والتف الرجال به فتشاغل بهم ، فحمل عاصم والقعقاع عليه ، ووضعا رمحيهما معا فى عينيه فنفض رأسه فطرح سائسه ، ودلى مشفرة فقطعه القعقاع فوقع الفيل على جنبه ، فهجم المسلمون على من كانوا عليه وجعلوا يقتلونهم قتلا ، وفى ذلك الوقت قال عمرو بن معد يكرب لمن حوله :

- انى حامل على الفيل ، فلا تدعوني أكثر من جزر جزور ، فان تأخرتم عنى فقد تم أبا ثور ، فان ادركتموني وجدتموني وفى يدى السيف .

فحمل على فيل كان بازائهم ، وراح يضرب فى الرجال الذين حول الفيل ، فثار النقع فحجبه ، فالتفت الناس بعضهم الى بعض وقالوا :

- ما تنتظرون ؟؟ ما أنتم بخلقاء أن تدركوه ، وان فقدتموه فقد المسلمون فارسهم .

فحملوا على الاعداء ، ولما اقتربوا منهم ، رأوا عمرا على الارض والسيف فى يده يضاربهم به ، ويذب عن نفسه ، والمشركين حوله فشدد المسلمون النكير ، فافرج المشركون عنه ، فاذا عمرو مطروح وفرسه مطعون بجواره ، واقترب فرس عمرو وعليه فارس ، فاخذ عمرو برجل الفرس ، فاضطرب الفارس ، وسقط ، وتلفت حوله فلمح عمرا فاستل سيفه واتجه نحوه ليطعنه ، ولكن المسلمين كانوا قد وصلوا اليه فطعنوا الرجل فسقط قتيلا ، والتفت عمرو الى أصحابه وقال: احضروا فرسا لى ، فلما أحضرت ، قال لهم :

- مكنوني من لجامها .

فامكنوه منه ، فركبها .

قام الفيل الابيض بعد أن طعنه عاصم والقعقاع فى عينيه ، وبعد قطع مشفره ، وراح يضرب على غيرهدى، فكان اذا اتجه الى صفوف المسلمين نخسوه ، فيعود الى صفوف الفرس فينخسوه ، فيتجه الى الناحية الاخرى واستمريين العسكرين ، واخيرا يمم صوب النهر ، فنزل فيه ، فتبعته الفيلة كلها ، فنزلت فى النهر وحاول من فوقها أن يعيدوها سيرتها الاولى بلا جدوى، فقد استمر الفيل الابيض فى عبور النهر والفيلة كلها فى أثره ، فغرق من الفرس خلق كثير ، وانطلقت الفيلة فى طريقها حتى دخلت المدائن .

خلا الميدان من الفيلة ، فتنفس المسلمون الصعداء ، وراحوا يقاتلون قتال الابطال الصناديد ، ومال الفل فزحف المسلمون وأخذ فرسانهم يحمونهم والتحم الجيشان ، فتدفقت الدماء أنهارا وسقط من المسلمين والفرس خلق كثير ، وأخذت السيوف تحصد الناس حصدا . وأقبل الليل ، وما دب الفتور فى المقاتلين ، بل شاء كل من الفريقين ان يحسم الموقف ، وان ينهى هذا القتال الدائر بلا هوادة أو لين ، وكأنما أقسم المسلمون الا يضعوا السلاح حتى يتم الله نصرهم، ويعلى كلمتهم .

وراح سعد ينظر الى القتال الرهيب ، فأيقن ان المسلمين قد عقدوا العزم على القتال طوال هذه الليلة التى سبقت ليلة الهدير ، فأخذ يفحص ميدان القتال بنظره الثاقب ، فألفى مخاضة أسفل المعسكر ، ورأى من الخير ان يحتلها المسلمون ، فأرسل فى طلب طليحه وعمرو بن معد يكرب فلما جاءا قال لهما :

ـ اذهبا الى هذه المخاضة ، وقوما عليها خشية أن يأتينا القوم منها ، فان وجدتما القوم قد سبقوكما اليها، فأنزلا بحيالهم ، وان لم تجداهم علموا بها ، فأقيما حتى يأتيكما أمرى . فخرج عمرو وطليحة ومن معهما وانطلقا الى المخاضة ، فلم يجدا أحدا ، فراح طليحة يجول ببصره فى المكان ، وبان عليه التفكير ، وانقضت مدة ساد خلالها السكون ، ثم قال طليحة :

ـ لو خضنا فأتينا الاعاجم من خلفهم ؟؟

فقال عمرو :

ـ لا ، بل نعبر اسفل .

ـ ان الذى اقوله انفع للناس .

ـ انك تدعونى الى مالا اطيق .

ـ لانطلقن وحدى .

وانطلق طليحة ، واتجه نحو المعسكر من وراء العتيق وحده ، وشغل عمرو بأصحابها جميعا ، أخذ طليحة يجد فى السير حتى اذا وقف على ردم النهر خلف معسكر الاعداء كبر ثلاث تكبيرات ، فارتاع أهل فارس ، وظنوا أن المسلمين يبيتون الغدر لهم ، وتعجب لها المسلمون ، وحسبوا أن الاعاجم فتمسكوا برجالهم فهم يكبرون مستعيثين ، وأغار عمرو على رجال أسفل المخاضة ، فبات شك الاعاجم يقينا أن المسلمين قد أزمعوا الغدر بهم ولا ريب ، فعلام الانتظار ، فليزحفوا ، فقدموا صفوفهم زاحفين ، ورأى القعقاع ما صنعوا ، فلم ينتظر اذن سعد بالزحف ، بل زاحفهم ، ورأى سعد ماصنع القعقاع فقال :

ـ اللهم اغفرها له وانصره ، فقد اذنت له ان لم يستأذنى !

واستمر المسلمون على مواقفهم وهم ثلاثة صفوف ، صف فيه الرجالة أصحاب الرماح والسيوف ، وصف فيه الرماة ، وصف فيه الخيول ، وهم أمام الرجالة ، وكذلك الميسرة ، وأرسل سعد الى رجاله :

ـ ان الامر الذى صنع القعقاع ، فاذا كبرت ثلاثا فازحفوا .

وأقام قيس بن هبيرة ، فيمن يليه ، ولم يكن شهد شيئا من ليالى المعركة الا تلك الليلة ، وقال :

ـ ان عدوكم قد أبى الا المزاحمة ، والرأى رأى أميركم ، وليس بأن تحمل الخيل ، فان القوم اذا زحفوا وطاردهم عدوهم على الخيل لا رجال معهم ، عقروا بهم، ولم يطيقوا أن يقدموا ، فتيسروا للحملة .

وراحت نشاب الاعاجم تتطاير وتجوز صف المسلمين، وتلفت حامل لواء احدى القبائل الى أصحابه وقال:

ـ ان المسلمين قد تهيئوا للمزاحمة ، فاستبقوا المسلمين الليلة الى الله والجهاد ، فانه لا يسبق الليلة أحد الا كان ثوابه على قدر سبقه ، نافسوهم فى الشهادة وطيبوا بالموت نفسا ، فانه أنجى من الموت ان كنتم تريدون الحياة ، والا فالآخرة ما أردتم .

والتفت آخر الى قومه وقال :

ـ يا معشر العرب ، انه لا ينبغى أن يكون هؤلاء القوم أجرأ على الموت ، ولا أسخى نفسا عن الدنيا ، تنافسوا الازواج والاولاد ،ولا تجزعوا من القتل ، فانه أمانى الكرام ، وسنايا الشهداء ، وترجل وراح يستعد لسماع التكبيرة الثالثة ليزحف ليقاتل ويقتل فى سبيل الله .

ثارت حمية القوم ، وانتظروا تكبيرات سعد بصبر نافد ، ما باله قد تأخر ، وصكت التكبيرة الاولى آذانهم فازدادت حرارتهم . ومرت مدة حسبوها دهرا ،وارتفعت تكبيرته الثانية ، فلم يطق الناس صبرا ، ولم ينتظروا تكبيرته الثالثة ، بل تزاحفوا وانطلقوا الى القعقاع ليشدوا أزره فى زحفه ، ولم يبق الا الرؤساء ينتظرون التكبيرة الثالثة ، ولما بلغت آذانهم ، انطلقوا لينضموا الى أقوامهم .

راح كل قائد ينتمى الى قبيلته ، فكانت أصواتهم تجلجل فى سماء المعركة ، فهذا يصيح « واتميماه » وذاك يصيح : « وا أسداه » وثالث يهتف : «وانخعاه» ورابع يهتف : « وابجيلتاه » وامتزجت الاصوات بصليل الحديد ، فكان دويها عظيما هائلا . وكانت الاصوات تبلغ أذنى سعد ، ولكنه ما كان يستطيع ان يرى شيئا ، فقد مد الليل رداءه الاسود ، فحجب عنه كل شىء ، ولم تغمض له عين طوال الليل ، وراح يدعو الله ، ويبتهل اليه أن ينصر دينه ، ويعز ناصره ،واستمر فى دعائه طويلا ، حتى بلغه تصايح شديد ، فراح يبحث عمن يستفسر منه عما يدور فى الميدان ، فلم يجد أحدا بالقرب منه ، فقد خرج الجميع ليضعوا حدا لهذه المعارك التى لم يظهر فيها فريق على فريق ، ووجد غلاما بالقرب منه ، فانفذه الى الصف ليرى ما يدور ويعلمه به ، فانطلق الغلام حتى بلغ الصف فرأى قتالا أذهله ، فجعل ينظر فاغرا فاه ، رأى رءوسا تطير ، ودماء تتدفق ، كأنما نهر يفيض ، ورجالا تصول صولة الاسود ، وكاد ينسى نفسه وما ارسل له ، وراح يتتبع الفرسان وهم يلعبون بالسلاح ، ويضربون بالرماح ، وكادت ضربة من الضربات الطائشة تصيبه ، فأفاق من دهشته ، وتذكر ما أرسل له ، فقفل عائدا الى سعد ليذكر له ما رأى ، وما ان رآه سعد حتى سأله بلهفة:

ـ ما رأيت أى بنى ؟؟

فأخذ الغلام يقص ما وقع أمام عينيه ..

وفى سكون الليل ، كانت الام العجوز قلقة ارقة ، منزعجة مضطربة ، فما عاد أبناؤها وقد تصرم من الليل ثلثاه ، ولم يبق على طلوع النهار ، الا قليل ، أمن المعقول أن تكون المعركة قد استمرت آناء النهار ، وآناء الليل ؟؟ أم ترى قتلوا جميعا ولم يبق لها من ابنائها الأربعة احد ؟؟ واحست رهبة وأوجست خيفة ، لعلهم استشهدوا جميعا ، واستمرت الهواجس تنتابها ، وراحت الافكار تهاجمها ، فوقعت فريسة لها ، وأخذت تدعو الله دعاء حارا أن ينتصر المسلمون ، وان يعود اليها أبناؤها سالمين .

المرأة فى عدن

تشارك فى الكفاح الوطنى وهى محجبة

لقاء مع السيدة ليلى الجبلى رئيسة جمعية المرأة العربية بعدن

☆

اعداد نجاة الزنيرى

جاءت الى القاهرة للمرة الثالثة للاتصال بالمسئولين فى الهيئات النسائية ٠ ورغم انها ام لستة اطفال فان امومتها ومسئولياتها العائلية لم تعقها عن الكفاح الوطنى والنشاط الاجتماعى داخل الجمعية والسفر وحضور المؤتمرات العربية ٠٠ رفضت أن تحدثنى عن نشاطها الفردى وقالت انناجميعا نساء عدن يد واحدة وكفاحنا واحد ٠٠ وفضلت أن تحدثنى عن الجمعية كمركز للنشاط النسائى فى عدن

قصة الاستعمار فى عدن :

وقبل الحديث عن كفاح المراة العدنية اوجز قصة لاستعمار البريطانى لنقف على الوضع الراهن هناك ٠

يمتد الجنوب اليمنى المحتل من بوغاز باب المندب لى مدخل البحر الاحمر ميناء عدن على مياه المحيط لهندى حتى ينتهى شرقا عند ظفار بعمان ٠٠ ثم تمتد حدودها على شاطىء الخليج العربى داخله فى الخليج صوب الشمال شاملة ابوظبى والشارقة وام القيوبين ودبى وراس الخيمة ٭

احتلت بريطانيا هذا الجزء من الوطن العربى عام ١٨٣٩ عندما افتعلت حادث سفينة هندية ادعت ان اهل عدن نهبوا تجارتها وفرضت على حاكم عدن غرامة مالية مع رد البضائع ·· وتم الاحتلال ودخل الانجليز مستعمرين وغازين ·

وزادت اهمية عدن عندما استقلت الهند وحينما فقدت بريطانيا قاعدتها العسكرية بالسويس ولم يبق لها سوى قاعدة عدن ·

قسمت بريطانيا الجنوب الى دولتين تضم كل منهما عددا من المحميات والامارات والسلطنات · دولة غربية عاصمتها عدن والثانية شرقية وعاصمتها حضرموت ·

وتمزق الجنوب المحتل بين ٣٠ مشيخة وسلطنة جمعتهم بريطانيا فى اتحاد زائف حتى يصبحوا جميعا فى قبضة واحدة هى القبضة البريطانية · حتى تضمن بقاء القاعدة التى تمكنها من التحكم فى بوغاز باب المندب مدخل البحر الاحمر ومن الخليج العربى الملىء بالذهب الاسود ·

وعدن هى مركز الوعى والتحركات الوطنية ـ وهى ميناء تجارى هام له سيطرة على مدخل البحر الاحمر من الجنوب ويعتبر منفذا لمعظم اسواق شبه الجزيرة العربية ·

والبلاد الاخرى على السواحل المجاورة وهى من اعظم محطات تموين الاساطيل البحرية والحربية والتجارية والجوية وكلها لبريطانيا ـ وعندما وقع العدوان الثلاثى على مصر كانت بريطانيا تطلق طائراتها من عدن ومن عدن كانت تبدأ حملات الهجوم على اليمن الحر ·

وكان اكتشاف البترول فى عدن من اهم الاسباب التى جلبت الجاليات المختلفة للعمل فى المستعمرة التى تنبض بكل الوان النشاط الزراعى والصناعى والاقتصادى ·

ان الجنوب المحتل يغلى بالثورة وبريطانيا تسيطر على الجيش والسياسة الخارجية وتنشر قواتها فى ارجاء الاتحاد تفرض حكم القوة على كل ثائر ·

وفى الوقت الذى قررت فيه الامم المتحدة حق تقرير المصير للجنوب المحتل كانت بريطانيا تعمل كل ما من شانه تبديد هذا القرار واحباطه وعندما وقع حادث انفجار القنبلة فى مطار عدن واصيب « المستر تريفاسكى » المندوب السامى استغلت بريطانيا هذا الحادث اقصى حدود الاستغلال فقامت بحملة واسعة من الاعتقالات وبلغ عدد المعتقلين الالوف ·· ووضعت فى السجون زعماء الحركة الوطنية ·

كيف بدات الحركة النسائية فى عدن ؟

تقول السيدة ليلى رئيسة جمعية المراة العربية ان الوعى النسائى مرتبط بالوعى العام فى الوطن كله وقد نما هذا الوعى بصورة فعالة بعد الحركات التحررية فى العالم العربى فثورة ٢٣ يوليو وثورة الجزائر وثورة اليمن وثورة العراق ·· كل هذه الثورات كان لها اثر كبير فى تغذية الوطن العربى فى عدن ورفع معنويات القادة والمجاهدين ·

وقد نشات الحركة النسائية بعدن باول ناد للنساء وكان اسمه « المعهد البريطانى للنساء » وهو فرع للمجلس الوطنى فى لندن وكانت تدير هذا النادى سيدة

بريطانية يســـاعدها مجلس ادارة تمثل فيه جميع سيدات الجاليات الاجنبية فى عدن وكانت اهداف هذا النادى استعمارية بحتة ثم انقرض بعد ٦ سنوات من انشائه .

وفى سنة ١٩٥١ تاسست « جمعية نساء عدن » وكانت رئيسة هذه الجمعية زوجة الحاكم العام . كانت ترفض قيام الاحتفالات الدينية الاسلامية بينما تقيم احتفالات عيد راس السنة والكريسماس .

ومع قيـــام ثورة ٢٣ يوليو المصرية قررت بنات عدن الدخول فى التنظيم الادارى للجمعية وتطورت الامور حتى عربت سنة ١٩٦٠ واصبحت باســمها الحالى « جمعية المـــراة العربية » وكان اول يوم افتتاحها يوافق يوم المـــولد النبوى .. ولاول مرة تقيم احتفالا كبيرا بهذا العيد فى الجمعية .
والجمعية لها خمســـة فروع فى كل منطقة يوجد فرع :

وبدات السيدة ليـــلى كعضو عامل فى هذه الجمعيه وفى سنة ١٩٦٢ كانت رئيســـة احد فروعها ومن عام ١٩٦٣ اصبحت رئيسة الجمعية .

وتضم الجمعية حوالى ٥٠٠ عضو من سيدات عدن وقد اصبح لها دور كبير فى التكتل النســـائى والقضـــية النسائية فى عدن .

دور الجمعية فى النشاط :

نشاط الجمعية سياسى واجتماعى .. فقد نظمت سير الحركة النسائية ، الى جانب اعـــداد البرامج لمحـــو الامية . وانشات الصفوف الدراسية المسائية لتعليم اللغة العربية والاشغال ونشر الافكار التقدمية والتوعية القومية ورفع الروح المعنـــوية بين نساء عـــدن . ومن النشاط الوطنى للجمعية تنظيم مظاهرة نسائية تضـــم اكثر من ٢٠٠ امراة طافت بشـــوارع عدن عقب حادث القنبلة فى مطار عدن ويحملن اللافتات المثيرة للشعور الوطنى للمطالبة بالافراج عن المعتقلين وتحقيق الاستقلال وفى هذه المظاهرات القى البريطانيـــون القبض علـى رضية احسان زعيمة المجاهدات العدنيات .. واعتقلت زينب حميدن ونعمه سلام وخورشيد محمود .

كذلك نظمت الجمعية زحفانسائيا هائلا اعتصم بمسجد العسقلانى وبقين فى المسجد اكثر من ١٥ يوما احتجاجا على تصرفات بريطانيا الحمقاء فى عدن .

ومظاهـــره حـــرى ســـارت من منـــاطق عـــدن والمعلة والشيخ عثمان وعـــدن الصغرى الى المجلس التشريعى احتجاجا على اتفاقية ادخال عدن فى الاتحـــاد الفيدرالى .

وكل هذه المظاهرات كانت تتم والمراة محجبة تختفى داخل الملاءة السوداء .

وقـــد لاقت المراة صعوبات حادة للتخلص من هذا الحجاب الاسود الذى يعوق حركتـــها وقد استطاعت تدريجيا ان تتخلص منه خاصة الموظفات والطالبات . ولما كان من مصلحة الاحتلال البريطانى القضاء على نصف المجتمع اى القضاء على الكفاح الوطنى فى عدن فقد حاولوا التاثيـــر على الاباء والازواج لفصل النساء والفتيات من الجمعية بحجة ان الســـفور ضد طبيعة المراة وتقاليـــدها العربية .. ومنعت الموظفات من الانضمام للجمعية وطردت الطالبات .. وكثير من المتاعب والعراقيل كانت تضعها بريطانيـــا فى وجه المراة المكافحة لعرقلة كفاحها .

وقد استطاعت المراة العربية ان تتغلب على هـــذه الصـــعوبات وتمكنت من اقناع الاباء والازواج بشرعية مطالبها وحقها فى ممارســـة الكفاح الوطنى الذى لم يحرمه الدين .

المراة العدنية فى مجال العمل :

ولقد اثبتت المراة العدنية جراتها وشجاعتها وتفوقها فى مجال العمل الوطنى الذى لم يحرمه الدين ومسايرة التطور الذى حرمت منه زمنا طويلا . فهى الان تعمل فى الشركات والبنوك الى جانب عملها بالتدريس والتمريض ولان الدراسة فى عدن ثانوية فقط ولا يوجد تعليم عالى بها فمنهن من تكتفى بالدراسة الثـــانوية ومنهـــن مـــن تسافر للبلاد العربية لاستكمال الدراسة الجامعية .

وسالت السيدة ليلى : هل تواجه المراة فى عدن مشاكل اسرية .. فقـــالت ان المراة فى عدن شانها شان كل نساء العالم العربى لا تخلو حياتها من المشاكل الاسرية الناجمة عن تخلفها واحساسها بهذا التخلف ورغبتها فى تعويض مافاتها واللحاق بركب التقدم والتطور والمشاركة فى الحياة الايجابية البناءة اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا وسياسيا .

والمراة فى عدن مشغولة حاليا عن مشاكلها الخاصة بالقضية الكبرى قضية تحرير الوطن وتحقيق الاستقلال لانها مشكلة كل رجل وكل امراة وكل طفل فى عدن .

ان مرجل الثورة فى عدن يغلى ولن يهدا حتى تتحقق الحرية والاستقلال لشعب عدن ليسير فى الركب العربى المتحرر من المحيط الى الخليج .

السيدة زينب رضى الله عنها

إعداد عائشة حسنى

هذه سيدة طاهرة كريمة ، نشأت فى بيت النبوة وتدرجت فيه ، رضعت لبان الوحى من ثدى الزهراء ، وتغذت بغذاء الكرامة من أمير المؤمنين ، فنشأت نشأة قدسية ، وتربت تربية روحانية ، تجلى فيها العفاف والطهر وانكار الذات فى سبيل المبدأ والعقيدة .

هى :

زينب بنت على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ أول من أسلم من الفتيان ، وناصر اليقين والايمان بالسيف والسنان والشجاعة والاقدام ..

أمها .. فاطمة الزهراء ، بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأخواها : الحسن والحسين .

ولدت بالمدينة المنورة فى السنة الخامسة للهجرة ، وشهدت من حياة جدها خمس سنوات ، فهى من سلالة طاهرة نقية من نسل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقيل فى صدد هذا :

مطهرون نقيات جيوبهم
تجرى الصلاة عليهم أينما ذكروا

من لم يكن علويا حين تنسبه
فما له فى قدم الدهر مفتخر

الله لما برا خلقا فأتقنه
صنعاكم واصطفاكم أيها البشر

فأنتم الملأ الأعلى ، وعندكم
علم الكتاب وما جاءت به السور

زواجها :

تزوجت من عبد الله بن جعفر بن أبى طالب بن هاشم بن عبد مناف . فكان الزوج المسلم الصادق والصحابى الجليل . وعن أبى هريرة انه قال : ((ما وطىء التراب أحد أفضل من جعفر)) ..

تزوجت من جعفر وكانت له مثال السيدة بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الطاهرة المخلصة لزوجها وبيتها . وأنجبت

منه على ومحمد وعباس وعون ، وأم كلثوم وأم عبد الله ، وبعضهم ما تنقى بدء حياته ، والبعض الآخر عمر وأنجب •

صفاتها :

لئن كان فى النساء شهيرات ، فالسيدة زينب أولاهن ، واذا عدت الفضائل فضيلة فضيلة من علم وعبادة وزهادة وصدق وصفاء •• فزينب المثل الأعلى للفضيلة بكل مظاهرها •• كما كانت محدثة قارئة ، كان منزلها مجمع للادباء يستشيرونها ويحدونها ولذلك سميت صاحبة الشورى ، كما سميت برئيسة الديوان • كما أنها اديبة وشاعرة •

سهرت أعين ، ونامت عيون
لأمور تكون أو لا تكون

ان ربا كفاك رضا كان بالأمـ
ـس سيكفيك فى غير ما يكون

فادرأ الهم ما استطعت عن النفـ
ـس فحملانك الهموم جنون

جهادها :

سافرت مع والدها أمير المؤمنين حينما هاجر من المدينة الى الكوفة ، سافرت فى موكب رهيب محفوف بالمجد والأبهة والعظمة ، فحاط بهيبة النبوة متمثل فيه الوقار والسكينة ، كما كان موكبها فى رجوعها الى المدينة بعد صلح الحسين مع معاوية لا يقل عن هذا الموكب فى فخامته •

* وسافرت مع أخيها الحسين من المدينة الى كربلاء ، سافرت فى عز وجلال وحشمة ووقار تحت رعاية أخيها الحسين ، وكانت تساعد ارجال وتؤازرهم فى تاريخهم المجيد

وحين عرفت زينب أن أخاها يئس من الحياة ومن الصلح مع الأعداء وانه قتيل لا محالة واذا قتل من سيكون نصيرها ومعينها والأعداء متربصون لها ، تمثل لها ما حدث وقالت « اليوم مات جدى وأبى وأمى وأخى » •• وخرت مغشيا عليها ،

فقام الحسين وصب على وجهها الماء حتى افاقت وقال : اتقى الله يا أختاه واصبرى ، وتعزى بعزاء الله ، واعلمى ان اهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون ، وان كل شيء هالك الا وجه الله ، فلا يبقى الا وجهه سبحانه، الذى خلق الخلق بقدرته، ويميتهم بقهره وعزته ، ويعيدهم فيعبدونه وحده ، وقد مات جدى وأبى وأمى أخى ، وجدى خير منى ، أبى خير منى ، وأمى خير منى وأخى خير منى ، كلهم خير منى ، ولى ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة ، فلا يذهبن بحلمك الشيطان •

وهنا تتفتح لنا زينب المؤمنة الصادقة بايمانها بالله وبرسوله والمؤمنين •

* صعدت روح الحسين واستشهد بعد الجهاد والصبر ، وفى الرحيل من كربلاء أمر ابن سعد بحمل النساء والأطفال على أقتاب الجمال ومروا بهن على الشهداء ، فلما نظر النسوة الى القتلى صحن وضربن وجوههن وفيهن زينب بنت على تنادى بصوت حزين : يا محمداه - صلى عليك مليك السماء هذا حسين مرمل بالدماء مقطع الأعضاء وبناتك سبايا الى الله المشتكى ، والى محمد المصطفى ، والى على المرتضى والى فاطمة الزهراء ، والى حمزة سيد الشهداء ، يا محمداه ، هذا حسين بالعراء ، تسفى عليه الصبا ، وا حزناه وا كرباه عليك يا أبا عبد الله ، اليوم مات جدى رسول الله ، يا أصحـ[illegible] [illegible]اه ، هؤلاء ذرية المصطفى يساقون سوق السبايا •• وهذا جسم محزوز الرأس من السقف ، مسلوب العمامة والردى ، بأبى من أضحى معسكره يوم الاثنين نهبا ، بأبى من فطاطة مقطع العرى ، بأبى من لا غائب فيرجى ، ولا جريح فيداوى ، بأبى من نفسى له الفدا ، بأبى المهموم حتى قضى •• بأبى من جده المصطفى ، بأبى محمد المصطفى، بأبى خديجة الكبرى ، بأبى على المرتضى •• بأبى فاطمة الزهراء ، بأبى من ردت عليه الشمس حتى صلى ، فابكت كل عدو وصديق •

وهنا تتضح لنا فصاحتها وبلاغتها وأيمانها بالله عز وجل .

وقيلت فى زينب قصائد وأشعار تتبين فيها حياتها التى مرت بها المليئة بالمصائب والخطوب ، منها :

لله صبر زينب العقيله
كم صابرت مصائبا مهوله
رات من الخطوب والرزايا
أمرا تهون دونه المنايا
رات كرام قومها الأماجد
مجزرين فى صعيد واحد
تسفى على جسومها الرياح
وهى لذؤبان الفلا تباح
رات عزيز قومها صريعا
قد وزعوه بالضبا توزيعا
رات رؤسا بالقنا تشال
وجثثا أكفانها الرمال
رات رضيعا بالسهام يفطم
وصبية بعد أبيهم أيتموا
رات شماتة العدو فيها
وصنعه ما شاء فى أخيها
رات عنـا أسرا هوانا ذلا
ظلما حقا جسورا سبايا ثكلا
وان من أدهى الخطوب السود
وقوفها بين يدى يزيد

وكانت للمحن التى مرت بها زينب أثر كبير لزيادة ايمانها ، وذلك لتكريمها أخاها فى شخص ذريته بما بذلته من تضحية كبيرة حتى تنقذ هؤلاء الصغار من ذل الاسار أو وثبة الانتقام .

وعن مصعب بن عبد الله قال : « كانت زينب بنت على وهى بالمدينة تؤلب الناس على الأخذ بثار الحسين ، فلما قام عبد الله بن الزبير بمكة ، وحمل الناس على الأخذ بثأر الحسين وخلع يزيد ، بلغ ذلك أهل المدينة فخطبت فيهم زينب ، وصارت تؤلبهم على القيام للاخذ بالثأر .

وحينما علم عمرو بن سعيد بذلك كتب الى يزيد يخبره بما حدث فقالت زينب : قد علم الله ما صار الينا . قتل خيرنا ، وانسقنا كما تساق الأنعام ، وحملنا على الأقتاب ، فوالله لاخرجنا ، وان أهريقت دماؤنا !

فقالت لها زينب بنت عقيل بن ابى طالب :

يا ابنة عماه .. قد صدقنا الله وعده ، واورثنا الأرض نتبوأ فيها حيث نشاء فطيبى نفسا ، وقرى عينا ، وسيجزى الله الظالمين ، اتريدين بعد هذا هوانا . ارحلى الى بلد آمن !

اقنعت زينب على الخروج ودخلت مصر فى أول شعبان فى السنة الحادية والستين للهجرة واستقبلت استقبالا رائعا ، وكان يصحبها من نساء بنى هاشم فاطمة ابنة الحسين وسكينة ، ونزلت فى دار الوالى مسلمة بن مخلد الأنصارى ، وأقامت بها عابدة متهجدة تناجى ربها وتقول : انت الذى سجد لك سواد الليل وضوء النهار وشعاع الشمس وحفيف الشجر ودوى الماء ، يا الله يا الله يا الله » .

فما من عبد ضاقت به السبل ولجأ الى المولى عز وجل وتشفع بالنبى الكريم الا فرج الله كربته ويسر له أمره وأجاب طلبه .

وفاتها :

أقامت بدار مسلمة الى أن توفيت بمخدعها فى السنة الحادية والستين للهجرة ، وقيل السنة الثانية والستين للهجرة . وبقى مسجدها الطاهر الى الآن مزارا مباركا يفد اليه المسلمون من كل جانب يتبركون ويسألون ربهم .

ندوة الشهر

دراسة مشكلة الأحداث

الأستاذ عبد الرحمن الشربيني

أحداث اليوم هم رجال الغد .

من اجل ذلك كان التعاون بالغا مداه بين الحكومة والقطاع الأهلى فى حل مشكلة الاحداث المشردين .

وفى ندوة الشهر يتحدث عن مشكلة الاحداث دراسه وعلاجا وتوجيها كل من

١ - الدكتور عبد المنعم الشافعى الوكيل السابق لوزارة الشئون الاجتماعية .

٢ - الأستاذ حسين زهدى رئيس نيابة الاحداث

٣ - الاستاذ عبد العزيز فتح الباب سكرتير عام اتحاد رعاية الاحداث .

يبدأ الدكتور عبد المنعم الشافعى فقال

نحن فى حاجة لتعبئة الجهود لدراسة مشكلة الاحداث من جميع نواحيها ، وأسلم الطرق لعلاجها ، والصعوبات التى تعترض طرائق هذا العلاج .

* ان الجمعيات الأعضاء فى الاتحاد العام لرعاية الاحداث تهتم بمكافحة هذه المشكلة تقابل صعوبات يهمنا أن نطرح الآراء لمعرفة ماتلقاه هذه الجمعيات من صعوبات فى هذا المجال .

* ولقد تضمن تقرير الاتحاد العام بعض البيانات الاحصائية عن حجم المشكلة والتوزيع الجغرافى والنوعى من حيث صورة الانحراف ، والجرائم التى يسببها هذا الانحراف ، والضرر الذى يقع على المجتمع نتيجة لذلك .

* والمشكلة فى نظر الاتحاد والهيئات الفنية انما تبدأ فى الأسرة ، فى عدم عنايتها ، واهتمامها بالعطف ، ورقابة الاطفال .

* وأن المحروم من الرعاية والعطف يجد سبيله الى المروق ، والوقوع فى ايدى محترفين لارتكاب الاعمال الاجرامية ، أو عاملين بالمهن الحقيرة .

* فاذا لم يجد من يرعاه انحرف وأصبح خطيرا على المجتمع .

فمن حيث حجم المشكلة يبلغ عدد الأحداث ١٢ الف حدث ، قادرين على احداث جرائم متكررة بالمجتمع .

* ويبلغ عدد القضايا فى سنة ١٩٦٠ ، ٢٦ الف قضية .. ولئن دل هذا على شىء فعلى يقظة ونشاط الجهات التى تتعقب الأحداث وتقوم بالقبض عليهم .

وهكذا كلما زاد نشاط الشرطة والمحاكم والامكانيات لاستقبالهم ارتفعت الأرقام .

وهناك رأى جديد ينادى بان مشكلة الأحداث ربما يصعب التغلب عليها ، لأن عددا كبيرا ينزح من الريف الى المدن .. وكلما استأصلت الشرطة بعض الأحداث فى المدن حل محلهم النازحون من الريف فتتجدد المشكلة

اما من حيث مجهودات الحكومة والجمعيات فى سبيل القضاء على المشكلة ، فان فى خطة الاتحاد ما ساهم كثيرا فى حل المشكلة .

لقد ادرجت الاعتمادات التى تبلغ حوالى نصف مليون جنيه لانشاء المؤسسات خلال الخمس سنوات المقبلة ، علاوة على مؤسسة الزكاة التى اقامتها وزارة الأوقاف والتى بلغت تكاليفها حوالى المليون جنيه .

وبعد الانتهاء من تقديم الندوة أخذ يقدم السادة المتحدثون .

من كلمة الأستاذ حسين زهدى ... مشكلة الأحداث تتناول جوانب متعددة .. واذا تناولتها فانى أتناولها من الناحية التشريعية حيث كانت مصر من أسبق الدول فى التشريع بالنسبة للأحداث .

لقد كان القانون رقم ٢ لسنة ١٩٠٨ الذى وضع فى مصر من أول القوانين مع بدء الثورة الفكرية فى العالم عن الأحداث ، ولو أنه كان يهدف الى عقاب الحدث بقدر ما اقترف من اجرام .

❊ وتطور الامر فكان قانون سنة ١٩٤٩ الذى حوى انظمة تقدمية .. نظر الى الحدث لا كمجرم ، ولكن كانسان فى حاجة الى الرعاية ، والمجتمع مسئول عن رعايته .. واتخذ هذا القانون اجراءات وقائية واستبعد فكرة العقاب للحدث .

❊ ثم جاء قانون الاجراءات الجنائيه بعد ذلك ونظم الأحداث .. جعل فى عاصمة كل محافظة محكمة لهم .. وجعل صفة خاصة للحدث .. وأوجب بحث حالته قبل الفصل فى الدعوى .

❊ ونظر للحدث كمتهم ، وكمجنى عليه ، فخول للقاضى أن يضعه فى مكان أمين ، لأن الحدث قد يكون مجنيا عليه نتيجة لظروف محيطة به .

❊ هذه النواحى التشريعية نرجو ان تتبعها خطوات تنفيذية سديدة ، حتى نستطيع تتويج هذه النهضة الفكرية بالامكانيات التى تساعد على أن يكون فى مجال هذا التطبيق مايجعلنا نسعد بثمرات هذا الجهد الفكرى

من كلمة الأستاذ عبد العزيز فتح الباب

❊ لقد كان المشروع المصرى فى غاية التقدم تشريعات الأحداث .. تلك التشريعات التى صادفت عن عرضها فى أى مؤتمر من المؤتمرات تقدير كبيرا ، واستطيع ان أقرر ان مصدر هذا التقدير يرجع جزء كبير منه الى

أن وزارة الشئون الاجتماعية هى مصدر وضع التشريعات التى تقضى على مشكلة الأحداث المشردين .

❊ والحدث عندنا اما مشرد أو منحرف وكلاهما فى حاجة الى الرعاية .

❊ ففى القانون ١٢٤ لسنة ١٩٢٤ تنظيم لصورة الحدث سواء كان متسولا ، أو جامعا لأعقاب السجاير ، أو مزاولا لأعمال الدعارة أو الفسق الخ . وفى قانون العقوبات تدرج لجرائم الصغير من مخالفة الى جنحة ثم الى جناية .. وقد اعفى المشرع جرائم الاحداث حتى سن ١٢ سنة من أى اجراء عقابى حتى لو كانت الجرائم كبيرة .

ومن سن ١٢ - ١٥ سنة ترك أمر عقاب الحدث للقاضى ، فاما أن يتخذ معه تدبيرا تقويميا أو عقابيا بحيث لايزيد على ثلث الحد الأقصى للعقوبة .

وقد نص القانون على ألا تزيد مدة الايداع بالسجن الاحتياطى على ٢٤ ساعة .

وفى ظل هذا القانون يسلم حوالى ٧٥٪ من الحالات التى تقدم للمحكمة الى ذويها ويتولى مكتب الخدمة الاجتماعية مباشرتها حتى يطمئن على أنه أصبح حدثا سويا .

كلمة الدكتور العميد نيازى حتاتة

❊ الأحداث نوعان مجرمون ومشردون

والشرطة تتولى ضبط هذين النوعين ... وهى الشرطة العادية .وفى الحالات التى يعتبر فيها الأحداث صالحين تفرد لهم شرطة خاصة لحمايتهم .. ومكاتب حماية الأحداث من المحافظات هى التى تتولى ضبط المشردين من الاحداث .

وهناك شرطة تقوم بالعاملين معا وهى شرطة حماية الأحداث وتلك تعد اعدادا كاملا على المستوى الذى يرجى لها فى تعقب الأحداث ، وهذه الشرطة تتكون من ضباط وباحثات ورجال شرطة .. وكلهم يعدون اعدادا خاصا ، ويتلقون ثقافة نظرية تبعا لبرنامج مرسوم ... وقد تخرجت الدفعة الأولى فى العام الماضى وسيناط بها كل العمليات المتصلة بالأحداث من ضبط الجرائم ، وضبط حالات التشرد ، ومكافحة العصابات التى تحرضهم على الجريمة .

وقد طالبت وزارة الداخلية بمعاقبة المحرض حتى لو لم تقع الجريمة ، وستتولى الشرطة العناية بالضالين من الأحداث ، وستقدم المهنة الممكنة لهم بعد خروجهم من المؤسسات

وتأمل [illegible] بعناصرها لتكون فى خدمة الأحداث فى القريب العاجل .

حديث مع

فضيلة الإمام الأكبر
الشيخ حسن مأمون

إعداد : عفاف خليل

المعروف ان فضيلة الامام الاكبر شيخ الجامع الأزهر كان قد سافر الى العراق لحضور المؤتمر العراقى الكبير الذى عقد هناك خلال المدة الواقعة بين فرة ربيع الأول واليوم الرابع منه من سنة ١٣٨٥ ٠ وكان قد سبق ان عقد مؤتمر اسلامى كبير بالقاهرة بدعوة من مجمع البحوث الاسلامية لدراسة المشاكل الدينية التى نواجه الاسلام والمسلمين واتخاذ قرارات موحدة بشأنها وقد مثلت فى مؤتمر القاهرة الكبير جميع البلاد الاسلامية .

وقد رأت مجلة منبر الاسلام ان توجه عدة أسئلة الى الامام الاكبر الذى كان ضيف الشرف فى مؤتمر العراق ورئيس مؤتمر القاهرة وذلك لالقاء الاضواء على ما يدور فى الأذهان من اسئلة واستفسارات حول هذين المؤتمرين الكبيرين وكانت أسئلة المجلة لفضيلته على النحو الآتى :

ما هي الأهداف التى عقد من اجلها المؤتمر الاسلامى بالعراق ؟ وما هى أهم الموضوعات التى نوقشت فيه ؟

وقد أجاب فضيلته على السؤال الأول بقوله :

دعيت من رئيس المؤتمر السيد محمد نجم الدين الواعظى مفتى العراق لحضور بصفتى عضو شرف فلبيت الدعوة ووصلت ليلة افتتاح المؤتمر وكان طبيعيا ان ألقى كلمة فى هذا المؤتمر ويجد السائل صورته مرفقة بهذه الاجابة ويبدو لى من اشتراك علماء المسلمين السنيين مع علماء المسلمين من الشيعة أن من أهم أغراض المؤتمر الاسلامى الأول بالعراق التقريب بين الفريقين أى بين السنيين والشيعة وازالة ما بين الفريقين من جفوة لعل من أهم أسبابها جهل كل منهما ما عليه الآخر ، ومتى عرف كل فريق أفكار وآراء الفريق الثانى تقاربت النفوس وصفت القلوب واجتمعوا جميعا على حكم الله ونصرة دينه وهو من أهم الأغراض التى دعا اليها الاسلام فى قوله تعالى : « ان هذه امتكم أمة واحدة وانا ربكم فاعبدون » .

فان تفرق الأمة الى أحزاب وشيع متنافرة غير متعاونة ولا متعاضدة يتنافى مع وحدة الأمة الاسلامية التى دعا اليها القرآن الكريم ولذلك كان من توصيات المؤتمر النص على ما يأتى :

١ ـ تدعيم علاقات الود والأخوة الصادقة بين علماء الدين فى العراق على اختلاف مذاهبهم بتبادل الزيارات ووجهات النظر ليكونوا قدوة صالحة لعامة الشعب ثم النص على ما يأتى :

تدعيم وتنسيق الجهود المبذولة لتحقيق التقارب بين المسلمين فى جو يسوده الاحترام والتسامح بعيدا عن الحقد والتعصب ليكون ذلك مدعاة للتعاون على البر والتقوى .

ويبدو ايضا أن من أغراض المؤتمر معالجة مشكلة الاكراد وقد عالجها المؤتمر بنداء وجهه للحكومة العراقية والقائمين بالحركة المسلحة ضدها فى شمال العراق تمهيدا للقضاء على هذا الوضع فى العراق المسلم .

واستطرد فضيلة الامام الأكبر مجيبا على السؤال الثانى وهو ما هى قرارات المؤتمر وتوصياته التي اتخذت لتوحيد الصف العربى والاسلامى تجاه قضية فلسطين والجنوب العربى المحتل ؟

قائلا : أصدر المؤتمر عدة قرارات فى هذا الموضوع وهى :

١ ـ تعزيز الموقف الاسلامى من قضية فلسطين بتأييد الوسائل الاعلامية السليمة التى تتذرع بها الدول العربية والاسلامية للقضاء على المسخ الصهيوني الذى فرضه الاستعمار على ارضنا الاسلامية .

٢ ـ استهجان البادرة المسيئة التى بارك بورقيبة بها عدوان اليهود وبرر سيطرتهم على الأرض العربية التى

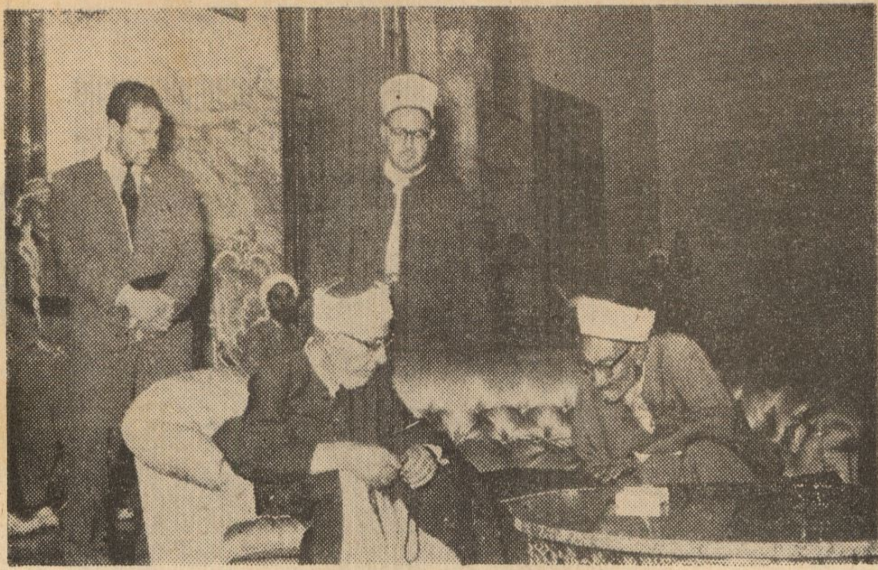

فضيلة الامام الاكبر شيخ الجامع الازهر فى اجتماعه بالعلماء المسلمين بالعراق

فتحها الاسلام واستنكار قناعة بورقيبة بتشريد اهلها دون ان يردعه عن ارتكاب هذه الخيانة زاجر من دين او واعظ من ضمير .

٣ ـ استنكار الموقف المعادى الذى جسدته حكومة بون اسلحة ورعاية لتشد به آزر دويلة العصابات الصهيونية أداتها الطيعة فى تهديد الدول العربية وجرح الشعور الاسلامى .

٤ ـ مؤازرة الكفاح العدنى والعمانى ضد الاستعمار الانكليزى بالوعظ والمال والسلاح حتى ياذن الله سبحانه وتعالى بالخلاص والتحرر من ربقة الآثمين المعتدين .

٥ ـ ايقاف مسلمى القارة الافريقية على خطر التغلغل الصهيونى فى مرافقهم العامة وحياتهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية لايقاف تياره والاجهاز عليه

ثم تابع فضيلته حديثه مجيبا عن الاساليب التى تؤدى الى وحدة الفكر والثقافة بين المسلمين فى العالم وهل من المستطاع التقريب بين المذاهب الاسلامية المختلفة ؟ بقوله : أول شيء يحقق هذه الاغراض ان يعرف المسلم أخاه المسلم فكره ومذهبه ومعتقداته وان يتناقش معه فى تطبيق هذه المعتقدات على مايثبت عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وان يتفق معه علي تنقية المعتقدات مما علق بها من شوائب حتى يبقى الاسلام نقيا من كل شائبة بعيدا عن الشبهات ثم اصدار المطبوعات التى تقرب احكام الاسلام وتبينها للناس كلهم حتى يمكن بذلك ان يطلع عليها المسلمون على اختلاف مذاهبهم ويتخذوها نبراسا لهم فى حياتهم وان يقتنع المسلم بوجوب التعاون والتعامل مع أخيه المسلم على اختلاف مذاهبهم وآرائهم ، ومما يساعد على توحيد الفكر والثقافة بين المسلمين دعوة المسلمين جميعا الى تعلم اللغة العربية حتى يتيسر لهم فهم الاسلام من منابعه الأصلية القرآن والسنة النبوية ثم امداد من لم يتعلم العربية بكتب باحدى اللغات الاخرى التى توضح له الفكر الاسلامى واحكام الاسلام والأغراض الصحيحة التي يرمى اليها الاسلام من تشريع هذه الأحكام .

وقد اوضح فضيلته موقف المؤتمر بالنسبة للكتاب المستشرقين والمبشرين الغربيين الذين يحاولون الغض من الاسلام ويشوهونه فى الخارج بغية تنفير الناس منه وبلبلة الأفكار حوله ؟

بقوله : تعرض المتمر لهذا الموضوع بالقرارات الآتية :

١ ـ تاليف مجلس اسلامى أعلى عام للبحوث الاسلامية يلتزم بطبع وترويج الآثار الفكرية التى تخدم التراث الاسلامى ، واستقدام أبرز رجال الفكر الاسلامى من الخارج لالقاء المحاضرات الموسمية عند الحاجة .

٢ ـ الاشراف على المطبوعات ومنع أى كتاب أو مجلة أو جريدة تطعن فى كرامة المسلمين ومعتقدهم .

٣ ـ اصدار مجلة دينية ذات وزن ورفعة تربط ماضى المسلمين بحاضرهم وتضع الاسس لبناء غدهم على ضوء الشريعة الاسلامية .

٤ ـ تنظيم بعثات دينية لخريجى معاهد الشريعة الاسلامية فى العراق للحصول على درجتى الماجستير والدكتوراه في الفلسفة والشريعة من جامعات البلدان الاسلامية .

وانهى فضيلته حديثه مبينا مدى اهتمام المؤتمر بشان المراة المسلمة لا سيما وانها تمثل نصف المجتمع الاسلامي .

قائلا : لم يختص المؤتمر موضوع المراة المسلمة بشيء من مقرراته وبحوثه على اعتبار ان جميع القرارات تشمل الرجال والنساء ولا تخص فريقا منهم دون فريق وطبيعى ان الاسلام لا يفرق بين الرجل والمراة فى التكاليف الشرعية فلا يفرض شيئا من العبادات على الرجل دون المراة ويعطى الزوجة من الحقوق ما يضمن لها حياة سعيدة فى ظل ورعاية زوجها قال الله تعالى : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » .

وبعد لعلك أيها الأخ الكريم من خلال هذا الحديث القصير استطعت ان تقف علي ما دار فى هذا المؤتمر الاسلامي الكبير الذى عقد بالعراق .

مواقيت الصلاة

الأيام	جمادى الأولى	سبتمبر	فجر		شروق		ظهر		عصر		مغرب		عشاء	
	١٣٨٤	١٩٦٥	د	س	د	س	د	س	د	س	د	س	د	س
الأحد	١	٢٦	١٨	٥	٤٦	٦	٤٧	١٢	١٣	٤	٤٧	٦	٤	٨
الاثنين	٢	٢٧	١٨		٤٦		٤٦		١٢		٤٦		٣	
الثلاثاء	٣	٢٨	١٩		٤٦		٤٦		١١		٤٥		٢	
الأربعاء	٤	٢٩	١٩		٤٧		٤٥		١١		٤٤		١	
الخميس	٥	٣٠	٢٠		٤٧		٤٥		١٠		٤٢		٥٩	٧
الجمعة	٦	١ أكتوبر	٢٠	٤	٤٧	٥	٤٤	١١	٩	٣	٤١	٥	٥٨	
السبت	٧	٢	٢١		٤٨		٤٤		٨		٤٠		٥٧	
الأحد	٨	٣	٢٢		٤٩		٤٤		٧		٣٩		٥٦	
الاثنين	٩	٤	٢٣		٥٠		٤٤		٦		٣٨		٥٥	
الثلاثاء	١٠	٥	٢٤		٥١		٤٤		٦		٣٦		٥٣	
الأربعاء	١١	٦	٢٤		٥١		٤٢		٥		٣٥		٥٢	
الخميس	١٢	٧	٢٥		٥١		٤٣		٤		٣٤		٥١	
الجمعة	١٣	٨	٢٦		٥٢		٤٢		٣		٣٣		٥٠	
السبت	١٤	٩	٢٧		٥٣		٤٢		٢		٣٢		٤٩	
الأحد	١٥	١٠	٢٧		٥٣		٤٢		٢		٣١		٤٨	
الاثنين	١٦	١١	٢٨		٥٤		٤٢		١		٢٩		٤٦	
الثلاثاء	١٧	١٢	٢٨		٥٤		٤١		--	٣	٢٨		٤٥	
الأربعاء	١٨	١٣	٢٩		٥٥		٤١		٥٩	٢	٢٧		٤٤	
الخميس	١٩	١٤	٣٠		٥٦		٤١		٥٨		٢٦		٤٣	
الجمعة	٢٠	١٥	٣٠		٥٦		٤١		٥٧		٢٥		٤٢	
السبت	٢١	١٦	٣١		٥٧		٤١		٥٧		٢٤		٤١	
الأحد	٢٢	١٧	٣١		٥٨		٤٠		٥٦		٢٣		٤٠	
الاثنين	٢٣	١٨	٣٢		٥٩		٤٠		٥٥		٢٢		٣٩	
الثلاثاء	٢٤	١٩	٣٣		٥٩		٤٠		٥٤		٢١		٣٨	
الأربعاء	٢٥	٢٠	٣٣		--	٦	٤٠		٥٤		٢٠		٣٧	
الخميس	٢٦	٢١	٣٤		١		٤٠		٥٣		١٩		٣٦	
الجمعة	٢٧	٢٢	٣٤		١		٣٩		٥٢		١٨		٣٥	
السبت	٢٨	٢٣	٣٥		٢		٣٩		٥٢		١٧		٣٥	
الأحد	٢٩	٢٤	٣٦		٣		٣٩		٥١		١٦		٣٤	

باب العلم

عبر من خواص الماء

الدكتور جمال الدين الفندي

الماء سائل عجيب له من الخواص ما يجعله عبرة لمن اراد ان يعتبر . وهو مذيب عالمى لكافة عناصر الوجود ولكن بنسب مختلفة لطبيعة الحال . وللماء من الخواص والصفات ما يجعلنا نقف حائرين أمام تلك العناية الربانية التى خصته بها دون غيره من السوائل . بعد ان غطت به أكثر من اربعة اخماس سطح الأرض ، وجعلته اساسا للحياة عليها :

« وجعلنا من الماء كل شىء حى » .

وأول ما يلفت انظارنا من خواص الماء انه يمكن تحت ظروف الجو العادية ان ياخذ صورا ثلاثة ، منها الصورة الغازية ، وعندئذ تكون كثافته نحو خمسة أثمان كثافة الهواء الجاف ، علما بان كثافة الماء وهو فى حالة السيولة هى الواحد الصحيح كما نعلم ، أى ان السنتيمتر المكعب منه تبلغ كتلته جراما واحدا على وجه التحديد بصفة عامة ، اما كثافة الهواء الجاف فهى لا تزيد على الواحد من ألف من هذا القدر .

ومعنى ذلك باختصار ان بخار الماء اقل ثقلا من الهواء الجاف ، ولهذا يستطيع الجو ان يحمله الى اعلى ليكون السحب والامطار ويجعل ظواهر الجو الطبيعية كلها امرا ممكنا . فبخار الماء يكاد يدخل فى كل ظاهرة طبيعية تحدث فى جو الأرض ، خصوصا عندما يتكاثف الى نقط من الماء أو بلورات من الثلج . ومن هذه الظواهر : الرعد ، والبرق ، وقوس قزح ، والهالات الضوئية ، والهطول بأنواعه من برد وثلج ومطر ورذاذ .

ويمكن للماء السائل ان يتبخر او يتحول الى الصورة الغازية فى الظروف العادية تحت تأثير أشعة الشمس وتيارات الهواء التى تهب على الأسطح المائية كالبحار والمحيطات والأنهار ونحوها . والمقدر علميا ان متوسط التبخير من الاسطح المائية يصل فى العام الواحدة الى نحو ٩٣ سنتيمترا ، وان الخطأ فى هذه القيمة لايتعدى ١٠ الى ١٥ فى المائة . ومعنى ذلك ان مقدار الماء الذى يتحول الى بخار فى العام الواحد هو نحو ٣٣٤ ألف كيلومترا مكعبا . وكما نعلم اليوم يتكاثف هذا البخار مرة أخرى الى نقط من الماء أو بلورات من الثلج تفيض بها الأنهار بعد ان تهطل على هيئة مطر أو برد أو ثلج من داخل السحب المختلفة الصفات مصداقا لقوله تعالى :

« الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله » ـ سورة الروم .

والثلج يمثل الماء فى حالة الصلابة . ومن عجيب امر الماء دون غيره من السوائل ان كثافته تزداد بالتبريد الى درجة ٤ مئوية ثم تتناقص بعد ذلك ، حتى اذا ما وصلنا نقطة التجمدوهى الصفر المئوى كانت كثافة الثلج اقل بكثير من كثافة الماء البرد . ويزن السنتيمتر المكعب من الجليد فى درجة الصفر نحو ٩ر٠جرام ، بينما يزن السنتيمتر المكعب من ماء البحر مثلا فى درجة حرارة نحو ١٠ درجة مئوية من ٢٠ر١ الى ٠٥ر١ جراما . ولهذا السبب يطفو الجليد ولا يغوص الى قاع المحيط . وتمثل هذه الحقيقة عناية الخالق ورحمته وخرقه لقوانين الطبيعة المألوفة اذا كان ذلك فى صالح البشر والحياة على الأرض .

فلولا أنه سبحانه وتعالى جعل الثلج أخف من الماء لغاص الى قيعان البحار والمحيطات وملأها بالجليد

أضواء على المسلمين في العالم

الإسلام والمسلمون فى انجلترا

إعداد رياض خليفة

اخى القارىء

على صفحات « منبر الاسلام » وفى هذا المكان ، وتحت هذا العنوان تعودت أن ألتقى بك بين الحين والحين ، كى نرى عن كثب بعض الأخوة ممن تجمعنا واياهم رابطة الدين الاسلامى ممن يعيشون خارج الدائرة الجغرافية للعالم الاسلامى .

واليوم ...

سنعيش مع مسلمى انجلترا وسنستعرض معا تاريخ الدين الاسلامى منذ وصل الى انجلترا حتى اليوم والمراكز الاسلامية والجمعيات والمساجد وكل ما يهمك سوف أنقله اليك حتى يمكن أن تعرف كيف يعيش الاسلام والمسلمون هناك .

لمحة من تاريخ الاسلام فى انجلترا

ويرجع تاريخ الاسلام فيها الى عام ١٨٨٠ م حينما اعتنق الاسلام اللورد « استانلى أوف الدرلى » أحد الأشراف الانجليز وسفير انجلترا فى تركيا وقد سمى نفسه عبد الرحمن . وفى عام ١٨٨٦ اعتنق الاسلام المستر « كويليام » أحد أعيان ليفربول وسمى نفسه عبد الله ، وكان بليغا قوى الحجة ، وقد أثار اسلامه السلطان عبد الحميد ، فاستدعاه الى تركيا ومنحه لقب بك وعينه شيخا للاسلام فى بريطانيا .

فعاد الشيخ عبد الله « كويليام » الى مدينة ليفربول وحول جزءا من داره الى مسجد ، وأصبحت داره ملتقى لمحبى الثقافة الاسلامية ، وقد أصدر جريدتين اسلاميتين وأخذ ينشر فيهما آراءه فكان لهما أثر كبير فى نشر الاسلام فى شمال انجلترا .

جمعيات اسلامية فى انجلترا

وقد ظهرت فى انجلترا فى عام ١٨٨٧ جمعية اسلامية استمرت سبعة عشر عاما وقد حضر من الهند الى انجلترا « شودارى فاتح محمد سيال » وخوجه كمال الدين ، وشرعا يدعوان الى الاسلام حتى أسلم على أيديهما اللورد « هيدلى » وتأسست فى انجلترا جمعيات اسلامية منها الجمعية الغربية الاسلامية ، وتهدف الى حماية حقوق المسلمين من العرب والهند والملايو والصومال ، وأكثرهم يشتغل فى الموانى الانجليزية وايواء المعوزين من المسلمين وانشاء المدارس والمساجد لتعليم أبناء المسلمين

كما تألفت فى نهاية الربع الأول من القرن العشرين جمعية لايواء المسلمين الغرباء فى انجلترا وتولى ادارتها بعض محبى الثقافة الاسلامية من الانجليز وبعض الهنود والعرب من المسلمين .

وتضم جامعات بريطانيا بضعة آلاف من الشبان الذين ينتمون الى مختلف أقطار العالم الاسلامى كالهند وباكستان وايران وتركيا وزنزبار والملايو بالاضافة الى بضع مئات من الدول العربية وفى مقدمتها مصر والسودان والعراق والأردن وتونس والمغرب والجزائر وقد وفدوا أساسا الى هناك للدراسة أو التخصص فى فروع العلم والمعرفة .. ولكن ما أن جمعتهم قاعات الدرس ومعامل البحث حتى تعارفوا وتآلفوا على اختلاف أجناسهم وألسنتهم ومشاربهم ، ذلك أن هناك رابطة أقوى من روابط اللغة والوطن جمعت بينهم وألفت بين قلوبهم تلك هى رابطة الدين الاسلامى الحنيف .

وقد التأم شمل الطلبة المسلمين فى كل جامعة من الجامعات البريطانية الكبرى فى اتحاد منظم يحمل اسم « الجمعية الاسلامية » وقد تعددت هذه الجمعيات وانتشرت فى مدن بريطانيا . فهناك واحدة فى جامعة لندن وثانية فى جامعة اكسفورد وثالثة فى جامعة كامبردج ورابعة فى جامعة ليدز وخامسة فى جامعة أدنبره عاصمة اسكتلنده وغيرها حتى بلغ عددها فى العام الماضى ثلاث عشرة جمعية لها تشكيلاتها وأنظمتها ولكل منها كيانه الخاص كجمعية رسمية فى اتحاد الجامعة، تحصل منه على كل التسهيلات اللازمة لممارسة أوجه نشاطها المختلفة . فلها قاعة لعقد اجتماعاتها وندواتها ومكان خاص فى لوحة الاعلان لنشر أخبارها .

المركز الاسلامى بلندن

وفى شارع بارك رود أحد شوارع لندن الراقية ووسط حديقة فسيحة تزيد مساحتها على عشرين فدانا ينهض قصر ضخم من ثلاثة طوابق كان فيما مضى من قصور الأسرة المالكة البريطانية وهو الآن المقر الرسمى للمركز الاسلامى بلندن .

وقد تبرعت الحكومة البريطانية بهذا القصر للدول الاسلامية لنشر الثقافة الاسلامية واقامة مسجد على

ارض حديقته العظيمة وذلك فى مقابل قطعة ارض على كورنيش النيل فى القاهرة تبرعت بها الحكومة المصرية للحكومة البريطانية لاقامة كنيسة عليها بالقاهرة .

وقد افتتح جورج السادس المركز فى نوفمبر سنة ١٩٤٤ . وهو يخضع لاشراف مجلس أمناء مكون من جميع سفراء دول العالم الاسلامى بلندن .

وميزانية المجلس كلها تبرعات من الدول الاسلامية وأبنائها ، ومدير المركز عادة من رجال الأزهر ويتقاضى مرتبه من الحكومة المصرية .

وفى انجلترا حوالى المليون مسلم منتشرون فى كارديف ومانشستر وبرمنجهام وليفربول ولندن وهم جميعا يعتبرون الأزهر الشريف فى القاهرة مركز الاشعاع الروحى والثقافة الاسلامية ، كما يعتبرون المركز الاسلامى بلندن محط أنظارهم وهو جامعتهم الاسلامية الكبرى التى يستمدون منها توجيهاتهم وارشاداتهم فى امورهم الدينية وكل مايتصل بها وهو لهم بمنزلة الهادى والرائد فى الشئون الدينية والثقافية .

رسالة المركز الثقافى الاسلامى

وفى الحق أن رسالة المركز الاسلامى بلندن وهو مؤسسة دولية جديرة باهتمام عواصم العالم العربى والاسلامى ، والأمانة التى يضطلع بأعبائها عظيمة الخطر جليلة الشأن ، وتتلخص فيما يأتى :

١ - اصدار مجلة علمية ثقافية رفيعة المستوى ، تصدر كل ثلاثة شهور ويكتب فيها كبار الأساتذة والعلماء من جميع أنحاء الأرض .

٢ - نشرة شهرية تشتمل على كثير من نشاط المركز الدينى والثقافى وغيرهما من انواع النشاط الأخرى .

٣ - تنظيم موسم ثقافى للمحاضرات العامة يستغرق تسعة شهور فى السنة ويدعى الى القاء هذه المحاضرات : السادة السفراء من جميع الدول الاسلامية وكبار اساتذة الجامعات فى بريطانيا والشخصيات الأخرى المشتغلة بالاسلام والشرق الاسلامى .

٤ - أمور الزواج والراغبون فى اعتناق الدين الاسلامى .

٥ - تتبع مايكتب عن الاسلام والعرب والمسلمين فى صحف انجلترا ومجلاتها ومطبوعاتها ومرافق الاعلام الأخرى والرد على ماينشر فيها ضد الاسلام والعرب والمسلمين بصفة عامة .

٦ - مدرسة للأطفال وهى تضم حوالى ١٥٠ طفلا مسلما بين سن الثامنة والرابعة عشرة من مختلف الجنسيات ، وهؤلاء الأطفال لهم دراسات فى اللغة العربية والدين الاسلامى كل اسبوع ساعتين وتزيد كلما سمح الوقت .

٧ - تنظيم المحاضرات والبحوث التى تلقى خارج المركز الاسلامى فى الكنائس والبيع والهيئات العلمية الأخرى وهذه يتولاها مدير المركز بنفسه حتى يمكن التحدث عن الدين الاسلامى بصفته .

٨ - الردود على اسئلة السائلين من شتى انحاء العالم الاسلامى عن الأحكام الشرعية من صلاة وزكاة وصيام وعبادات ومعاملات .

٩ - تنظيم الاحتفالات بالمناسبات الدينية الهامة كعيد الفطر وعيد الأضحى ورأس السنة الهجرية ومولد النبى الشريف وتنظيم المقابلات للشخصيات الاسلامية الكبيرة التى تزور انجلترا ودعوتها رسميا لزيارة المركز الاسلامى .

١٠ - كتابة رسائل مبسطة لتعريف الغربيين بحقيقة الاسلام وتعاليمه السمحة وانه دين انسانى يدعو الخير والمحبة والحرية والسلام .

هذه صورة موجزة عن رسالة المركز الاسلامى بلندن واهم اهدافه .

... وفى مانشستر

وفى مانشستر يوجد مركز للثقافة الاسلامية لاقامة الشعائر الاسلامية ، وقد منح الامام حق عقد الزواج وفى هذا المركز قاعة لاقامة الصلوات وقاعة للمحاضرات وقاعة للاجتماعات والحفلات ، والطابقان العلويان مخصصان لاقامة الطلبة المسلمين المتزوجين .

وفى مانشستر وضواحيها عدد لايستهان به من المسلمين وتلقى فى المركز محاضرات أسبوعية لتعليم الدين الاسلامى الحنيف ويجتمع المسلمون مرة فى الاسبوع أيضا للبحث فى القضايا الخاصة بالمركز وباحوالهم عامة وفى جامعة مانشستر ، وفى الكلية الصناعية الكبيرة التابعة لها عدد لايستهان به أيضا من الطلبة العرب والمسلمين يتلقون فيها الدراسات العالية .

.. وفى كارديف

ويوجد فى كارديف جالية عربية من ابناء اليمن وعدن وبقية الامارات الأخرى وهناك عدد آخر من الصومال ولهم جمعية اسمها جمعية شبان الصومال . ويمتلك العرب المسلمون فى كارديف بعض المطاعم والمقاهى والفنادق وحوانيت البقالة والخضر والفواكه واللحوم .

وقد بنى المسلمون فى كارديف مسجدا يسمى « مسجد نور الاسلام » أنشأته جمعية نور الاسلام العلوية ، وفى كارديف زاوية أطلق عليها اسم الزاوية العلوية الاسلامية والحقت بها مدرسة ينفق عليها السيد على سلمان الزبيدى من ماله الخاص . ويأمل أهل كارديف فى بناء مسجد كبير لاقامة شعائرهم الدينية وفى ضاحية « ووكنج » - تبعد عن لندن ٢٨ ميلا - مسجد بنى منذ ثلاثة أرباع قرن بأموال جمعت من الهند وكانت تنفق عليه والدة المرحوم بيجوم بهوبال بالهند ولذلك يسمى أيضا الشاة جهان .

صور من الحياة الاجتماعية للمسلمين فى جامعات انجلترا

ومن وقت لآخر تعقد الندوات الثقافيه بمختلف الجامعات حيث تناقش أهم القضايا الأخلاقية التى تكون لمناقشتها بين شباب الجامعة أهميتها الخاصة فى مثل ذلك المجتمع المادى البعيد عن القيم الروحية والأخلاقية .. وتلقى المحاضرات للتعريف بالاسلام ودرء الشبهات عنه باسلوب علمى ومنطق هادىء وتصدر الجمعية الاسلامية بالجامعة نشرة دورية باللغة الانجليزية تعطى صورة عن رسالتها وأهدافها .

وفى ظهر يوم الجمعة من كل اسبوع تنحى المقاعد الدراسية من احدى قاعات المحاضرات جانبا ، ويتوافد عليها طلاب الجامعة المسلمون لأداء شعائر الصلاة حيث تلقى خطبة الجمعة باللغة العربية وتوزع ترجمتها الانجليزية على من لايتحدثون العربية من المسلمين

وفى المناسبات الدينية المختلفة كمولد الرسول صلى الله عليه وسلم وعيد الهجرة تقام احتفالات تتسم بالطابع

الاسلامى ويدعى الى هذه الاحتفالات أساتذة الجامعة ورئيس الاتحاد ويتحدث فيها الطلاب المسلمون بلغة انجليزية راقية . شارحين لاساتذتهم وزملائهم الانجليز تاريخ هذه المناسبات وحكمة الاسلام فيها . وفى نهاية الحفل توزع الحلوى للترفيه على المدعوين .

اما فى عيد الأضحى المبارك .. ففى صبيحة العيد تنحر الذبائح على الطريقة الاسلامية ويتوافد المسلمون على اماكنهم الدينية لأداء شعائر الصلاة حيث تتجاوب أصداء أصواتهم فى أرجاء الارض تشق طريقها الى السماء صاعدة تحمل نداء آلاف المسلمين وهم يرددون فى نفس واحد كلمات ذلك الدعاء الدينى الحبيب : « الله أكبر الله اكبر .. الله أكبر الله اكبر .. لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون » ..

وبعد انتهاء الصلاة تتصافح الايدى ويتبادل الجميع التهانى من اخوانهم الذين تغمرهم فرحة العيد السعيد

اقدم نسخة قرآن .. فى متحف بريطانى

وقد أعلن المتحف البريطانى فى لندن أنه حصل على نسخة جيدة يعتقد الخبراء انها أقدم نسخة من نوعها فى العالم ، وقد وجد على ظهر الصفحة الأولى البيضاء منه كتابة تذكر أن هذا المخطوط كتب فى عام ٣٤٠ هـ ٩٥١ م وكان المعتقد حتى الآن أن نسخة القرآن المكتوبة بالخط الكوفى فى مكتبة جامعة استانبول ويرجع تاريخها الى سنة ٣٦١ هـ هى اقدم نسخة . وقد كتبت هذه النسخة أيضا بالخط الكوفى الجميل ولكن أوراقها حال لونها بسبب قدمها . كما أصابتها بقع من الرطوبة فى بعض أجزائها .

ولكن المخطوط الأصلى ليس كاملا وقد اكملت الآيات الناقصة فى البداية والنهاية بكتابة أخرى فيما بعد .

حرب على الدعاية ضد الاسلام بلندن

وقد اعلن المسلمون المقيمون فى لندن تشكيل منظمة جديدة للعمل على محاربة الدعايات المغرضة ضد الدين الاسلامى . هذا والمنظمة الجديدة اسمها « الجبهة الاسلامية » وقد شكلت فى مؤتمر عقد باحد مساجد العاصمة البريطانية وحضره ممثلو السفارات الاسلامية بلندن .

وبعد ...

فهذه يا اخى صورة سريعة لحياة الاسلام والمسلمين فى انجلترا ، بمدنها وجامعاتها منذ وصل الاسلام حتى اليوم . ونامل أن تزداد ملامح هذه الصورة حتى تتسع الدائرة الاسلامية فى هذه البلاد يوما بعد يوم . والله متم نوره ولو كره المشركون .

والى اللقاء .

بقية مقال « عبر من خواص الماء »

المتراكم على مر السنين ، وبذلك تموت أحياء البحر كلها كما تنعدم التيارات المائية العظمى التى تحفظ التوازن الحرارى على الأرض وتعمل على توزيعه بالتساوى ما بين المناطق الحارة والمناطق الباردة ، لتبقى على الحياة يانعة مزدهرة على الجزء اليابس من الارض أيضا . ومعنى ذلك كله ان الله تعالى قدسخر الماء من أجل ظهور الحياة واستمرار بقائها على الأرض مصداقا لقوله تعالى : وجعلنا من الماء كل شىء حى » .

ونحن عندما نقرر هذه الحقائق انما نسردها مبسطة سهلة خالية من التعقيد والتهويل . فقد يصل عدد الكتل الثلجية الهائمة فى أرجاء المحيط الشمالى مثلا الى ما يربو على الألف فى وقت واحد . وقد تغطى الكتلة الواحدة مساحة قدرها ١٠٠ مترا مربعا ! .

ومن خواص الماء العجيبة كذلك أن حرارته النوعية هى أكبر الحرارات النوعية لكافة مواد الكون على الاطلاق . والحرارة النوعية هى مقدار الحرارة اللازمة لرفع درجة حرارة جرام واحد من الماء درجة واحدة مئوية . والمعروف او المألوف علميا ان الحرارة النوعية للماء هى الواحد الصحيح ، بينما حرارة اليابس النوعية هى ٢ر. فقط . ولهذه الحقيقة معانى علمية ونتائج عميقة تتصل اتصالا وثيقا بطبيعة كوكب الأرض وازدهار الحياة على سطح هذا الكوكب الذى سكنه الانسان خلال فترة من الزمان بعد ان أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا .

فعندما تسقط أشعة الشمس على سطح الأرض تجد ان اليابس يسخن سريعا بينما لاتسخن المياه الا ببطء ولهذا تعمل الاسطح المائية على تلطيف الجو وحفظه باردا على حد مقبول بالنسبة الى داخل القارات فى الصيف .

ومن اسطح المياه الباردة نسبيا تهب الرياح الملطفة للجو كما هو الحال مع التيار الشمالى الذى يهب على مصر وشمال السودان صيفا ويلطف الجو بشكل ظاهر ، ونطلق عليه اسم الهواء « البحرى » اى المقبل من البحر، ويروح الناس فى كل مسكن يبحثون عن النوافذ والأبواب (البحرية) التى يدخل منها الهواء المنعش المقبل من البحر الابيض المتوسط !

ومجمل القول ان المياه والاسطح المائية على الارض التى يصفها الله تعالى بقوله :

« وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه فى الأرض » هى الوسط الذى يستجيب الى الرياح ودوراتها ، كما انه مصدر بخار الماء فى جو الارض ، وما بخار الماء العالق فى الهواء الا أساس المطر والماء العذب الذى تعتمد عليه حياة البشر وما يملك من نبات أو حيوان . وهناك علاقة هامة بين الجو والتيارات المائية التى تحدث فى المحيطات والبحار والتى تظل تؤدى وظيفتها أبد الدهر طالما ظل الماء سائلا فى بطون البحار والمحيطات. وتحدد لنا هذه العلاقة المواسم والبقاع التى تزداد فيها عمليات التبخير . كما ان التبادل الحرارى بين الجو والمحيطات وتياراتها المائية العظمى هو من أهم العوامل التى تؤثر على المناخ وبقائه ملائما للحياة عبر العصور التى مرت بها على الارض . فسبحان خالق هذا الكون ومدبر امره وسبحان من يقول للشىء كن فيكون ليلائم خلقه بصرف النظر عن قواميس الطبيعة المعهودة التى يتحدث عنها الكافر على انها مجرد صدفة وحدث دون عناية أو رعاية ربانية ! وهو مالا يمت للعلم بصلة ولا يقبله العقل السليم ولا يزيد على كونه مجرد قول مرسل لا اساس له من الصحة .

باب الفن

صدى القرآن الكريم في الزخارف الإسلامية الأموية

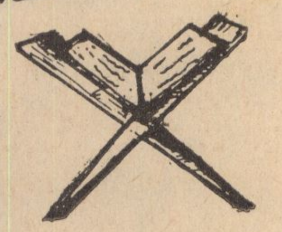

الدكتور حسن الباشا

تلعب الزخرفة دورا اساسيا فى جميع الفنون على الاطلاق حتى انه يمكن القول بانه ليس هناك فن بدون زخرفة .

والزخرفة هى تجميل التحفة او العمل الفنى وتجليته وتزيينه وتمويهه بحيث يكمل حسنه ، ويعجب الناظر اليه وينال منه القبول والاستحسان .

والانسان بطبيعته ميال الى الزخرفة والزينة والتحلية ، يتأثر بها . وينساق اليها . ويحب ان يستمتع بها . يقول الله سبحانه وتعالى فى سورة الزخرف : « ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين . »

ويقول جل شانه فى سورة الانعام : « وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك مافعلوه فذرهم وما يفترون . ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون » .

ويقول سبحانه فى سورة يونس : « انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما ياكل الناس والانعام حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون »

وقد من الله على بنى آدم بان اتاح لهم نعمة الزخرف ليدخل البهجة على نفوسهم ، ويمتعهم فى الحياة الدنيا فزين لهم السماء . واخرج لهم الحلى من البحار ، وجعل لهم فى الانعام جمالا وزينة .

يقول الله جل وعلا فى سورة الصافات : « انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب » ، ويقول فى سورة النحل : « وهو الذى سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » ويقول سبحانه ايضا : « والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرءوف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون » .

ويعلم الله سبحانه وتعالى ما للتجميل والتحلى من هوى فى نفس البشر فيبشر من يؤمن منهم ويعمل صالحا بمتعة التحلى بالاساور من ذهب وفضة واللؤلؤ والثياب الجميلة وغيرها فى الاخرة :

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانضيع اجر من احسن عملا . أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الارائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا » « ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير . »

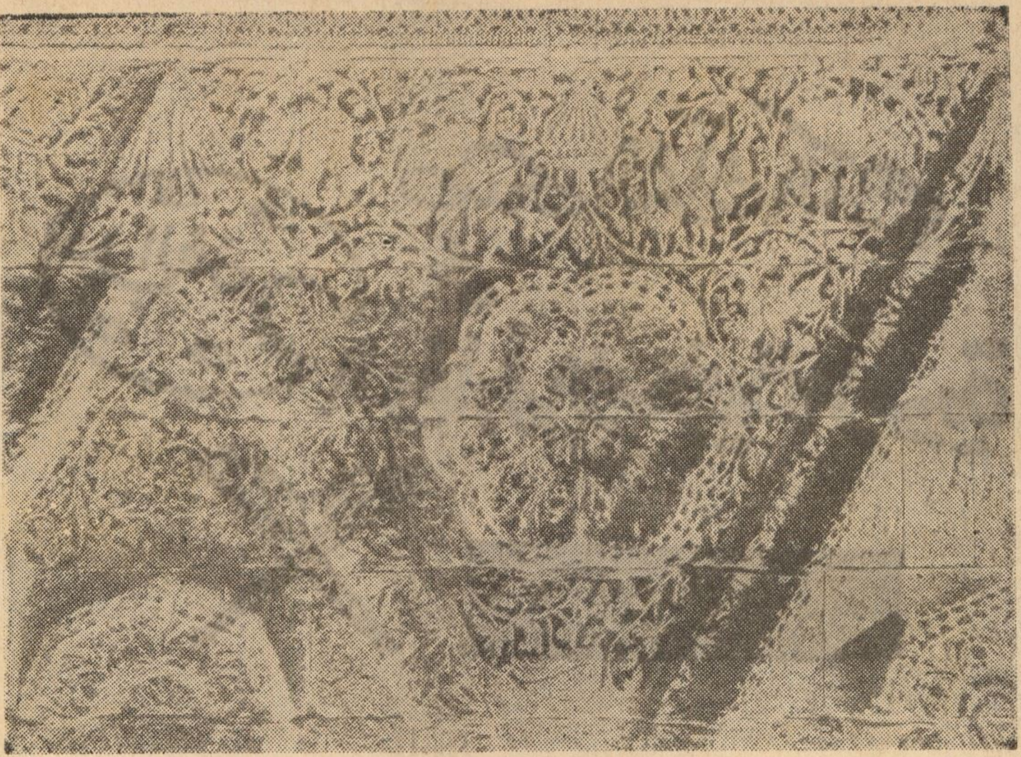

زخارف منحوتة فى الحجر من قصر المشتى بصحراء الشام

من ثم فلا عجب ان اقبل الفنانون المسلمون منذ البداية على الزخرفة فاستخدموها فى تجميل مصنوعاتهم المختلفة ، وتزيين منتجاتهم الفنية من معمارية وتطبيقية وتشكيلية

ولقد اكثر الفنانون المسلمون من الزخـــرفة حتى انهم اتهموا ظلمـا بالمبالغة فى هـــذا المجـــال ، بل ان البعض حاولوا ان يفسروا حب الفنانين المسلمين للزخرفة بانه مظهر للتعبير عن الخوف من الفراغ : اى ان الفنان الاسلامى كان يلجا فى زعمهم الى الاكثار من الزخرفة فى عمله الفنى حتى يغطى سطحه كله بالزخارف وحتى لايبقى مكان خال أو فارغ وذلك تلبية لنزعة الخوف من الفراغ الكامنة فى نفسه • ومثل هذا الراى واضح الخطل بحيث لايحتاج الى تفنيد او رد اذ ما الذى يدعو الفنانين المسلمين دون غيرهم من الفنـانين الى الخوف من الفراغ ؟

ومع ذلك فمن الملاحظ ان كثيرا من الاعمال الفنيـــة الاسلامية تمتاز بقلة زخارفها ، وبكثرة الفراغ فيها •

كما ان الزخرفة فى الاعمال الفنية الاسلاميه سواء كثرت او قلت قد استخدمت بحيث حققت اكثر مايمكن من الجمال والقيمة الفنية ، ولو حذف شىء منها لادى ذلك الى نقص فى جمالها ، وتقليل من قيمتها الفنية •

والحق ان الفنانين المسلمين لم يستعملوا الزخرفه استعمالا عشوائيا لمجرد الرغبة فى استعمالها ، ولكنهم استخدموها بطريقة مدروسة بقصد اضفاء الجمال على مصنوعاتهم ومنتجاتهم الفنيه ، وبذلك ادخلت الزخارف الاسلامية فى العمل الفنى لتخدم اغراضا جمـــالية ، ولتضفى عليه الحسن والرونق ، ولتصل به الى حـــد الكمال الفنى بقدر الامكان •

وربما كان مما ساعد على الاكثار من الزخارف فى الفن الاسلامى نشأته فى بيئة تمتاز بالغنى والثراء : اذ استطاع المسلمون بفضل اخلاقهم العظيمة وجدهـــم ونشاطهم وروح دينهم ان يحكموا فى فترة وجيزة اقطارا غنية وينموها ماليا واقتصاديا ، وان يكونوا مجتمعـــا صحيحا سليما على قسط وافر من الغنى والثراء كان البيئة التى تكون فيها الفن الاسلامى ونما وترعرع

وقد سبقت الاشارة الى ان الاسلام لم يحرم الاستمتاع بالزخرفة والزينة والجمال ، بل على العكس حض على اتخاذها ، وربط بينها وبين الصفاء النفسى والنقـــاء الروحى فى الدنيا والآخرة : « يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لايحب المسرفين • قل من حرم زينة الله التى اخرج لعبـاده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقـــوم يعلمون • قل انما حرم ربى الفواحش ماظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله مالا تعلمون »

« ونزعنا مافى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين » •

ولقد ظهرت صدى الروح الاسلامية بشكل واضح فى الاعمال الفنية الاسلامية فى العصر الاموى • وعلى الرغم من ان هذا العصر يمثل أول العصور الفنية فى الاسلام فانه قد خلف لنا كثيرا من العمائر الدينية والمدنيـــة والمنتجات التطبيقية والتشكيلية التى كان للزخارف فيها فضل كبير فى تجميلها وتحسينها •

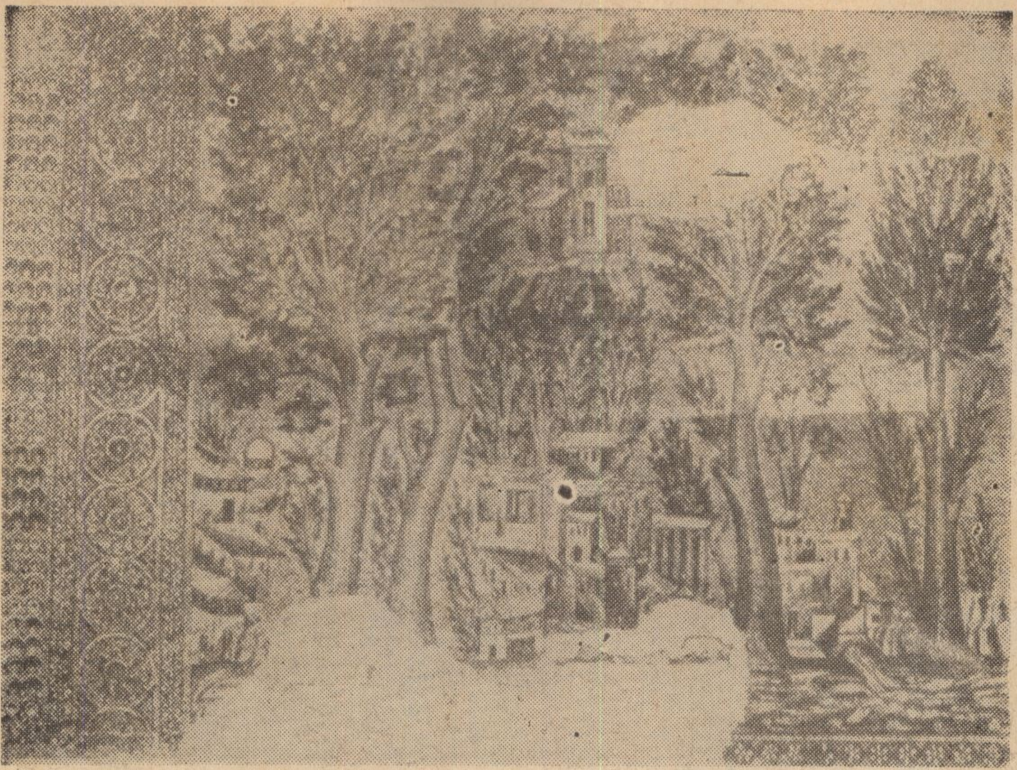

جزء من الصورة المرسومة بالفسيفساء فى الجامع الاموى بدمشق

وتتجلى الروح الزخرفية فى اقدم بناء اسلامى بقى لنا دون تغيير كبير على طول القرون والاجيال : ونقصد بذلك قبة الصخرة فى بيت المقدس التى تم بناؤها وزخرفتها فى سنة ٧٢ هـ - ١٩٦١-١٩٦٢ م - فى عهد الخليفة الاموى عبد الملك بن مروان تخليدا لذكرى الصخرة المباركة التى يقال ان النبى صلى الله عليه وسلم بدأ منها معراجه الى السموات العلا ليلة الاسراء والمعراج .

وقبة الصخرة بناء حجرى ذو ثمانية جوانب ، تحف به من الخارج تثمينة من الجدران تليها نحو المراكز تثمينة اخرى من الاعمدة والاكتاف فى داخلها دائرة من الاعمدة والاكتاف . وتعتمد على هذه الدائرة قبة مرفوعة على رقبة اسطوانية تشتمل على ست عشرة نافذة . اما القبة فمن الخشب تغطيها من الخارج طبقة من الرصاص ومن الداخل طبقة من الجص .

وتمثل الرسوم المؤلفة بواسطة فصوص الفسيفساء العنصر الزخرفى الرئيسى فى قبة الصخرة .

وقد أشار الى فسيفساء قبة الصخرة مجموعة من المؤرخين ربما كان اقدمهم المقدسى من علماء القرن الرابع الهجرى - ١٠ م - وقد ذكر ان الفسيفساء كانت تكسو أرضية المبنى وجدرانه من الداخل والخارج بما فى ذلك رقبة القبة . وقد استبدل بالفسيفساء على الجدران الخارجية لوحات من القاشانى فى سنة ٩٥٢ هـ - ١٥٤٥ م - فى عهد السلطان سليمان القانونى ولا تزال قبة الصخرة تزدان من الداخل الى اليوم بزخارف الفسيفساء الجميلة التى يرجع معظمها الى عهد عبد الملك بن مروان .

وتتالف فسيفساء قبة الصخرة من فصوص صغيرة او مكعبات دقيقة من الزجاج الملون ومن الحجر ومن صفائح الصدف بالاضافة الى فصوص مذهبة واخرى مفضضة الصقت جميعها بنظام معين وترتيب خاص على طبقة من الجص .

ومن الملاحظ أن الفصوص المذهبة والمفضضة قد الصقت بحيث تكون مائلة حتى تعكس ألضوء ويزداد بريقها ، فى حين ان الفصوص الاخرى التى يغلب عليها اللون الاخضر والازرق بدرجات عدة بالاضافة الى الوان اخرى كالاحمر والرمادى والبنفسجى والبنى والاسود والابيض

وقد استطاع الفنانون ان يؤلفوا بين هذه الفصوص ذات الالوان المختلفة بحيث حققوا رسوما وزخارف جميلة مبتكرة .

تثير زخارف الفسيفساء فى قبة الصخرة بعض الافكار بخصوص المعين الذى استمدت منه ، والدافع الذى اوحى بها ، والهدف الذى كانت ترمى اليه .

ومن الواضح ان مزخرفى قبة الصخرة قد لجئوا الى الطبيعة فاستمدوا منها زخارفهم ، وانهم اهتموا بصفة خاصة بعالم النبات والحلى ، وتجنبوا تماما عالم الكائنات الحية . وقد انتقوا عناصرهم الزخرفية من الازهار والثمار والاغصان والاشجار والنخيل واللؤلؤ والاساور والتيجان والآنية والكؤوس ، وحوروها جميعا الى وحدات رمزية ، ثم نسقوها وشكلوا منها رسوما بديعة رائعة زينوا بها جدران المبنى بطريقة تلائم التصميم المعمارى ، وتؤلف مع البناء كله وحدة متجانسة .

ولم يهمل الفنانون التقاليد السابقة وفنون الاقطار التى دخلها الاسلام وسادها المسلمون ، بل اخذوا من

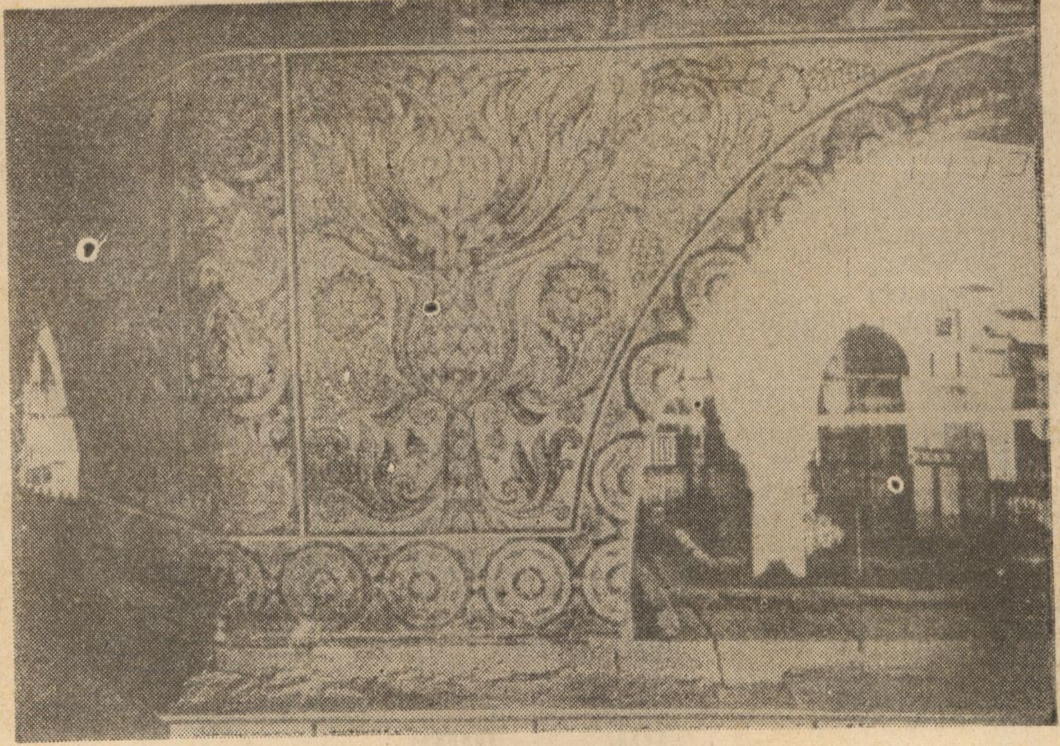

زخارف بالفسيفساء بقبة الصخرة المقدسة

هذه الفنون ما كان مناسبا لغرضهم وادخلوها في عملهم وبذلك ربطوا بين حاضرهم العظيم والماضى التليد ، واستفادوا من تجارب الامم التى سبقتهم ، ومن الاشواط الطويلة التى قطعتها فى مجال الحضارة والفن •

هذا وقد تأثرت زخارف قبة الصخرة بدوافع كثيرة اجتماعية وسياسية ودينية • فمن جهة يلاحظ ان هذه الزخارف قد استمدت بثراء من عالم النبات والزينة حتى ترضى ذوق العرب اصحاب السيادة والسلطان الذين انتقلوا بفضل الفتوحات الجديدة من حياة التقشف الى حياة الغنى والثراء •

ومن جهة اخرى كان للدافع السياسى اثره دون شك ذلك ان الخلافة العربية الاموية ارادت ان تصور فى هذه المنطقة التى كانت محط انظار العالم بما تنطوى عليه من ذكريات دينية وسياسية انها قد اصبحت على درجة من النفوذ والقوة بحيث استطاعت ان تخضع لسلطانها سادة العالم المتحضر القديم فى الشرق وفى الغرب • ومن هنا كثر تمثيل التيجان والاساور واللآلىء فى زخارف قبة الصخرة •

وربما كان العامل الدينى هو اهم الدوافع وابرز المؤثرات فى هذه الزخارف • فقبة الصخرة قد شيدت على ارض مقدسة بالقرب من كنيسة القيامة وغيرها من المعابد الدينية وفى مدينة يحج اليها المسيحيون من جميع انحاء العالم ويقدسها اليهود وتشد اليها رحال المسلمين ، ومن ثم فلا شك ان عبد الملك بن مروان كان يهدف ايضا من بنائها الى اظهار عظمة الاسلام ودعوة النصارى واليهود الى الدخول فيه والانضواء تحت لوائه• ومما له شأن شريط الكتابة الاثرية المؤلف بواسطة فصوص الفسيفساء المذهبة على ارض زرقاء داكنة بأعلى التشهينة الداخلية ، والذى يبلغ طوله نحو مائتين واربعين مترا يشتمل ـ بالاضافة الى نص يؤرخ انشاء البناء وبعض العبارات الدينية ـ على آيات قرآنية تتعلق اساسا بتفسير العقيدة الاسلامية ، وبالرد على المسيحيين الذين يقولون ان الله ثالث ثلاثة وان المسيح ابن الله •• ومن هذه الآيات قوله تعالى : « يايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وان تكفروا فان لله مافى السموات والارض وكان الله عليما حكيما • ياأهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا » .

ومنها قوله جلا وعلا : « ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون • ماكان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون . وان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم • »

وربما كانت الرسوم فى الوقت نفسه تصور بطريقة زخرفية جميلة ما ينتظر المسلمون فى الآخرة من نعيم مادى يتمثل فى الثمار الشهية بانواعها الكثيرة وفى الحلى من الاساور واللؤلؤ وفى الاكواب والكؤوس والآنية التى اشار اليها القرآن الكريم فى بعض الآيات : « وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا • متكئين فيها على الارائك لايرون فيها شمسا ولا زمهريرا • ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا . ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب كانت قواريرا • قوارير من فضة قدروها تقديرا • ويسقون فيها كاسا كان

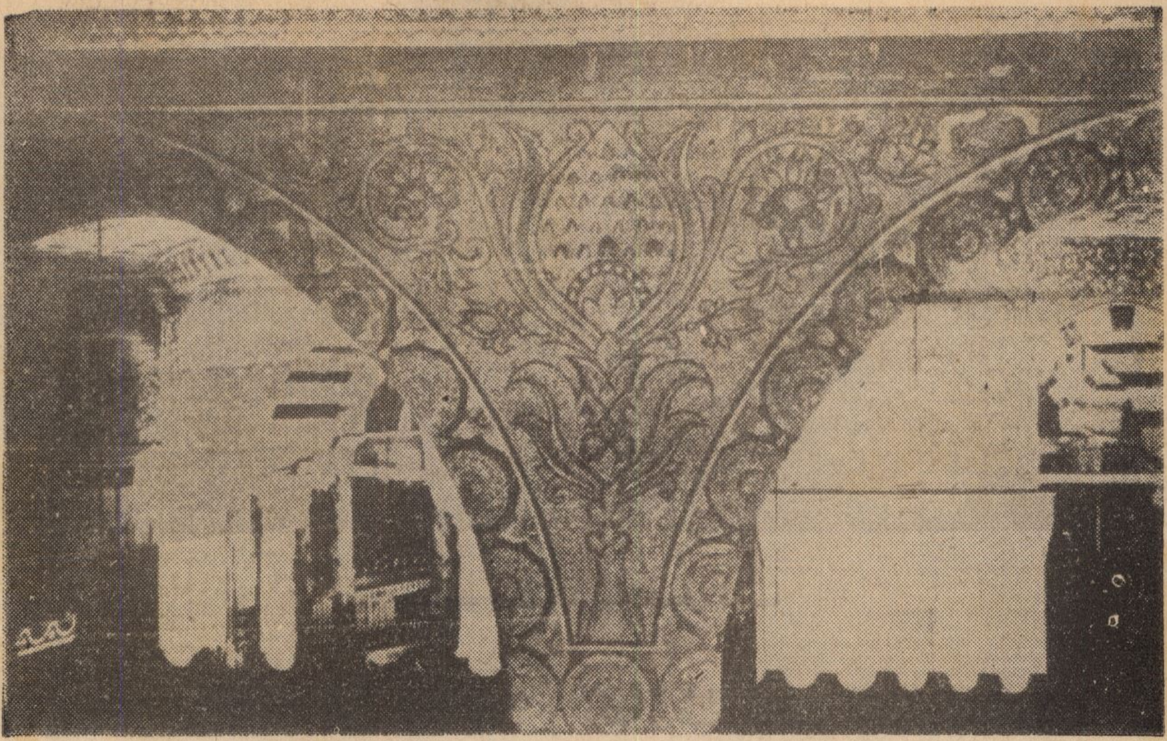

زخارف من الفسيفساء لقبة الصخرة المقدسة

مزاجها زنجبيلا • عينا فيها تسمى سلسبيلا • ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا • واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا • عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا اساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا • ا نهذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا »

والحق ان اثر القرآن يمكن أن يستشف فى زخارف مبنى اسلامى آخر يرجع الى العصر الاموى ، ونعنى بذلك « مصير عمره » الذى ينسب الى عهد الخليفة الاموى الوليد بن عبد الملك وهو احد القصور التى حرص الامويون على بنائها فى صحراء الشام لاسباب سياسية واجتماعية • ويقع « قصير عمره » على بعد خمسين ميلا شرقى عمان ، ويتالف من قاعة استقبال ملحق بها حمام تتكون من ثلاث غرف : الاولى ذات سقف من قبو نصف دائرى ، والثانية سقفها من قبوين متقابلين ، والثالثة تعلوها قبة نصف كروية •

وكانت جدران « القصير » وقبواته يزخرفها من الداخل صور مرسومة بالالوان المائية على الجص « فرسكو » تمثل اضخم مجموعة من الرسوم من هذا النوع عثر عليها فى مبنى من المبانى المدنية فى العالم كلية قبل القرن الثانى عشر الميلادى • وقد تطرق التلف الى هذه الصور ، ومن ثم اعتمد فى دراستها التى تمت بناء على مانسخ من الصور •

وتمثل الصور موضوعات كثيرة مختلفة • غير انه يعنينا هنا بصفة خاصة الصورة التى تزخرف باطن القبة التى تغطى الغرفة الثالثة ذلك انها تمثل السماء بما فيها من بروج وكواكب مما يمكن اعتباره صدى لما جاء فى القرآن الكريم من قوله تعالى : « ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين » وتعتبر هذه الصورة هى الوحيدة من نوعها المرسومة فى بطن قبة •

وتشتمل زخارف « قصير عمره » على رسوم اخرى ربما كانت مستوحاة من القرآن الكريم • ومن ذلك زخارف القبوة البرميلية التى تغطى الغرفة الاولى • وهذه تتالف من اشرطة متقاطعة تحليها اوراق الشجر • وينتج من تقاطع الاشرطة سبعة عشر معينا يحف بها اثنا عشر مثلثا ، ويشغل هذه المعينات والمثلثات صور تمثل آدميين وحيوانات وطيورا ونباتا • ومن الصور التى تلفت النظر فى هذه المناطق رسوم تشغل المعينات الثلاثة فى وسط القبوة وتمثل آدميين من اعمار مختلفة هى الشباب والرجولة والشيخوخة • وعلى الرغم من ان الصور التى ترمز الى مراحل العمر قد عرفت فى الفن الهلينى فانه من الملاحظ ان القرآن الكريم يشتمل على آيات تصور هذه المراحل منذ الطفولة الى الشيخوخة مثل قوله تعالى : « هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا اجلا مسمى ولعلكم تعقلون • »

ويلفت النظر ايضا فى زخارف هذه المعينات ثلاثة رسوم فى ثلاثة معينات متجاورة احدها يمثل آدميا ، والثانى يمثل قردا واقفا على رجليه الخلفيتين ، ويصفق بيديه والثالث يمثل حيوانا اشبه بالقرد او الخنزير يجلس على مقعد ويعزف على قيثارة • وربما كانت هذه

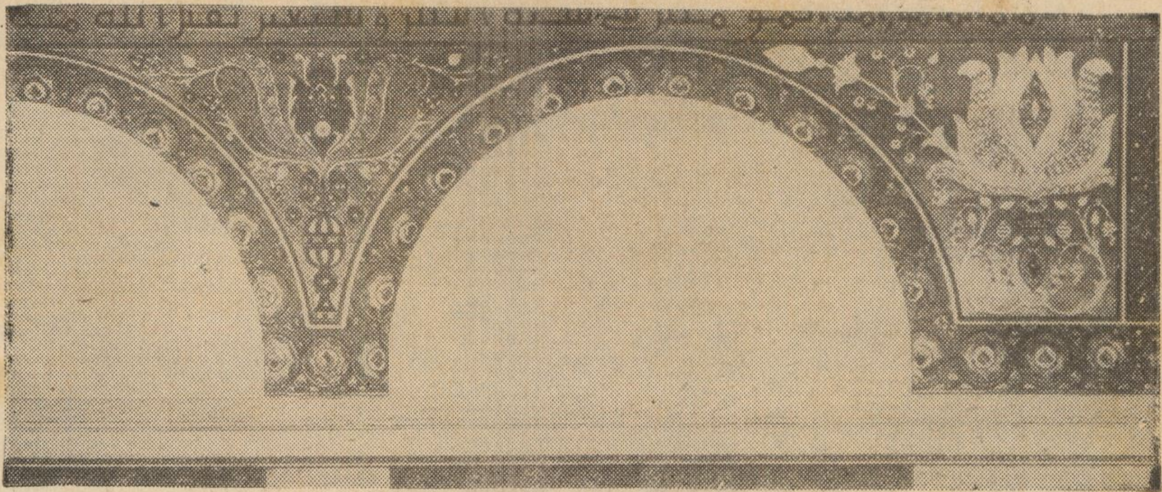

كتابة وزخارف بالفسيفساء بقبة الصخرة المقدسة

الرسوم تشير الى العقاب الذى انزله الله سبحانه وتعالى باليهود حين مسخهم الى قردة وخنازير « قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا أن آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون . قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل . »

ومن الملاحظ ان الاشارات والحركات فى الصور تتفق مع هذا التفسير . ذلك انه يبدو ان الرسوم الثلاثة تؤلف مجموعة متجانسة متقاربة ، فهى تتالف من رجل يبدو كانه يغنى ، وقرد او خنزير يعزف ، وقرد آخر يصفق ويرقص . وربما كان تصوير الحيوانين وهما يعملان بعض اعمال البشر مما يشير الى اصلهما البشرى .

هذا وفى القصير صورة ذات اهمية خاصة تسمى «صورة أعداء الاسلام» ، وهى تقع قرب الطرف الجنوبى للحائط الغربى بقاعة الاستقبال . وتمثل هذه الصورة ستة رجال يلبسون ثيابا مزركشة ويصطف ثلاثة منهم فى الامام وقد مدوا أيديهم مستسلمين ، ويقف الثلاثة الباقون خلفهم . وتظهر فى اعلى رءوس هؤلاء الرجال آثار كتابة بالعربية وباليونانية تمثل اسماء اصحابها ، ولايزال يقرأ منها اسماء الاربعة الاول وهم من اليسار الى اليمين : قيصر وكسرا فى الصف الامامى ، وروودريق والنجاشى فى الصف الخلفى . وقد افادت هذه الصورة فى تاريخ هذا القصير بعهد الوليد بن عبد الملك الذى خضع له هؤلاء الملوك .

ويرجع الى عصر الخليفة الوليد بن عبد الملك بناء آخر ربما ظهر ايضا فى زخارفه اثر القرآن الكريم ، وهو الجامع الاموى بدمشق . وقد اكتشف على احد جدران هذا الجامع رسوم بالفسيفساء يبلغ ارتفاعها نحو سبعة امتار وطولها حوالى خمسة وثلاثين مترا ،

وهى لوحة مصورة كبيرة يمتد بعرضها نهر يجرى فى اسفلها من اليسار الى اليمين ، وتظهر على جانبه الايسر فى اعلاه قصور وعمائر ذات طوابق عدة ،ومن طرز مختلفة ، ويحف بهذه المبانى حدائق مزدهرة مثمرة وجبال وتلال ، وتقوم على ضفة النهر نفسها اشجار ضخمة باسقة تتصل جذور بعضها بمياه النهر عند الخلجان الصغيرة التى حفرتها المياه . وقد صورت مياه النهر باللون الازرق يتخلله قليل من اللون الفيروزى واللازوردى والسماوى وتتناثر على سطح النهر حبات الزبد التى تتالق على حافة امواجه بلونها الفضى . اما الاشجار الكثيفة التى يمكن ان يميز من بينها اشجار السرو والحور والمشمش والجوز والتين والتفاح فقد لونت باللون الاخضر بدرجات مختلفة ، ترصعه بقع مدورة وبيضاوية ذات لون وردى أو اصفر تمثل الفاكهة والازهار . كما حظى الظل بعناية خاصة : اذ رسم باللون البنفسجى ببعض درجاته . وتقوم الرسوم باجمعها على ارضية يغلب فيها اللون الذهبى .

ومما يلفت النظر فى هذه الرسوم انها خالية من صور الكائنات الحية وبذلك تتفق مع الاحاديث النبوية الكريمة التى تحرم تصوير لكائنات الحية ، وتبيح تصوير ماليس فيه روح كالاشجار ،ومن ثم كانت هذه الصور اسلامية فى طابعها العام . وهى تشهد للفن الاسلامى بالسبق فى رسم المناظر الطبيعية الخالية من صور الكائنات الحية .

ولقد ذكرت آراء مختلفة بصدد مغزى هذه الصورة . وليس من المستبعد ان يكون هذا المغزى ذا صلة بالقرآن الكريم فربما تمثل نعيم الدنيا الذى قد يجعله الله سبحانه وتعالى لعباده . « تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا »

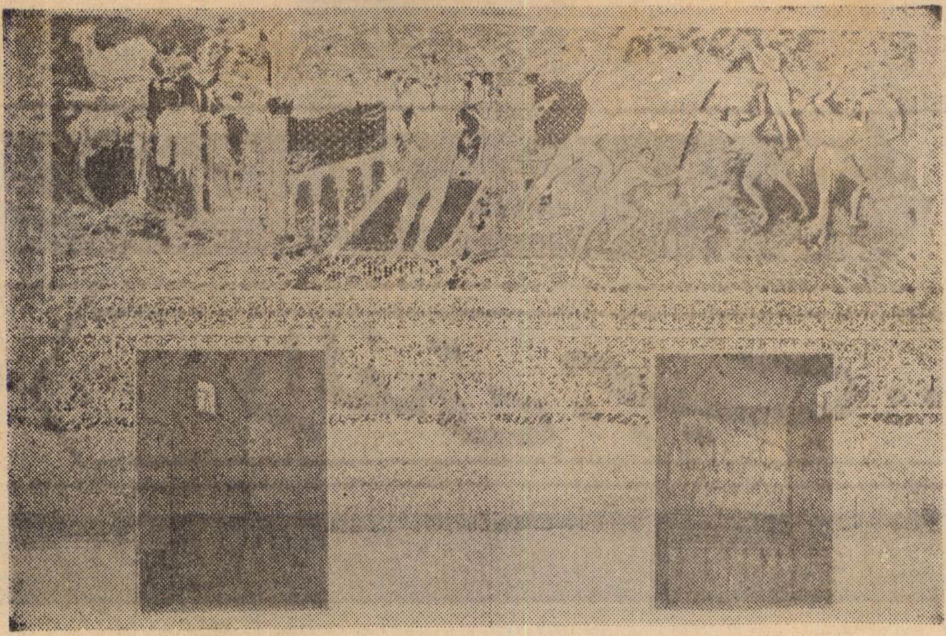

الجدار الغربي بقاعة الاستقبال بقصير عميرة ويشاهد الى اليسار صورة اعداء الاسلام

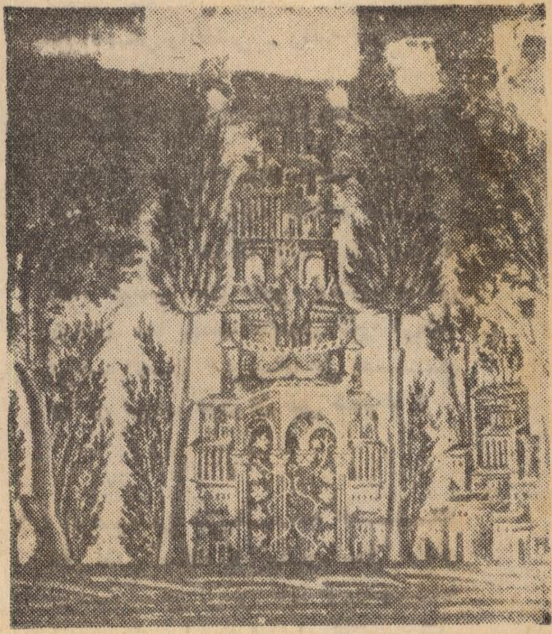

وربما تمثل نعيم الاخرة الذى وعد الله به المؤمنين الصالحين : « لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الانهار » .

وبعد فهذه نماذج من الزخرفة الاسلامية فى العصر الاموى حاولنا ان نستشف اثر القرآن فيها .

ومن الملاحظ ان هذه الصورة قد مثلت فى مسجد

والحق ان الزخرفة الامويه قد شملت مجالات كثيرة متنوعة فلم تقف عند حد العمائر ، بل امتدت الى مجال الفنون التطبيقية من تحف معدنية وخشبية وحجرية وغيرها .

وان ما وصلنا من امثله من نماذج الزخرفة فى العصر الاموى لينبىء بما سيحرزه الفن الاسلامى فى العصور التالية من امجاد كبيرة فى عالم الزخرفة والزينة

واذا كنا قد اشرنا الى ما استمدته الزخارف الاموية من روح الاسلام فان هذا لاينفى باية حال من الاحوال ان المزخرفين المسلمين قد استمدوا كثيرا من الاشكال الزخرفية من فنون الاقطار التى فتحها العرب ودخلت فى الاسلام مثل بلاد العرب وسورية ومصر وشمال افريقية والاندلس وايران وغيرها .

ومع ذلك فان الروح الاسلامية الجديدة قد نجحت فى طبعها بالطابع الاسلامى العربى المتميز وكونت منها فنا زخرفيا جديدا .

أنت تسأل ..؟

والمفتي يجيب ...

فضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون

س ١ : من السيد / فتحى عبد المنعم عبد العزيز الشريف بمعهد الاسكندرية الدينى الثانوى

يسال عن حكم اشتراك اكثر من رجل فى اضحية واحدة ٠

ج ١ : ان الأضحية اذا كانت من الابل أو البقر فان الواحدة تجزىء عن سبعة أشخاص واما الغنم فان الشاة الواحدة تجزىء عن شخص واحد فقط ولا تجزىء عن اكثر من ذلك والله أعلم ٠

س ٢ : من السائل نفسه

ماحكم قراءة القرآن بغير وضوء سواء فى المصحف أم فى غير المصحف !

ج ٢ : قراءة القرآن جائزة بغير وضوء سواء فى المصحف أو فى غيره مالم يمس المصحف لقوله تعالى « لايمسه الاالمطهرون » وذلك بشرط الطهارة من الحدث الاكبر والطهارة من الحيض والنفاس - والله أعلم ٠

س ٣ : من الطالب ع٠١ باحد المعاهد العليا

تقول انها طالبة بأحد المعاهد العليا ومحافظة على الصلاة واذا ابتل شعرها اثناء الوضوء فان مظهره يتشوه بشكل يضايقها مما يجعلها تتهاون كثيرا فى اداء فريضة الصلاة ٠ وسأل هل يصح لها ان تتوضأ دون أن تبل شعرها ؟

ج ٣ : الوضوء من شروط صحة الصلاة فلا تصح صلاة بلا وضوء ومن اركان الوضوء مسح الراس كله أو ربعها أو جزء منها على اختلاف المذاهب قال تعالى « يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم

وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وارجلكم الى الكعبين » واذا كان مسح الرأس ركنا من أركان الوضوء فلا يصح الوضوء بدونه . والمسح هوعبارة عن أمرار اليد مبتلة على الرأس وذلك شيء لن يضر الشعر ولن يشوه منظره .

والفتاة المسلمه المحافظه على تعاليم الاسلام يجب أن تعرف ان الصلاة فريضة مكتوبة على الرجل والمرأة على السواء ، وهى من أركان الاسلام الخمسة ، فمن تهاون فيها فقد هدم ركنا من أركان الدين ومن شروطها الطهارة والطهارة لا تكون بغير وضوء والوضوء لا يكون بغير مسح الرأس . ولا يليق بمسلمة تؤثر مظهر شعرها على اداء فرض ربها .

س ٤ : من السائلة نفسها :

نقول هل يمكن للمرأة ان تذبح ضحية فى عيد الأضحى وهل تثاب عليها كما يثاب الرجل ؟

ج ٤ : نعم الأضحية واجبة على القادر عليها رجلا كان أو امرأة فاذا كان للمرأة مال خاص بها وكانت قادرة على الأضحية وضحت فانها تثاب على ذلك كما يثاب الرجل سواء بسواء .

س ٥ : من السيد / محمد عبد الغنى شريح - فلوسكور

يسال عن الراى الصحيح فى التوفير فى البنك أو صندوق التوفير مع الربح ؟

ج ٥ : سبق ان اجبت عن هذا السؤال اكثر من مره والراى عندى فى هذه الأرباح انها حرام لأنها ربا ، والربا محرم بالكتاب والسنة واجماع الأمة . فننصح السائل بأن يودع أمواله فى صندوق التوفير أو فى البنك بدون أرباح ليتمكن من الادخار بدون أن يأكل مالا ربويا حرمه الله على المسلم « قال تعالى » وأحل الله البيع وحرم الربا » .

س ٦ : ومن السائل نفسه ؟

متى تجب الصلاة ؟

ج ٦ : وجوب الصلاة بمعنى فرضيتها على المسلم البالغ العاقل ، أما وجوب ادائها فذلك حين يحين وقتها فالصبح من طلوع الفجر الصادق الى شروق الشمس ، والظهر من زوال الشمس عن كبد السماء الى ان يصير ظل كل شيء مثله ومثليه والعصر من ظل كل شيء مثله أو مثليه الى غروب الشمس ، والمغرب من غروب الشمس الى غروب الشفق الأحمر ، والعشاء من غروب الشفق الأحمر الى طلوع الفجر .

س ٧ : السائل نفسه *

يقول انه كان تاركا للصلاة كسلا وليس جاحدا فرضيتها · فهل يعيد الصلاة التي فاتته وكيف يعيدها ؟

ج ٧ : ان الصلاة مفروضة على كل مسلم ومسلمة مادام عاقلا بالغا وهى ركن من أركان الاسلام وفريضة مكتوبة قال تعالى « ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » وهى لاتسقط الا بالأداء أو القضاء (*)

وتارك الصلاة كسلا يضرب حتى يسيل منه الدم ويحبس حتى يصليها ولابد من قضائها وان طال الزمن ، أما كيف يقضيها تاركها فانه يستطيع ان يصلى مع كل فريضة حاضرة - فريضة أخرى ضما عليه ويستمر على ذلك حتى لايشعر بالملل أو التعب الى أن يتيقن أو يغلب على ظنه أنه قضى ما عليه من الصلاة المتروكة والله اعلم ·

س ٨ : من قارىء لمجلة منبر الاسلام - من عطور دبى

يقول أن شخصا مرض واستمر اياما عديدة على فراش المرض ولم يستطع الصلاة · فهل عليه قضاؤها بعد شفائه واذا توفى المريض فهل يجوز قضاء الصلاة عنه ؟ واذا استمر المرض سنتان فهل سقط عنه ؟

س ٨ : قلنا فيما سبق أن الصلاة فريضة مكتوبة لاتسقط الا بفعلها أداء أو قضاء وهى لا تسقط عن المريض وان طال المرض وان استمر سنين عديدة الا ان الله سبحانه تمشيا مع قاعدة التيسير التى تمتاز بها الشريعة الاسلامية خفف على المريض فطلب منه أن يؤدى الصلاة كيفما استطاع فان لم يقدر على القيام اداها قاعدا بركوع وسجود فان لم يستطع القعود أداها بالايماء قاعدا أومستلقيا، فان لم يستطع اداءها بالايماء أخرت عنه الى أن يقدر على أدائها فيقضيها على الوجه الذى ذكرناه فى السؤال السابق ·

أما من مات وعليه شىء من الصلاة المكتوبة فلا يجوز لأحد ان يصليها عنه ولكن يرى بعض الفقهاء جوازاسقاطها عنه بعد وفاته بالفدية وذلك باخراج

نصف صاع من بر أو صاع من تمر أو شعير عن كل فريضة من الفرائض وكذا عن صوم كل يوم من أيام رمضان والله أعلم .

س ٩ : من د.ع. حسب النبى ـ من نادر منوفية .

يقول هل تكره تحية المسجد بعد صلاة العصر ؟

ج ٩ : ان تحية المسجد سنة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يكره اداؤها الا فى أوقات ثلاثة أولها من شروق الشمس حتى ترتفع قدر رمح أو رمحين، ثانيها من استواء الشمس أى توسطها كبد السماء حتى تزول أى تميل الى الغروب وثالثها من اصفرار الشمس حتى تغيب . ومن هذا يعلم أنها لاتكره بعد العصر مباشرة ولكن تكره حين تصفر الشمس حتى تغرب . والله اعلم .

س ١٠ : من السيد عثمان منصور

يقول : توفيت امرأة عن بنتين وأولاد ابن ذكورا واناثا وأخوين غير شقيقين وكذا ثلاث أخوات غير شقيقات فكيف توزع التركة ؟

ج ١٠ ـ للبنتين الثلثان فرضا بالسوية بينهما ، والباقى لأولاد الابن ذكورا واناثا تعصيبا للذكر ضعف الأنثى ولا شىء للأخوة ولا للأخوات . والله اعلم

المؤسسة المصرية العامة للتجارة

شركة مصر
لتجارة السيارات

١٢ شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة
تليفون ٤٩٧١٠ - ٤٥٥٩٨

إدارة التسويق والاستيراد : ٢٨ شارع
طلعت حرب القاهرة تليفون ٤٣٨٠٧

توكيلات عالمية

- مصانع سيارات فولكس واجن • مصانع أودناش بيل
- مصانع سيارات مرسيدس • مصانع موتورات كمنز
- مصانع سيارات فولفو • مصانع موجارت بالجر
- مصانع س. أ. ف ولوكاس • مصانع موتوكوف بتشيكوسلوفاكيا
- مصانع جرارات دافيد براون

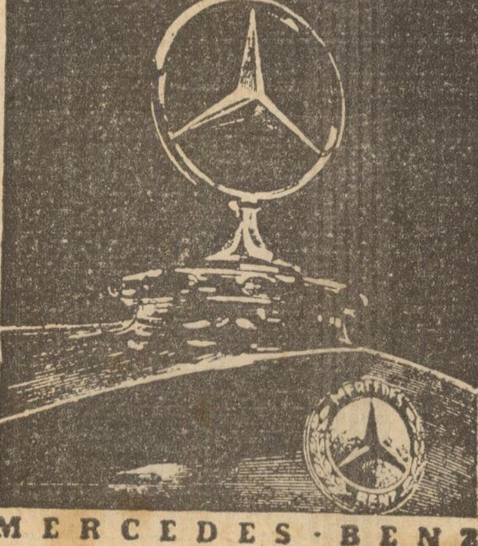

MERCEDES · BENZ

محطات الخدمة :

ورشة مرسيدس
١٠ شارع الجلاء ت ٧٣١٣٢ / ٧٣٠٢١
بالقاهرة

محطة خدمة سيارات نصر
بالقاهرة
١٢ شارع عبد الخالق ثروت ت ٤٩٧١٠

ورش فولكس فاجن
٥ شارع النيل بامبابة ت ٨٠٠٦٨٢ / ٨٠٩٨٤٩
٤ شارع الإدريسي بمنشية البكري
بمصر الجديدة تليفون ٦٠٤٠٦
٧ شارع كلية الطب محطة الرمل
ت ٢٤١٩٥ / ٢٣٣٨١ بالإسكندرية

مع القراء

اعداد : فؤاد هيبة

عزيزى القارىء :

بهدى وتوفيق وايمان لا يحيد . بعزم أصيل وصبر جميل ، بقناة لا تلين ونصر مبين ، يواصل بطل السلام الرئيس جمال عبد الناصر ضرب الأمثال الحية تطبيقا لمبادىء اقرار السلام ، بالكلمة الصادقة ، والرحله الهادفه بالتقدم والتطوير ، بالحرية والوحدة الاشتراكية العربية ، ايمانا منه أن السلام العالمى يفرض على دعاة السلام القدرة على مواجهه تحديات الامكانيات الضخمه للدول الاستعمارية وأذنابها من صهيونية ضالة ورجعية مقنعة ، وعنصرية كاذبة ، من هنا .. كانت الدعوة الى السلام مسئولية عظيمه لا يقوى على حملها الا رجال وهبتهم العناية الالهية مقومات قدرة الدعوة الى الخير ومحاربة البغى ، ومن هنا أيضا .. كان للامة العربية الاسلاميه والانسانيه جمعاء أن تفخر فى اعزاز بقائدها فى طريق الاخاء والمساواة ، ورائدها فى مجال اقرار العدل ونشر الرفاهية ، وزعيمها فى دعم الخير وغرس الحب، وبذر السلام ، رئيسنا الملهم جمال عبد الناصر .

رحلات السلام .. وتحرير فلسطين

السيد/مصطفى محمود مصطفى - مدرس بمدرسة الباجور الثانوية

يسجل لنا فى قصيدته « الى فلسطين » المعارك الخالدة التى دحرت فيها الوحدة العربية الاسلامية قوى الاستعمار فرحل عن مقدساتها وهو صاغر . وظلت هذه المعارك ، مناط الذكرى وموطن العبرة لكل من تسول له نفسه النيل من هذه الوحدة ، وخلدت مصدر قوة وقبس الهام للقادة العرب أن يقيموا وحدتهم التى هى سر غلبهم ومنار عزتهم على ضوء قرارات مؤتمرات القمة العربية الافروآسيوية وبوحى صادق من انتصارات رحلات السلام المباركه التى أنجزها الرئيس جمال عبد الناصر ، بين الشرق والغرب مؤكدا أن تحرير فلسطين هو عصب اقرار السلام القائم على العدل ..

فسما فلسطين العزيزة أن أهب
صدرى لشعبك عاريا يوم المهب
غالت فلسطين البريئة عصبة
سفاحة ، الشرق منهم قد نكب
حطين تشهد انهم سحقوا بها
وسلوا صلاح الدين عنهم اذا ضرب
ومضى التتار بقضهم وقضيضهم
ضاق الفضاء بهم وضاق المحترب
فقضت عليهم (عين جالوت) التى
نزعت دمشق وحررت منهم حلب
سيقودنا العملاق (عبد الناصر)
سيقودنا للنصر فى جيش لجب
لنحرر القدس المقدس منهمو
ونمر فى حيفا وعكا والنقب

العالم الاسلامى .. دوله وأعلامه

السيد/محمد الغالى زمامه - مكناس - المملكة المغربية :

ان ما تتناوله « منبر الاسلام » من أبحاث تاريخية وأدبية ودينية وغيرها تعبر فى أصالة عن قيام وحدة الفكر والروح ، وحدة التجربة والهدف ، وحدة الآلام والآمال .. بين جميع شعوب الأمة العربيه الاسلامية ، وستجد ضالتك فى أبواب المجلة مثل : ماذا تعرف عن العالم الاسلامى دوله وشعوبه ، من قادة الأندلس ، اعجاز القرآن .. فضلا عن المقالات والأبواب الأخرى والتى تتناول من قريب أو بعيد التعريف بالمغرب العربى دوله وأعلامه.

تاريخ الأنبياء .. حلم تحقق

السيد/محمد على الفلال - عضو الاتحاد الاشتراكى قسم باب الشعرية

فى ظل ثورتنا المباركة وزعيمنا جمال عبد الناصر الذى شاد معجزات القرن العشرين وحقق أحلام شعوب الأمة العربية الاسلامية ، يسرنى أن يكون معلوما لك أن حلمك قد أصبح حقيقة مسطورة ماثلة بين يديك ، فقد أصدر المجلس الأعلى للشئون الاسلامية « لجنة التعريف بالاسلام » كتابا فى « الارتباط الزمنى والعقائدى بين الأنبياء والرسل » .

بريد التعارف

الاسم : عبد الله الخطيب ابن سليمان نجم
البلد : المملكة الأردنية الهاشمية
السن : ٢٥ سنة
المهنة : طالب بكلية الحقوق ـ جامعة دمشق
الهواية : مطالعة المؤلفات الاسلامية ، ومراسلة الشباب المسلم
العنوان : مخيم الكرامة ـ الاردن

الاسم : نبيل عبد العزيز علوانى عبد الهادى
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٧ سنة
المهنة : طالب بمدرسة كفر الدوار الصناعية الثانوية
الهواية : قراءة الكتب الاسلامية ـ جمع الطوابع ـ الرسم
العنوان : ١٩٣ طريق الحرية بالاسكندرية

الاسم : قيس داود سلمان
البلد : الجمهورية العراقية
السن : ١٦ سنة
المهنة : طالب
الهواية : الصحافة ـ الرسم ـ المطالعة ـ المراسلة
العنوان : بغداد ـ الزوية ـ الكرارة الشرقية ـ قرب جسر ١٤ تموز المعلق ـ منزل رقم ١ ـ ١٠٠١

الاسم : محمد عباس ميرغنى
البلد : جمهورية السودان
السن : ٢٠ سنة
المهنة : طالب
الهواية : القراءة ـ وتبادل الصور ـ والمراسلة
العنوان : طنطا ـ شارع طه الحكيم ـ ٨ حارة أبو خضرة الدور الرابع

الاسم : نبيل احمد مصطفى المنياوى
البلد ـ الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٨ سنة
المهنة : طالب
الهواية : قراءة الكتب الادبية وتاليف القصص والشعر
العنوان : المنيا ـ شارع الحسينى القبلى رقم ١٣.

الاسم : ابراهيم محمود العلوى
البلد : البحرين
السن : ١٧ سنة
المهنة : طالب ثانوى
الهواية : جمع الصور ـ والطوابع ـ والمراسلة
العنوان : شارع الخليفة فريق البنعلى ـ رقم الدار ٢٢٢٥ المحرق البحرين ـ الخليج العربى

اقرأ فى هذا العدد :

صفحة

معالم الطريق ٣

زعماء العالم الاسلامى فى القاهرة... ... ... ٦

منطق الثائر ... ...السيد الاستاذ حسين الشافعى ٩

من أمثلة الايمان والاخلاص والثبات ... ...

الاسباب والمسببات فى تقدير الله سبحانه ...فضيلة الشيخ عبداللطيف السبكى ... ١٨

الماء والحياة ... ...الاستاذ عبدالعزيز سيد الاهل ٢٢

الصوفية فى الهامهم .. ..الاستاذ حسن كامل الملطاوى ٢٨

نهر الاردن ... ... الاستاذ محمود كمال ٣٣

خواطر مستشار ... ...المستشار على على منصور ٤٤

اخلاقيات ثورتنا ... ...المستشار محمد احمد رجب ٤٨

القومية العربية فى شعر شوقى ... ...الدكتور احمد الحوفى ٥٣

مالا يجوز الخلاف فيه ... ...فضيلة الشيخ عبدالجليل عيسى ٥٧

الانسانية الاسلامية ... ... الاستاذ محمد عطية الابراشى ٦٠

الاسلام بين العقل والنقل ... ...الاستاذ محمود أبوالفيض المنوفى ... ٦٢

الحرية الدينية فى الاسلام ... ...الاستاذ الدكتور على عبد الواحد وافى ٦٥

من اعجاز القرآن ... ...الدكتور حفنى محمد شرف ٦٨

معجزات الانبياء ... ...الدكتور محمد محمد أبو شهبة ٧١

علاقات المسلمين بالروم ... ...الدكتور محمد جمال الدين سرور .. ٧٤

حتمية التعبئة الروحية ... .الاستاذ عبد العليم المهدى ٧٧

صور من حرية الكلمة فى الاسلام ... ...الاستاذ محمد محمد الشرقاوى ٧٩

عدالة التوريث فى الاسلام ... ...فضيلة الشيخ محمد عبدالرحيم الكشكى ٨١

الفوارق بين الطبقات ... ...مهندسة هدى عفيفى ٨٤

الاسلام فى الادب العربى ... ...الاستاذ ابراهيم عوضين... ... ... ٨٧

الاسلام كما اراده الله ... ...الاستاذ منصور نسيم ٨٩

شباب البعوث الاسلامية واجبهم نحو دينهم
واوطانهم ... .الاستاذ محمد فتحى محمود ٩٠

تحريف اليهود للقرآن قديما وحديثا ... ...فضيلة الشيخ سليمان حسن عبد
الوهاب ٩١

اعتراف الاجانب بالدين الاسلامى ورسوله ...سماحة الاستاذ مبشر الطرزى الحسينى ٩٦

امة قدسها القرآن ... ...الاستاذ معوض عوض ابراهيم ٩٨

عمر بن الخطاب ... ... الاستاذ عبدالعال شعيب ١٠١

التسامح فى الاسلام ... ...الدكتور ابراهيم سالم ١٠٣

الحضارة المعاصرة ... ...الدكتور محمد مظهر سعيد ١٠٤

حول انتشار الاسلام فى أرخبيل الملايو ...الدكتور حسن محمود ١٠٧

حياة المقرى .. ..الاستاذ محمد سيد جاد الحق ١٠٩

الثقافة الشعبية قبل الثورة وبعدها ... ...الاستاذ حسن الشيخة ١١١

منابع الفكر العربى الاسلامى ... ...الاستاذ أنور الجندى ١١٣

الدعوة الاسلامية عند الفيلسوف محمد اقبال الاستاذ اسماعيل كشميرى ١١٥

الاسس الدينية للمجتمع الجديد ... ...دكتور القطب محمد طلبة ١١٨

عبد الناصر صانع السلام ... ...الاستاذ كامل عبد المجيد ١٢٠

العمل وتكافؤ الفرص ... ...الدكتور غريب الجمال ١٢٢

من توجيهات النبوة ... .فضيلة الشيخ عبد الحميد بلبع ... ١٢٤

عبد الناصر والشخصية المصرية .. .. الاستاذ ابراهيم عبد الرحمن مصباح ١٢٨

صفحة

عمار بن ياسر ... الاستاذ عبد المنعم حسن الادفوى ... ١٣٠

العقاد يكشف نفسه قبل ان يموت ... دكتور جمال الدين الرمادى ... ١٣٤

الازهر بين القديم والحديث ... فضيلة الشيخ ابو الوفا المراغى ... ١٣٦

الازهر بين القديم والحديث ... الاستاذ عطية صقر ... ١٣٨

الازهر بين ماضيه وحاضره ... الاستاذ ابوبكر محمد ذكرى ... ١٤٠

الزار خرافة ... الاستاذ على الجندى ... ١٤٢

كلمات قرآنية ... الاستاذ عبد الرحيم فوده ... ١٤٤

حياة المقر الشهابى ... الاستاذ محمد عبد الجواد الاصمعى ... ١٤٧

بذل الجهد فى اداء الواجب ... فضيلة الشيخ عبد الله المشد ... ١٥٢

مقارنة لاديان ... الدكتور أحمد شلبى ... ١٥٦

أضواء على التاريخ اسلامى ... الاستاذ محيى الدين الالوائى ... ١٥٨

الفتوة وعلاقتها بالجهاد والفروسية ... الاستاذ محمود الهجرسى ... ١٦١

الام فى شعر المراة ... الاستاذة روحية القلينى ... ١٦١

دعوة الميثاق من دعوة الاسلام ... الاستاذ حسنى عبد المجيد ... ١٦٥

اندونيسيا ... دكتورة عنايات الطحاوى ... ١٦٩

بطل السلام ... الشاعر عبد الله شمس الدين ... ١٧١

نسبح باسمه ربا عليا ... الشاعر محمد هارون الحلو ... ١٧٩

يا ناصر العرب ... الشاعر بسيم الذويب ... ١٨١

الشعر الدينى ... الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل ... ١٨١

باب الرياضة ... اعداد ناصف سليم ... ١٨٥

القادسية « قصة العدد » ... الاستاذ عبد الحميد جوده السحار ... ١٨٨

المراة فى عدن ... اعداد الآنسة نجاة الزنيرى ... ١٩٥

السيدة زينب رضى الله عنها ... عائشة حسنى ... ١٩٨

ندوة الشهر ... يقدمها عبد الرحمن الشربينى ... ٢٠١

حديث مع فضيلة الامام الاكبر ... اعداد الآنسة عفاف توفيق خليل ... ٢٠٣

عبر من خواص الماء ... الدكتور محمد جمال الدين الفندى ... ٢٠٥

اضواء على المسلمين فى العالم ... اعداد رياض خليفة ... ٢٠٦

صدى القرآن الكريم فى الزخارف الاسلامية
الاموية ... دكتور حسن الباشا ... ٢٠٩

انت تسال والمفتى يجيب ... فضيلة الامام الاكبر الشيخ حسن مأمون ٢١٦

مع القراء ... اعداد فؤاد هيبة ... ٢٢١

بريد التعارف ... ٢٢٢

مجموعة اسطوانات

الصلاة

تحتوى على ٧ اسطوانات شاملة
الأذان ✻ الوضوء
الصلوات الخمس

اسطوانات

المصحف المرتل

فى ٤٤ اسطوانة

ترقبوا فى منتصف كل شهر عربي

سلسلتى

كتب إسلامية

و

دراسات فى الإسلام

تضمن الحصول على
مكتبة إسلامية جامعة
بأقلام كتاب متخصصين

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية